حسن صبرا



سورية:
سقوط العائلة.. عودة الوطن



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

سورية:

سقوط العائلة.. عودة الوطن

حسن صبرا



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0690-1



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهداء

إلى شعب سوريا العظيم الـذي انتـزع مكانته التي يستحقها تحـت الشـمس بالدم، ونحن نحاول شرح ذلك بالحبر.

المحتويات

مقدمة

كم يحمل بنو آدم من تناقضات في جيناتهم فيها خلايا للبكاء وأخرى للضحك، للقسوة والرحمة للحزن وللفرح، للقتل وللعطف، للحقد وللتسامح، للغباء وللذكاء، للطمع وللقناعة، للجموح وللطموح..

كل هذا أثبته علماء النفس والاجتماع والتربية والاطباء..

ما لم يستطع أحد تثبيته خلال 42 سنة من حكم آل الأسد هو: كيف يمكن أن يكون هؤلاء الحكام في سوريا، من رئيس جمهورية وقادة أجهزة أمن وجيش وحزب وشبيحة هم الذين يمثلون بقية شعب سوريا؟

كيف ينتمي الجلادون والضحايا إلى شعب واحد؟ إذا كانت المسألة محلولة بكون البشر الذين خلقهم الله من طين (تراب وماء) ليصبحوا آدميين، إذا كانت المسألة مشروحة في ان قابيل قتل شقيقه هابيل كأول جريمة منذ بدء الخليقة.

إذا كان حافظ الأسد على استعداد لقتل شقيقه رفعت في صراعهما على السلطة.

فبشار ابن حافظ كان على استعداد لقتل مليون مواطن سوري من أجل أن يبقى في السلطة.

قالها رفعت سابقاً حين حاول الاخوان المسلمون قتل شقيقه حافظ عام 1980:

لو قتل السيد الرئيس لما كان يكفينا قتل مليون سوري مقابله..

اقرأوا كيف قال: يكفينا.

إذن

حلت المسألة

هؤلاء آل الأسد ومن معهم هم على الاقل نوع آخر مختلف عن السوريين الذين شاء قدرهم أن يسقطوا تحت سنابك وأسنان آل الأسد.

كان الاستعمار الفرنسي أرحم

كان العثمانيون أكثر تقدماً

كان تيمورلنك أكثر مدنية

انظروا واقرأوا ماذا فعل حافظ الأسد بسوريا والسوريين.

حسن صبرا

الفصل الأول

عملتها درعا

- مقدمة
- عملتها درعا
- تظاهرة المسجد العمري ووزارة الداخلية
- درعا تنتفض
- من هنا كانت البداية
- تعالوا إلى الاخطر
- صدقوا أو لا تصدقوا
- لكن البداية كانت من دمشق
- تظاهرة الحريقة في دمشق
- الشرر الأول تأييد ثورة مصر
- تأييداً لثورة ليبيا
- الأصل في دمشق
- رياض سيف
- السبعيني
- جورج صبرا وفايز سارة ييكيان

مقدمة

هتف المتظاهرون السوريون الذين لم يتجاوزوا العشرات أمام السفارة الليبية في دمشق: "خاين يلي بيقتل شعبو"

كان الهتاف موجهاً ضد معمر القذافي، الذي كان يعمل القتل في جماهير الشعب الليبي الثائرة..

كان الهتاف في أواخر شباط/فبراير 2011 وقبل أسابيع قليلة من ثورة الشعب السوري ضد بشار الاسد التي يؤرخ لها بيوم 2011/3/15، وهو الهتاف نفسه الذي اعتمده السوريون، عندما راح بشار يقتل السوريين بعد ذلك لأكثر من عام.. "خاين يلي بيقتل شعبو".

انه شعار مهد لشعار أكثر وضوحاً، حين قال السوريون لبشار عندما أذلت عناصره الامنية شاباً سورياً في منطقة الحريقة، قلب دمشق التجاري: الشعب السوري "ما بينذل".

عملتها درعا

وصل الدور إلى بشار، عملتها درعا كما في تونس، كما في مصر، كما في اليمن، كما في ليبيا.. هم شبان نزلوا الشارع بعد ان طفح الكيل، من الظلم والاضطهاد والاستغباء والاستعلاء والفساد، وسيطرة العائلة الواحدة والاقارب والعقارب.

كذا تحرك شباب صغار في سوريا، استجابة لدعوة شباب أكبر حدد يوم 2011/3/15 لانطلاق ثورة الشعب السوري للتخلص من حكم الطوارىء واستمرار سلطة القمع من الأب إلى الابن.

في درعا خرج صبية صغار يكتبون على الحيطان شعارات معارضة لحكم بشار الأسد، فتمت ملاحقتهم واعتقال بعضهم، وقتل أثناء المطاردات عدد من الشباب.

درعا لها وضعية خصوصية في سوريا، فهي منطقة حدودية، وهي منطقة رغم انها مميزة بخضرتها ومزارعها الغنية فهي طاردة للعمالة في كل أرجاء سوريا ولبنان والاردن.. وهي منطقة عشائر كبيرة لها امتداداتها العربية.. لكل هذا كان الحدث منها ذا تأثير اعلامي واسع.. لكأنها العاصمة دمشق أو لكأنها حلب الشهباء.

تحركت العشائر بعد الاعتقالات، ونزل رجالها في تشييع قتلى رصاص للنظام، وتحدثت أرقام النظام عن سقوط جرحى بأعمال شغب وتحدثت وسائل الاعلام عن 4 قتلى، ومئات الجرحى.

وكلما كان يجري تشييع جثمان أو جثامين قتلى تحول التشييع إلى تظاهرة رفض جديدة للنظام حتى تطورت الشعارات من "الله وسوريا وحرية وبس"، إلى "الشعب يريد إسقاط النظام".

تحرك بشار الأسد سريعاً، فأرسل نائبه فاروق الشرع الذي رفض كبار رجال العشائر استقباله.

أرسل ابن المنطقة فيصل المقداد، فحدد له الكبار مطالبهم، إطلاق سراح الصبية المعتقلين، إقالة المحافظ الظالم، سحب رجال الأمن من الشوارع والتعويض عن الجرحى والقتلى.

استجاب بشار لمطالب الثوار فأقال المحافظ وأطلق سراح الصبية وأمسك بعض الكبار حتى اضطر إلى إطلاقهم بعد توسع الاحتجاجات مع كل تشييع لقتلى درعا.

يدرك بشار ان درعا فيها تقاليد عشائر كبيرة منها الجوابرة، وسقط منها أول قتيل، هو محمود الجوابرة ومنها المقدادية ومنها النرعيسية..

يدرك أكثر ان رجال البعث والسلطة في هذه العشائر انحازوا إلى أهلهم، ورفضوا تنفيذ أوامر النظام، فاستمرت الثورة وكانت شرارة التحرك لكل أنحاء سوريا. هل هي ثورة عشائر إذن؟

أبداً.. بل هي عفوية شبان استجابوا لدعوة 15 آذار/مارس، احتضنتها القوى السياسية كلها، ناصريين، إسلاميين، إخواناً، شيوعيين، بعثيين وطنيين معارضين للنظام.. وعشائر مستقلة وشباباً منخرطاً في هذه القوى من العشائر نفسها. نعم كانت القوى الحزبية التقليدية تحضر لتحرك ضد النظام شبيه بتحركات وثورات

شعوب تونس ومصر واليمن وليبيا، لكنها استجابت بسرعة لحركة الشباب الصغار. النظام سارع إلى اتهام إسلاميين، ثم عدّل خطابه الاعلامي ليصبح المسؤول عن الثورة الشعبية نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام ونائب الرئيس الأسبق رفعت الأسد.

لماذا؟

لأن خدام كان وجه رسائل إلى الشعب السوري تدعوه للثورة، ووجه رسائل إلى بشار يدعوه فيها أن يدخل التاريخ من باب الإصلاح، حتى لا يخرج منه من باب الدم، ووجه خدام رسائل إلى الجيش العربي السوري كي يأخذ مواقف جيشي تونس ومصر الوطنيين لحماية شعبه، ولا يأخذ مواقف كتائب القذافي.

أبرز رسائل خدام جاءت بعد الثورة لتذكير أجهزة الأمن بمصير أمن نظام القذافي المذعورين بعد صدور قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي بملاحقتهم أمام المحكمة الجنائية الدولية.

لذا، لم يكن نظام الأسد الابن موفقاً وهو يحاول أن يرمي أسباب الثورة على هذا وذاك.. لكأنه لم يتعلم من مصير حسني مبارك وزين العابدين بن علي ومعمر القذافي وعلي عبدالله صالح.

درعا مهد الثورة

تظاهرة المسجد العمري

في 13 آذار/مارس بعد تكرار التظاهرات الصغيرة المنظمة التي يشكل الشباب الوطني غير المنظم نسبتها الاعلى تجمع العشرات منهم (بين 70 إلى 100 متظاهر) أمام المسجد العمري، ولم يدخلوه، ولم يصلوا وانطلقوا في تظاهرة بعد خروج المصلين وانضمام بعضهم إليهم، داخل سوق الحميدية بعد صلاة الظهر، لذا قال عنهم الشيخ محمد سعيد البوطي رجل النظام الموروث ابناً عن أب: انهم لا يصلون وليس بينهم من على وجهه آثار الصلاة أو السجود!! اختاروا المرور بالسوق لأن الصوت داخله يتضخم بسبب الصدى، ولأنه مكتظ بالناس، ويسهل الفرار فيه والاندساس داخل صفوف الزبائن، وكان الهتاف واحداً حرية.. حرية.. وكانت هذه الهتافات كافية كي ينقلب الباعة الجوالون، الذين يقفون خلف وعند عربات

بيع الكعك والترمس وفاكهة الموسم إلى مخبرين يكشفون هوياتهم الحقيقية، ويهاجمون المتظاهرين فيضربون ويسحلون على الأرض بعضهم، ثم يسارع بعض البائعين – المخبرين ليجيئوا بالحافلات الصغيرة لتحمل المعتقلين إليها، مما يؤكد جهوزيتهم الدائمة لأي طارىء.

كان بين المتظاهرين رجال ونساء، وربع التظاهرة من النساء، نصفهن محجبات.

تظاهرة أمام وزارة الداخلية

في 14 آذار/مارس توجهت أمهات معتقلين للاعتصام أمام وزارة الداخلية في قلب دمشق للمطالبة إما بالإفراج عن أولادهن، وإما إخضاعهم للمحاكمة، والسماح بتوفير محامين لهم، بعد ان طال الاعتقال دون تهمة أو محاكمة أو حق دفاع. شارك في هذا الاعتصام الذي لم يدم أكثر من دقائق د. طيب تيزيني وابنة كمال اللبواني الناشط الوطني السجين المحكوم بـ 10 سنوات وقد أطلق سراحه خلال الثورة وانتقل إلى الاردن للتحرك المضاد للنظام من الخارج وعدد من نشطاء الرأي ودائماً سهير الاتاسي وسرعان ما تعاملت معها أجهزة الأمن بالقمع فاعتقلت د. طيب لفترة وجيزة، بعد ان تلقى ضربة على رأسه ووجهه.

درعا تنتفض

في 15 آذار/مارس دعا شباب ثائر عبر وسائل الاتصال الاجتماعي شعب سوريا لإعلان بدء ثورته ضد نظام عائلة الأسد.. فبدا أول الأمر ان أحداً لم يستجب لتلك الدعوة، إلا شباب صغير حد الطفولة (13 إلى 15 سنة) خرجوا وكتبوا على الجدران في مدينة درعا عبارات ضد النظام أشهرها على الاطلاق: يا دكتور.. إجاك الدور.

من هنا كانت البداية

استفز هذا الشعار ابن خالة بشار الأسد، مسؤول الأمن السياسي في محافظة درعا (حوران سابقاً) عاطف نجيب.

وعاطف هذا ابن فاطمة مخلوف شقيقة أنيسة مخلوف والدة بشار، ولن نفهم طبيعة ثورة درعا كاستمرار وتتويج لتحركات شعب سوريا ضد نظامه، إلا إذا أوردنا جزءاً من سيرة عاطف هذا.

عندما بدأ حافظ الأسد يهيىء ابنه باسل ليرثه اختار الأخير عدداً من أقربائه كي يشكلوا له نواة أمنية خاصة به ليواكب أجهزة الأمن التي كانت تنمو في تلافيف نظام الأسد الأب، وهي إحدى هواياته بل وأساسيات حكمه.. وكان عاطف نجيب أبرز الاقارب لأن حافظ ورامي مخلوف كانا صغيري السن على مقاعد الدراسة يومها. مات باسل فورثه بشار، كما ورث السلطة من والده حافظ، وكان عاطف يرتقي بالوظائف في عهد بشار، حتى اختاره لصلافته منافساً بل وغريماً لدوداً لخصم بشار الأكبر غازي كنعان عندما سحبه من لبنان لتسليمه إلى رستم غزالة، ابن إحدى القرى الفقيرة في محافظة درعا.

تسلم غازي كنعان مسؤولية الأمن السياسي بعد إحالة عدنان بدر حسن إلى التقاعد، وكان عاطف نجيب شوكة في حلق أبو يعرب ورغم ان عاطف هذا كان نائب رئيس فرع دمشق للأمن السياسي، إلا انه كان يأمر رئيس الفرع، وانشأ فيه عصبة من الضباط الفاسدين المرتبطين به، عدا عن ان هذا الجهاز وغيره كان يعج بالضباط والعناصر الفاسدة والمفسدة والشديدة القساوة في التعامل مع البشر، والفساد والغلظة هما سمتان أساسيتان في حكم عائلة الأسد أباً وأولاداً وأقارب.

ولأن عاطف نجيب كان يعرف ان سوريا كلها ملك لآل الأسد، أورثها حافظ لأولاده، وأولاده مع والدتهم أنيسة مخلوف جاءت بإبني أخيها رامي وحافظ كي يساعدا ولديها ماهر وبشار، في الأمن وفي جمع المال، وجاءت بإبن أختها عاطف كي يساعد بشار وماهر في الإمساك بالسلطة، وجعلت صهرها بعل ابنتها بشرى آصف شوكت شريكاً أول الأمر في السلطة رغم انه من أصول سنية من بلدة سورية على حدود لبنان (فضلاً عن عائلة شاليش شريكة العائلة الحاكمة في النهب والتسلط).

هذا الواقع كان يعيشه عاطف نجيب، لذا أخذ راحته، وبدعم من خالته وأولادها راح يؤسس للشركات التي كانت تشتري حاجيات الدولة وتشتري معها

قطع غيارها ان كانت سيارات، ويبيعها الاجهزة الكهربائية وكل ما تحتاجه المؤسسات الرسمية بأسعار أعلى من سعرها في ألمانيا وأوروبا نفسها.

وحين انتقل لفترة إلى اللاذقية، احتكر عاطف نجيب جبالها ليحولها إلى بحص وحجارة عبر كسارات أقامها ليحيل الخضرة إلى رمادي، وليكدس المال حتى يثبت انتماءه للأسرة الحاكمة، فهو أيضاً ثري سلطة يجاري أهلها في المال والسلطة أيضاً والجميع على دين بشار وماهر قطبي المال والسلطة في سوريا. هكذا كان وأصبح وما زال الحكم في سوريا عائلياً مالياً، سلطوياً إلى الأبد ولم ولن يسقطه إلا شباب سوريا وهو يهتف:

إلى الأبد إلى الأبد.. في جهنم آل الأسد.

الحاكم بأمره

في درعا التي كان فيها عاطف نجيب حاكماً بأمره.. استملك أخصب الأراضي، وبأسعار شبه مجانية، وكان يبيعها بأسعار خيالية.

وقبل أن نقدم للقارىء الرابط المستحكم بين عاطف نجيب وإبن خاله رامي مخلوف، تعالوا نقرأ كيف تعامل عاطف هذا مع شعار أطفال درعا: يا دكتور.. إجاك الدور. جن جنون مسؤول الأمن السياسي عندما نقل له عسسه المنتشرون في كل حبة رمل، وحنطة وغصن شجرة في سهول حوران ان هذه العبارة وجدت على جدران طبيبة جميلة في البلدة.. كثيراً ما كانت التقارير تصل عنها إلى عاطف انها متمردة، وانها لا تحبنا.

في إحدى المناسبات رأى عاطف نجيب هذه الطبيبة الشابة وأعجب بها، ويقول بعض من أبناء القرية انه ارادها لنفسه وانها تمنعت عنه بإباء فحقد عليها وكان ينتظر الفرصة المناسبة لتأديبها.

وقد جاءته هذه الفرصة، فالعبارة التي جننته وجدت على جدار عيادتها، فاستدعاها لسؤالها عنها، فقالت أنتم تعرفون من كتبها، فأنتم تحصون علينا أنفاسنا وتعرفون كل شيء في بلدنا.. فلماذا تسألني؟

اشتم عاطف نجيب تمرداً من الطبيبة فقام إليها مع نفر من عناصره ونزعوا عنها ملابسها بالقوة والعنف، حتى باتت شبه عارية أمامهم، ثم سجنها وأرسل لأهالي المدينة يخبرهم (بإنجازه).

هذا أولاً، ثم أكمل مشروعه التحريري باعتقال عدد من أطفال المدينة، موجهاً إليهم تهمة تحقير رئيس الجمهورية، وسامهم الضرب والتعذيب والتنكيل ورفع أجسادهم بالمقلوب ونزع أظافر أيديهم بالبانسات وكذلك أظافر أرجلهم، وعندما جاء وفد من أهاليهم يطالب بإطلاق سراحهم سمعوا العجب.

تعالوا إلى الاخطر

درعا محافظة ومدينة وسهلاً على حدود الجولان.. هذا في الجغرافيا.

درعا سكاناً مرتبطة بالنظام كما أسلفنا.. هذا في السياسة.

درعا في الاقتصاد امتداد للقنيطرة في الجولان وهنا بداية أخرى.

ففي الاراضي المحررة في الجولان راح أركان النظام السابقون (مصطفى طلاس، حكمت الشهابي، علي دوبا وآخرون) يشترون آلاف الهكتارات من الاراضي كي يهيئوها للزراعة.. والأهم للسياحة، تمهيداً لصفقة تجري يوماً ما بالصلح مع العدو الصهيوني، فتتحول الاراضي التي تم شراؤها بالقروش إلى أراضٍ تساوي الملايين. هذا سابقاً ولجيل مضى في السلطة من رجال الأسد الأب، حالياً.. جاء دور رجال الأسد الابن.. خاصة إذا كان ابن خاله رامي مخلوف.

انتشرت في منطقة درعا أخبار كالنار في الهشيم بأن الاراضي التي يستملكها عاطف نجيب في سهول حوران، هي شراكة بينه وبين ابن خاله رامي مخلوف، وان رامي نفسه يشتري الاراضي بسعر التراب غصباً وقهراً كي يقيم فيها مشاريع سياحية تسبق مشاريع طلاس والشهابي ودوبا المتوقعة. (على الطريق بين دمشق ودرعا اشترى رامي مخلوف مساحات هائلة من الاراضي أحاطت كلها بمبنى جامعة خاصة لأحد العراقيين ليقيم مدينة كاملة في المنطقة تحمل اسمه).

كان للإشاعات، كما هي العادة، نصيب من الصدقية، مع معرفة ان رامي مخلوف كان ينتظر يوم 2011/3/28 كي يحصل على بدء تنفيذ حكم قضائي باستملاكه موقعاً جبلياً في قاسيون مطلاً على دمشق، ينتج عنه تهجير عشرة آلاف أسرة من ساكني البيوت الفقيرة والعشش في حضن الجبل.

ولرامي مخلوف في جبل قاسيون مطعم صغير مطل على دمشق، ويريد بناء مشروع سياحي ضخم في قمة الجبل ويريد تأمين منظر جميل بدل العشش ومنازل الفقراء. مشروع رامي الجديد كان يستدعي شق طرقات وسط بيوت الناس في ركن الدين والمهاجرين والشيخ خالد، وهذه المناطق تعج بالأكراد (في ركن الدين والشيخ خالد) مع اعداد من الشركس، أما في المهاجرين فالسكان سنّة وشيعة. شق الطرقات العريضة وتشجيرها كان يعني تهجير 10 آلاف عائلة، وكان الحكم القضائي صدر بالإخلاء تمهيداً للهدم، وكان التنفيذ محدداً يوم 3/28 لولا قيام الثورة حيث تأجل كل شيء.

وهذه المنطقة على ما يقول سكان في دمشق، تعتبر الأكثر خروجاً على القانون، والدولة تعجز عن الدخول إليها، رغم إشرافها على دمشق، لأن أوضاع الناس فيها صعبة اجتماعياً واقتصادياً، ومادياً وفيها مهجرون جاؤوا من الجولان ومن الشمال الشرقي بعد تكرار سنوات الجفاف، وفقراء ضاقت بهم سبل العيش ووجدوا السكن فيها هروباً من الايجارات المرتفعة ومتطلبات العيش الأخرى، فاستكانوا إليها وانشأوا فيها مجتمعهم الصعب تماماً كما حال العشوائيات في قلب ومحيط القاهرة، وكما هي حال الضاحية وحزام البؤس الذي يحيط ببيروت وحولها إلى مدينة خارجة عن الشرعية والقانون.

كان الناس يتداولون هذه الاخبار في درعا.. كما في مختلف أنحاء سوريا، وتصمت بل وتمتنع عن مجرد التفكير بها، خوفاً وسعياً للحياة وحرصاً على النفس والاولاد.. إلى ان تراكمت وأثقلت الكاهل وحصل كما قال شيخ الجامع العمري في درعا أحمد الصياصنة لبشار الأسد: الناس يا سيادة الرئيس انفجرت لأنها لم تعد تستطيع التحمل.

نعم، ان كل أمر يدعو في سوريا إلى الثورة، والمرجل الفائر يحتاج إلى متنفس لينفث بخاره، وأهل درعا عانوا كما كل ركن في سوريا، وحكم عائلة الأسد يستشري كالسرطان في الجسد السوري، ومقاومة هذا السلطان حق وواجب وطني وديني وأخلاقي وصحي، وقد توافرت كل عوامل المقاومة واستدعاءاتها خاصة وان الدافع موجود، والاداة هي التكنولوجيا التي توافرت لشباب سوريا: أدوات التواصل الاجتماعي.

صدقوا أو لا تصدقوا

طلب آباء الاولاد المعتقلين من عاطف نجيب أن يطلق سراحهم، فكان رده العجيب المتعالي: (اذهبوا وناموا مع نسائكم وهاتوا أولاداً غيرهم، وانسوا هؤلاء الاولاد. وإذا عجزتم عن إنجاب الاولاد من نسائكم فهاتوهن لأدلكم كيف ينجبون الاولاد.

نزع الرجال العقال عن رؤوسهم ورموها أرضاً رفضاً لهذه الإهانة، فأمر رجاله ان يضربوهم تأديباً لهم لأنهم ردوا على إهانته بالغضب (هذه الرواية وردت على لسان الشيخ عدنان عرعور في قناة الوصال).

كانت هذه الواقعة – الوقيعة يوم الثلاثاء في 2011/3/15 وانتشرت خلال أيام ثلاثة في كل أرجاء درعا، حتى كانت صلاة الجمعة في 2011/3/18، والقصة على كل لسان والرجال في المسجد يستمعون من خطيب الجامع الشيخ أحمد الصياصنة إلى استنكار وغضب ودعوة للتحرك ثأراً للكرامة وما يجري في هذه البلاد.

انفجرت في درعا وخرج الآلاف من المسجد إلى شوارع المدينة، للمرة الأولى منذ زمن بعيد كان النظام خلالها يعتبر انه أمّن هذه المحافظة من خلال تصعيد بعض أبنائها، ففاروق الشرع منها بصفته نائباً للرئيس، وفيصل المقداد منها، نائباً لوزير الخارجية، ورستم غزالة منها، وكان حاكماً للبنان.

ومن درعا الطفل المظلوم حمزة الخطيب الذي خرج ليحضر الخبر لعائلته المحاصرة وهو ابن الـ 12 سنة فاعتقله الأمن وراح يعذبه حتى قضى تحت تعذيب الشبيحة.. فتبعه الشاب سامر الشرعي.. وابتسام سالم وحسام عياش.. وابراهيم الشيباني.. حمزة البكور.

استدعى بشار (بعد خطاب سخر منه الكثيرون في مجلس الشعب وقال له أحد النواب وفق توزيع الادوار المحدد سلفاً ان حكم سوريا بل حكم بلاد العرب قليل عليه) شيخ الجامع العمري "أحمد الصياصنة" ليطلب منه أن يقول للناس انه مستعد لتنفيذ كل مطالبهم.. وفيما بعد اعتقل الصياصنة بعد مشاركة أولاده في الثورة ولم يخرج من السجن إلى ان تم تسليم ابنه لنفسه. فتم قتل الصبي ورميت جثته أمام منزله فاضطر الشيخ الضرير للهرب بمن تبقى من أسرته خارج البلاد.

لكن البداية كانت من دمشق

قد يفاجأ من هم خارج سوريا، أو ممن لا يتابعون الشأن السوري بأن ابن خال الرئيس رامي مخلوف وابن خالته عاطف نجيب كانا الوقود الذي أشعل ثورة الشعب السوري ضد عائلة الأسد.

في سلوك وسياسة ونهج وطول مدة وقهر وميكافيلية العائلة ما يبرر الثورة ضدها منذ سنوات طويلة، رغم الرعب والقتل والإرهاب.

لكن المرجل الذي تغلي ماؤه بمئات درجات الحرارة، يحتاج إلى متنفس ليصفر ويخرج بخاره ثم يقول للدنيا انه موجود، وان ما يحتويه سينفجر بما فيه. المتنفس أو الحريق جاء من مستصغر الشرر. والاثنان رامي مخلوف وعاطف نجيب جاءا بالوقود إلى الشرارات الصغيرة فاشتعل الحريق الكبير في سوريا أنها ثورة 15 آذار/مارس فلنقرأها من البداية.

مظاهرة الحريقة في دمشق

اعتدى شرطي على مواطن فتلاسن معه واحتشد شباب في المنطقة التجارية للشاب وراح يهتف "الشعب السوري ما بينذل"، أرسل بشار وزير داخليته محمد الشعار بعد ان أعلمه الأمن بما حصل.. وصل الوزير إلى مكان التجمع بعد ان أصبح الشباب بالمئات تحاور معهم وأحاط رجال أمن كثيرون كالعادة بالوزير وبالشباب الثائر.. وراحوا يهتفون مع البعض: "الله سوريا بشار وبس" كان النظام يهيىء نفسه بعد انطلاق ثورة تونس لكل الاحتمالات لذا ما ان خرج هتاف "الشعب السوري ما بينذل" حتى سرت حمى الاحتواء.. وقد تم للنظام ما أراد.. لكن ثورات العرب تلهم كما أوضاع سوريا تسمح.

الشرر الأول تأييد ثورة مصر

تحمس شباب سوري بينه كبار في السن ورجال، لثورة مصر منذ بدايتها، معظمه من اليسار وناصريون وإسلاميون مستقلون ووطنيون من دون أي ارتباط حزبي، لثورة 25 ك2/يناير في مصر، خاصة وهم يتابعون يوماً بيوم بل ساعة

بساعة كيف يتراجع نظام الرئيس حسني مبارك الحاكم منذ 30 سنة، ابن المؤسسة العسكرية وبطل من أبطال حرب اكتوبر/ت1 التي خاضها الجيشان المصري والسوري سوية عام 1973 ضد إسرائيل.. يتراجع أمام إصرار شباب مصر المستقل على مطالبه التي بدأت بشعار الشعب يريد إصلاح النظام، إلى شعار حاسم: الشعب يريد إسقاط النظام. في 5 شباط/فبراير توجه نحو 50 شاباً من هؤلاء من مختلف مناطق دمشق ومدن سوريا إلى محيط السفارة المصرية في العاصمة السورية عند شارع 17 نيسان/ابريل مقابل مجلس الوزراء السوري يهتفون تحية لمصر، ويغنون أغاني الشيخ إمام وأشعار أحمد فؤاد نجم.

كانت قوات حفظ النظام السوري تراقبهم، وهم كانوا يدركون بحسهم ومعلوماتهم البسيطة، إن مهمة هذه القوات هي فعلاً حفظ النظام، ولو كانت النية متجهة لقمعهم لأنزلت السلطة عناصر أمنية مسلحة ليكون القمع عنوان المواجهة ولن يستغرق الأمر كثيراً لقمعهم أو تفريقهم.

كانت السلطات السورية تغض البصر عن هذا التجمع الذي تكرر لثلاثة أيام متتالية، فقد كان بشار الأسد يكره حسني مبارك.

إن مصر كانت ترى في سلوك نظام الأسد عربياً، وعلاقاته مع إيران وحزب الله وحماس، ما يشي بأن السياسة السورية لا يمكن أن تلتقي مع السياسة المصرية، وانها مضرة بالتضامن العربي ومساره المتعثر أيضاً، فضلاً عن ان الود والكيميا كانا مفقودين بين الاثنين فمبارك حمل بشار مسؤولية قتل رفيق الحريري وطلب منه الاعتراف كي يساعده، وبشار وصف مبارك بأنه من أشباه الرجال بعد حرب صيف 2006 في لبنان. ومبارك رفض توجيه دعوة لبشار بعد ذلك لزيارة مصر، بل حدد له موعداً للحضور بعد ان قال بشار انه يريد لقاء الرئيس المصري، لكن بشار اعتبر تحديد الموعد استدعاء وليس دعوة. المهم ان الأمن السوري تعامل بهدوء مع تظاهرات التأييد السورية الوطنية للشعب المصري في ثورته ضد مبارك.. هذا أولاً، فلما تحمس الشباب في الهتاف وهتفوا شعراً:

يا ظلام السجن خيّم اننا نهوى الظلاما

استشعر أهل السلطة السورية ان كل كلمة ظلم تطلق في سوريا، تعنيهم مباشرة، فتحول الاحتضان إلى مواجهة وضرب واعتقال.

وكانت الناشطة الحقوقية رئيسة منتدى جمال الاتاسي وابنة المناضل الكبير الراحل سهير الاتاسي المشاركة في التحركات تأييداً لثورة مصر، حاضرة دائماً، لذا كانت سهير تنال نصيبها دائماً من الصفع والركل، وفي إحدى المرات أرسلت أجهزة الأمن لمعاقبتها اثنتين من بنات الهوى لضربها بالاحزمة.. وقبل ذلك كان عميد في الأمن قد صفعها على خدها وشدها من شعرها وهو يصرخ فيها: (انت ما راح تحرّمي (إشارة إلى تحركها الدائم ضد النظام ودعوتها للإصلاح ولربيع سوري مزهر) انت عميلة لإسرائيل)!!

بعد التحرك نحو السفارة المصرية في دمشق، جاءت تظاهرة صغيرة أيضاً في باب توما ولم يتجاوز المشاركون فيها أيضاً الـ 70 متظاهراً.. ومعظمهم من اليساريين والناصريين (بينهم سهير الاتاسي) والاسلاميين والمستقلين، لينضم إليهم بعد هتافات مختلفة نفر من أهل المنطقة.. سرعان ما انفضت بعد تعرض قوى الأمن لها واعتقال عدد من المشاركين تجاوزوا الـ 30 معتقلاً.

تأييداً لثورة ليبيا

انتصرت ثورة مصر بقبول الرئيس حسني مبارك التنحي عن السلطة يوم 2011/2/11، لتبدأ ثورة الشعب الليبي ضد نظام معمر القذافي في 2011/2/17 أي بعد انتصار ثورة مصر بستة أيام فقط (والبعض يؤرخ لبدء ثورة ليبيا في بني غازي في 2011/2/15) أي بعد أربعة أيام فقط من نجاح الثورة المصرية. توجه عدد من المتظاهرين.. وربما هم أنفسهم ومعهم عدد من الفنانين كالمخرج حاتم علي (وكان شارك في تظاهرة السفارة المصرية) ودائماً سهير الاتاسي إلى السفارة الليبية في منطقة أبو رمانة، وهتفوا تأييداً لثورة الشعب الليبي. هنا ظهرت أجهزة الامن القمعية، فنظام العقيد هو شريك نظام الأسد في كل موبقات السلطة: توريث، قمع، حكم عائلي، فساد، استعلاء على الناس، ولا يريد الأسد أن يتخلى عن القذافي ليسقط، فهذا فأل سيء كمقدمة لسقوط الأسد نفسه. قمعت سلطات الأمن السورية التظاهرة الوحيدة التي خرجت لتأييد ثورة الشعب الليبي في سوريا، واعتقلت فيها شاباً واحداً هتف من أجله المتظاهرون: أطلقوا ماجد، وهذا ليس اسمه حتى ترك بعد فترة وجيزة.

الأصل من دمشق

مع بدء اندلاع ثورة تونس فكرنا بالثورة في سوريا، كنا مجموعة شباب طلاب في جامعة دمشق في مختلف الدراسات والكليات. (بداية حديث الناشط ضد عصابات الأسد ضياء دغمش).

بدأنا اتصالات عبر الـ "فيس بوك" ودعونا إلى تحرك يوم 2011/2/5 وعندما نزلت إلى بيروت استضافني الاعلامي طوني خليفة في برنامج "للنشر" بصفتي ناشطاً سياسياً وسألني بتهكم ها قد مر 2/5/ ولم تفعلوا شيئاً.

أجبت: لم يحصل شيء اليوم، وليس معنى هذا ان شيئاً لن يحصل إلا إذا قال أحدهم ان سوريا لا تعيش ظلماً وكم أفواه وخنق حريات.

عدت إلى دمشق للتحضير ليوم الغضب السوري 2011/3/15.

كانت هناك دعوة عامة على الـ "فيس بوك"، للثورة، تواصلت مع مجموعة من الاصدقاء والزملاء عبر الـ "فيس بوك" للدعوة إلى تظاهرة في محيط الجامع الأموي في آخر سوق الحميدية.

اخترنا هذا المكان بسبب المسجد ورمزيته، والتقينا وكنا نحو 150 شخصاً هتفنا لمدة عشر دقائق فقط، "حرية، حرية، الشعب السوري ما بينذل" هاجمنا الأمن المتخفي بصورة بائعين متجولين، ضربوا بعضنا وهرب البعض الآخر منا، واعتقل كثيرون، وكنت من الذين دخلوا الحارات واختبأوا فيها.

يوم 2011/3/16، تواعدنا صباحاً لترتيب أمر ما التقينا 12 شخصاً، وتداولنا بفكرة ان نخرج إلى منطقة سوق محيي الدين وهي منطقة شعبية في الشام لنهتف فيها في تظاهرة حرية حرية.

ولم يكن هناك أي مطلب آخر معلن سوى الحرية، اقترح أحد الشباب: دعونا نذهب أمام وزارة الداخلية لمؤازرة اعتصام لأمهات معتقلين سياسيين منذ سنوات (منهم كمال اللبواني، مشعل تمو الذي قتله أمن بشار بعد اختطافه، حبيب صالح) وعدد كبير من سجناء الرأي وكان ضمن التظاهرة أو الاعتصام د. طيب تيزيني، سهير الاتاسي، عمار قربي، كمال شيخو، نارت عبد الكريم (تركماني).

فتوجهنا نحو 12 ناشطاً إلى وزارة الداخلية، بثنائية متعمدة كي لا نثير الانتباه.

وأثناء توجهنا إلى ساحة المرجة التي تبعد عن الداخلية نصف دقيقة شاهدنا سيارات الاعلام الرسمي للتلفزيون والإذاعة فتصورنا بسذاجة ان بشار الأسد ذكي ويريد تغطية إعلامية للاعتصام وليظهر انه ديموقراطي، وان لا شيء يخيفه وهو مع الشعب ومنه.

لكننا فوجئنا لحظة الوصول إلى ساحة المرجة، بمجموعة من رجال الأمن باللباس المدني، وأشكالهم معروفة لدينا، متحلقين حول بعض يهتفون: الله سوريا وبشار وبس، بالروح بالدم نفديك يا بشار!

شعرت بالاشمئزاز.. كم هم أخسّة.. تخيلت رد فعل المذيع وهو يتحدث عن جموع الجماهير التي تحب السيد القائد الرئيس، والمذيعات والمصورون يلتقطون صور هذا المجموع الأمني المبتذل.

في الطرف الآخر من الساحة، حيث المعتصمون مجتمعون يرفعون صور المعتقلين السياسيين.. وبينهم الطيّب تيزيني وسهير الأتاسي.. هاجم الأمن الذي كان يهتف، جمهور المعتصمين ومعظمهم من السيدات والادباء والناشطين الحقوقيين.

جماعة الأمن السوري ضربوا صبية معتصمة، ورموها أرضاً ثم راحوا يسحبونها من يدها ويجرجرونها وهي تصرخ وتهتف حرية حرية.

استفزني هذا المشهد وركضت لأمسك بها وأرفعها عن الأرض وأبعدها من بين أيدي الأمن.. وأنا أصرخ أهكذا تتعاملون مع نسائنا واخواتنا يا أولاد الكلب؟

انهال أمن بشار علي بالضرب من كل صوب، ولم أعد أعرف من أين يأتي الضرب، سحبوني في الطريق للناحية الثانية من الساحة، وأصعدوني في سيارة اجرة تابعة لهم، وأنزلوا منها قطعاً من السلاح كانت في أرضية السيارة المؤجرة.

أجلسوني في منتصف الجزء الخلفي، وأحاطني شابان منهما عن يمين وعن يسار وسائق ومرافق أمامه وكانت عيناي مغطاتين بكنزتي، ورأسي بين رجلي.

وصلنا الفرع فرموني أرضاً وانهالوا عليّ ضرباً بالهراوات والأرجل، لم أكن أحس بالألم إلى ان أوقفوني على رجليّ، لم أشعر إلا وركبي محلولة.

بقيت في الفرع يومين، في المنفردة، وما ان دخلنا من بوابة الفرع حتى تغيرت المعاملة وتوقف الضرب وسبب ذلك انهم في البداية كانوا يحاولون عدم استفزاز الشارع، وتصوير ان فروع الأمن بخلاف ما يقولون عنها، لدرجة انهم خلال

التحقيق معي قلت للعنصر: اكتب انكم ضربتموني وبصقتم عليّ وشتمتموني وقلتم لي انني صهيوني.

أجابني العنصر: هنا في الفرع لم تضرب وأنا ليس لي أمر. قلت له: نعم، لا تدعي انه لا علاقة لكم بهؤلاء الذين يضربوننا في الخارج.

أحالوني إلى القضاء بعد يومين حيث أصدر قاضي التحقيق الأول أحمد السيد قراراً بسجني وإحالتي إلى سجن عدرا المركزي الذي يبعد عن دمشق نحو نصف ساعة (جنوباً).

كنا 22 معتقلاً شاباً و11 فتاة بينهن سهير الأتاسي كانوا ضمن النشطاء الذين تواجدوا في ساحة المرجة مع اعتصام الأهالي.. لم يكن من معتقلي الأهالي إلا ثلاثة شباب وأربع فتيات والباقي نشطاء.

الفتيات حملوهن إلى سجن النساء في دوما وبعد 12 يوماً أطلق سراح 15 شاباً، وبقيت مع 7 آخرين حيث أطلق سراحنا بعد أسبوع كامل.

كانت درعا اشتعلت بالثورة ونحن في المعتقل وكذلك دوما ورحّلوا السجينات من سجن دوما بعد ان هاجمه الأهالي وحملوهن إلى معتقل خاص بالسيدات في سجن عدرا.

كنا نبكي فخراً وفرحاً وحزناً لدى سماعنا أنباء الثورة لأننا لم نكن مشاركين فيها.

تعرفنا داخل السجن إلى معتقلين سياسيين قدامى مثل كمال اللبواني، مشعل تمو، حبيب صالح وعلي العبدالله وعدد آخر منهم.

أول دخولنا أقيم لنا احتفال ضخم، كانوا يؤمنون لنا الملعقة الحديد والبطانيات، يرسلون لنا المال علماً بأننا لسنا محتاجين (لشراء السجائر).

كان مشعل يحدثنا يومياً بما يحصل من خلال نافذة، كان مشعل هو وكالة أنباء وكل جناح يخبر الجناح الآخر عن مستجدات الثورة من خلال فسحتي تنفس أي مرتين في اليوم.

أطلق سراحي يوم الخميس 1 نيسان/ابريل 2011.

يوم الجمعة استيقظت باكراً، وقررت أن أصلي الجمعة في مسجد كفرسوسة الذي يبعد بالسيارة 10 دقائق، وبعد الصلاة خرج المصلون بتظاهرة ضد الأسد

شاركت فيها وكان الهتاف "الله وسوريا وحرية وبس" لم يكن شعار إسقاط النظام قد أطلق بعد، "بالروح بالدم نفديك يا درعا ويا دوما"، وتحيات للشهداء.

بعد التظاهرات توجهت الى دوما مباشرة، بعد ان تعرض لنا الامن و لم أعتقل.

خلال هذه الفترة لم أكن أتوجه الى منزلي وتواصلت مع الشباب لانشاء اول تنسيقية ربما في سوريا كلها.. كنت أنام في منازل اصدقاء عديدين اشقاء.

ثم اضطررت للنزول الى بيروت لمتابعة أمور تسجيلي من اجل متابعة دراسة الماجستير فضلاً عن وجود الاهل.

والدي الناشط السياسي السابق والذي كان يحرضني على التحرك مع شعور الخوف من أب على ابنه.. كان يردد امامي يكفي حكم هؤلاء المجرمين.

عند الحدود اللبنانية – السورية، أعلموني ان عليّ منع سفر بطلب من فرع فلسطين 235 عدت الى دمشق، بعد ان أعطوني ورقة مراجعة لفرع فلسطين.

ذهبت في اليوم التالي للفرع، وكنت أعتقد ان لا مشكلة لديّ لأنني خرجت قبل ايام من المعتقل، لكنهم حققوا معي على مدار 7 ايام واعتقلوني 32 يوماً.

فحوى التحقيق مشاركتي في العديد من التظاهرات والاهم ان احد الضباط قال لي: هل يرضيك ان رجلاً لبنانياً يكتب بك تقريراً يقول فيه انك كنت تشتم سوريا وان هذا الشخص يدافع عنا وكان يقصد الحلقة التي شاركت فيها في برنامج "للنشر" وكان الضيف الآخر هو غالب قنديل.

كان قنديل يدافع عن نظام بشار وكنت أنا أنادي بالحرية والديموقراطية.

أبلغني الضابط ان غالب قنديل هو الذي كتب هذا التقرير وقد جاءتنا ايضاً معلومات من جهات اخرى بهجومك علينا ودفاع غالب قنديل عنا.

بقيت في المعتقل 7 ايام في فرع فلسطين، وأعادوا تحويلي الى القضاء، وأصدر قاضي التحقيق الخامس مذكرة توقيف لمدة 32 يوماً مع السبعة ايام الاولى.

وكان معتقلاً معي في السجن للمرة الثانية جورج صبرا – فايز سارة – رياض سيف ونشأت بيننا صداقة وقد كنا دفعة واحدة كمعتقلين.. المعتقلان السابقان اللبواني ومشعل تمو أعادا الاتصال بي ثانية.

بعد خروجي من السجن شاركت في العديد من التظاهرات في حي الميدان في دمشق، وكان الامن يقمعها بالعصي والهراوات واعتقال العديد من المشاركين فيها.بعد صدور قانون العفو، والغاء قانون الطوارىء ألغي قانون منع السفر عن كثيرين، كنت انا منهم فتوجهت الى بيروت ومنها انطلقت الى انطاليا نهاية ايار/مايو بداية حزيران/يونيو وشاركت في المؤتمر السوري للتغيير ومن هذا المؤتمر وبعد عودتي الى بيروت انخرطت في عمل سياسي نواته الشباب الذين كنت أتواصل معهم لأنقل رؤيتهم ومطالبهم وكلهم كانوا في الداخل.

هنا نشأت فكرة اختيار ممثلين يكونون نواة المجلس الانتقالي السوري، الذي تم اعلانه في انقرة.

اقترحنا 94 اسماً منهم: رياض سيف، برهان غليون، عمار قربي، سهير الاتاسي، فاروق طيفور (اخوان)، عارف دليلة، جورج صبرا ورياض الترك.. وأطراف من كل الطيف السياسي المعارض.. واخترنا شخصيات مقربة من السلطة لكن لم تلوث ايديهم بالدماء والفساد مثل الياس نجم، وكان القصد ايصال رسالة لسوريا كلها اننا في المجلس الانتقالي الاول كان هناك مقربون من النظام مثل الياس نجم لأنهم ايضاً شركاء في الوطن ولا نريد اقصاء احد بعد سقوط النظام شريطة ألا تكون ايديهم ملطخة بدماء وأموال السوريين.

شعار اسقاط النظام بدأ في درعا، وكان في صدر كل واحد سوري منذ انطلقت ثورة تونس، لكنه كان بحاجة الى فرصة ليخرج.

واقعاً والمستقبل سيكشف ان مجموع آلام الديكتاتوريات العربية ضد شعوبها، لا تساوي كم الاجرام الذي ارتكب بحق الشعب السوري.

رياض سيف

كان رياض سيف المصاب بسرطان وله أدويته الخاصة مستمتعاً في جلسات السجن.. كان يقول ان السجن مريح كمنزلي ورغم السجن والسجانين كان يشعر انه يرى حلماً يولد أمامنا ونحن شهوده وانا سعيد ان لي دوراً في هذا الميلاد.

كان يؤخر نومه ليتحدث مع الشباب.

كنا في غرفة 100 شخص طولها 10 امتار وعرضها 5 كان الشباب ينامون، كما رواية مصطفى خليفة "القوقعة"، رأساً ورجلاً ثم يأتي الكبيس ليحشرهم فيشعروا انفسهم سردينا في علبة.

السبعيني

خرجنا مرة للتنفس وجدت رجلاً سبعينياً، رجلاه متورمتان من الضرب، تحت عينيه سواد، اساور من اللحم من كثرة الكلبشات، جلد على ظهره.

بكى انا ليس لي مشكلة في عذاب الجسد.. كانوا في الاستخبارات الجوية يقدمون نوبة تعذيب كل ثلاث ساعات، اخذوه الى غرفة وجد ابنه (20 سنة) رفعوا يديه المربوطتين، ضرب وجلد وكهرباء، يحاول ألا يصرخ حتى لا يوجعني بعد ساعة تعذيب فكوا ابني وربطوني.

الكارثة هي ان هذا الرجل لديه شوادر في منطقة الزبداني جاءه شباب طلبوا منه علماً بنجمتين، كتبوا عليها حرية حرية.

جورج صبرا وفايز سارة يبكيان

كان جورج صبرا وفايز سارة وغيرهما في السجن مصدومين ومفاجأين بحجم التضحيات التي تقدم وهما يريان دفعات اثر اخرى من المعتقلين المصممين وهم داخل السجن على مواصلة التظاهر عندما يخرجون.

قال صبرا لحظة اطلاق سراحه وهو يودع شباباً اعتقلوا من ريف دمشق باكياً: انه يرى ان الفجر قريب وهؤلاء الشباب الريفيون اشعروني انني واحد منهم.

وعندما خرج بكى الجميع لحظة وداعه قائلاً لهم: أعدكم اذا لم تخرجوا لنعيش الحرية معاً فإنني عائد اليكم ولن اخرج الاّ معكم الى الحرية الكاملة لكل سوريا.

مقدمات الثورة

صنعتها عصابات الأسد

وسط شعب مثقف واع زاد الضغط على كل شأن في حياته وجسده وعقله حتى انفجر.. انها الثورة وكان عنوان جمعتها الأول هي جمعة الكرامة في 18

آذار/مارس.. ثم جمعة الصمود تليها جمعة الحرية (أزادي بالكردية).. وكان رد النظام وشبيحته على من يطالبون بالحرية مزيداً من الاعتقالات وأصوات أمن بشار تصرخ.. تريدون حرية خذوا حرية.. ويردون.. يدوسون بالاقدام على رؤوس المعتقلين المرميين أرضاً.. وعلى ظهورهم كان الأمن يطلق الرصاص على رؤوس المتظاهرين وصدورهم وهم يصرخون تريدون حرية خذوها.

كانت الحرية تستفز وتوقف كل شعرة من رؤوس كل من في نظام الأسد.

قد يعتبر المؤرخون لثورة الشعب السوري ان الشاب الدرعاوي محمود الجوابرة هو محمد البوعزيزي السوري الذي فجر ثورة شعب تونس ضد زين العابدين بن علي فهو أول من أسقطته قوات بشار الأسد في درعا يوم 2011/3/18 مؤذنة ببدء ثورة الشعب العظيم لكن المؤرخين سيعجزون عن تحديد موضع الجوابرة بين عشرات آلاف المظلومين الذين قتلتهم همجية آل الأسد منذ استولى على السلطة في سوريا في تواريخ مختلفة (1963 - 1966 - 1970 - 1971 - 2000).

1963 - انقلاب 8 آذار/مارس (بعث - ناصريون).

1966 - انقلاب 23 شباط/فبراير (بعث - صلاح جديد وحافظ الأسد ضد عفلق - صلاح البيطار - أمين الحافظ - محمد عمران).

1970 - انقلاب 16 تشرين الثاني/اكتوبر (حافظ الأسد ضد صلاح جديد).

1971 - تسلم حافظ الأسد الحكم رسمياً كرئيس للجمهورية خلفاً لأحمد الخطيب رئيساً للدولة لستة اشهر تقريباً.

2000 - تسلم بشار الأسد الحكم بعد أبيه.

انها تواريخ تستحق أن نبدأ الحديث عنها وان ننطلق منها لنحدد أسباب ثورة الشعب السوري.

الفصل الثاني

شام شيسكو

- مقدمة
- حافظ الأسد: الصعود على جثث الرفاق
- من قطنا إلى اللجنة العسكرية
- تحالف درزي - علوي
- كيف قتل عمران - رواية خدام
- نهاية اللجنة العسكرية
- خلاف صلاح جديد - حافظ الأسد
- في المؤتمر القطري قالوا ان حافظ عميل أميركا
- الصراع حول الموقف من أحداث الاردن
- انقلاب 16 ت2 1970 - ورواية خدام عنها
- جديد يخسر المعركة أمام الأسد
- حافظ يتحدث عن صلاح
- ربما هي أولى جرائم الأسد
- عن شراسة حافظ
- واقعة المقدم منصور
- طلاس يكشف معلمه
- .. وكاذب أيضاً
- من الشخصيات التي جاء بها الأسد إلى الجبهة الوطنية التقدمية
- الفاسد
- نماذج من سلوكيات الأسد وشقيقه

- من الباطن
- القذافي يصف الأسد بالراقصة ورواية أخرى لطلاس
- محاولة لاغتيال حافظ عام 1980
- محاولة لاغتيال الأسد في رومانيا
- مواسير إسرائيلية لمصفاة بانياس
- اسحق رابين لا يحب القمرالدين (رواية حسني مبارك)
- الأسد والسادات

شام شيسكو

كانت ثورة الشعب الروماني قد أطاحت بواحد من أعتى ديكتاتوريي العالم في القرن العشرين نيكولاي تشاوشيسكو عام 1989، عندما زار عدد من الضباط السوريين مفتي سوريا يومها د. عبد الستار السيد، سألوه: متى يا مولانا يمكن لشعب سوريا أن يتخلص من شام شيسكو؟

فهم المسكين سؤال الضباط وجال في وجوههم وسقف المجلس وجدرانه وأبوابه ونوافذه.. في نظرات بدا منها الرجاء كالتوسل بالتوقف عن طرح مثل هذه الأسئلة.

حافظ الأسد

الصعود على جثث الرفاق

انتسب حافظ الأسد إلى حزب البعث العربي الاشتراكي وهو ما زال طالباً على مقاعد الدراسة الثانوية ودخل إلى الكلية الحربية في حمص بدعم من قيادة الحزب ولا سيما أكرم الحوراني الذي عمل وزيراً للدفاع بعد انقلاب أديب الشيشكلي على سامي الحناوي 1951.

كان الفرز قائماً في الجيش العربي السوري في مطلع الخمسينيات بين تنظيم ضباط الشوام الذين ينتمون إلى أصول بورجوازية ودينية اسلامية والضباط المحسوبين على الرئيس السابق أديب الشيشكلي الذي واجهته ثورة اضطرته إلى الهرب وبين مجموعة الضباط الشيوعيين بقيادة عفيف البزري الضابط من أصل لبناني، ينتمي إلى عائلة كبيرة معروفة في صيدا جنوبي لبنان.. وقد وصل إلى موقع قيادة الجيش فيما بعد وظهرت بعدهما كتل الضباط البعثيين والسوريين القوميين، الذين تصارعوا وتواجهوا، حتى وصل النزاع العلني بينهم إلى حد إصدار رئيس الحزب السوري القومي جورج عبد المسيح الذي خلف مؤسس الحزب انطون سعادة بعد اعدامه، قراراً بالتخلص من أبرز الضباط البعثيين العقيد

عدنان المالكي الذي كان عيناً ساهرة على تحركات الحزب السوري المتهم في ذلك الزمان بأنه كان عميق الصلة بالاستخبارات البريطانية.

كان قتل عدنان المالكي في مدرج ملعب دمشق الدولي لكرة القدم إيذاناً ببدء حملة ملاحقة للحزب وضباطه وعناصره، فتم تسريح عشرات الضباط القوميين السوريين، ليخلو الجيش السوري منهم تقريباً، ليتقابل ضباط البعث الذين اشتد عودهم بعد قتل المالكي نتيجة التعاطف الذي لاقوه في الشارع وفي الجامعات وفي الجيش، مع ضباط الشيشكلي المتعاونين مع الضباط الشوام.

كان حافظ الأسد يشق طريقه ضمن الضباط البعثيين، وسط حالة تذمر في الحزب المدني بسبب الخلافات التي عصفت بأركانه وقياداته المؤسسة.. وانعكاس ذلك على تقدير الحزب لجهود الضباط البعثيين الذين وجدوا في أنفسهم القوة للقيام بإنقلاب عسكري يسيطرون على السلطة بعدها ليسلموها إلى قيادة الحزب المدنية. ذلك انه بعد تخلي الشيشكلي عن السلطة وانتصار الثورة ضده في شباط/فبراير 1954 والتي كان بإمكانه ان يقاومها لكنه آثر ان يترك السلطة حقناً للدماء وخلال الفترة الممتدة بين أيلول/سبتمبر الـ 54 وشباط/فبراير 58 موعد قيام الوحدة مع مصر حصلت مشاكل عديدة ضمن الجيش العربي السوري ومن أبرز ذلك ما أطلق عليه استنفار (قطنا) وقطنا هي تجمع عسكري استولى فيه الضباط البعثيون على المعسكر الأهم والحاسم في أي عمل انقلابي نحو دمشق، وجاؤوا إلى قيادتهم الممثلة بميشال عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني يطالبونها بأن تأمرهم بالقيام بانقلاب وتسليم السلطة للحزب، لكن قيادة الحزب رفضت ذلك، لإيمانها آنذاك بالعمل الشعبي المنظم وخشية من ان يستأثر العسكريون بالسلطة.

امتثل الضباط البعثيون لأوامر قيادتهم الحزبية وتراجعوا عائدين إلى ثكناتهم، حاملين في نفوسهم عتباً واستهجاناً من قيادتهم، ومنذ ذلك التاريخ قرر هؤلاء ان يبقوا في الحزب ولكن رغبة عميقة تملكتهم بأن ينظموا أنفسهم لمهمة أخرى وان يعتمدوا على تعاونهم داخل الجيش خدمة لهذه المهمة خارج المعرفة الحزبية أو معرفة القيادة تحديداً.

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958، وطلب قائد جيش الوحدة عبد الحكيم عامر من قيادة البعثيين تسليمه لائحة بالضباط الذين يعتمد عليهم الحزب

بغية تزكية دورهم والاستفادة من خبراتهم، فإنه كان يطبق أحد الشروط التي فرضها جمال عبد الناصر على الضباط السوريين الذين جاؤوه يرجونه الوحدة للقبول بها نهاية عام 1957 بداية عام 1958. كان عبد الناصر يعلم ان الحزبيين سواء كانوا بعثيين أو شيوعيين أو قوميين سوريين لن يسلموا له بتطبيق هذا الشرط عملياً، لذا أراد معرفة أسماء الضباط الحزبيين كلهم كي ينفذ شرطه فيحاصرهم أو يبعدهم وقد تم هذا عملياً بنقل مجموعة كبيرة من الضباط البعثيين وغيرهم إلى الاقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة، أي مصر. وبين هؤلاء محمد عمران، حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد رباح الطويل وصلاح الضلّي وأسعد غوثاني وبشير صادق (الذي كان أرفعهم رتبة) ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت، وفهد الشاعر، وقد مثل هؤلاء معظم طوائف سوريا الاسلامية من سنة وعلويين ودروز واسماعيليين (يضاف إليهم أمين الحافظ الذي أصبح فريقاً ورئيس جمهورية سورية بعد انقلاب 1963، وعبد الكريم الجندي وسليم حاطوم) هؤلاء جميعهم باستثناء عبد الغني قنوت ومصطفى حمدون اللذين أصبحا وزيرين في دولة الوحدة، توزعوا على ثكنات الجيش في الاقليم الجنوبي (مصر) فشكل لهم ذلك وهم بعيدون عن سوريا فرصة لأن يتآلفوا وان يتحابوا وان يتكتلوا، ليشكلوا فيما بعد اللجنة العسكرية البعثية التي هي الأساس لسيطرة الضباط البعثيين منذ حركة الثامن من آذار/مارس عام 1963 لغاية هذا اليوم في سوريا، وإذا كانت هذ اللجنة هي الأساس فإن الأبرز داخل هذه اللجنة من ناحية الكفاءة والذكاء والباطنية والحذر هم العلويون الثلاثة حافظ الأسد، صلاح جديد ومحمد عمران رغم ان موضوع الانقسام الطائفي لم يكن وارداً آنذاك، لكن علوية الثلاثي كانت فرصة لسيادة الحيطة والحذر والباطنية والصبر والعمل بالظل وبالهدوء وعدم كشف المواقف وكلها قيم معروفة في سلوك الأقليات عبر التاريخ، كما انها تكتسب قوة من طبيعة المذهب العلوي الشيعي الأصل المضطهد عبر التاريخ ويدافع عن نفسه بمزيد من السرية والحذر وقد تجسدت هذه القيم كلها في حافظ الأسد، وساد في سلوكه وقيادته ثم عهده معادلة غريبة لم يكن السوريون وبعدها اللبنانيون ليهضموها، واعتبروها أحد ألغاز الأسد ونظامه.. وهذه المعادلة تقول لمن يتعامل مع نظامه ان عليك انت أن تعرف ماذا أريد أو نريد نحن.. ولن نقول لك ما يجب أن تعمله. والويل لمن لا يفهم علينا!

عاد الضباط السوريون إلى سوريا بعــد الانفصــال في 1961/9/28 وراح البعثيون خاصة أعضاء اللجنة العسكرية يخططون لتسلم السلطة فيهــا. ولعــل السؤال سيكون شرعياً يومها لو طرح حول إمكانية وقدرة هؤلاء علــى منــع ارتكاب جريمة الانفصال لوأد أول وحدة عربية في التاريخ الحديث، لو كانوا في سوريا وليس في مصر.. ويجزم أحد كبار البعثيين المخضرمين الذين عرفوا سوريا والعراق، ان هؤلاء ما كان بإمكانهم العمل مع الضباط الشوام خاصــة المنــتمين منهم إلى الطبقة البورجوازية، وبعد الانفصال لم يستطع قادته ان يؤسسوا لنظام ثابت مستقر في سوريا وقد لا يكون سبب فشلهم قلة كفاءتهم بل في الحقيقة التي كان يعرفها الجميع وهي ان المد الشعبــي الناصري لم يكن من السهل تجــاوزه وكانت شعبية عبد الناصر رغم تجربة الوحدة الفاشلة قادرة ان تمنع قيام أي بديل خارج إطار الناصريين السوريين. من هنا نفهم لماذا عجز الانفصال عن تســريح كل الضباط الناصريين وإخراجهم من الجيش السوري، لذا ظل الحضور الســني الاكثري طاغياً داخل قطاعات الجيش السوري، ولم تبد أغلبية الطابع العلوي إلا بعد ورطة محاولة الانقلاب الناصرية في 1963/7/18 حيث تم إعــدام عشــرات الضباط الناصريين، وتسريح المئات منهم، لإحلال العلويين مكانهم خطوة خطوة إنما بكميات كبيرة وكان الحضور الناصري في الجيش السوري هو انعكاس لحالة جماهيرية كاسحة. وكي نقيم الأمور بظروف تلك المرحلة قبل نصف قرن نجــزم ان الناصرية كانت هوية وطنية قومية متجاوزة للأقطار والاقاليم، وطبعاً للطوائف والمذاهب، فالناصرية هي هوية لعروبة المسلمين والمسيحيين في كل أقاليم الوطن العربــي.

نعم كان أول قرار أصدره الضباط الذين ارتكبوا جريمة فصل سوريا الاقلــيم الشمالي عن الجمهورية العربية المتحدة (مصر الاقليم الجنوبــي) هو تسريح اعداد كبيرة من الضباط الناصريين والبعثيين لا سيما الذين كانوا في القاهرة فصمم قــادة هؤلاء الذين شكلوا لجنة عسكرية ضمت محمد عمران، صلاح جديــد، حــافظ الأسد، عبد الكريم الجندي، أحمد المير وغيرهم الشروع بانقلاب للــتخلص مــن الانفصال وإقامة حكم يدعو للتفاهم بين مصر وسوريا والعراق الذي قــاد فيــه البعثيون مع القوميين الناصريين انقلاباً في 1963/2/8 بقيادة عبد السلام عارف.

اعتمد الضباط الوحدويون (الناصريون والبعثيون والمستقلون القوميــون) في خطتهم على ضباط الجبهة التي كانت بقيادة اللواء زياد الحريري وهو ضابط قومي مستقل، يتمتع بسمعة جيدة وعلاقات طيبة مع مختلف الضباط والكتــل داخــل الجيش دون ان يكون له كتلته الخاصة.

خطط الضباط البعثيون محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وأحمد المير وآخرون لتسريح الضباط الناصريين فور نجاح انقلاب، حددوا لــه موعــداً هــو صبيحة الجمعة في 1963/3/8 واتفقوا مع اللواء زياد الحريري فيما بعد ان ينســق معهم للتخلص من لؤي الاتاسي، قائد المجموعة الناصرية للإنقلاب الذي عين وفق أقدميته العسكرية رئيساً لمجلس قيادة الثورة.

نجح الانقلاب الأول نتيجة انهيار الانفصاليين وتزايد النقمــة علــيهم مــن الجماهير التي كانت ناصرية بإمتياز.

الانقلاب الثاني بدأ حين راح الضباط البعثيون الذين كانوا يعرفون ما يريدون بالتخطيط مرة أخرى للتخلص من الناصريين – الذين غاب عنهم الحذر وســادت بينهم الطيبة حتى السذاجة – مخافة ان يسبقهم الناصريون في انقــلاب ناصــري للسيطرة على الاوضاع في سوريا فيدعون إلى الوحدة الفورية بين مصر وســوريا، الأمر الذي يعيد البعث إلى المربع الأول كما حصــل في بدايــة الوحــدة 1958 ليواجهوا المصائر نفسها فإما ان يعتقل ضباطه أو ان ينقلوا إلى القاهرة أو إلى أماكن غير مؤثرة. او ان يسرحوا من الجيش..

خطط ضباط اللجنة العسكرية البعثية للسيطرة على مفاصل الجيش الأساسية، وإذ كان الضباط الناصريون أرفع رتبة في الجيش بحكم مرحلة الوحــدة (1958 – 1961) فإن ضباط البعث عمدوا إلى ترئيس الضباط الناصريين علــيهم في ألويــة كاملة، كان فيها القائد ضابطاً ناصرياً أما البعثيون فقد تسلموا مسؤوليات قــادة كتائب وفصائل، وهؤلاء هم الاكثر فاعلية على الأرض. وعندما يكون قائد الكتيبة ناصرياً يتركز البعثيون في قيادة الفصائل، وهكذا بطبيعة الحال اندفع الناصــريون لإعادة الوحدة مع مصر عبد الناصر، وأراد البعثيون التعويض عن خطيئــة بعــض قياداتهم في تأييد الانفصال، قادمين من موقع قوة من تسلمهم الســلطة في بلــدين عربيين في العراق وسوريا لتبدأ مباحثات وحدة من جديد.

كانت المباحثات الثلاثية تجري في مصر بقيادة جمال عبد الناصر مع البعثين السوري والعراقي اللذين توجها كوفد واحد إلى مصر في استعراض قوة، لفرض شروطهم في الوحدة الثلاثية على قائد ثورة 23 يوليو. وكان البعثيون في سوريا مسنودين ببعث العراق الحاكم يمارسون الفرز الحزبي داخل الجيش السوري، فيسرحون عدداً متزايداً من الضباط الناصريين ومعهم ضباط محسوبون على أكرم الحوراني ساهم بإدخالهم الجيش عندما كان وزيراً للدفاع كما أسلفنا، بل انهم كانوا من الحزب العربي الاشتراكي قبل أن يندمج مع بعث عفلق - البيطار.

كانت المباحثات تشهد سجالاً بين عبد الناصر والبعثيين وكثيراً ما حشرهم عبد الناصر في مسألة تأييد بعضهم للإنفصال، وعدم نضوج فكرهم الاشتراكي وسادت على ألسنة النّاس عبارات وصف بها عبد الناصر اشتراكية البعث حين قال في إحدى خطبه نسأل عفلق عن الاشتراكية فيقول: "الاشتراكية يعني يعني" و"الوحدة يعني يعني"..

وكان البعث يسيطر بتؤدة على الجيش ويسرح الناصريين مما دفع الوزراء الوحدويين في حكومة صلاح البيطار للاستقالة ومنهم نهاد القاسم وعبد الوهاب حومد وأكرم ديري وجادو عزالدين وخرجت الجماهير السورية إلى شوارع المدن الرئيسية في دمشق وحلب وحمص وحماه واللاذقية ودير الزور والحسكة والقامشلي تهتف: لا دراسة ولا تدريس إلا بعودة الرئيس أي عودة الوحدة بقيادة جمال عبد الناصر.

لم يتراجع البعث السوري، فخرج محمد حسنين هيكل في مقالته الشهيرة يوم جمعة في شهر أيار/مايو 1963 "بصراحة" وتحت عنوان عريض "اني اعترض" يكشف أسرار المباحثات بما يدين البعث السوري سواء في تعطيله للوحدة في مباحثاته مع عبد الناصر أو بما يجري في سوريا من تصفية للناصريين مع تبني شعارات الجماهير السورية المطالبة بعودة الوحدة الفورية لا المدروسة كما كان البعث يريد.. في تأجيل للوحدة حتى يتمكن من السيطرة على سوريا ليقف بندية أمام جمال عبد الناصر.

من قطنا إلى اللجنة العسكرية

غير ان تاريخ سوريا الأمني - العسكري - الاستبدادي يبدأ مع اللجنة العسكرية بقيادة الثلاثي محمد عمران، صلاح جديد، حافظ الأسد (ومعهم أحمد المير، أحمد سويداني..) وبدايتها من القاهرة.

تاريخ استبداد آل الأسد يبدأ مع انقلاب حافظ الأسد على رفاقه في هذه اللجنة واحداً بعد الآخر.. اعتباراً من 1970/11/16.

والبداية دائماً مع الثلاثي العلوي:

"حافظ الأسد" و"صلاح جديد" و"محمد عمران" ثلاثة من القادة العسكريين، الذين خاصموا بنهم، بشراسة، بدأوا في حياتهم النضالية، رفاقاً وأصدقاء، جمعت بينهم صفات وخصال..

أولاً: بدأوا السياسة في سن مبكرة، وانتسبوا إلى حزب البعث منذ ان كانوا طلاباً في المرحلة الثانوية، أي قبل أن يدخلوا إلى المدرسة الحربية ويتخرجوا ضباطاً..

ثانياً: جميعهم أتوا من الساحل السوري، من خلفية مذهبية علوية، في وقت لم تعرف فيه سوريا الاختلاف الطائفي والمذهبي. وإذا سأل أحدهم في تلك الفترة منتصف الاربعينيات وقبل الاستقلال، عن ديانته لأجاب، بكل فخر.. انه عربي سوري، لا يعرف هوية، غير القومية العربية..

ثالثاً: تقدموا عن سائر أقرانهم، بالجدة والمثابرة وإظهار الروح القيادية والانضباط والانصياع إلى توجيهات قيادة البعث وأوامرها..

رابعاً: وعوا باكراً مشاكل الحزب ولا سيما بعد الاندماج بين البعث العربي والعربي الاشتراكي ليصبح البعث العربي الاشتراكي، حيث طفت على سطح الاحداث، خلافات الامزجة وتباين الرؤى والنظرة إلى الاحزاب السورية وطريقة التعامل معها..

وبالرغم من هذا فقد ظلوا يتجاوبون مع توجيهات القيادة وان رافقت ذلك همسات الانزعاج وصيحات التذمر..

وضعت واقعة تمرد ثكنة قطنا جنوبي دمشق عام 1956 التي تركت اثارها لسنوات طويلة، مدماك بداية هيمنة العسكر على حزب البعث وتداعيات ذلك على طبيعة الحكمين التي سادت في سوريا والعراق.

قبل ذلك أي انتخابات أيلول عام 1954 فاز حزب البعث بسبعة عشر مقعداً لكن قوته الجماهيرية كانت أقوى بكثير من نسبة ممثليه في البرلمان.

يضاف إلى ذلك سيطرته على الشارع، لا سيما بين الطلاب، العمال ومعلمي المدارس الثانوية.. اصطدم البعثيون داخل إحدى جلسات البرلمان السوري، مع نواب حزبي "الوطني" و"الشعب"، حول قوانين تتعلق بصغار الكسبة.. وترافق ذلك مع صراع عنيف داخل المؤسسة العسكرية (الجيش) بين الضباط البعثيين وبقايا ضباط أديب الشيشكلي الذين استمروا داخل هذه المؤسسة.. مما دفع إلى مواجهات دائمة بين المجموعتين.

كان من جراء ذلك تمدد ضباط البعث وسيطرتهم بواسطة العصيان على معسكر كبير ومهم، بالقرب من العاصمة دمشق يطلق عليه، معسكر قطنا.

لم يكتف ضباط البعث بالتمرد بل حملوا إلى القيادة الحزبية البعثية مشروع القيام بانقلاب عسكري وتسلم السلطة. رفضت القيادة التاريخية وأصابها الهلع، لإيمانها بعدم جدوى جواز استلام السلطة، إذا لم يترافق معها تحرك جماهيري واسع..

وبرز في هذه المحاولة، ضباط بعثيون من جماعة أكرم الحوراني: مصطفى حمدون، عبد الغني قنوت، بشير صادق وكان محمد عمران وصلاح جديد من المحسوبين على قيادة الاستاذ ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار. ونجحت القيادة في منع الضباط البعثيين من القيام بالانقلاب وتسليم السلطة للحزب.

ولكن قبول الضباط جاء بغير قناعة ولم يفسروا موقف القيادة على أساس الاعتبارات المبدئية وإنما عزوا أسبابه إلى التردد والجبن والضعف وتغلغل وتيرة الخلافات بين القيادة الحزبية.

شكلت هذه الحادثة أول مظهر من مظاهر غياب الثقة بين الضباط الثلاثة وعسكر الحزب. وبدأوا يفكرون بأنهم لا يمكنهم أن يتركوا مصيرهم، لمثل هذه القيادة..

وأتت الوقائع بعد ذلك، من اتخاذ قرار في الحزب بحلّ نفسه، تحقيقاً للوحدة بين مصر وسوريا، ثم نقل جميع الضباط البعثيين إلى مصر وتفريقهم على وحدات عسكرية مختلفة ومتباعدة.

وبالرغم من ذلك فقد نجحوا في تشكيل اللجنة العسكرية التي لم ينضم إليها مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وبشير صادق لأن الأخير فضل الاستقالة والاقامة في بيته. بينما تسلم مصطفى حمدون وعبد الغني قنوت مناصب وزارية في دولة الوحدة.. هنا، خلا الجوّ لمحمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وآخرين مثل صلاح الضلي وأحمد المير ومحمد رباح الطويل وأحمد سويداني..

وانصافاً لم يكن تلاقي هؤلاء الضباط على أساس الولاء الطائفي أو المذهبي إنما على أساس انتمائهم البعثي، ليس كحزب صاحب رسالة، لتحقيق أهداف الأمة العربية ولكن كعسكريين يمكنهم تسلم السلطة وخدمة أهداف الحزب والأمة، كما يروها.

تميز بين هؤلاء الضباط، كل من محمد عمران، حافظ الأسد وصلاح جديد وشكلوا وحدة متراصة، على اساس تسلم السلطة مجتمعين، دون أن يدروا ان فعلتهم هذه قد وضعت أسس البداية، للتناقض والاختلافات.. فالثلاثة علويون، يتنافسون في الذكاء والتخطيط وحسن التعامل مع الآخرين.. والأهم انهم يتنافسون في الطموح حتى انتهى كل واحد منهم كمشروع حاكم وكان الاكثر دهاء والاقدر تخطيطاً والاطبق صمتاً والاوسع نفساً هو الذي انتصر، وكانت هذه صفات حافظ الاسد أما صلاح جديد ومحمد عمران فقد تخلص منهما حافظ الأسد بطريقتين مختلفتين تماماً. أرسل صلاح جديد إلى السجن بعد انقلابه عام 1970، ولم يتركه يغادره إلا بعد ان اخترق السرطان جسده فلما أيقن انه ميت لامحالة أخرجه إلى استراحة تحت إقامة اجبارية لا يسمح له فيها بأكثر من قراءة الصحف ومشاهدة المرئيات والاستماع إلى المذياع.

عقب قيام الضباط البعثيين بإنقلاب الثامن من آذار/مارس عام 1963، بالتعاون مع الناصريين (بقيادة لؤي الاتاسي) وجماعة زياد الحريري، بدا واضحاً ان محمد عمران من جهة وكل من صلاح جديد وحافظ الأسد كانوا على التناقض في الطروحات الأساسية، بصورة خاصة بإعادة طرح شعار الوحدة مع عبد الناصر.

كان محمد عمران، أكثر وحدوية منهما وبالتالي أقرب إلى تقليد الاستاذ ميشال عفلق الذي تمسك بالوحدة بكل ما أوتي من قوة. وكذلك صلاح الدين

البيطار الذي أيده وانتمى إليه بعد ندمه على توقيع صك الانفصال مع بعض السياسيين السوريين (عبدالله عبد الدايم مثلاً).

حتى عام 1964 أي بعد سنة من انقلاب 8 آذار/مارس 1963 كانت اللجنة العسكرية متراصة ومتفاهمة لكنها بدأت تواجه انقسامات داخل صفوفها بين محمد عمران من جهة وصلاح جديد وحافظ الأسد من جهة أخرى.

كانت أكثرية العسكريين مع حافظ الأسد وصلاح جديد في حين ان جماعة القيادة القومية وجماعة أمين الحافظ وعمران كانت ملتفة حول شعارين أساسيين هما أولاً: إعادة الوحدة مع عبد الناصر وثانياً إعطاء الجناح المدني في الحزب حيزاً أوسع.

استمر الوضع صعوداً ونزولاً هدوءاً وإثارة بشكل أساسي في الفترة الممتدة بين نهاية الـ 64 و23 شباط عندما جرى انقلاب 23 شباط 1966 بعد ان اتخذت القيادة القومية قراراً بحلّ قيادة قطر سوريا، واستفزت بالتالي العسكريين المناوئين لها والمتصلين بحافظ الأسد وصلاح جديد. قبل تنفيذ الانقلاب صبيحة 23 شباط كان صلاح جديد صاحب الشخصية البراقة والجاذبية الواضحة والذكاء الوقاد والدماثة العجيبة قد جنح في طروحاته الاقتصادية والسياسية نحو مزيد من اليسارية طالباً المزيد من التأميم وعدم مهادنة رجال الاعمال وبالتالي تأييد الثورة الفلسطينية واعتماد الكفاح المسلح.

وقد نجح حافظ الأسد بأن يكون معتدلاً غير مشكوك به من قبل القيادة القومية كصلاح جديد الذي ذهب بعيداً في تمسكه بشعارات اليسار وكي ننصف صلاح جديد فإن الرجل لم تعد تنطبق عليه صفات البعثية كما هو متعارف عليه بل بات ماركسياً في العمق.

تحالف درزي – علوي

حركة 23 شباط/فبراير 1966 كانت حصيلة تحالف صلاح جديد وسليم حاطوم، (وهو قائد المغاوير درزي من جبل العرب شجاع حتى التهور) وقد أيدهما في ذلك حافظ الأسد فهو ضابط طيار و لم يسبق لطيار عربي أو من العالم الثالث ان قاد انقلاباً بل قد يساعد فيه خاصة وان قادة الانقلابات العسكرية هم دائماً من

المشاة أو ضباط المدفعية وقادة فرق الدبابات دون أن يظهر، وكان الهدف هو تحييد أمين الحافظ الذي واجه الانقلابين من داخل منزله وهو يتعرض للقصف العنيف والثقيل ولم يستسلم إلا بعد نفاد ذخيرته ومقتل عدد كبير من حراسه الشخصيين، ذهب الجميع إلى السجن. جماعة القيادة القومية اعتقلوا في استراحات سياحية سابقة وكان حافظ الأسد يزور المعتقلين في تلك الاستراحات باستمرار ليتحاور معهم ويدعوهم لإيجاد صيغة تبعد الخلافات داخل الحزب.

في حين ان عمران والعسكريين المحسوبين على القيادة القومية دخلوا إلى سجن المزة المعروف بظروفه القاسية، كان عدوان إسرائيل في 5 حزيران/يونيو 1967 واحتلال الجولان وسقوط القنيطرة وهزيمة الجيشين السوري المصري في هذه الحرب فرصة لإطلاق سراح جميع المعتقلين الذين جاؤوا إلى لبنان ومنهم محمد عمران الذي كان وزيراً للدفاع أثناء قيام 23 شباط/فبراير، وأقام في شمال لبنان بمدينة طرابلس في حي معظمه من العلويين من أبناء المدينة.

كان عمران محبوباً من جماعته وكان يمتلك كتلة كبيرة من الضباط العلويين الذين آمنوا به وأيدوه ضد القيادة الجديدة التي انبثقت بعد 23 شباط/فبراير والتي كان قوامها التحالف بين صلاح جديد وحافظ الأسد، بعد ان خرج سليم حاطوم اثر محاولة 8 ايلول/سبتمبر الفاشلة عام 66 إضافة إلى اعتقال المحسوبين على القيادة القومية.

ظل محمد عمران قوياً داخل الجيش السوري حتى بعد ان نفذ حافظ الأسد انقلاباً جديداً ضد صلاح جديد في 1970/11/16 وكانت لدى عمران قوة لا يستهان بها وقيل يومها انه كان يعد لمحاولة انقلابية ضد الأسد فقرر حافظ التخلص منه فكلف شقيقه رفعت بذلك وهذا الأخير خطط ونفذ جريمة قتل محمد عمران بواسطة عملاء له وبعد قتل عمران راح نظام الأسد يروج ان النظام العراقي هو الذي قتل عمران، ولم يكن هذا الدس الرخيص ليستحق الرد.

كان حافظ الأسد يدرك تماماً ان محمد عمران يكاد يكون محترف انقلابات فهو شارك في انقلاب 1963، وكان الأكثر شعبية ثم انه دبر محاولة انقلاب فاشلة في أيلول/سبتمبر 1966 بالاتفاق مع سليم حاطوم وبدر جمعة وتحت إشراف القيادة القومية الممثلة بالأمين العام يومها منيف الرزاز كشفت المحاولة وتشتت ضباط عمران وحاطوم وجمعة وهرب الرزاز إلى العراق.

روايات مختلفة في كيف قتل عمران؟

رصد المنـزل الذي كان يقيم فيه عمران في طرابلس شمالي لبنان من قبل الاستخبارات السورية وأيضاً من مخبري سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد المنتشرين في أحياء العلويين في منطقة بعل محسن في عاصمة الشمال اللبناني. كان عمران قد تلقى تحذيرات كثيرة من أعوانه في سوريا، والوجهاء العلويين في طرابلس، بأنه مستهدف وان الأسد اخوان يريدان التخلص منه. صباح يوم مشمس جاءت امرأة فقيرة من أهل المنطقة تستجدي عملاً لها لإعانة ولدها المقعد فتجاوب معها ونقدها مبلغاً من المال مدفوعاً بكبريائه وغروره بأن أحداً لن يستطيع النيل منه، وبعد عدة أيام جاءته ثانية برفقتها رجل يحمل سلة كبيرة بحجة انه بائع مكانس، طرقت المرأة الباب وكان الرجل يختبيء وراءها، فتجاوب مع الطرق على الباب وما ان فتح عمران باب منـزله حتى أرداه الرجل المجهول بست رصاصات كلاشنكوف في أنحاء مختلفة من جسده أودت بحياته. (رواية مدير مكتب اللواء صلاح جديد في الاركان العقيد مجاهد السمعان للمؤلف).

رواية خدام

سألنا نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام عن رواية مقتل محمد عمران فقال ان الهدف لم يكن قتل عمران بل اعتقاله وحمله إلى سوريا لوضعه في السجن أو الاقامة الجبرية لمنع تحركه ضد النظام، وان رجلاً من الاستخبارات كلف بهذه المهمة، وانه دخل على عمران الذي استقبله كأن هناك معرفة مسبقة به.

عمران رفض دعوة الرجل للذهاب معه، فحصل شجار ومواجهة بين الرجلين، تناول فيه المخبر مسدسه وحاول بالقوة حمل عمران إلى سيارة كانت منتظرة مع سائق ومرافق ويبدو على حد رواية خدام - ان طلقة انطلقت من المسدس أصابت من محمد عمران مقتلاً.

مع صعوبة تقبل هذه الرواية، إلا انها تظل منسوبة إلى رجل كان يعرف كثيراً وظل في الصورة والمعرفة لأكثر من 42 سنة، ثلاثون منها مع حافظ الأسد وخمس مع بشار.

نهاية اللجنة العسكرية

كان قتل عمران بعد سجن صلاح جديد تجسيداً لنهاية اللجنة العسكرية المنبثقة من القاهرة و لم يكن بقي من قيادتها غير الثالوث محمد عمران، صلاح جديد، حافظ الأسد بعد قتل الآخرين، ومثل هذا السلوك تفرد حافظ بالسلطة.

قبل ذلك جاء الضباط العلويون البعثيون أعضاء اللجنة الثلاثية بعد نجاح انقلاب 8 آذار/مارس، بأمين الحافظ كما ورد بصفته الأعلى رتبة بينهم.. لكنه انقلب عليهم وراح يصفهم بأنهم غير بعثيين، وناقصو الولاء الوطني حتى استفزهم وجعلهم يتكتلون ضده.

وقبل أن ينقلب عليه حافظ الأسد وصلاح جديد في 1966/2/23 وبشهر واحد قال الأسد لموفدين بعثيين من لبنان وفلسطين أبلغا الاستاذ ميشال عفلق ان أمين الحافظ يستفز الاخوان كثيراً، (يقصد العلويين) وإذا استمر على هذا المنوال.. فلن أقوى على ردع الاخوان إذا ما ثاروا ضده.

يقول أمين الحافظ انه لو سمح له الاستاذ عفلق بإجراء انقلاب وقائي وهو في السلطة وألقى القبض على حافظ الأسد وصلاح جديد لكان استطاع السيطرة على الجيش وأنهى مؤامرة اللجنة العسكرية خاصة وان مجموعة محمد عمران كانت مع أمين الحافظ وضد رفاقه وزملائه في اللجنة العسكرية الشهيرة.

كان ميشال عفلق يرى ان أمين الحافظ السني الحلبـي، رجل طيب القلب، عروبـي شجاع، ينتمي إلى الجيل التقليدي من العروبيين لكنه لا يقيم وزناً للعمل المنظم، أو القرارات العاقلة، بل انه كان يبالغ في اعتماد التقييمات العشائرية والطائفية في تعامله.

و لم ينه انقلاب 23 شباط/فبراير 66 عهد أمين الحافظ فقط بل انه أنهى أسطورة اللجنة العسكرية.. فضلاً عن انها قسمت المجموعة العلوية الثلاثية، وجعلت محمد عمران في مواجهة حافظ الأسد وصلاح جديد.

صحيح ان أركان القيادة القومية كميشال عفلق وصلاح البيطار اختاروا بيروت ثم العراق (بعد عودة عفلق من البرازيل اثر انقلاب 17 - 30 تموز/يوليو في العراق عام 1967) لكن محمد عمران خرج إلى عشيرته أو طائفته في طرابلس شمالي لبنان ليلقى فيها مصيره.

ولهذه قصة لا بد من روايتها:

وهكذا فالصراع الشخصي الذي بدأ داخل اللجنة العسكرية المكونة من ضباط من مختلف المذاهب في سوريا وانتهى هذه النهايات المأساوية أفسح الطريق واسعاً لتقدم العلويين على سواهم داخل الجيش، فكل من حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد عمران راح يستقطب ضباط الجيش على أساس مذهبي ثم مناطقي والضابط العلوي من القرداحة يأتي بشقيقه أو ابن عمه أو صديقه إلى الجيش وكذلك ضباط بقية القرى العلوية وكل منهم يريد أن يزيد قوة عصبيته الشخصية ويعزز موقعه داخل الجيش على حساب الآخر، وهذا ما خلق ورماً علوياً في الجيش وأجهزة الأمن التي جعلها حافظ الأسد لعبته ضد العلويين الآخرين (جديد وعمران) ثم ضد كل من يعتقد انه قد يهدد سلطته يوماً، وضد كل من ينطق بحرف ضده أو يفكر أو يقرأ خارج كتاب حافظ الاسد، بما يعنيه عملياً من افراغ الجيش السوري من أي كفاءة لاعتماده مقياس الولاء قبل ودون أي شيء آخر.

كل هذه العوامل اثرت في تركيبة الجيش السوري وخلقت فراغاً ملأته الاقلية وحرفته لغياب الاكثرية أو تغييبها. (وسنجد اثر كل هذا في مفاصل المواجهة بين النظام الذي بناه حافظ الأسد والشعب السوري.. في فصل خاص في الكتاب عن علوية الجيش السوري).

كان ميشال عفلق يحارب إثارة مثل هذه المواضيع لذا وقف في وجه أمين الحافظ، حين اثار المشاعر المذهبية ضد العلويين مما عجل بإنقلاب 23 شباط/فبراير 1966 ضده ورفض عفلق نفسه التنسيق مع الضباط العلويين ليس لأنه لا يثق بهم بل لأنه كان يدرك ان معاداة الاكثرية لا تفيد القضية الوطنية والقومية في سوريا، وتؤثر على الوحدة الوطنية، وصدق ظن عفلق وما نراه اليوم كان ثمرة ما زُرع عبر تلك السنوات.

كان ميشال عفلق يعتبر ذاته والحزب صنوين، كان يرتاح للضباط الذين يظهرون الولاء له في حين كان يرتاب من الضباط الذين اكتنفهم الغموض أمثال محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد.. كم كان عفلق صادقاً.. كم كان مصدوماً.

خلاف صلاح وحافظ

انعكست هزيمة الجيش السوري (وجيشي مصر والاردن) في حزيران/يونيو 1967 أمام العدو الصهيوني، صراعات داخلية حقيقية في أعلى قمم السلطة في مصر وسوريا.

فقد دبر قائد الجيش السابق عبد الحكيم عامر محاولة انقلابية ضد جمال عبد الناصر، كانت أخطر مراحلها تدبير محاولة لإسقاط طائرة جمال عبد الناصر أثناء توجهه إلى الخرطوم لحضور أول قمة عربية بعد النكسة آب/أغسطس 1967، تم كشفها وإحباطها واعتقال قادتها وأبرزهم رئيس جهاز الاستخبارات السابق صلاح نصر ومجموعة كبيرة من ضباط الجيش من أنصار عامر الذي انتحر في أيلول/سبتمبر من العام نفسه.

في سوريا التي خسرت الجولان خلال هذه الحرب عقدت اجتماعات حزبية على أعلى المستويات جرت فيها نقاشات مستفيضة حمل فيها المدنيون حافظ الأسد بصفته وزيراً للدفاع مسؤولية الهزيمة، بل وتسليم الجولان، خاصة بعد سريان خبر فضيحة اعلانه سقوط مدينة القنيطرة على الجبهة مع العدو الصهيوني، وكان الجنود والضباط السوريون ما زالوا يقاتلون داخلها بل وكان هناك عدد كبير من جنود وضباط الجيش السوري ما زالوا في عمق الجولان يحاربون في اشتباكات مباشرة قوات العدو الصهيوني.

نقاشات الحزب الداخلية وعلى أعلى المستويات طالبت بإحالة الأسد إلى المحكمة العسكرية، وأعلنت رفضها القرار 242 الذي كان صدر من مجلس الأمن في 1967/11/22 وأعلن جمال عبد الناصر قبوله.

كانت ردود الأسد انه يقبل المحاكمة العسكرية التي لم تعقد وأعلن ان سياسة القيادة القطرية ستورط سوريا مع المجتمع الدولي، وستعزلها وستفسد ما تبقى من علاقات مع الدول العربية والدول الخارجية.

قال الأسد لقد خربتم البلد وأفشلتم الدولة وأنتم لا تملكون إلا المزايدات..

وظل الأمر في إطار النقاشات الحزبية دون قرارات لأنها مسؤولية المؤتمر القطري.

حافظ الأسد عميل أميركي وفق المؤتمر القطري 1968

عقد المؤتمر القطري الذي دعا إليه أمين سر القيادة القطرية صلاح جديد لبحث أسباب هزيمة 67 ونتائجها. ومن جديد شن الحزب بكل قياداته في القيادة القطرية.. أمناء سر الفروع، أمناء الشعب حملة قاسية على حافظ الأسد واصفينه بأنه عميل متآمر على الحزب، وذهب عبد الكريم الجندي إلى حد انه يملك وثائق تثبت عمالة الأسد للاستخبارات الأميركية.

طالب المؤتمرون من رئيس الدولة نور الدين الاتاسي ورئيس الوزراء يوسف زعيّن ومن أمين سر القيادة صلاح جديد أن يحيلوا حافظ الأسد إلى محكمة حزبية ثم محكمة عسكرية، وبالتالي عزله وتولية عزت جديد مكانه.

كان هناك شبه إجماع داخل المؤتمر ضد حافظ الأسد بسبب مسؤوليته عن ضياع الجولان، ولعمالته لأميركا.

جرى التصويت لعزل الأسد وإحالته إلى المحكمتين فنال التصويت شبه إجماع، ونأى مؤيدو الأسد بأنفسهم عنه، ومن بينهم قائد اللواء المدرع في حمص قائد المنطقة الوسطى العقيد مصطفى طلاس.

رغم هذه الحالة، فإن قرارات المؤتمر القطري كانت بلا أسنان.

فقد رفض الأسد قرارات المؤتمر، وخرج من المؤتمر غاضباً، وارسل قوات تابعة له، واستخبارات بقيادة علي دوبا وقوات شقيقه، والاهم استنفاره لضباط محمد عمران الذين نجح في جذبهم إليه ضد الخصم المشترك صلاح جديد.

مرة أخرى

يخطىء صلاح جديد

فلم يكن الرجل يريد مواجهة عسكرية مع حافظ الأسد.. وهذا ما اثار احتجاج وغضب القيادات المدنية: نورالدين الاتاسي، يوسف زعين، محمد العشاوي (وزير الداخلية) عبد الكريم الجندي.. ضد صلاح جديد.. لماذا لا يحرك قطعاته العسكرية ضد حافظ الأسد المتمرد، المتهم بالعمالة لأميركا، المتآمر على الحزب؟ لماذا لا يعتقل حافظ وشقيقه رفعت؟ لقد تعهد عبد الكريم الجندي الذي كان مديراً للاستخبارات العامة بالقبض على حافظ ورفعت وكل من معه،

فالجندي نشر آلاف المخبرين في كل أنحاء سوريا، وهو قادر على خنق حافظ ومنعه من التحرك، بل واعتقاله وإرساله وراء الشمس.

لكن صلاح جديد رفض كل هذه المطالبات حتى قيل ان هناك طبخة مذهبية علوية بين صلاح جديد وحافظ الأسد، منعت الأول من الاطاحة بالأخير لأن من شأن هذا الصراع لو انفجر أن يذهب بكل الانجازات التي حققها الفريق واللواء للعلويين.. وهما يعتبران وضع العلويين أهم بكثير من أي مغانم سياسية أو حزبية لأي منهما.

كان الصراع بين حافظ وجديد قد استفحل حزبياً، وبات لكل منهما جماعاته في كل محافظات سوريا، وقاطع كل منهما الآخر وانتشرت الحساسيات داخل قطاعات الجيش السوري وأجهزة الأمن وداخل القيادة القطرية وفروع الحزب، وان كانت الاغلبية المدنية دائماً مع صلاح جديد.. وكان صلاح جديد ذا حضور هو الاقوى داخل الجيش.

كان الأسد يدرك كل هذا، وأراد الالتفاف على صلاح جديد ومنازلته في الساحات التي لم تكن أي ودّ لجديد بسبب تطرفه ويساريته الموغلة في العدم وفي إثارة الناس خاصة بورجوازيات المدن وملاكي الارياف السابقين والصناعيين والتجار ومنتسبي المهن الحرة.

فتح حافظ الأسد خطاً مع المملكة العربية السعودية بواسطة أحد أقرباء زوجه الضابط السابق توفيق مخلوف وكان عدد من سيدات العائلة متزوجاً من شخصيات سعودية معروفة، مما سمح لحافظ بالإطلال على الرياض التي كانت تتعرض لهجوم ظالم من اعلام صلاح جديد.

وفتح مصطفى طلاس من خلال زوجه من آل الجابري علاقات مع الديوان الملكي في الاردن بصلة القرابة والنسب مع بعض سيدات سوريات متزوجات من أركان إدارة الملك حسين.

اتصل حافظ الأسد مباشرة بالعقيد معمر القذافي ليحصل منه على دعم مادي مباشر لينجح في انقلابه وسعى زميله ناجي جميل ليقدم عنه صورة وردية لمن يعرفهم من الانكليز.

حاول حافظ الأسد الاتصال بجمال عبد الناصر فكانت النصيحة من مقربين من قائد العرب ألا تحاولوا أي فتنة في سوريا ونحن على أبواب حرب مع إسرائيل.

قال وزير حربية مصر في عصر عبد الناصر بعد النكسة الفريق أول محمد فوزي للكاتب: ان عبد الناصر حدد موعدين لبدء الحرب مع العدو الصهيوني لإزالة اثار عدوان نكسة 1967.

التاريخ الأول هو شهر ت2/نوفمبر 1970 والحد الأقصى هو شهر أيار/مايو 1971 ومن الصدف الغريبة ان يشهد شهر ت2/نوفمبر أربعين جمال عبد الناصر، وان يكون شهر أيار/مايو هو موعد انقلاب أنور السادات على خط جمال عبد الناصر.

ولا بد من التذكير بأن ياسر عرفات كان يكره حافظ الأسد كرهاً شديداً، وكان يتمنى على صلاح جديد أن يسارع بخلعه، خاصة بعد توكيد تخلي الأسد عن دعم المنظمات الفلسطينية التي كانت تخوض مواجهات مع الجيش الاردني، في حين ان صلاح جديد أرسل أرتال الدبابات إلى الاردن لنجدة المنظمات الفلسطينية.. لذا فإن عرفات أبدى استعداده لإرسال مقاتلين فلسطينيين لمساندة جديد في صراعه مع الأسد.. لكن جديد هو الذي رفض شاكراً لعرفات عرضه مؤكداً انه لن ينجر إلى مواجهة عسكرية.

توفرت كل الظروف لنجاح حافظ الأسد في انقلابه يوم 1970/11/16.

إذا كان هذا هو حال الوضع العربي والدولي، فماذا عن الوضع الداخلي؟

تلقى حافظ الأسد عرائض من تجار دمشق وحلب تطالبه بتسلم السلطة وتخليص البلاد من مغامرات جديد والاتاسي وزعيّن.

وتسلم الأسد مع العرائض مالاً من هؤلاء التجار كي يصرف على عملية انقلابية يدبرها ضد المجموعة اليسارية الطفولية.

كانت سوريا تعيش وضعاً اقتصادياً مأساوياً، فالخزينة مفلسة.. وليست شبه مفلسة، وكان الانتاج معطلاً.

كثيرون أرادوا انصاف صلاح جديد فوصفوه انه كان وسطياً، ولم يكن يسارياً بمعنى الكلمة، بل كانت شفافيته ونظافة كفه تغري كثيرين ان يصفوه بأنه كان اشتراكياً لا يحب المال، وهو معتز بكرامته شديد الصلابة.

ورغم هذا فقد خضع لمزايدات الاطباء الثلاثة الذين كانوا في قيادة السلطة التنفيذية: رئيس الجمهورية نورالدين الاتاسي (سني من حمص) يوسف زعين (سني) ابراهيم ماخوس (علوي).

كان المناخ الشعبي والعربي والدولي مهيّأً كي يقوم حافظ الأسد بإنقلابه.. وهذا ما حصل.

غير اننا يجب أن نقف ملياً أمام أحداث الاردن عام 1970 وأثرها على قرار الانقلاب الذي قاده الأسد ضد رفيقه القديم.

الصراع حول الموقف من أحداث الاردن

ممارسات وتجاوزات المنظمات الفلسطينية المسلحة داخل الاردن، أثارت نقمة بين الناس دفعت السلطات للقيام بما تقتضيه حقوق السيادة وحماية مصالح الاردنيين، وجزء كبير منهم من أصل فلسطيني.

في السياسة تردد حينها ان هناك صفقة عقدها عمان مع الادارة الأميركية تقضي باستغلال هذه التجاوزات ونقمة الناس عليها، وتقضي بأن يتولى الجيش الأردني القضاء على الوجود العسكري الفلسطيني في الاردن مقابل إعادة الضفة الغربية إلى الاردن على أن تكون منزوعة السلاح تماماً، وفق شروط لا يسمح تطبيقها بإمكانية ممارسة أي نوع من أنواع العمل الفدائي ضد إسرائيل.

كان الأمر يحتاج إلى موافقة الكيان الصهيوني على مثل هذه الصفقة، وكان هذا يعني انهيار أي حكومة أو حزب أو تكتل يفكر للحظة بإعادة الضفة المحتلة إلى الاردن.. وليس صدفة ان يطلق ايغال الون يومها مشروعه بجعل الاردن الكيان البديل منذ العام 1972.

بالمقابل كان يجب أن يتكفل نظام ما بجريمة تصفية المنظمات الفلسطينية.. وكان حافظ الأسد مستعداً لارتكاب مثل هذه الجريمة.

في خضم الصراع على السلطة في سوريا بين صلاح جديد وحافظ الأسد، كان الموضوع الفلسطيني حاضراً دائماً.

حضر بهزيمة الجيش السوري خلال عدوان 1967 وحضر بهزيمة أخرى للجيش السوري خلال معارك الاردن بين الفلسطينيين والاردنيين.

صمم صلاح جديد على التوجه إلى الاردن لحماية الثورة الفلسطينية في معركتها ضد الجيش الاردني.. لكنه لم يكن يستطيع المجاهرة العسكرية رغم التبني السياسي والاعلامي لموقف الفلسطينيين.

حملت السيارات العسكرية السورية ألوان وعبارات وأرقام جـيش التحريـر الفلسطيني وتوجهت إلى الاردن وبعض الدهانات ساح على الطريق خلال شـهر أيلول/سبتمبر الحار نسبياً.. وكانت هذه بصمة صلاح جديد لدعم الفلسـطينيين ولكن هذه السيارات المسلحة تعرضت لقصف طائرات سلاح الجو الأردني الـذي أوقع فيها خسائر كبيرة.. دفعت مجموعة جديدة في السلطة (الحـزب، الجـيش، الامن، المنظمات الجماهيرية) لأن تتساءل أين سلاح الطيران السوري لحماية قواتنا التي ذهبت إلى الاردن لحماية الشعب الفلسطيني؟

وقف حافظ الأسد داخل المؤتمر القطري للحزب يصرخ اعطوني أوامر خطية بإرسال الطيران وسأدمر قصر رغدان في عمان (قصر الملك حسين) أما أن تتركوا أبناءنا الجنود يموتون في الجبهة مع الاردن فهذا حرام.. اعطوني غطاء سياسياً لأؤمن الغطاء الجوي لجنودنا.

كان حافظ يزايد على خصمه جديد، مما دفع الأخير للرد: هل تريدنا أن نقـول للعالم ان جيشنا يغزو بلداً آخر؟ ألا تكفي عزلتنا.. توقف عن المزايدات يا أبو سليمان (لقب الأسد الحزبـي قبل أن يلغيه بعد ان تسلم السلطة في سوريا 1971).

لم يكتف الأسد بهذا، بل راح يوزع صور قتلى الجيش السوري علـى أوراق نعوى يلصقها جماعته على أبواب المساجد وعلى أعمدة الكهربـاء في الاسـواق التجارية وعلى كل الطرق المؤدية للجامع الأموي في دمشق، للفت أنظار الناس إلى الخسائر التي يسببها صلاح جديد في موقفه من أحداث الاردن.

كان الأسد يحرض السوريين على جديد في كل المجـالات وكـان معظـم السوريين مستعدون لسماع كل ما من شأنه ان يحط من قدر صلاح جديد بسبب قراراته المستفزة لمشاعرهم ومصالحهم الاقتصادية والمادية.

ولم يكن السوريون وحدهم المتضررين من سياسـة جديـد أو المتشـوقين للخلاص منه.. فالغرب ومعظم البلاد العربية التي عزلتها سياسة الاطبـاء الثلاثـة، كانت في الخندق نفسه مع السوريين.

غير ان الاهم ان حافظ الأسد كان يسترق السمع ويهيء الاجواء ويرسـل المراسيل ويستدرج عروض الصفقات، ودائماً مع أميركا وحدها حيـث الصـفقة المنتظرة ليتمكن من خلع جديد.

لقد أوردنا سابقاً طبيعة الصفقة ومضمونها وقد تم تلخيصها بما يلي:

"خلصنا من المنظمات الفلسطينية (منظمة التحرير) وخذ امبراطورية تمتد من خليج العقبة إلى ميناء الاسكندرون".

وقد فعلها حافظ، وخسرها الملك حسين، فإسرائيل كان يستحيل أن تنسـحب من الضفة الغربية، وحافظ الأسد كان سيخلصها من منظمة التحرير الفلسطينية.

كانت حرب تشرين/اكتوبر 1973، جملة اعتراضية يحتاجها حـافظ الأسـد ليلتقط أنفاسه ويلمع صورته ليقدم على تنفيذ الصفقة الموعودة.

أجج الاوضاع في لبنان إلى حد انفجار الحرب الأهلية، بعد مقدمات تسخين قادها منظمة الصاعقة وعصابات أحمد جبريل.

عام 1975 انفجرت الحـرب الأهليـة في لبنـان، ستكشـف الأيـام دور استخبارات الأسد فيها وخاصة في الصاعقة وعصابات جبريل.

كان الأميركان يتابعون بدقة العلاقة مع حافظ الأسد، وأدى اللوبـي الأرمـني في أميركا وسوريا دوراً في تعميق هذه العلاقة، وكان ادوارد جيرجيان الارمني الخارج من سوريا هو الأميركي العائد سفيراً إلى بلاده السابقة ليتابع تنفيذ هذه الصفقة.

وما حدث في لبنان يحتاج إلى كتب لن يبرّأ أبداً منها الأسد من تهمة كتابـة وقائعها.. بالدم.

انقلاب 16 ت2 1970

كان انقلاباً أبيض لم تطلق فيه رصاصة واحدة، فقد كانت أوامـر صـلاح لضباطه في الجيش ألا يقاوموا، وكان يردد نحن لا نريد دماً بين الضباط..

أرسل صلاح لحافظ خذ السلطة بقوة الجيش ونحن نعرف كيف نستردها عن طريق الحزب.

أنـزل صلاح جديد الحزب المسلح إلى شوارع سوريا، وقال للأسد انك لن تستطيع أن تورطنا في قتال دموي بين القطعات العسكرية.

يقول اللواء محمود جديد في حديثه للعقيد السمعان عنـدما سـأله مـاذا ستفعل: تعليمات اللواء صلاح ان لا نصطدم مع قوات الأسد ونحن سنسـتعيد السلطة بقوة الجماهير.

نزل الحزب المسلح الاتحادات، النقابات، الطلاب في كل المدن السورية ضد انقلاب الأسد متهمينه انه يدير انقلاباً أميركياً فتم قمعهم دون قتل أحد، حيث كانت تعليمات حافظ لقطعاته العسكرية ان يجمعوا قيادات التظاهرة في سيارات عسكرية وارسالهم إلى الثكنات ثم يخلي سبيلهم، بعد الاطمئنان إلى انهم سيؤيدون الحركة التصحيحية كما أسماها الأسد ثم حصل تحول شبه جماعي في قيادات الحزب من نصرة القيادة القطرية وصلاح جديد إلى تأييد الحركة التصحيحية بقيادة حافظ الأسد عدا قيادة فرع دمشق وكان مسؤولها بعثياً أردنياً.

رواية عبد الحليم خدام
عن حركة حافظ الأسد ضد صلاح جديد 1970

تفجرت المشكلة بين الرفيقين صلاح جديد وحافظ الأسد في أول مؤتمر للحزب حصل بعد نكسة 1967 واحتلال إسرائيل الجولان السوري.

شهد المؤتمر القطري نقاشاً حاداً طال الدعوة لمحاسبة القيادة السياسية والعسكرية لتحميلها مسؤولية الهزيمة وضياع هضبة الجولان، ووقف آخرون يدافعون عن القيادة العسكرية.

دافع حافظ الأسد عن دوره في الحرب محملاً رئيس الاركان أحمد سويداني مسؤولية سقوط الجولان واعلان سقوط القنيطرة وهي ما زالت تقاتل ومعظم ساحاتها تحت سيطرة الجيش السوري.

كان السويداني من جماعة صلاح جديد، وتحدث الأسد بأن رسالة وصلت من قيادة الجبهة (أحمد المير) تقول ان القنيطرة سقطت، وقد جمع المير اغراضه وقيادته وعاد إلى دمشق، قائلاً ان القنيطرة سقطت، وان هذا الأمر حصل بعد انهيار الجبهة المصرية تحت ضربات الطيران الصهيوني خلال ساعات من بدء العدوان يوم 1967/6/5، وان هذا اثر كثيراً على الوضع العسكري على الجبهة السورية التي تفرغت إسرائيل لها وهاجمتها بضراوة.

يعيد خدام المسؤولية عن حالة الجيش السوري التي بدأت بالتراجع منذ أول انقلاب عسكري حصل في البلاد اثر نكبة فلسطين عام 1948، وهو انقلاب حسني الزعيم وما تبعه من انقلابات كانت كلها تبدأ بتسريح الضباط من كل

المستويات لأسباب سياسية وحزبية وطائفية دون أن تشفع كفاءة أي ضابط بإبقائه ضمن الجيش.

المهم - يتابع خدام - ان صراع حافظ وصلاح لم يكن شخصياً، بل نشأ حول كيفية التعامل مع نتائج حرب حزيران نفسها.

رأت القيادة القطرية بأغلبيتها الساحقة ما عدا حافظ الأسد - ان الاحتلال الصهيوني يواجه بمزيد من الثورية والعمل الثوري وبحرب تحرير شعبية دون إدراك متطلباتها، والشعب لم يكن يتمتع بأي حرية، أو إشباع بطون.

كانت المزايدات هي التي تسود حتى ان يوسف زعين وكان رئيساً للوزراء دعا إلى زرع سوريا كلها بالغابات لممارسة حرب أدغال كما كان حال فييتنام في تصديها للاحتلال الأميركي يومها..

كان رأي الأسد ان البلاد تحتاج إلى انفتاح اقتصادي وسياسي خاصة على دول الخليج العربي ومصر.

كان هناك وجهتا نظر طرحتا على المؤتمر القطري عام 1968 ومثل الأسد وجهة أيده فيها خدام، عبدالله الاحمر، مصطفى طلاس، محمد حيدر، ومسؤولو فروع السويداء، حمص، اللاذقية بينما كان صلاح جديد والاطباء الثلاثة رئيس الدولة نورالدين الاتاسي، ويوسف زعيّن (رئيس الوزراء) ووزير الخارجية ابراهيم ماخوس يمثلون وجهة النظر الأخرى.

كانت مجموعة الأسد تلتقي لمناقشة الأمر، وتبحث ضرورة عمل شيء لإنقاذ البلاد، خاصة وان شكاوى عديدة كانت تأتي من الناس من تجاوزات وعمليات تعذيب ضد ساسة معتقلين منهم المناضل البعثي السابق الناصري بعد ذلك د. جمال الاتاسي والد الناشطة السياسية ضد بشار سهير الاتاسي.

كان تعذيب د. جمال وهو أحد مؤسسي الحزب، والذي تحول ناصرياً مشكلاً الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا، يترك اثراً سلبياً عند قيادات وقواعد حزب البعث.

هزيمة عسكرية + فشل اقتصادي + قمع وتعذيب ضد المناضلين والمعارضين.

لم تتراجع القيادة القطرية، وصممت على تصعيد قراراتها الاشتراكية التي شملت تأميم كل شيء في سوريا، حتى لم تبق وسيلة انتاج ولو كانت بدائية إلا وتم تأميمها.

و لم تكتف القيادة بهذا، بل هربت إلى عقد مؤتمر قومي لمحاصرة حافظ الأسد ودعوته للانفتاح.

اجمعنا – يتابع خدام – حافظ وحيدر وعزالدين ناصر وأنا وقررنا اعداد برنامج لطرحه على المؤتمر القومي، قاعدته الانفتاح السياسي والاقتصادي والعربي.

بعد يوم واحد من طرح البرنامج على المؤتمر القومي ولقي صدى إيجابياً ألغي المؤتمر وسافر المندوبون إلى بلادهم ومناطقهم.

ورمى الفريق الثاني الكرة في وجوهنا بإستقالة رئيس الدولة نورالدين الاتاسي، وغابت القيادة القطرية وشلت البلاد، فالاستقالة الرئاسية تمت بالاتفاق مع القيادة الحزبية لإحراج الأسد.

بادر حافظ لتشكيل قيادة قطرية مؤقتة وأصدر قراراً كوزير دفاع بإعتقال بعض أعضاء القيادة القطرية ومنهم أمين سر القيادة صلاح جديد، ومحمد الشاوي، يوسف زعين، ونور الدين الاتاسي.

يورد خدام انه سبق الانقلاب طلب الأسد منه التوجه إلى الاتاسي لإقناعه بالعودة عن الاستقالة وإيجاد حل بين الطرفين.

خلال لقاء خدام والاتاسي الذي استمر 3 ساعات طلب خدام رجوع الاتاسي عن استقالته ناقلاً له ان الأسد لن يعمل انقلاباً، بل حل المشكلة، من خلال اختيار 3 أو 4 رفاق من القيادة مع بقاء الاتاسي رئيساً ويجيء إلى القيادة القطرية وتدعو إلى مؤتمر، على ان يخرج صلاح جديد ويوسف زعين وابراهيم ماخوس ومحمد عيد عيشاوي (وزير داخلية شجاع ومتشدد جداً) ويرحّلون خارج البلاد.

رفض الاتاسي شروط الأسد التي حملها خدام، وكان منطقياً ان يرفض فقد كان عزيز النفس وهو لن يبيع رفاقه من أجل منصب.

كان صلاح جديد حسب رأي خدام هو صاحب السلطة الفعلية في الحزب، وهو أقوى شخصياته، وهو رجل لولا تشدده اليساري ما كان بإمكان أحد هزه نظراً لنزاهته وهو كان رجلاً شريفاً نظيفاً لم يسمح لأحد أن يشتريه أو لم يسمح لأي مقرب أو صديق أن يستغل اسمه لقبول رشوة أو فرض خوّة.

كان محمد عمران من مؤسسي اللجنة العسكرية في مصر، مؤمناً بعقيدة حزب البعث يتميز انه كان براغماتياً منفتحاً غير متصلب برأيه، مرناً.

كان مؤمناً بحق العلويين بالحصول على حقوقهم كاملة كمواطنين سوريين لأنهم كانوا معزولين مضطهدين لسنوات طويلة، لكن على العلويين ألا يتحدوا الاكثرية السنية لأن هذا التحدي يمكن أن يؤدي إلى غضب شامل يجر البلد إلى حرب أهلية.

لذا علينا الابتعاد عن رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة وأن نسمح لكل الاحزاب حتى الاسلاميين أن تعمل بحرية ضمن نظام ديموقراطي شرط أن نظل نحن ممسكين بالجيش على الطريقة التركية.

في السياسة الخارجية كان من أنصار الانفتاح على دول الخليج العربي ووقف حملة التشويه والتضليل التي كان يقودها الاعلام السوري ضدهم وإعادة الاتصال بمصر حتى بعد وفاة عبد الناصر ويجب أن تكون متميزة، حتى لو لم نصل إلى أي اتحاد فيجب أن تكون العلاقة معها متميزة ويكون بيننا تنسيق سياسي – عسكري اقتصادي..

وهذا ما دفعني كمجاهد السمعان أن أنضم إلى مجموعة محمد عمران، لأنه يمثل الخط الوسط المعتدل لأن أفكاره علمانية، وعدم استمرار احتكار السلطة علوياً.

كان من أفكاره الاقتصادية الاقتصاد المشارك ما بين القطاعين العام والخاص، وان نترك الادارة للقطاع الخاص، لمنع التضخم والاحتكار وتنوع الانتاج.

كان محباً لجمال عبد الناصر ويمدحه كثيراً وكان يعتبره مثله الأعلى، وكان محمد عمران ذا يد نظيفة كصلاح جديد، وهما أنظف من مر في السلطة في سوريا من السوريين، وكان ذا سمعة اجتماعية جيدة، لم يقم علاقات نسائية.

وفي القاهرة أقام علاقات جيدة مع مؤسسات مصر السيادية وكان البعض يحسبه من الناصريين وهو لم يكن كذلك، لكنه كان يود عبد الناصر ويقدره.

أبرز ضباط محمد عمران ابن عمه علي، عبد الكريم رزوق، علي الحجحاج (قائد لواء مشاة مدرع)، علي الصالح، ابراهيم الصافي، عدنان بدر حسن، أحمد علي الحسين وكلهم علويون وقادة قطعات عسكرية تتموضع حول دمشق في

مواقع وقد طلب منهم عمران أن ينضموا إلى حافظ الأسد بالتفاهم مع الأخير بعد التفاهم مع الأسد ان يبعد الجناح اليساري من جماعة صلاح جديد في الحزب (نورالدين الاتاسي، يوسف زعين، وزير الداخلية العيشاوي (من شلة دير الزور)، ابراهيم ماخوس.

وعد الأسد عمران بالانفتاح على مصر عبد الناصر والعرب وإجراء انفتاح حقيقي سياسي واقتصادي وإقامة حياة سياسية ديموقراطية، لهذا دعمه محمد عمران خاصة مع خصومة عنيفة بين عمران وصلاح جديد، بسبب زعامة العلويين السياسية والعشائرية حيث ينتمي عمران إلى عشيرة المتاورة وهي أكبر العشائر وفيها في الجيش ضباط وضباط صف كثيرون وكانت تتمركز في شرق حمص (كما الخطاطين) وكان صلاح جديد ينتمي إلى عشيرة الحدادين النافذة جداً في الجيش وفي الجبل.

خان الأسد اتفاقه مع عمران وكان أول ما فعله ان رشح نفسه للرئاسة بعكس الاتفاق مع عمران.

هكذا دب الخلاف بين الطرفين، وراح أفراد جماعة عمران الذين كانوا دعموا الأسد ضد صلاح جديد ينظمون أنفسهم داخل الجيش تمهيداً للانقلاب على حافظ وكان أبرزهم ابن عمه محمد علي عمران، ابراهيم الصافي، عدنان بدر حسن، علي دوبا، علي الجحجاح وعدد كبير من صغار الضباط، وكذلك سعوا لتنظيم ضباط آخرين غير علويين.

هل خان الشهابي؟

عندما اقترب تنفيذ الانقلاب ضد الأسد قيل ان حكمت الشهابي وكان موعوداً بمنصب كبير ربما كرئيس للجمهورية وكان يومها مدير استخبارات عسكرية، وشى أحد الضباط المخترقين لجماعة الأسد بالمخطط الانقلابي فاتخذ الأسد قراراً بقتل عمران في طرابلس شمالي لبنان عام 1972 وكلف (وفق رواية السمعان) ناجي جميل بالتنفيذ وجميل هو عديل زهير محسن قائد الصاعقة في لبنان وكان هذا من جماعة صلاح جديد وانقلب مع الأسد فأرسل امرأة منقبة طالبة المساعدة (اقرأ القصة في مكان آخر من هذا الكتاب) القاتلان فلسطينيان من الصاعقة، بعد قتل عمران جاءت زوج عمران وبعض ضباطه للأسد يشتكون

ويبكون فاستنكر وقال ان ناجي جميل خلف قتله وهو أخذ القرار فشنت حملة ضد ناجي فاعتقل أمن الأسد عدداً من الضباط منهم المقدم محمد حداد شقيق جميل (علوي من الحدادين) قائد القوات الخاصة كما اعتقل عدداً من المدنيين منهم وهيب غانم، محمد بصل..

كان هدف الاعتقالات تفشيل المحاولة وليس الانتقام، إذ تم إطلاق سراح معظمهم.

وبعد قتل عمران راح ضباطه يتحركون ويصعدون من أجل الاطاحة بالأسد وكان على رأسهم علي دوبا وعلي عمران وابراهيم الصافي وعلي الصالح وعدنان بدر حسن.

علم الأسد بالموضوع وكشف التنظيم مع بدء التحرك الانقلابي فاستدعاهم قائلاً أنا أو خراب الطائفة فاستسلموا فسامحهم جميعاً ما عدا الذي رفض أن يأتي إلى الأسد وينقذ نفسه، مثل أحمد الحداد الذي قال مات الرسول ولم يتوقف الاسلام، مات عمران لن نتوقف ونحن نريد بناء الديموقراطية في سوريا. فسجنه وأيوب الغانم (كان من جماعة صلاح جديد ثم محمد عمران) ووضع محمد بصل وهو عضو قيادة قطري في السجن.

بعدها صعّد الأسد جماعة عمران ليصبحوا من أهم أركانه وعلى رأسهم علي دوبا الذي أصبح رئيساً لجهاز الاستخبارات العسكرية وابراهيم الصافي رئيس فرقة، ودلل عائلة عمران واعداً بالانتقام من القتلة.

أبعد ناجي جميل، وحليفيه عدنان الدباغ، علي المدني.. وقيل ان هؤلاء كانوا مع الأسد لكنهم كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة للانقضاض عليه، فلما فتح التحقيق مع المجموعة الصغيرة من جماعة عمران كلف بالتحقيق ناجي جميل وعلي المدني وحاولا كل جهدهما أن يحصلا على لائحة المتآمرين لتسليمها إلى حافظ بهدف تحريضه على التسريح والتقاعد لإخلاء الطريق أمامهما..

كان شقيق ناجي جميل خلف أقام تنظيماً من ضباط دير الزور للإطاحة بالأسد وتسلم السلطة.

كان حكمت وفياً لحافظ فسلمه رئاسة الأركان وهي أعلى منصب عسكري عملي في الجيش وكان ذا ثقة من الأسد.

هكذا
تخلص الأسد من الضباط العلويين المنافسين (صلاح جديد، محمد عمران) واستوعب جماعاتهم، فصمد في السلطة رئاسة ثم سلمها لابنه بشار.

كان المقدم محمد عمران هو أعلى ضباط اللجنة العسكرية التي تشكلت في مصر في عهد الوحدة رتبة، وفي مرحلة من المراحل أطلق على من معه مجموعة عمران بمن فيهم حافظ الأسد وصلاح جديد.

وقيل ان الوزير الناصري السوري الراحل طعمة العودة الله أبلغ عبد الناصر بهذا التشكيل، وكشف ان عمران كان مرتبطاً بجمال مباشرة، وانه عندما تأزمت المشاكل في سوريا بين عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج حول كيفية إدارة أمور الاقليم الشمالي (سوريا) طلب ان ينتقل وضباطه الاربعين في اللجنة العسكرية إلى سوريا، لكن عبد الناصر رفض، لأن نائبه عامر كان مسيطراً على السلطة في سوريا (وقد تبين ان مدير مكتبه عبد الكريم النحلاوي هو الذي قاد انقلاب جريمة الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة في 1961/9/28).

كان محمد عمران برتبة مقدم بينما كان حافظ الأسد وعبد الكريم الجندي نقيبين، وكان صلاح جديد وأحمد المير رائدين.

عمران وجديد والأسد علويون، بينما المير والجندي اسماعيليان.

لكن هذا لا ينفي ما كشفه الكاتب البريطاني باتريك سيل في كتابه "الصراع على الشرق الأوسط".. بأن مؤسس هذه اللجنة كان ضابطاً درزياً برتبة مقدم هو مزيد هنيدي، لكنه بعد ان أبعد عن الجيش بتعيينه ملحقاً عسكرياً في جاكرتا عاصمة أندونيسيا أبعد عن الجيش الأول (في الجمهورية العربية المتحدة) ويعيد هنيدي إبعاده إلى جاكرتا إلى علاقة عمران بالاستخبارات المصرية التي كانت تدعم عمران.

الخماسي عمران والمير وجديد والأسد والجندي الذي شكل تحالف الاقليات باكراً في الجيش، أصبح يضم عشرات الضباط، كلهم من الارياف ومن خارج دمشق وحلب وحماه وحمص ودير الزور.. إلى ان نجحوا بالتحالف مع الضباط الناصريين ومعظمهم من السنّة وكذلك الضباط القوميين المستقلين بقيادة زياد الحريري ومعظمهم أيضاً من السنّة، فظهرت اللجنة العسكرية إلى العلن بعد

التخلص من الناصريين والمستقلين (لؤي الاتاسي، راشد القطيني، زياد الحريري الذي عزلوه خلال زيارته للجزائر وعينوه ملحقاً عسكرياً في أميركا لكنه رفض) وضمت إلى جانب الخماسي أمين الحافظ (عينوه مكان الاتاسي)، وموسى الزعبي وحمد عبيد وسليم حاطوم وتوفيق بركات ومصطفى الحاج علي وحسين ملحم وأحمد سويداني.

صلاح جديد يخسر المعركة مع حافظ الأسد

في حوار مع مدير مكتب اللواء صلاح جديد العقيد مجاهد السمعان في القاهرة الثلاثاء في 2012/1/24 قال أبو جهاد:

كان صلاح جديد رجلاً ذكياً ذا عقل استراتيجي التفكير صاحب نظرة انسانية في التعامل مع المعارضين وعلى رأسهم الناصريين، الذين كانوا يشكلون أكثر من 90% من الشارع السياسي السوري.

كان صلاح ذا يد نظيفة، لم تظهر عليه آثار نعمة أو استغلال سلطة أو نفوذ، لم يغير سكنه الذي كان يقطنه منذ ان كان ضابطاً قبل عهد الوحدة 1958 إلى ان أصبح رئيساً للأركان، ولم يغير أثاث منزله في أبو رمانة الذي كان بلا حراسة. لم يظهر صلاح في الصور إلا نادراً، وكان عنواناً للانضباط الحزبي والعسكري والاخلاقي.

يقول السمعان: ان شقيق صلاح جديد، والذي كان مساعداً في الجيش جاءه بعد خروجه من السجن الذي دخله بتهمة المشاركة في اغتيال العقيد عدنان المالكي عام 1955، يطلب منه أن يتوسط له لدى شقيقه كي يدبر له وظيفة ليعتاش منها. فكان رد صلاح أنا لا أستطيع أن افعل لك أمراً دبر نفسك، فليس لدي ما أملكه من أجلك.

كان المساعد شقيق صلاح جديد محكوماً بالإعدام، وقد خفف الحكم عنه بعد تولي البعث للسلطة عام 1963 وأخرج من السجن، فتوجه السمعان إلى الفريق أمين الحافظ وكان ذا نخوة وشهامة معروفتين في شخصيته فكلمه عنه.

أمر الحافظ بتعيين شقيق صلاح جديد مسؤولاً في أمن مطار دمشق الجديد الذي كان قيد الانشاء ويروي السمعان.

ان أحد ضباط الجيش عزت جديد (لم يكن يمت بأي صلة قرابة بصلاح فعزت كان من قرية الدريكيش في قضاء صافيتا، بينما كان صلاح من قرية دوير بعبدا قضاء بانياس) اشترى أثاث منزله من محل مفروشات معروف في دمشق، وقد أكرمه صاحب المحل بأن ارتضى تقسيط ثمن الاثاث على غير العادة، وكان عزت جديد يسدد الاقساط في مواعيدها إلى ان عجز عن إكمال دفع الاقساط، ولم تنفع مراجعة صاحب المحل معه كي يدفع له حقه.

توجه صاحب محل الاثاث إلى مكتب اللواء صلاح جديد وكان رئيساً للأركان ليشكو له سلوك الضابط معه.

استدعى صلاح جديد الضابط المشكو منه وأنّبه وكان صوت صراخ صلاح المعروف بهدوئه يشق عنان المكان، ثم أبلغه انه سيسدد الاقساط من ميزانية الأركان الخاصة وان على الضابط عزت جديد أن يسدد المبلغ للأركان بالكامل.

كان الضابط عزت جديد قائداً للواء 70 في منطقة الكسوة على أبواب مدينة دمشق، أي انه كان يتولى مهمة قيادة أخطر وأهم لواء في الجيش السوري، وكثيراً ما كانت الانقلابات العسكرية في البلاد تنطلق من هذا اللواء.

كان صلاح جديد هو الذي رفّع الرائد حافظ الأسد إلى رتبة لواء لتسليمه قيادة القوات الجوية عام 1964 رغم وجود ضباط كثيرين علويين وسنّة أكثر كفاءة وأرفع رتبة وكلهم من البعثيين.

رشح الفريق أمين الحافظ وكان رئيساً للدولة العقيد جبرودي البعثي السني قائداً للقوات الجوية، لكن صلاح جديد الذي كان صاحب الكلمة الأولى في سوريا يومها هو الذي قرر تعيين حافظ في هذه المسؤولية الخطيرة في بلد كسوريا.. فكانت غلطة الشاطر.

وعندما نفذ صلاح جديد وحافظ الأسد انقلاب 23 شباط/فبراير 1966 ضد أمين الحافظ، أصر جديد على الاعتماد على قوة الحزب لحماية الثورة، بعد تسليح عناصره ونقابييه ومهنييه وطلبته، قائلاً يجب ألا نعتمد على الجيش لحماية الثورة لأننا لا نضمن عدم وجود اختراقات في المؤسسة العسكرية بينما يجب أن يتولى البعثيون حماية الثورة.

دعا صلاح جديد إلى عسكرة الحزب ليكون قادراً على أداء مهمته في المحافظة على السلطة، فكل حزبي في موقعه في الادارة، في الجامعة، في المصنع، في الحقل، في الجيش، في الشارع يجب أن يكون مسلحاً ويستطيع أن ينزل إلى الشارع لحماية الثورة من أي خطر انقلابي.

سلح صلاح جديد منظمات الحزب التي انشأها: شبيبة الثورة، طلائع البعث، نقابات العمال، اتحادات الفلاحين، اتحاد الطلبة، بعد ان أجرى للجميع دورات عسكرية، تهيأ الحزبيون فيها للمواجهات وجرى توزيعهم في كل أنحاء سوريا، وأخضع الحزبيين لأمناء فروع المحافظات يتلقون منهم الاوامر للتحرك عندما تدعو الضرورة.

اعتقد صلاح جديد ان أسلوبه هذا هو الذي يخلص سوريا من عقدة الانقلابات العسكرية، فالجيش يتفرغ لمواجهة العدو، والحزب يتفرغ لإدارة شؤون البلاد في الداخل.. وكانت هذه غلطته الثانية.

أما الغلطة القاتلة فكانت عندما سلم صلاح جديد الذي انتخب أميناً قطرياً لحزب البعث وهو أعلى سلطة في الحزب الذي يقود البلاد، وزارة الدفاع لرفيقه حافظ الأسد، وكان شديد الثقة به وبصلاحيات قائد الجيش ولم يكن الأمر كذلك، وقد أعاد حافظ الأسد صلاحيات وزير الدفاع إلى حجمها بعد تعيينه مصطفى طلاس فيها وتولى الأسد مسؤوليات قائد الجيش السوري فعلياً، وسلم صلاح جديد مسؤولية رئاسة الاركان في الجيش السوري وهو موقع بالغ الاهمية في الجيش لرفيقه الآخر أحمد سويداني (حوراني سني) وكان مقرباً منه.

عمد حافظ الأسد كوزير للدفاع إلى استزلام الضباط كي يكونوا من جماعته، فأغدق عليهم الامتيازات المالية والعقارية والسماح لهم بالارتشاء وتحقيق المنافع وغض النظر عن الاخطاء بل كان حافظ كثيراً ما يسعد بإلتقاط أخطاء الضباط كي يمسك كل مخطىء من اليد التي توجعه ليلزمه الولاء له، حتى لو كان خطؤه قتل انسان.. فحافظ كان يعفو عن القاتل مقابل أن يتبعه على العمياني.

جمع حافظ الأسد حوله قائد القوات الخاصة علي حيدر وكان من أسرة كبيرة في الجبل ووالده أحد كبار المشايخ العلويين وكان معه توفيق الجهني علوي من الاسكندرون، واستلحق معه شفيق فياض الذي ولاه قيادة فرقة في الجيش.

لم يكن صلاح جديد يخشى ان يشكل حافظ الأسد مجموعة خاصة به، لثقته به، فضلاً عن ان صلاح جديد كان يقود مجموعة هي الأهم داخل الجيش، بعد مجموعة محمد عمران، الذي سنكشف استتباع حافظ الأسد لها في صراعاته مع جديد.

كان أبرز ضباط جديد في الجيش محمود جديد، عزت جديد (قائد اللواء 70) سليمان حداد، عبد الكريم الجندي (اسماعيلي)، علي اصلان وضابط من آل المحمود، كان قائداً للواء الذي حارب في الاردن، أثناء الصراع بين جيشه والمنظمات الفلسطينية (1970 - 1971) فضلاً عن اللواء ابراهيم العلي الذي تولى قيادة الجيش الشعبي فيما بعد.

حافظ يتحدث عن صلاح جديد

روى للكاتب سفير اليمن السابق في لبنان الصديق أحمد محمد المتوكل انه التقى عام 1985 الرئيس حافظ الأسد في دمشق ضمن وفد بلاده برئاسة علي عبدالله صالح، خلال زيارته الرسمية إلى سوريا، وانه أي الأسد كان يخص صالح بمودة لم يكن كثيرون ليدركوا طبيعتها أو سببها إلا إذا قرأ اهتمام الأسد ونظامه بكل من هو شيعي أو زيدي (وهو مذهب أقرب إلى التشيع مع رفضه المبالغات الشيعية المعروفة خاصة مع حق الإمام علي في الولاية قبل أبو بكر وعمر، وكراهيتهم للصحابة وسبهم لعائشة والاستلشاق بشخصية عثمان بن عفان..".

قال لنا المتوكل ان أحد أعضاء الوفد اليمني وكان بعثياً تجرأ وطرح أمام الأسد إمكانية الافراج عن صلاح جديد بعد ان أمضى 15 سنة في السجن اثر انقلاب حافظ الأسد عليه في 1970/11/16.

قال البعثي بصوت خفيض وبشكل رجاء: يا سيادة الرئيس يكفي صلاح جديد 15 سنة في السجن دون محاكمة، وهو رجل لم يعد له أي تأثير في الوجدان السوري، وقد أخطأ كما أخطأ كثيرون في اختياره الماركسية بدل فكر البعث العربي الاشتراكي، ثم ان سوريا كلها تدين لك بالولاء يا سيادة الرئيس، ونحن نأمل بإسم البعثيين في اليمن أن تطلق سراح صلاح جديد، وان تتركه يعود إلى أسرته.. بل نحن على استعداد لاستضافته عندنا في اليمن..

بعد ان ابتسم حافظ الأسد لطلب استضافته صلاح جديد في اليمن.. وكاد يقول ان استراحة الرجل هي تحت الاقامة الجبرية ستظل أكثر رحمة من إرساله منفياً إلى اليمن قال بجدية برقت بها عيناه اللتان أصبحتا أقرب إلى عيني الثعلب قبل الانقضاض على الحمل الوديع.

شوف يا رفيق.. لو ذهبت إلى صلاح جديد الآن وسألته ماذا كنت ستفعل بحافظ الأسد لو فشلت الحركة التصحيحية عام 70، لقال لك كنت سأضعه في السجن حتى تتخخ عظامه (ترقق في العظام).

أنهى الأسد هذه الجملة ووجه كلامه نحو الرئيس علي عبدالله صالح في موضوع مختلف تماماً.

ربما هذه هي أولى جرائم حافظ الأسد

يروي العقيد في رئاسة أركان الجيش السوري سابقاً، محمد شريف معسعس لابنه الزميل رياض عضو لجنة الاعلام في المجلس الوطني السوري الذي ضم قوى سياسية معارضة عملت على إسقاط نظام بشار الأسد ان ضابطاً بعثياً سورياً من آل الكاسوحة توجه إلى رئيس الجمهورية يومها الفريق أمين الحافظ، يشكو له ان حافظ الأسد الذي كان أبرز ضباط اللجنة العسكرية التي حكمت سوريا منذ الستينيات (القرن الماضي) يعمل على تطييف الجيش، وتسليم المراكز الأساسية فيه للعلويين. وهذا ما يناقض عقيدة البعث القومية.

استنكر الحافظ قول الكاسوحة وقال كلنا بعثيون ونعمل من أجل الأمة العربية الواحدة، ولا يمكن أن يعمل ضابطاً بعثياً من أجل طائفة حتى لو كانت طائفته..

بعد يومين استدعى أمين الحافظ الضابطين حافظ الأسد والكاسوحة، وتحدث معهما عما قاله الكاسوحة وعن ضرورة تجاوز الخلافات بينهما، طالباً من الاثنين ان يقبّلا شوارب بعض.. وسط ذهول الكاسوحة.

لم تمض عدة أيام، حتى وجد الضابط كاسوحة قتيلاً ضمن "شوال" بعد ان رمي وهو داخله من إحدى النوافذ العريضة في مبنى أركان الجيش السوري.

والعقيد معسعس، هو خبير متفجرات في الجيش، وهو الذي نسف خط نقل النفط العراقي عبر أنابيب (تابلاين) إلى البحر الأبيض المتوسط عبر سوريا ولبنان،

احتجاجاً على العدوان الثلاثي البريطاني – الفرنسي – الصهيوني عام 1956 على مصر بعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس يوم 56/7/26.

عن شراسة حافظ الأسد

رغم المجازر التي ارتكبها البعث السوري وضباطه ضد الناصريين بعد حركة التصحيح التي قام بها العقيد جاسم علوان في 1963/7/18 وفشلت، وأدت إلى قتل وجرح مئات الضباط وسجن آلاف الناصريين في سجون البعث، فإن الحركة الشعبية الناصرية كانت طاغية في كل أنحاء سوريا وكانت مشاعر الجماهير في كل مدينة وقرية وجامعة وثانوية ومؤسسة سورية ناصرية ترنو إلى إعادة الوحدة تحت قيادة جمال عبد الناصر مع مصر العربية واستعادة الجمهورية العربية المتحدة.

كانت التظاهرات لا تتوقف في دمشق وحلب وبقية المدن السورية تهتف لجمال عبد الناصر ضد حكم البعث الذي كان يومها برئاسة الفريق أمين الحافظ وتحت قبضة اللجنة العسكرية المعروفة.

كانت أجهزة الأمن السورية تعتقل مئات الناصريين وتزج بهم في السجون، ثم تجري لهم محاكمات سريعة وتطلق سراح البعض، وتحكم على آخرين بالسجن بأحكام مختلفة وعندما كان يطلق سراح الكثيرين كان الناصريون يعودون إلى التظاهر من جديد مطالبين بالوحدة مع عبد الناصر وكانت هتافات طلاب جامعات دمشق وحلب وثانوياتهما لا دراسة ولا تدريس إلا بعودة الرئيس (ناصر).

في أحد الاجتماعات التي عقدها المكتب العسكري لحزب البعث لبحث الاوضاع المتفاقمة في الشوارع السورية رفضاً لحكم الحزب، كان من آراء صلاح جديد ومحمد عمران ان يسعوا للحوار مع جمال عبد الناصر، والبحث معه في طريقة عمل وحدوي يتجاوز سلبيات الماضي سواء في عهد دولة الوحدة (1958 – 1961) أو في مباحثات الوحدة السابقة التي انتهت إلى الفشل.

وحده حافظ الأسد (أيده فيما بعد الرائد سليم حاطوم) كان يدعو إلى سحق التظاهرات بالقوة، وإلى إعدام عدد من قادتهم من المعتقلين ليكونوا عبرة للآخرين، قال حافظ الأسد في ذروة انفعالاته ودعوته للتخلص من الناصريين،

فلنطلق الرصاص ولنوزع صور القتلى في كل البلاد لتخاف جماعاتهم فتتوقف عن التظاهر.

وجاء رد صلاح جديد بسؤال حاسم: وهل تريدنا أن نطلق النار على 90% من الشعب السوري الذي يحب جمال عبد الناصر.

فرد حافظ الأسد، فليقتل 90% من السوريين، حتى لو بقي معنا 10% من الشعب فهذا يكفينا.

يومها كان حافظ الأسد واحداً من عدة قيادات وكان هناك آخرون أقوى منه وأهمهم صلاح جديد ومحمد عمران.

أما عام 2011، فإن بشار وماهر حافظ الأسد متفقان على إبادة 90% من الشعب السوري من أجل استمرارهما في السلطة حتى لو بقي معهما من هذا الشعب العظيم 10% فقط.

غير ان هذه الواقعة والتعليق عليها تظل رهناً بطبيعة التركيبة التي ورثها بشار من والده بل، ان هذه الواقعة رسخت في ذهن حافظ الطريقة التي يجب أن يعتمدها ليتمكن من فرض آرائه كما يريد دون اعتراض من أحد، دون مساءلة من أحد ودون أن يخشى أحداً.

واقعة المقدم منصور

وعندما كان حافظ الأسد قائداً للقوات الجوية السورية وكان الصراع على أشده بين الناصريين والبعثيين، وتمكن البعث من ارتكاب المجازر ضد الناصريين في الجيش وفي الحياة المدنية السياسية، فزج بهم في السجون وسرحهم من الجيش ولاحقهم، حصلت واقعة مشهودة بدأت بتوجه رف (سرب من 4 طائرات ميغ 17) بقيادة المقدم منصور المتميز بكفاءة وهو من الضباط الناصريين المستقلين، لمواجهة سرب طائرات صهيونية فوق الجولان السوري قبل احتلاله عام 1967.

توجه حافظ الأسد مع اعلامه بإمكانية الاشتباك مع العدو إلى غرفة عمليات القوات الجوية، وكانت يومها في شارع حلب في العاصمة دمشق للإشراف على المعركة. بعد دقائق من تواجده في غرفة العمليات، تبلغ حافظ الاسد ان ثلاث

طائرات من أصل 4 عادت إلى قاعدتها في منطقة الغجر قرب دمشق، وان الطائرة الوحيدة التي لم تعد هي لقائد الرف المقدم منصور.

يقول أحد شهود غرفة العمليات للمؤلف ان نوبة عصبية انتابت اللواء يومها حافظ الأسد وراح يصرخ شاتماً بالمقدم منصور، متهماً إياه بأنه هرب بطائرة الميغ التي يقودها إلى مصر لينضم إلى حملة جمال عبد الناصر ضد البعث.

ثم صرخ حافظ الأسد بمسؤول استخبارات القوات الجوية النقيب علي سلطان آمراً إياه ان يتوجه إلى منزل المقدم منصور ليعتقل عائلته كلها ويزجها بالسجن عقاباً على فرار منصور بطائرته إلى مصر.

كان النقيب سلطان ضابطاً بعثياً عاقلاً فتحدث بعقلانية لحافظ الأسد قائده العسكري قائلاً: يا سيادة اللواء حزب البعث لم يربنا بهذا الشكل ولم تكن أخلاقنا يوماً أخلاق عصابات.

ثم يا سيادة اللواء – يتابع علي سلطان – ان ما تحمله طائرة الميغ 17 من وقود لا يكفيها للعودة إلى قاعدتها إذا تأخرت في التحليق لدقائق.. فهل يمكن وهل يعقل للمقدم منصور أن يهرب بطائرته إلى مصر وهي في حالة نفاد الوقود؟

بعد 10 دقائق من حوار النقيب سلطان مع اللواء حافظ الأسد تبلغ الأخير ان طائرة المقدم منصور هبطت اضطرارياً في منطقة قريبة من صحراء تدمر وان جماعة من البدو أنقذوا قائد الطائرة والسرب وجاؤوا به إلى قاعدة الضمير وكان السبب نفاد الوقود.

طلاس يكشف معلمه

يعترف مصطفى طلاس في كتابه ان حافظ الأسد أثناء صراعه مع شقيقه رفعت على السلطة عام 1984، أمره أن يمارس شريعة الحرب مع رفعت إذا قاومه، وهذه الشريعة هي: إما غالب أو مغلوب.. قائلاً له: "أنا لا أريدك إلا غالباً".

ويقول ان اللواء ابراهيم صافي وكان اصبح من أنصار حافظ، اعلمه بأنه نصب كميناً لرفعت خلال دعوته لغداء في مطعم العندليب في دمشق، وان الهدف كان اعتقال رفعت، طلاس سأل حافظ ماذا سنفعل إذا قاوم شقيقه فرد الاسد: مارس شريعة الحرب!

لم يأت رفعت وأرسل ست سيارات ملأى بالجنود التابعين له وداروا حول المطعم عدة مرات ثم قفلوا عائدين.

أما سبب عدم مجيء رفعت فيورد طلاس معلومة منسوبة لحكمت الشهابي بأن اللواء شفيق فياض نصح رفعت بعدم الذهاب حقناً للدماء، (متحدثاً عن مصاهرة بين الاثنين فعلاً، ابن شفيق فياض كان سيتزوج.. ابنة رفعت).

كاذب أيضاً

عندما قام حافظ الأسد بإنقلابه في 1970/11/16، اتصل بجمال الاتاسي وكان أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي العربي وأبدى استعداده لإقامة جبهة وطنية تقدمية في سوريا.

كان الاتاسي طرح هذه الفكرة بعد نكسة 67، بعد ان تبين سقوط نظرية حكم الحزب الواحد، لكن بعث سوريا 67 حتى 70 رفضها (صلاح جديد).

اشترط الاتاسي على حافظ بعد ان استشعر ان البعث السوري بعد حركة الأسد وقف إلى جانب جديد وأصدر ووزع بيانات في كل سوريا ضد الطغمة العسكرية الحاكمة، ان تقوم الجبهة بالتساوي بين البعث وكل حزب وطني آخر دون أي تمييز له فوافقه الأسد وراح الاتاسي يقنع الاحزاب الأخرى بتشكيل جبهة مشتركة مع البعث على هذه القاعدة.

لكن حافظ بعد ان ذهب في رحلته إلى المحافظات وخرجت الجماهير في كل بلدة وقرية ومدينة تستقبله كما استقبلت عبد الناصر.. كبر رأسه وغير رأيه.

خرج زعيم حلب أديب النحوي يخاطب الاسد وسط مئات الألوف ليقول له انك تستقبل في حلب كما استقبلت هذه الجماهير أبو خالد عبد الناصر.

وانك الآن على طريق عبد الناصر.. ورد الاسد بالدعوة إلى الحركة العربية الواحدة التي كان عبد الناصر ينادي بها لتوحيد القوى القومية العربية.

عاد حافظ إلى دمشق مغروراً مبهوراً بما حصل فصدق ان كل سوريا معه.. فنسى كل وعوده وشكل جبهة من احزاب شيوعية وقومية وراح يعمل على تفتيت قواها تحت زعم حركات تصحيحية لتتحول القوى الجديدة إلى أدوات استخباراتية ولتتجمد عروق الاحزاب الأخرى فتصبح ضباطاً بلا جنود ولا قرار

ولا سلاح إلا الوظيفة والراتب والسيارة وبعض اعفاءات الجمارك لرؤسائها وامنائها العامين.

في أول لقاء له مع الاحزاب القومية واليسارية تراجع الأسد عن وعوده بالمشاركة كعضو متساو في الجبهة وقال ان البعث هو الذي قاد الثورة وان الجميع لا يملكون حق المناصفة وقال ان للبعث النصف ولكل الاحزاب النصف.

خرج الاتاسي من الجبهة بعد سنة نتيجة ضغط داخل الاتحاد الاشتراكي عام 1973.

عملت الاستخبارات على انشقاق الاتحاد فكان أول انشقاق لفوزي الكيالي الذي كان وزيراً للثقافة.. واسماعيل القاضي الذي عاد وانشق مع الكيالي ثم انشقاق صفوان قدسي المستمر حتى اليوم في الجبهة.

وكاذب أيضاً

وخلال صدامات حافظ مع الاخوان عام 1980، اعتقلت أجهزة أمنه أحد قيادات الاخوان حسني عابو بعد قتل عدنان عقلة (الاثنان من قادة الطليعة المقاتلة للاخوان).

استدعى حافظ عابو لمحاورته، وقال له جاداً انت أمين عام وأنا أمين عام، وأنا أقسم لك بشرفي، انني لن أعدمك شرط ان تدلي باعترافات كاملة عن تنظيمك.

صدق عابو قسم حافظ بشرفه، وطلب بالمقابل ألا يؤذى أحد من جماعته، ثم راح يفيض في الحديث عن تنظيمه، وقدم معلومات جعلت الأمن قادراً على فكفكة التنظيم وانهياره بالكامل.. وبعدها اعدم الأسد عابو رغم قسمه!

نموذج عن شخصيات

جبهة الأسد الوطنية التقدمية

رمضان هدلا وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في سوريا كان يستقبل أصحابه في الوزارة وهو خال من العمل، ويصطحبهم صباحاً إلى السينما وكان معه سائق من الأمن كان يطلب منه أن ينزل بعيداً عن السينما حتى لا يبدو انه متجه إليها، ويطلب أن يعود إليه إلى المكان نفسه.

وزراء كان إذا تم استدعاء أحدهم إلى فنجان قهوة في مكتب رئيس فرع استخباراتي، يأتي بسيارته جالساً خلف السائق ويدخل المقر مستقبلاً بكل احترام.. لكن ما ان يصبح في قاعة الاستقبال بمفرده حتى يأتيه ضابط أمن ويبدأ بصفعه وشتمه وإهانته وأحياناً ضربه بالاحذية وبعد تأنيبه على خطأ ارتكبه يطلبون منه إعادة ترتيب هندامه والعودة بكل مظاهر الاحترام.

الفاسد

كانت خزانة حافظ الأسد الشخصية تستقبل مطلع كل شمس ثمانية ملايين دولار من ثمن بيع 600 ألف برميل من النفط يومياً، بحيث كان مدخول الأسد الأب نحو ربع مليار دولار سنوياً لعدة عقود، ثم ترتفع هذه النسبة.

وكلما ارتفعت أسعار النفط (الطفرة الأولى عام 1973 بعد حرب تشرين بين مصر وسوريا وإسرائيل حيث قفز من 4 – 5 دولارات للبرميل الواحد إلى 40 – 45 دولاراً، والطفرة الثانية عام 1990 حين اجتاح الجيش العراقي الكويت في 1990/8/2 أما الطفرة الثالثة فجاءت أعوام 2004 – 5-6-7-8-9-01-11-2012.

فدخلت خزانة الأسد الأب ثم الابن عشرات المليارات من الدولارات، وكان كذلك يصرف منها على شراء ولاء رجاله في كل المواقع العسكرية والامنية، فوق ما كان يسمح لهم فيه بالرشوة والسرقات وعقد الصفقات. وما زالت إيران تعبيراً عن دعمها لنظام الأسد أباً وولداً تصدر نفطها كي تستخدمه في الاستهلاك الداخلي، وتصدر منه ما يفيض إلى لبنان تحديداً.

معظم أموال حافظ وعائلته في بلاد مختلفة (أوروبا، سويسرا، ألمانيا، النمسا، أوكرانيا، روسيا البيضاء، لبنان، البحرين، دبي مع دولة الامارات العربية).

وقد سمع المؤلف من أحد رجال الاعمال الكبار في الامارات ان هناك ما يقارب الـ 5 مليارات دولار في مصارف دبي، وقد رفضت حكومة الامارات العربية المتحدة التي كانت تحتفظ لفترة طويلة بعلاقات جيدة مع الأسد الأب والابن نتيجة الخدمات الأمنية وغيرها التي كانت حكومات الاسدين تقدمها لدولة الامارات، إبقاء أي بنس واحد من أموال الأسد بأسماء شخصية في الدولة العربية الخليجية، وطلبت تحويلها بإسم الحكومة السورية.

وقد تبين صدقية وبعد نظر دولة الإمارات العربية، التي اعتبرت ان حكومة سوريا وطنية يرضى عنها الشعب السوري وحدها هي التي يحق لها سحب هذه الاموال خاصة مع اكتمال اعتراف العالم بالمجلس السوري ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب السوري بعد اكثر من عام ونصف على انطلاق ثورة السوريين على حكم آل الأسد.

وقد سأل المؤلف شخصية عربية نافذة عن سر قرار دولة الامارات ثم ألا تستطيع الحكومة السورية سحب هذه الاموال بدل تجميدها في دبي؟ فجاء رده بشكل سؤال حين قال: ألا ترى ان حكومة الامارات تنفذ قرارات دولية بفرض عقوبات ومنها مصادرة أموال، على أشخاص في النظام السوري.. وهي أي حكومة أبو ظبي لن تخرق القرارات والعقوبات الدولية؟ إلى النفط فإن واردات الجمارك السورية وهي بمليارات الدولارات سنوياً كانت ترسل مباشرة إلى خزانة حافظ الأسد، الذي كان يحتفظ بالقسم الأعظم منها، ثم يحول إلى الخزانة الرسمية السورية ما يمكنها من احالتها إلى الموازنة السورية السنوية.

نماذج

من أساليب فرض الأسد

شراكته على رجال الاعمال

1977

دون أي مقدمات، اعتقلت أجهزة الأمن السورية عدداً من رجال الاعمال السوريين الذين شكلوا فيما بعد أهم حلفاء نظام حافظ وبشار الأسد.

اقتيد رجل الاعمال السوري الشيعي صائب نحاس إلى سجن الشيخ حسن في دمشق، هو السجن الذي بني في عهد العثمانيين.

كان صائب نحاس وكيلاً لعدة شركات طيران عربية ودولية، وكانت التهمة جاهزة، بأنه يستغل شركته ووكلاءه في الخارج لتهريب عملة أجنبية إلى مصارف خارجية، وكانت عقوبة هذه التهمة تتراوح بين 10 و15 سنة، إذا ثبت وقوع التهريب.

توسط رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الذي خطفه معمر القذافي في ليبيا في 1978/8/31، الإمام موسى الصدر لدى الاجهزة الأمنية السورية، لإطلاق سراح رجل الاعمال الشيعي السوري الذي يقدم مساعدات للمجلس ولبعض الجماعات الشيعية في سوريا ولبنان.

ووفق مصادر المجلس الشيعي، فإن الإمام الصدر لم ينجح في إخراج نحاس من السجن بعد عدة أشهر إلا بعد ان تنازل نحاس عن القسم الأعظم من أسهم شركاته لمصلحة الشقيقين حافظ ورفعت الأسد.. ليس بصفتهما الشخصية بل عبر ضباط أمن كبار قدموا له ما يفيد انه سيكون شريكاً مرتاحاً، وسيدير استثمارات الكبار في السلطة بكل ثقة.. فيما بعد.

وبعد هذا التاريخ تنوعت أعمال صائب نحاس وشملت إلى جانب وكالات السفر والطيران الفندقة والمطاعم والعقارات في الاماكن الدينية خاصة في السيدة زينب وكل ما اكتشفه الحرس الثوري الإيراني في سوريا من مراقد (وهمية أو مصطنعة أو عادية) لمن يقول الإيرانيون انها لشخصيات شيعية!!

2- عثمان العائدي هو رجل الاعمال الثاني الذي اعتقلته الاجهزة الأمنية السورية في الفترة نفسها وأودعته سجن الشيخ حسن.

كان العائدي وكيل شركة طيران غازيل الفرنسية (فضلاً عن شركات فرنسية أخرى) والغازيل كانت تورد طائرات عامودية للجيش السوري.

و لم يخرج العائدي الذي أصبح من كبار أثرياء سوريا في الداخل والخارج، إلا بعد ان وقع عقد شراكة مع أجهزة الأمن.. ومنها إلى آل الأسد.

3- نزيه هدايا وكيل أدوات كهربائية أساسية للمنزل السوري غسالات، برادات، مرئيات.. كان الثالث مع نحاس والعائدي و لم يخرج إلا بعد توقيع عقد الشراكة.

4- عبد الرحمان العطار وكيل شركات دول اشتراكية كان يستورد منها مواداً صناعية ومواد تموين.

5- محمد الديك وهو لبناني الأصل من مدينة طرابلس، وهو وكيل أهم شركات الصناعات الهندسية والكيماوية.. وكانت زوج الديك تعمل مديرة لمكتب رئيس الوزراء السوري في عهد الأسد محمود الأيوبي.

بعد ان وقع كل من نحاس والعائدي والعطار وهدايا والديك على كل ما يحتاجه الشقيقان الحاكمان.. خرجوا جميعاً من السجن وقد توزعت فترة اعتقالهم بين سجن الشيخ حسن والشقق المفروشة في منطقة برزة إحدى ضواحي العاصمة دمشق.

لم يشف اعتقال هؤلاء الحيتان غليل كثيرين من المواطنين العاديين الذين كانوا يرون كيف فتح لهم حافظ الأسد الابواب كي يغتنوا لقاء ولائهم له ثم كيف أصبحوا من أكثر أغنياء سوريا تمويلاً لنظامه الارهابي.. خاصة وان كثيرين كانوا يتناولون أخبار وجبات الطعام التي كانت تأتيهم من نادي الشرق في قلب دمشق، وهو يكاد يكون المطعم المعتبر الوحيد في كل سوريا في تلك الفترة وكان ملتقى وزراء وضباط ومسؤولي سوريا، الذين يدعون الضيوف الكبار إلى موائده، وتلتقي فيه دائماً نخبة المجتمع الغنية المتشاركة مع ضباط حافظ ورفعت.. وبشار الأسد.

فساد من الباطن

مقاول سوري معروف، تقدم لمناقصة مشروع مقاولات في سوريا بمبلغ 200 مليون ليرة سورية، لكن أحد أقرباء زوج حافظ الأسد عدنان مخلوف طلب من المقاول أن يرفع سعر المناقصة إلى 400 مليون ليرة.

فوجىء المقاول بالطلب الغريب، لأنه كان يفترض ان مخلوف أو غيره سيطلب منه تخفيض المبلغ من 200 مليون إلى 175 أو 150 مليون مثلاً.. ليحصل على المناقصة، ولم يتوقع أن يضاعف المبلغ إلى 400 مليون ليرة.

لم يجد المقاول الساذج إلا ان يستجيب لعرض مخلوف، خاصة بعد ان شرح له هذا كيفية تعويض خسائر المشروع!

قال له مخلوف أنت ستحصل على رخصة استيراد 50 ألف طن من الاسمنت للمشروع، بينما لن تحتاج إلا إلى 10 آلاف طن، وستستورد برخصة 20 ألف م خشب، ولن تستخدم سوى 10 آلاف م من الخشب، وستحصل على رخصة استيراد 20 ألف طن من الحديد ولن تستخدم في المشروع سوى 5 آلاف طن.
وهكذا

سنأخذ نحن كل ما يزيد من اسمنت وخشب وحديد في المشروع لنبيعه في السوق السوداء وسيكون فرق البيع في السوق السوداء أكثر من 600 مليون ليرة سورية (السعر الرسمي للدولار لا يتجاوز الـ 9 ليرات، بينما في السوق السوداء كان سعر الدولار 50 ليرة سورية).
بالمناسبة

فقد اعتقل مقاول لا يملك خبرة دهاليز علاقة أجهزة الأمن بقطاع الأعمال، لأنه عرض رشوة على أحد المسؤولين خارج هذه الاجهزة فتم اعتقاله وحكم عليه بالاعدام، ولم ينقذه سوى ان زوجه كانت مدرسة لزوج حافظ الأسد أنيسة مخلوف التي تدخلت لدى بعلها لإخراجه من السجن بعد ان دفع المعلوم.

القذافي يصف الأسد بالراقصة

بعد توقيع حافظ الأسد اتفاقية وقف اطلاق النار في الجولان مع وزير خارجية أميركا هنري كيسنجر عام 1974 أرسل اللواء يومها حكمت الشهابي إلى ليبيا للحصول على مساعدة بإسم قرض بـ 100 مليون دولار.

استقبله العقيد معمر القذافي وبعد ان استمع منه إلى مطلبه وعده خيراً وقال له ابحث الأمر مع عبد السلام (كان الرائد عبد السلام جلود هو رئيس وزراء ليبيا يومها).

وقبل أن يلتقي الشهابي جلود عرج على الرائد عبد المنعم الهوني وكان وزيراً للخارجية ليبحث معه الأمر، قائلاً له: نحن صحيح أعلنا وقف إطلاق النار على الجبهة، لكننا نعد لتحرير جبل الشيخ.

فتوجه الهوني إلى جلود ليقول له: ما قيمة المال أمام دماء الشهداء، وقد وافق جلود الهوني رأيه وكان من رأيهما ان تدفع ليبيا المال مساعدة لسوريا.

كان للقذافي رأي آخر فقد استقبل الاثنين قبل لقاء الشهابي مع جلود ليسأل القذافي زميليه: يا عبد السلام ماذا تفعل الراقصة عندما تنهي وصلتها.. فرد جلود: تلم النقطة أي تجمع المال.. فضحك القذافي قائلاً: هذا هو حال حافظ الأسد اليوم.. يقول انه حارب في اكتوبر، وها هو أنهى الحرب وجاءنا يشحذ

المال.. لا تعطوه فلساً.. لقد التقيت عدداً من السوريين العاملين في ليبيا وقالوا ان الأسد لن يحارب وهو يكذب عليك.

وفيما بعد زار القذافي دمشق ونزل مرة في فندق (شيراتون)، فقال لمن حوله هذه أموالنا نعطيها لحافظ حتى يحارب فيبني فيها الفنادق.

المهم

ان جلود والهوني عصيا أمر القذافي، واستدعى جلود كرئيس للوزراء وزير المالية محمد رجب زروق ليطلب منه توفير مئة مليون دولار تقدم إلى سوريا، فأجابه زروق ليس لدينا أموال سائلة الآن، لكننا نستطيع أن نؤمن المبلغ من شركات النفط ونقبض منها سلفاً لقاء بيع النفط متأخراً، وفي هذه الحالة فإننا سندفع المبلغ على دفعتين 50 مليوناً في كل مرة، فقال جلود حسناً، ثم كتب له رسالة كقرار من رئيس الوزراء بصرف المبلغ.

أخفى جلود والهوني الأمر عن معمر، وفي الطريق إلى المطار مع الشهابي لتوديعه أبلغه الهوني ان مبلغاً بـ 50 مليون دولار سيصل إلى مصرف سوريا المركزي خلال 48 ساعة والمبلغ الآخر وأيضاً 50 مليون دولار سيصل سوريا بعد شهر واحد.

وللحصول على الموافقة المكتوبة بعد ان حول الزروق النصف الأول من المساعدة لسوريا، وجه رسالة إلى مجلس قيادة الثورة لتثبيت الأمر بقرار يصدر عنه ليحصل على نسخة منه يحتفظ بها بين أوراقه.

لكن الرسالة وقعت في يد القذافي وليس في أمانة السر، جن جنون معمر وأمر بتأليف محكمة مالية لمحاكمة عبد السلام والهوني وزروق.

وزير المالية جاء للرائد الهوني شاكياً باكياً قائلاً بأن العقيد اتصل به وهدده بأنه سيشنقه في ميدان الشهداء في طرابلس، فهدأ الهوني من روعه طالباً منه تقديم الرسالة التي جاءته من جلود والهوني، وكان الأخير خاطب كل أعضاء مجلس قيادة الثورة فوافقوا على دعم سوريا.. إلا معمر.

لم يقتنع زروق فأرسل إلى محافظ مصرف سوريا المركزي ما يفيد بأن المبلغ الذي تم تحويله وهو 50 مليون دولار أرسل بالخطأ ويطلب استعادته إلى مصرف ليبيا المركزي.

فإتصل الشهابي بجلود يسأله عن رسالة وزير مالية ليبيا، فرد جلود معتذراً بأن في الأمر خطأ من زروق وان على الشهابي أن ينسى الموضوع فالمال مالكم.. لكن النصف الآخر لم يصل إلى سوريا، حيث تم إيجاد التوازن بين رفض معمر وتأييد جلود والهوني.

ثلاثة أشهر هزت سوريا

يذكر مصطفى طلاس ان حافظ الأسد أرسل في مناسبة أخرى محمد الخولي إلى معمر القذافي كي يطلب منه مبلغاً نقدياً ليعطيه لشقيقه رفعت ثمناً لخروجه من دمشق، وان العقيد الليبي كان في مزاج جيد فدفع أكثر مما طلبه حافظ من مال عن طريق المصرف المركزي، فأعطى حافظ المبلغ الذي طلبه رفعت واحتفظ هو بالباقي.

محاولة اغتيال حافظ الأسد 1980

حاول الاخوان المسلمون قتل حافظ الأسد على باب القصر الجمهوري أثناء وداعه رئيس دولة في غرب افريقيا، حيث رمى العنصر الاخواني من آل درويش قنبلة يدوية أمام رجلي الأسد، لكنها لم تنفجر ومع هذا رمى الحارس على باب القصر الفلسطيني الأصل نفسه على القنبلة، و لم يصب أحد بأذى.

اعتقلت أجهزة الأمن 300 شاب وفتاة من آل درويش في حلب وأعدمتهم رغم ان أحداً منهم لا علاقة له بالأمر ولا ينتمي أي منهم للاخوان.

رمضان هدلا (قيادي من الاتحاد الاشتراكي) وزير دولة لشؤون مجلس الوزراء يروي ان رفعت الأسد دخل عليهم في رئاسة مجلس الوزراء وقال بحضور عدد من الوزراء حازماً احمدوا الله ان الرئيس لم يصب بسوء، ولو أصابه ضرر لكان لا يكفينا تعويضاً أقل من قتل مليون رأس في سوريا.

والمعلومات التي يعرفها السوريون ان رفعت وجه مدافع وراجمات ودبابات سرايا الدفاع كلها حول دمشق لقتل مليون سوري.

وما الذي يفعله بشار ابن حافظ وابن شقيق رفعت في مواجهة الشعب السوري غير ان يوصل عدد الذين يقتلهم إلى المليون انسان من أجل أن يظل حاكماً بعصاباته لـ 23 مليون سوري؟

محاولة اغتيال حافظ الأسد في رومانيا

أجهضت السلطات الرومانية محاولة لاغتيال حافظ الأسد عام 1987 دبرتها مجموعة من الاخوان المسلمين السوريين الدارسين في رومانيا بمعاونة السلطات العراقية التي زودت المجموعة الاخوانية بالأسلحة (أبرزهم هيثم رحمة عضو أمانة عامة في المجلس الوطني وجماعة الاخوان هؤلاء كانوا تحت قيادة عدنان سعد الدين الذي كان مقيماً في بغداد مرتبطاً بالاستخبارات العراقية).

اخترقت استخبارات رومانيا هذه المجموعة واعتقلت عناصرها.. ولم يعلم السوريون بالمحاولة إلا بعد سقوط حاكم رومانيا نيكولاي تشاوشيسكو 1989 ك1/ديسمبر. تدخلت السلطات العراقية لعدم بث أي خبر عن العملية ودفعت مالاً لرومانيا حتى لا يحاكموا.. وتركوا بعد عام واحد.

مواسير إسرائيلية لمصفاة بانياس

عام 1976 وفي مرفأ برايبلا في رومانيا على نهر الدانوب أفرغت سفينة إسرائيلية مواسير صناعية إسرائيلية على رصيفه لتحملها سفينة شحن سورية بعد ان أزيلت عنها عبارات وإشارات إسرائيلية ونقلت إلى مرفأ بانياس لاستخدامها في إنشاء مصفاة بانياس الشهيرة.

المشرف على هذه العملية كان المقدم السوري خليل بهلول من مؤسسة الاسكان العسكري الذي هرب إلى ليبيا فيما بعد، اثر اتهامه بسرقة مبالغ طائلة من الأموال من المؤسسة نفسها.

رابين لا يحب القمر الدين

يروي الرئيس حسني مبارك جانباً من فشل آخر مفاوضات أجراها رئيس وزراء العدو الصهيوني اسحق رابين مع حافظ الأسد بطريقة غير مباشرة (عبر فاروق الشرع وحكمت الشهابي، وآخر محاولة عن طريق الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون).

يقول مبارك ان حافظ الأسد أبلغه ان الأمور ماشية مع رابين وان هذا الأخير اعترف بالوديعة التي سلمها للأميركان، وفيها التزامه بالانسحاب إلى حدود عام

1967 عند خط الهدنة في الجولان.. وان رابين أبلغ مبارك الأمر نفسه.. إلى ان فوجىء مبارك باتصال من رابين يقول له فيها ان الأميركان أبلغوه ان حافظ الأسد تراجع عن الاتفاق مع إسرائيل في آخر لحظة خلال لقائه مع كلينتون.

فوجىء مبارك كما روى ثم اتصل بحافظ مباشرة ليسأله عن سبب التراجع، فرد حافظ بالقول يا سيادة الرئيس، أنا لا أستطيع أن أرى العلم الإسرائيلي يرفرف في دمشق، ولا أضمن ردود الفعل السورية الشعبية والعسكرية على ذلك، كما انني لا أستطيع أن أضمن رد الفعل الفلسطيني على وجود علم سوري في أرض فلسطينية محتلة.. ويستطرد الأسد شارحاً لمبارك قوله: وضعنا في سوريا يا سيادة الرئيس غير وضعكم، فالسوريون ما زالوا يعتبرون فلسطين جزءاً سليباً من سوريا كما الاسكندرون الذي سلبه الاتراك خلال الاحتلال الفرنسي.

وخلال النقاش قال حافظ لمبارك: إذا أراد الاسرائيليون التواجد في دمشق.. فليكن ذلك من خلال شقة في منطقة بعيدة عن أعين الناس، ويكتب على بابها مكتب رعاية المصالح التجارية لإسرائيل في سوريا..

نقل مبارك هذا الكلام لرابين، فاستشاط رئيس وزراء العدو غضباً، صارخاً عبر الهاتف: قل لصديقك حافظ الأسد انه إذا كان يريد أن يبيعنا القمر الدين فإن رابين لا يحب القمر الدين.

ويستطرد مبارك قائلاً في أكثر من مرة للصحافيين في عهد حافظ وابنه بشار، انه يجزم ان لا حافظ ولا بشار كانا يريدان تسوية مع إسرائيل حتى لو استرجعت سوريا الجولان كله، لأن انتهاء حالة الحرب مع إسرائيل كانت ستفرض عقوبات على حافظ وبشار ان يستجيبا لكل مقومات السلم في سوريا، فهما ملزمان بعد ذلك بإلغاء حالة الطوارىء والاحكام العرفية، والانفتاح الاقتصادي والسياسي والسماح بقيام أحزاب مستقلة، واعلام حر ومستقل والسماح بالتحركات السلمية: إضرابات، اعتصامات، عصيان مدني..

وهذا يعني بالضرورة سقوط النظام الذي أقامه حافظ بإسم مقاتلة إسرائيل.. وذبح فيه الديموقراطية وكل حرية في سوريا.

روى نائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام للكاتب ان عدداً من الضباط العلويين المقربين من حافظ الأسد كانوا سألوه أكثر من مرة عن سبب

عدم توقيع معاهدة سلام مع العدو الصهيوني، علماً بأن هذه المعاهدة كانت تلبي كل مطالب سوريا في استعادة الاراضي المحتلة، ولا تكلف دمشق أكثر ما كلفت مصر التي استرجعت سيناء مقابل معاهدة "كامب ديفيد".

يقول خدام: ان الأسد كان يجيب ضباطه بأن استرجاع الجولان ليس مشكلة أبداً، لكن المشكلة هي ان يقول السوريون ان العلويين بقيادة حافظ الأسد هم الذين وافقوا على رفع علم إسرائيل في عاصمة الأمويين، وهذا أمر لو حصل فسيأتي وقت يحفر فيه السوريون قبري لتحميلي وزر هذا القرار!!

الأسد والسادات

محمد جوهر كان ضمن الوفد الاعلامي المصري الذي رافق السادات في زيارته إلى سوريا.. حيث كان السادات أعلن في مجلس الشعب استعداده لزيارة الكنيست.

في دمشق كان الأسد غاضباً من قبول السادات زيارة القدس وظل عابساً، ونزل إلى سيارته قبل السادات، نزل السادات فوجد ان الأسد يجلس في سيارة الرئاسة ليصحبه إلى المطار لتوديعه وظل طوال الطريق مديراً وجهه نحو الشارع لا ينظر إلى السادات.

الغضب كان سبباً أساسياً إنما المفاجأة التي عرفها السادات فيما بعد ان الأسد رافق السادات بالسيارة حتى يحميه من محاولة كان أعدها رفعت لخطف السادات لمنعه من السفر إلى القدس.

الفصل الثالث

نقطة ضعف حافظ الأسد

- **مقدمة**
- **خدام: باسل يحكم بحضور حافظ**
- **حكمت الشهابي لا يواجه باسل**
- **أكذوبة الرجل الثاني**
- **حكمت وبشار**
- **باسل يهدد آصف شوكت ويبعده**
- **الأسد يستنجد بالشيخ التويجري**
- **آل مخلوف ضد آصف**
- **هل قتل باسل؟**
- **حافظ ووفاة باسل**

نقطة ضعف حافظ الأسد

حافظ الأسد القوي.. كانت نقطة ضعفه أولاده، هذا الديكتاتور القاسي الذي لا يرحم، لم يمانع في نفي شقيقه رفعت إلى الخارج، ولم يمانع في التخلص من رفاقه واخوانه وأقرب المقربين منه، إذا شعر أو شك أو اعتقد أو ظن ان أحداً منهم يريد منه السلطة.. أو حتى مشاركته فيها.

(صلاح جديد، محمد عمران، نورالدين الاتاسي، محمود الزعبي، سليم حاطوم والعشرات وربما المئات، أصدر حكماً بإعدام مؤسس حزبه ميشال عفلق وقتل رفيقه صلاح البيطار..).

لم يكن لحافظ الأسد حزب، أو قيم، أو أخلاق.. كان لديه نظامه، وأمنه وسلطته.. وقبل كل هؤلاء أولاده.

ربط حافظ بين النظام وبين أولاده.. هو والسلطة، باسل والسلطة، يُقتل باسل فيصبح هو وبشار والسلطة، ولو ظل مجد حياً حتى لو كان مريضاً لسلمه السلطة إذا ذهب بشار.. أو قتل ماهر.

بشرى كانت ذات شخصية قوية، وحيدة بين أربعة شبان هي كبراهم، كانت ذات دالة خاصة على أبيها، وستظهر ذلك بعد فرض زواجها من ضابط متزوج ولديه عدة أولاد من زيجات سابقة.

صدمة عمر حافظ كانت في مصرع ابنه باسل، وكان الرئيس حمل كنيته أبا باسل، بعد ان كانت كنيته الحزبية أبو سليمان قبل تسلمه الرئاسة.

ورغم ان حافظ كان يراعي رفعت كثيراً في الحياة وفي الجيش وفي السياسة ونقله من موقعه ضابطاً في الأمن العام إلى ضابط في الجيش، ليصبح الرجل الثاني في سوريا من حيث القوة بسبب قبضته على سرايا الدفاع التي تجاوزت في أعدادها وقوتها وتسليحها كل فرق الجيش السوري التي كانت بقيادات رفاقه، إلا انه لم يكن لحظة ليفكر فيه خليفة له.

ظهرت في مطلع ثمانينيات القرن الماضي مع الدور القمعي لسرايا الدفاع في مواجهة من اعتبرهم حافظ خصوم نظامه، مقولة رددها كثيرون وهي ان رفعت سيحكم سوريا خلفاً لحافظ إذا مات أبو باسل باكراً، أما إذا طال العمر بحافظ فإن باسل هو الذي سيحكم.

وكان باسل ما زال شاباً يافعاً يتابع دراسته الثانوية ويشرف على رعايته رفيق الأسد محمد ناصيف وهذا الضابط العلوي ينتمي إلى عشيرة المتاورة العلوية وهو من عائلة هواش من صافيتا وعم والده هو زعيم العشيرة المتماسكة، عكس عشيرة الأسد الموزعة فروعاً عدة بين أفخاذ وبطون.

المعادلة إذن هي بين رفعت وباسل وثالثهما حافظ ومع ان الكاتب البريطاني باتريك سيل أورد في كتابه الثاني عن سوريا (حافظ الأسد – الصراع على الشرق الأوسط) ان حافظ الأسد دخل في غيبوبة عام 1983، دفعت رفعت لأن يحاول تسلم السلطة مستعجلاً، قبل أن يتسلمها رفاق ورجال أخيه المريض المنافسين له.

إلا ان عبد الحليم خدام يروي لنا ان حافظ لم يدخل أبداً في غيبوبة مصححاً واقعة باتريك سيل (حديث مطول مع خدام أجري في منزله في باريس خلال الفترة من 16 إلى 2011/10/21).

يقول خدام ان حافظ الأسد أصيب بنوبة قلبية ألزمته الفراش والعلاج، وانه زاره بعد نصف ساعة من النوبة ووجده صاحياً لم يدخل في أي غيبوبة.

يقول خدام ان الرئيس الأسد قال له وهو على فراش المرض ان الرئيس أمين الجميل كان قادماً إلى دمشق لمقابلته فطلب منه أن يتوجه إلى قصر بعبدا في لبنان ليعتذر بإسمه عن استقباله في دمشق بسبب عملية جراحية بسيطة أجريت للرئيس.

لم يشأ حافظ أن يتحدث هاتفياً هو أو خدام مع الجميل لذا توجه خدام إلى لبنان لينقل ما يريده حافظ مباشرة إلى الجميل.

يروي خدام ان رفعت الأسد جاءه إلى مكتبه قائلاً له ان هذا يموت، فهل نترك البلد للآخرين، فأخبرته ان أخاك لا يموت بل هو مصاب بنوبة بسيطة وقد تجاوزها لكنه يحتاج للراحة عدة أيام (يتابع خدام للمؤلف: كنت أدرك ان حافظ الأسد يعالج أيضاً من سرطان في الدم، وهو يقاومه جيداً ويتعايش معه ويعالجه

بنجاح.. والدليل انه استمر في تعايشه مع هذا المرض الخبيث 17 عاماً. توفي حافظ الأسد في شهر حزيران/يونيو 2000).

كنا ندرك ان ضباطاً كثيرين وأقوياء في الجيش معظمهم من العلويين تحلقوا حول رفعت، وأعطوه قوة وأوحوا له بالثقة لاستعجال تسلمه السلطة.

ويكشف خدام انه سعى مع العماد حكمت الشهابي وكان رئيساً للأركان ومع رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية العماد علي دوبا ورئيس اتحاد نقابات العمال في سوريا عزالدين ناصر، لفكفكة هذه المجموعة حول رفعت، وقد نجحنا في ذلك إلى حد كبير، بعد ان أقنعناهم في جلسات حوار صاخبة ان تسليم رفعت السلطة لن يمشي أبداً، لأن هذا الأمر سيدمر البلد ويدمركم.

إلى ذلك فإن خصوم رفعت كانوا كثراً، كانوا في الجيش وفي الأمن وفي الحزب يكرهونه بسبب سلوكه المستفز والمنحرف وتسلطه كما تسلط جماعاته في كل مكان.

كان رفعت أيضاً ضعيفاً في القيادة القطرية، ولم يكن معه سوى ثلاثة رفاق هم سعيد حمادة، ووهيب طنوس وتوفيق صالحة، وقياساً بتجربة حافظ الأسد مع صلاح جديد عام 1970، حيث كان صلاح أقوى من حافظ بكثير داخل القيادة الحزبية، فإن ما حسم الأمر هو القوة العسكرية التي كانت لدى حافظ.. وهو ما لم يتوافر اليوم (1983) لرفعت اللهم إلا إذا خاضها معركة "علي وعلى أعدائي" عندها سيتم تدمير سوريا، وربما يفتح الباب لحروب لا تنتهي.

إثر إبعاد حافظ لشقيقه وعدد من القيادات العسكرية في طائرة حملتهم إلى موسكو، عاد الجميع ما عدا رفعت الذي ترك موسكو إلى أوروبا متنقلاً بينها وبين الرياض والقاهرة حتى استقر في لندن حتى اليوم 2011.

هذا السيناريو اعتقده كثيرون خطة دبرها حافظ لضرب عدة عصافير في حجر واحد:

1- إبعاد شقيقه الجموح الشبق للسلطة، وكان الأسد مستعداً لقتل كل من يقترب أو يهدد سلطته حتى لو كان شقيقه.

2- ضمان ولاء مجموعة الضباط الذين وزعهم حافظ في مواقعهم للإمساك بأمن نظامه بعد ان خلصهم من خصم شرس كان مستعداً أن يقتلهم جميعاً من أجل أن يصبح رئيساً لسوريا هو رفعت الأسد.

3- فتح المجال أمام توريث ابنه في مقايضة قد تكون منطقية وهي تصور قول حافظ لجماعته: لقد خلصتكم من شقيقي فاقبلوا ابني. لكن عبد الحليم خدام له رأي آخر.

لم يدر في ذهن أحد عام 1983 ان حافظ الأسد يهيء لتوريث باسل وكان الأمر محصوراً في ذهن حافظ وحده، فهو بعد ان أنهى دراسته الثانوية ودرس الهندسة ونال شهادته بالتزوير أدخله الجيش، وأصعده بسرعة صاروخية وأكمل دورة عسكرية لم تدم أكثر من ستة أشهر، ثم أدخله الحرس الجمهوري.

بدأ باسل يتدخل في شؤون المؤسسة العسكرية وفي أمور الدولة بعدها، كنا نتحدث مع حافظ فكان يرد: سأرى الموضوع، كان يعد ابنه ليحكم بعده، وهو ضعيف جداً أمامه كما أمام أولاده الآخرين، كان حافظ يعتبر سوريا مزرعة وهو صاحبها، وهو من حقه أن يورث من يشاء وابنه هو من شاء توريثه.

خدام: باسل يحكم بحضور حافظ

يقول خدام:

كان باسل حريصاً على تشكيل مجموعة خاصة به داخل القيادة والسلطة التنفيذية والجيش والأمن ليكون له جهازه الحزبي والحكومي والأمني والعسكري.

طرح تكليف عبد الكريم وزيراً للنقل، فاعترضت لأن الرجل لا يصلح لهذه الوزارة.. ولا لغيرها.

ظللنا نناقش الأمر لساعتين ونصف.. حتى قال حافظ: نحسم النقاش بالتصويت، و لم يكن ممكناً سقوط طلب باسل حافظ الأسد في التصويت، فقلت لحافظ سيادة الرئيس: أرجو ألا تحيل الأمر للتصويت فهذه إرادتك والتصويت لا لزوم له.

بعد عدة أيام يجيء عبد الكريم لي ليقول: يا أبو جمال أنا صديقك، فلماذا تعترض عليّ، أجبته كما قال خدام: لأن هذه الوزارة ستدخلك السجن، بعد 3 سنوات دخل هذا الوزير السجن.

كان الأمر يبدو محسوماً في أذهان قيادات أساسية في سلطة الأسد، لكن أحداً لم يجرؤ على مفاتحته في أمر التوريث، فحافظ الأسد عوّد كل من معه ان يتعاملوا معه بمنطق الطاعة العمياء.

كبار ضباط الجيش الذين كانوا يرون ان باسل يتدخل في التشكيلات العسكرية، وفي التنقلات، ما كانوا يجرؤون على مراجعة والده، و لم يجرؤوا حتى على عقد اجتماعات يتسرب منها نقاش كهذا، فجميعهم مراقبون أولاً من بعضهم، ثانياً من أجهزة حافظ نفسه، وهذه فوقها أجهزة تراقبها وكلها تكتب تقارير له، يمضي الساعات الطوال يقرأها ويبدأ تقييمه لجماعته بناء عليها..

كل رؤساء أجهزة الأمن مرتبطة به، فرئيس الاستخبارات العسكرية يرتبط به وليس برئيس الاركان ورئيس شعبة الأمن السياسي يرتبط به وليس بوزير الداخلية، ومدير الاستخبارات العامة يرتبط به وليس بقائد الجيش.

كان حافظ الأسد يمضي الساعات على الهاتف مستمعاً إلى قادة الفرق ورؤساء الاجهزة الامنية، سائلاً عن كل أمر، موجهاً تعليماته في كل المسائل التي تهمه، وتمس أمن نظامه بدءاً من الجيش والأمن.. وكثيراً ما كان الأسد يستدعي هذا الضابط أو ذاك، ليتناول طعام الغداء أو العشاء معه، في ترتيب خاص ليظهر أهمية هذا الضابط عنده، فكان الجميع يتسابقون لخدمته.

كان حافظ يعمل بين 18 إلى 20 ساعة، وما كان لينام قليلاً إلا بعد ان يطمئن إلى وضع سوريا أمنياً، فهو يريد أن يعرف كل شاردة وواردة.. وقد حقق ما يريد، فلم يصدر قرار أمني من أي مسؤول إلا بعد إطلاعه عليه وموافقته، سواء كان الأمر متعلقاً باعتقال استاذ جامعة أو سجن ضابط أو قتل معارض، وكان يعرف كل أنواع التعذيب التي يمارسها رجاله ضد كل معتقل سواء كان معارضاً جدياً أو مشتبهاً به أو تشابهاً في اسمه مع إسم مطلوب.

كانت تعليمات الأسد واضحة، إذا أخطأ معارض يجب تنبيهه، فإذا استمر في خطئه، والخطأ هنا هو كلمة قالها لا تعجب الأسد أو نكتة رددها تمس النظام.. فعلى الأمن التعامل معه بمنتهى القسوة.

كان يطلب التقارير عن كل من حوله، حتى عن شقيقه رفعت وزميل عمره المخلص له مصطفى طلاس، وكان بارعاً في عمل التوازن بين جماعاته، حتى إذا خرج أيٌ منهم مهما كان كبيراً، يتم التخلص منه بسرعة.. وهكذا تخلص من شقيقه رفعت.

حكمت وباسل

قد يفاجأ السوريون عندما يعرفون انه لم تكن هناك علاقة بين رئيس الاركان حكمت الشهابي، وبين الضابط في صفوف الجيش باسل الأسد، ولم يراجع مرة في تدخل هذا الضابط في شؤون الجيش ودون العودة أو احترام انضباطية وتراتبية المؤسسة العسكرية.

كان أبو حازم يردد انه ما دام حافظ الأسد يعرف ويسكت فما قيمة ان أتكلم أنا، وهل لو تكلمت كان الرئيس سيستجيب لكلامي ويسفه موقف ابنه.

كان الشهابي أقدر الناس على معرفة نقطة ضعف حافظ الأسد.. في نجله.. بل في أنجاله..

والمفاجأة الأهم ان حكمت الشهابي وهو رئيس الاركان وهو في ترتيب الجيش في عهد الأسد قائداً للجيش، الذي هو على تماس مباشر مع الجيش، وله اليد الطولى في كل صغيرة وكبيرة بعد الرئيس الذي هو القائد الأعلى للقوات المسلحة.

حكمت الشهابي لم يزر القطعات العسكرية طيلة فترة توليه هذا المنصب، ولهذا الموقف الغريب حكاية أغرب:

بعد تعيين الأسد لحكمت الشهابي رئيساً للأركان، كان أحد رجال الأسد العسكريين اللواء شفيق فياض، من أشد المنتقدين لهذا التعيين، حتى انه عندما دخل في حالة سكر شديد اتصل بالقصر الجمهوري وتحدث مع سكرتير الرئيس محمد دعبول (أبو سليم) ليفتح قاموساً من الشتائم ضد هذا السني "الحقير" الذي سيكون رئيساً له.

قال فياض لأبي سليم: قل للرئيس من أين جاء لنا بهذا الحمار ليحكمنا، نحن رجاله الحقيقيون ولن نخضع لأي من قراراته!!

تبلغ الشهابي ما قاله فياض من سهارى في منزله لم يشاركوه شرب الكحول، فانتظر أن يتصل به الأسد ليطيب خاطره، أو ليعلن له انه اتخذ إجراء بحق فياض، أو انه طلب من فياض أن يتصل به ليعتذر منه.. فلم يحصل أي أمر من هذا.

هنا قرر الشهابي أن ينكفيء وأن لا يزور أية قطعة عسكرية بعد ذلك إلى ان أحيل على التقاعد.

يقول خدام انه سأل الشهابي ولماذا لم تطلع الرئيس على ما حصل معك، فرد: هذا الأمر أصبح عند الرئيس وهو لم يفعل شيئاً، فهل تطلب مني أنا أن أفعل؟ لكن القدر هو الذي فعل، في فرصة جاءت للشهابي وغيره.. وما قدر.

أكذوبة الرجل الثاني

الانطباع بأن حكمت الشهابي كان الرجل الثاني بعد حافظ الأسد في سوريا، هو اكذوبة اخترعها وصدقها المقربون من الشهابي، أو هو خطأ شائع انتشر واعتمد كأنه حقيقة.

يقول صديقه عبد الحليم خدام: في سوريا كان حافظ الأسد هو الرقم واحد، والواحد هذا يستمر حتى الرقم 100 وأكثر وبعده تستطيع ان تحسب من الذي يليه أو يلي المئة والاكثر التي يمثلها.

حكمت وبشار

ما ان تسلم بشار مهمات علنية ورسمية في سوريا في حياة والده، حتى بدأ حملة شرسة ضد العماد الشهابي، قيل ان وراءها "زلمته" بهجت سليمان، وقيل أيضاً ان بشار لم يكن يحب الشهابي.. لماذا؟ لأن الشهابي كان يرفض أن يلتقي بشار، صحيح ان هذا الأخير لم يطلب يوماً لقاء الشهابي لكن الأخير لم يكن يحترمه، وكان يردد أمام مقربين جداً مخلصين وكتومين، ان هذا الولد غبي سيطيح بكل شيء بناه والده.

غير ان الاهم ان بشار ورث من مربيه محمد ناصيف والعصبية العلوية كراهية كل شخصية سنية خاصة في الجيش وخاصة إذا كانت مستقلة فكيف إذا اقتنع

بنظرية العصبية السنية التي روج لها حاقدون وجمعت حكمت الشهابـــي وعبد الحليم خدام ورفيق الحريري غير ان هذا موضوع آخر.

بدأت الحملة اعلامية، حيث استدعى بهجت سليمان جماعته في جريدة "الحياة" اللندنية ابراهيم حميدي ومراسل "الشرق الأوسط" ابراهيم عوض ومراسلة إذاعة لندن في دمشق سلوى اسطواني وآخرين ليحدثهم عـن فساد حكمت الشهابـي وأولاده، وعن الصفقات التي عقدوها بالرشوة وجمع الاموال بطريقة غير مشروعة.

في حين ان وليد جنبلاط كان الرجل الوحيد الذي دافع عن الشهابـــي في لبنان وزاره في مستشفى الجامعة الأميركية حيث دخلها لإجراء فحوصات طبية، فإن رفيق الحريري استضافه في داره في قريطم ولم يكن أحد ليجرؤ على الدفاع عن الرجل الذي يقدره كثيرون في سوريا.

كان لسان حال الناس يردد: يهاجمون حكمت الشهابـي وهم أكلوا البلد كلها، كان الجميع بدأ يدرك ان بشار تماماً مثل أخيه الذي سبقه وأولاد العمومة وأولاد الخؤولة وأولاد الخالات.

قيل يومها أين حافظ الأسد؟ ويجيب عبد الحليم خدام انه التقى الرئيس وكان مريضاً ليقول له لا يجوز هذا الذي يجري لأبـي حازم، استنكر الأسد الأمر وأمر بوقف الحملة فتوقفت، ومرة أخرى كان أبو حازم ينتظر اعتذاراً مـن أحـد. لم يحصل عليه أبداً وبدل الاعتذار اختار الشهابـي الاعتزال فهو يعيش اليوم في لوس انجلوس حيث أصبح ابنه قنصلاً فخرياً في هذه المدينة وهو رجل مريض لا يريد أن يشارك في عمل سياسي. (الابن أعلن انشقاقه وتأييده للثورة السورية في ربيع 2012).

كان حكمت الشهابـي يقدم نفسه للأميركان وكل من هو خارج بلاده انه الرجل الثاني في سوريا.. لكنه منذ بدأ حافظ الأسد تهيئة ابنه باسل للوراثة.. وراح هذا الأخير يتجاوزه في كل مفاصل المؤسسة العسكرية التي يرأسها، وضع الكثيرون شكوكاً حول مكانة الشهابـي في النظام، رغم انه بات كثير الزيارات لأميركا لأسباب عائلية حيث يعيش بعض أولاده فيها، فضلاً عن حاجته الدائمة لإجراء فحوصات طبية بمساعدة نجله الطبيب في أحد مستشفياتها.

باسل يهدد آصف ويبعده

كان آصف قد تقدم للزواج من بشرى فتم رفض طلبه، لكنه ظل يلتقي بها، وقيل دائماً بعيداً عن أعين الرقباء في دمشق، فكان آصف يلتقي بشرى في اللاذقية حيث كانت الحجة ان بشرى تشرف على علاج شقيقها المدمن مجد فيها. وقيل ان آصف كان منتدباً كضابط أمن لمرافقتها.

علم باسل بالأمر فهدد آصف بالقتل، ثم أمر بسجنه مجرداً إياه من كل رتبه العسكرية محيلاً إياه على التقاعد.

وقبل أن نتابع يحق لنا كما للقارىء أن يتساءل: ما هي مسؤولية ضابط برتبة رائد (باسل) ان يجرد ضابطاً أرفع منه رتبة المقدم آصف؟

أين هو رئيس الاركان العماد حكمت الشهابـي وهل وافق على إجراءات باسل؟ وماذا فعل؟

(وقائع عن علاقة الشهابـي بباسل في مكان آخر من هذا الكتاب).

الأسد يستنجد بالشيخ التويجري

كان نائب رئيس الحرس الوطني في المملكة العربية السعودية، الشيخ عبد العزيز التويجري صديقاً مقرباً من حافظ الأسد، إلى حد ان الرئيس السوري طلب من صديقه مشورة حول المشكلة التي تقض مضاجع أفراد أسرته.

سأله رأيه في زواج بشرى من آصف شوكت فرد عليه الشيخ المثقف ذو الرأي الحصيف.. مازحاً اسمع مني وزوج ابنتك.. فهو أمر جيد ان وجدت رجلاً يرضى بها زوجاً له.. ضحك الاثنان كثيراً، وراح الشيخ الجليل بمطالعة إنسانية أدبية ليقنع الرئيس بضرورة هذا الزواج تلافياً لأي خطأ، وتجنباً لأي استغابة لن تكون لمصلحة الأسرة، وحتى يخلص الرئيس من صداع يشغله عن مسؤولياته.

اقتنع حافظ الأسد بكلام الشيخ التويجري، وشكره وودعه للعودة إلى حيث مقر إقامة الشيخ السعودي الذي ما ان وصل إلى مقره حتى تلقى اتصالاً من الأسد ليفاجأ بطلبه ان يستقبل التويجري وفي ساعة أولى من فجر يوم تالٍ نجله باسل ليقنعه بما أقنع به الوالد.

استقبل التويجري باسل الأسد فجراً، وراح يقنعه بما حدث به الرئيس قائلاً له اختك لن تتزوج إلا هذا الضابط، فلماذا تريد أن تكون عقبة أمام سعادتها؟ وأنت طبعاً لا تريد حدوث فضيحة سيتحدث عنها العالم وتحرج والدك الذي ظل اسمه بعيداً عن أي شبهة..

لم يخرج باسل من لقائه مع الشيخ السعودي إلا بعد ان وعد التويجري بألا يقف حجر عثرة أمام زواج شقيقته من آصف شوكت.. وهذا ما حصل.

بعد مقتل باسل عام 1994 جاءت أنيسة مخلوف إلى بعلها حافظ الأسد لتفاتحه في أمر زواج بشرى من آصف قائلة له: يا أبا باسل لقد خسرنا ابننا ولا نريد أن نخسر ابنتنا.

وتابعت أنيسة قولها: بشرى رأسها يابس ومصممة على الزواج من آصف، وإذا اعترضنا هذه المرة فإنها تهددنا بالانتحار.. وانت تعرف انها ستفعلها.

رضخ حافظ لحديث أنيسة وطلبها، فاستدعى آصف وشيخاً علوياً وعقد قران الاثنين، ثم أمر بترحيلهما خارج سوريا.

بعد فترة عاد الاثنان إلى سوريا واستدعى الطبيب اللبناني النسائي كرم كرم ليشرف على حمل بشرى وفي أول إنجاب كان لبشرى من آصف ثلاثة توائم حملوا أسماء بشرى وأنيسة وباسل.

آل مخلوف ضد زواج آصف من بشرى

ولا يمكن فهم عداء باسل الشخصي والحاسم ضد زواج آصف من شقيقته، إلا إذا عرجنا على صراع النفوذ والاقتراب من عائلة الأسد بين آل مخلوف وآصف شوكت.

كان آل مخلوف يخشون مشاركتهم منزل حافظ الأسد الرئيس والأب، ووجدوا في آصف منافساً قوياً جداً. فآصف هو ضابط شاب شجاع وذكي وذو كاريزما وجاذبية، والأهم فوق هذا انه من النوع الذي يستهوي ثقة حافظ الأسد لأدواره التي يحبها فهو دموي، شرس بلا قلب، بلا رحمة، وهي الصفات التي

كانت لمعظم ضباط حافظ الأسد خاصة في أجهزة الأمن، واللبنانيون يعرفون هذه الخصال في غازي كنعان (جذاب، لبق، حيوي، ذو كاريزما، لكنه كما يصفه عارفوه بلا قلب، بلا رحمة..).

نافس آصف آل مخلوف في مصالحهم المالية والتجارية داخل سوريا، فعمل آل مخلوف على إيغار صدري بشار وماهر ضد صهرهما اللذين لم يعترضا على زواجه من اختهما بشرى، كما فعل شقيقهما الأكبر باسل.

استند آل مخلوف إلى عمتهم أنيسة لتعزيز مكانتهم داخل القصور الجمهورية في دمشق وحلب واللاذقية، واستند شوكت إلى زوجه بشرى ولم يخفف حلف أنيسة وابنتها ضد أسماء الأخرس الحمصية القادمة من بريطانيا، من تنافس الصهر وأولاد الخال.

ومثلما عمل أولاد محمد مخلوف في الأمن والمصالح المالية والاقتصادية.. في كل حقل من حقوله، كذلك كان لأولاد آصف (من زوجه الأولى) مصالح في حقول مختلفة استناداً إلى علاقة والدهم بالاستخبارات الفرنسية فقد حصل الأولاد على وكالات شركات فرنسية، لكنهم عندما حاولوا الحصول على حصة في شركة "توتال" داخل سوريا فشلوا لتمسك أولاد مخلوف بها.

دل هذا على صراع بين الصهر وأولاد الخال للحصول على عطاءات في النفط والبناء والسياحة وعقود شركات فرنسية وأميركية وكندية، فلما انكسر فيها أولاد شوكت لحساب أولاد مخلوف راحت بشرى تسعى لحصول بعلها على رخصة تشغيل شركة هاتف خلوية ثالثة في سوريا.

ورغم وعد بشار لها بالحصول على هذا الترخيص، فإنه لم ينفذ رغبة شقيقته، التي أدركت انها كسرت في هذا الصراع كما كسر بعلها.

حاول آصف شوكت بعد ذلك تعزيز وجود شركة "توتال" الفرنسية لعقود جديدة في مجال النفط علّه يحصل على حصة عجز عنها سابقاً، فلما استقر العطاء على شركات أميركية وكندية، وراح بشار يفسر عداء الرئيس الفرنسي جاك شيراك لنظامه بعد اغتيال رفيق الحريري عام 2005، بسبب خسارته صفقة "توتال"، أدرك آصف ان آل مخلوف لن يغفروا له قربه من آل الأسد عن طريق مصاهرتهم.. وها هو يدفع ثمن عدم غفران آل مخلوف.

هل قتل باسل؟

كان باسل ساهراً في ملهى ليلي مع ابن خاله حافظ مخلوف (نائب رئيس جهاز الأمن الداخلي اليوم) وكان يعاقر الخمر حتى جاء موعد سفره إلى النمسا، فخرج يقود سيارته التي تلقاها هدية من أمير قطر خليفة بن حمد بنفسه مسرعاً سكراناً فوصل إلى دوار المطار فاصطدم به و لم يتمكن من السيطرة على مقود القيادة وهو في حالة السكر الشديد.. فانقلبت السيارة عدة مرات ليقتل على الفور ويصاب ابن خاله حافظ مخلوف والسائق.

يقول خدام ان باسل ربما كان متوجهاً إلى فيينا حيث كان فتح حساباً مصرفياً بمبلغ ضخم وصل إلى 1.400 مليون دولار، وكاد هذا المبلغ يضيع لولا مشورة محام شاطر أوصى بأن يعلن بأن باسل كان متزوجاً حتى تحصل أرملته على هذا المبلغ، فجيء بفتاة من القرداحة وعقد شيخ علوي قراناً بين الاثنين بتاريخ رجعي وذهبت الفتاة الارملة العذراء إلى فيينا لتحول المبلغ الضخم إلى حساب فتح بإسمها في دمشق، ثم وقعت على تحويله لحساب أسرة الأسد وتناولت ما فيه النصيب.

هكذا انتهت حكاية باسل.. ولم تنته اثار "إنجازاته" و"فروسيته" التي نصبت لها التماثيل من منافقي السياسة السورية والمستفيدين منها في لبنان.. وبعد مصرعه.

أقيمت أندية ثقافية بإسمه، أطلق اسمه على شوارع ومؤسسات، وعندما كان المنافقون يحتاجون المال كان غازي كنعان يستدعي يتامى الاستخبارات السورية الذين أثروا من السرقات التي أباحها نظام الوصاية السورية على لبنان ليأمرهم ان يدفعوا لإنشاء هذه المؤسسة أو إقامة هذا التمثال.

عندما طرد نظام الوصاية في لبنان بعد ثورة 14 آذار/مارس 2005 نسفت تماثيل حافظ الأسد ونجله باسل ومزقت صور بشار حتى اضطرت جماعاته في بيروت لنزعها تلقائياً خوفاً من دوسها بالأقدام كما حصل مع تماثيل الأسد وباسل.

أحد أشهر إنجازات باسل على الاطلاق هي القضية التالية:

كان باسل يمارس هواية الفروسية، وكان يمني نفسه بالزواج من إحدى كريمات العائلات العربية المالكة، ولم تكن هذه تعيره أي اهتمام رغم ملاحقته لها،

لأنها كانت زميلة لشاب سوري دمشقي يهوى أيضاً ركوب الخيل بل وهو متفوق في فروسيته، مما دفع باسل لأن يضع هذا الشاب في رأسه، خاصة بعد فوزه في إحدى المباريات المحلية.

اعتقل الشاب الدمشقي بتهمة مختلقة، ورمي في السجن، وفي عهد الأسد الأب والابن لا يحتاج الأمن السوري لإلصاق أي تهمة ولا يتعب نفسه في التفكير بتهمة، بل يرمي أي إنسان في السجن وفق مزاج أي ضابط أمن..

مضت سنوات على سجن الشاب الدمشقي، قتل خلالها باسل، فاتصل والد الشاب بأحد الضباط الكبار بواسطة أحد أقاربه ليعرض عليه الأمر راجياً مستعطفاً وبعد ان وصل الأمر إلى حافظ الأسد رد على الجماعة بواسطة الضابط بالقول: الذي أدخله السجن هو وحده القادر على إخراجه منه؟!

باسل وزواج بشرى من آصف

رفض باسل بشدة زواج شقيقته الكبرى والوحيدة بشرى من الضابط النشط آصف شوكت، لأسباب عديدة، فهو أولاً من أصل بدوي سني من إحدى قرى الحدود المشتركة بين شمالي لبنان وسوريا، قصد جده منطقة العلويين وانتمى إليهم. ثانياً يكبر آصف بشرى بعشر سنوات ثالثاً، كان آصف شوكت متزوجاً ومطلقاً لمرتين وتردد كثيراً عن صدامات بين آصف وباسل، وقيل ان ابن الأسد هدد الضابط الأمني بالقتل ان اقترب من أخته.

واستجاب حافظ لرفض نجله الوريث الذي لم يرث فقد قتل في حادث سيارة مطلع 1994، وسافر الاثنان عام 1995، وكشفت السفارة البريطانية في دمشق ان بشرى وآصف تقدما بطلب لزيارة بريطانيا كي تتابع بشرى دراستها العليا في جامعة كامبردج.

حافظ ووفاة باسل

كتب الاديب السوري انعام الجندي مقالاً في نشرة "سوريا الحرة"، بعد وفاة باسل الأسد تحت عنوان: "الأسد لم تذرف من عيني دمعة" جاء فيه ان حافظ الأسد عندما تبلغ وفاة ابنه سأل.. قتلوه؟! ووقف فوق جثته و لم تذرف من عينيه

دمعة، اختلى حافظ بجثة باسل لمدة ساعة في غرفته ثم خرج وكأن شيئاً لم يكن رغم ان باسل كان يتصرف كحاكم فعلي في عهد والده وكان رئيساً جاهزاً بصلاحيات كاملة في كل سوريا.

سمعت من صديق حكمت الشهابي في لبنان محسن دلول ان الشهابي هو الذي أبلغ الأسد بالخبر بعد ان اتصل به فجراً في الهاتف طالباً السماح له بالمجيء إليه، وان الأسد ظل متماسكاً و لم تذرف من عينيه دمعة.

برر الجندي هذا الموقف الغريب لأب فوق جثة ابنه ان ثلاثة من كبار عوائل القرداحة رووا له حادثة هي التي أثرت في مسار حياة حافظ الأسد، وهي ان والده أمر شقيقه الأكبر بأن يأخذ "الطحنة" من القمح للطاحونة كالعادة، وكان القمح عزيزاً يكاد يحسب بالحبة أو بقبضة اليد، وعندما عاد شقيقه من الطاحونة سأله والده لماذا كان الطحين ناقص الوزن فتلعثم الولد الأكبر لعلي الأسد وأعرب عن جهله بالسبب. عند التحقيق والتعنيف اعترف الابن انه اعطى الطحان قبضة يد مقابل الحصول منه على حلوى بإسم الدبقة، فثار والده وشده إلى حيث ينام الحمير في الحظيرة الملاصقة لغرفة الجلوس والنوم للعائلة وعلقه من يديه في سقف الغرفة، وراح يجلده أمام عيني حافظ، و لم يتوقف عن الجلد إلى ان فارقت نفس شقيقه الحياة.

كان حافظ مشدوهاً بعينيه، حابساً الدمع عاجزاً عن الفعل..

يروي أهل القرية ان حافظ الأسد لم يذرف دمعة منذ ذلك التاريخ على أي حدث مهما كان مروعاً.

علوية الجيش السوري

جيش المساكين قبل الثورة وبعدها

مصطفى طلاس خدم الثورة من حيث لا يعلم

المحاكم الميدانية تلاحق الجنود الثوار

ثغرات الجيش الحر

جدول بالكتائب المسلحة

المقدم حسين هرموش يرفض الخضوع للاخوان المسلمين

كيف خطف الهرموش وهدد بلال: المفاجأة والصفقة

تواطؤ علني تركي – علوي مع استخبارات بشار

مقدمة

علوية الجيش

كان العميد السني في الجيش السوري عبد الوهاب سنجاب، يـذهب إلى وظيفته الادارية في قيادة الأركان راكباً دراجة، بينما كان مساعد علـوي في الاستخبارات السورية يدعى حسين بطاش يقود سيارة مرسيدس "شبح" مسروقة من لبنان.

والافظع ان حسين هذا وهو برتبة رقيب في الجيش اللبناني يـدير فـرع استخبارات في مدينة حلب.

علوية الجيش السوري

كيف يمكن تفسير وجود نسبة من الضباط العلويين في الجيش السوري بأعلى من نسبة وجودهم السكاني العام؟

بل كيف يمكن تفسير اختيارهم الانتماء أساساً إلى حزبـي البعث والقـومي السوري؟

صحيح ان ضباطاً علويين كانوا ناصريين، وساسة علويين أيضـاً كـانوا وظلوا ناصريين، كما شيوعيين.. لكن وجودهم في هـذين الحـزبين يطـرح تساؤلات يعزز منها الصدام الذي حصل بين الحزبين سـنوات الخمسـينيات والستينيات ثم تراجعها في السبعينيات إلى عودتها حلفاً بعد ذلك في ظل حافظ ثم بشار الأسد الذي عين رئيس الحزب القومي السوري في سوريا علي حيـدر وزيراً لما يسمى المصالحة الوطنية بعد مرور 16 شهراً على ثورة الشعب السوري العظيم.

وان يتقدم الفقراء للانتساب إلى الكلية العسكرية ليجدوا لهم مكاناً في المجتمع تبعاً لأحلامهم وحقوقهم.. فهذا أمر منطقي، أما أن يصبح الانتماء إلى الجيش هو

طريق اعلاء شأن الطائفة، فالتفكير الجمعي هنا يشير إلى تخطيط مسبق حتى لو ساعدت الظروف السياسية والتطور الاجتماعي وأخطاء الحكام وسلبية الاغلبية وهروبها من واجبها ودورها في استمرار نسبة وجودها في المؤسسة الأم.. في جعله تخطيطاً منطقياً فهل كان العقيد أديب الشيشكلي طائفياً، حين تعمد وهو السني غير العربي، أن يحظر بشكل غير رسمي أو معلن دخول الدروز والعلويين إلى الكلية العسكرية في حمص، لتخريج ضباط ينتسبون إلى ويعملون في الجيش السوري؟

وهل كان أكرم الحوراني عروبياً – اشتراكياً حين كسر هذا القرار، وفتح المجال واسعاً حين كان وزيراً للدفاع لدخول أبناء الاقليتين الدرزية والعلوية (والاسماعيلية) الجيش نفسه؟

أياً يكن الجواب فإن حافظ الأسد وكثيراً من أقرانه فقراء العلويين الذين استفاد فلاحوهم من توزيع الاراضي الذي قام به الحوراني في ريف مدينته حماه، استفادوا أكثر من اختراق الجيش السوري بأعداد أهّلتهم مع الظروف الموضوعية والمآسي التي لحقت بسوريا وجيشها ليصبحوا هم عصب هذا الجيش الذي دخل المواجهة المباشرة مع الشعب السوري، وشن أغرب حروب العالم بين مواطنين وسلطة، تذبح فيها دبابات النظام ومدفعيته وراجماته وشبيحته أعناق السوريين بما لم يكن لأي عاقل تصور هذا المصير.. حين خطط حافظ الأسد للقفز على السلطة، ومارسها ببشاعة لا تجاريها بشاعة في التاريخ ثم سلمها لابنه لإكمال طريقه بما هو أسوأ.

فكيف تم التمهيد ليكون الجيش السوري وأجهزة الدولة السورية الامنية هو جيش وأجهزة العلويين.. ثم أضيف إليه الشبيحة، آخر إنجازات عائلة الأسد حيث نشأ هذا الجهاز المافيوي في الساحل.. في اللاذقية في متنفس جبال العلويين الساحلي، وبمبادرة وامرة آل الأسد تحديداً.

وقبل ان نأتي إلى التفصيل لا بد من إيراد هذه الفقرة عن الاثنين المتناقضين المتحابين:

الحوراني والشيشكلي مع العلويين ضد الدروز

كثيرون يعتبرون ان أكرم الحوراني هو الذي فتح الباب لدخول العلويين إلى الجيش السوري. كان الرجل يعتبر إدخال العلويين البعثيين إلى الجيش هو تقوية للبعث في المؤسسة العسكرية وعندما عين وزيراً للدفاع دخل حافظ الأسد وصلاح جديد وعشرات الضباط العلويين الجيش وهو ما كان شبه محظور في عهد أديب الشيشكلي. ومن شدة حقد حافظ الأسد انه منع دفن جثمان الحوراني في مدينته حماه.. مما دفع أقاربه إلى دفنه في الاردن في انتظار نقل رفاته إلى بلده. ويسجل أهل حماه ان ثورتهم الأولى ضد البعث بدأت عام 1964 وكان أحد أسبابها إقصاء أبرز قادتها أكرم الحوراني عن قيادة البعث الذي ساهم في تأسيسه.

كان جبل العلويين جزءاً من ريف حماه، وعندما نفذ الحوراني اصلاحاً زراعياً في سوريا، وزع فيه أراضي شاسعة على الفلاحين استفاد العلويون منه كغيرهم.

نظر البعض إلى الحوراني كأحد أبرز قادة سوريا الاشتراكيين الذين سيسوا الجيش السوري، حتى ان بعضهم أطلق عليه اسم أبو الجيش، وكان له داخله ضباطه، ومعظم الانقلابات العسكرية التي نفذها الجيش السوري منذ العام 1949 كان للحوراني وضباطه دور فيها.

أقوى قادة الجيش الذين نفذوا انقلاباً عسكرياً واستمر حكمه ثلاث سنوات 1951 – 1954 أديب الشيشكلي، كان يستشير أكرم الحوراني، سياسياً، رغم ان الحوراني كان نهج خطاً مختلفاً عن خط الشيشكلي الذي كان فرض شبه حظر على دخول العلويين والدروز والاسماعيليين الجيش، وكان يعتقد ان الجيش يجب ان يظل في قبضة الاغلبية السنية.

أقدم الشيشكلي على عملين خطيرين في مفهوم ذلك الزمان هو العنف الذي استخدمه ضد جبل العرب حيث الاغلبية الدرزية، وعندما سلم السلطة طوعياً عام 1954 اثر زحف الضباط المعادين له على دمشق، وطلب من قواته عدم القتال وغادر إلى البرازيل، لحقه شاب درزي هو نايف غزالة بعد عدة سنوات إلى هناك ليقتله انتقاماً لمواجهاته العنيفة السابقة ضد الدروز.

الأمر الثاني الذي أقدم عليه هو انه أعدم سليمان المرشد الشاب العلوي الذي ادعى النبوة.

وعندما اقتحم الجيش السوري في عهد حافظ ورفعت الأسد مدينة حماه في 1982/2/2، كان المرشديون جزءاً من القوات المقتحمة.. فعاينوا الحمويين الذين كانوا من حزب الشيشكلي ومارسوا ضدهم كل أنواع القتل..

السلطة الغاشمة

في كتابه "أيام مع القدر" السلطة الغاشمة صفحات من الذاكرة حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا (الجزء الأول) يقول مؤسس البحرية العراقية سفيره لدى عدد كبير من الدول، الضابط السوري البعثي عبدو الديري:

ان آمري الكليات العسكرية والجوية والبحرية في الفترة من العام 1965 حتى العام 1974 كانوا كلهم من العلويين.

- كان مدراء المدارس الحربية لضباط الصف علويين.
- آمرا الكلية العسكرية عامي 1964 - 1965 هما الضابطان العلويان العقيد محمود يونس والمقدم شفيق عبدو..
- ومعظم الضباط الذين صنعوا نظام حافظ وبشار الأسد هم تلامذة هذين الضابطين من محمد الخولي وعلي حبيب وعلي حيدر إلى علي اصلان ومحمد ناصيف.
- في عهد آمر الكلية الجوية المقدم ياسين أحمد الذي كان قومياً سورياً "تبعثن" أي تحول إلى بعثي، فاز العلويون بحصة الأسد أي 70% من الطلاب المتحنين بينما حصل الطلاب السنة والدروز والمسيحيون والاسماعيليون على 30%.
- ابن خالة حافظ الأسد الملازم طبيب عيون ابراهيم نعامة، والطبيب العلوي الآخر ظافر بيطار (أمراض باطنية) كانا مشرفين على اللجنة الطبية في الكلية العسكرية لامتحان الطلاب طبياً، وكانا هما المصفاة التي يعلق أو ينجو فيها الطلاب لدخول الكلية.. ويا لهذه المصادفات الغريبة حيث كان العلويون وحدهم هم الذين يعلقون في شبكتها ولا يتسرب خارجها إلا غيرهم، قبلت

الكلية العسكرية في عهد نعامة وبيطار الطلاب العلويين وسقط طلاب دمشق وحلب وحمص وحماه. كما كان الأمر مستفزاً حتى لعظام النظام، فهذا د. مظهر العظمة وهو بعل د. نجاح العطار وزيرة ثقافة حافظ الأسد نائبة بشار يقول: ان هناك حالات تزوير مخزية حصلت في نتائج امتحانات الدخول إلى الكلية العسكرية. (راجع واقعة اغتيال الدكتور نعامة في مكان آخر من هذا الكتاب).

لم يكن الاصطفاف المذهبي بين سني وعلوي مطروحاً في سوريا بهذه الحدة وبهذا الحزم قبل انقلاب 8 آذار/مارس 1963، لأن سوريا كانت ترفع شعار القومية العربية ووحدة النضال العربي، وتفتح المجال لكثير من العروبيين من الوافدين إليها للإقامة وممارسة العمل السياسي كعرب وسوريين لا فرق في ظل السعي للأمان داخل ربوعها قبل تسلم حزب البعث السلطة فيها. ففارس الخوري اللبناني المسيحي من الكفير في منطقة حاصبيا، أدى دوراً بارزاً وتبوأ أعلى المراكز في سوريا. وأكرم الحوراني ذهب إلى العراق للقتال إلى جانب حركة رشيد عالي الكيلاني ضد الاحتلال البريطاني عام 1941.

الخوري اللبناني وقف مع أركان الكتلة الوطنية السورية في محاربة الاستعمار الفرنسي واللبناني شوكت شقير كان رئيس أركان الجيش السوري وهو أول من كسر احتكار السلاح الغربي بعقد صفقة مع روسيا لشراء السلاح الشرقي، وكذلك كان عفيف البزري اللبناني قائداً للجيش في سوريا.

كانت أوضاع سوريا وثقافتها ومجتمعها وسياستها وتعليم أجيالها بعيدة عن الطائفية وعندما تأسس حزب البعث العربي في 1947/4/7 عقب مؤتمره التأسيسي الأول في دمشق، ضم بين طياته عرباً سنّة وشيعة وعلويين ومسيحيين ودروزاً من كل أطياف المجتمع السوري.. ومن كل مناطق سوريا، لذا يجب ان نفرق بين حقيقة ما جرى وبين ما آلت إليه الاوضاع من حمى طائفية في هذه الايام، كان الجيش السوري عقب الاستقلال يضم في صفوفه كثيراً من الضباط ونواب الضباط وأصحاب الرتب الصغيرة من كافة أنحاء سوريا وبصورة خاصة من أبناء العائلات المعروفة كالأتاسي والكزبري والحناوي والزعيم والقوتلي والعائلات الدمشقية المرموقة.

محاولة انقلاب 1963/7/18

خطط الضباط الناصريون بقيادة جاسم علوان ومحمد الجراح لانقلاب عسكري يعيد ثورة 8 آذار/مارس إلى أصولها القومية الناصرية، ولكن استخبارات البعث كانت متابعة لتفاصيل هذه الخطة الساذجة منذ بدايتها، ووجدت اللجنة العسكرية عصب البعث العسكري المحاولة فرصة للتخلص من الناصريين، وكان يوم 1963/7/18 هو يوم له ما بعده بل يمكن تأريخ كل ما حصل في سوريا فيما بعد من هذا اليوم.

فشلت الحركة الناصرية فبدأ البعث أوسع حملة تسريح طالت المئات من الضباط الناصريين بعد اعدام العشرات وهرب البعض.

كان المسرحون من الناصريين وبقية القوى يتهمون بأنهم ضد القومية والعروبة، وبأنهم مرتبطون بالأجنبي وكانت هذه وسيلة وخطاب البعث للتخلص من الضباط الوطنيين في الجيش السوري.. ليخلو الجو للضباط العلويين في ملء الفراغات بمزيد من العلويين.. غير ان هذه لها تفاصيل سترد تباعاً.

كان البعث السوري يتبع الاسلوب الدموي الذي اتبعه بعث العراق في تصفية خصومه، فتدخل ميشال عفلق لدى أمين الحافظ الذي كان قد أخذ مكانه الجديد بديلاً عن الفريق لؤي الاتاسي، لوقف الاعدامات ونجح بتخفيض بعض أحكام الاعدام ضد عدد من الضباط كان منهم أربعة مساقون للإعدام فعلاً فخفف الحكم إلى السجن المؤبد.

قائد المحاولة الفاشلة العقيد جاسم علوان استطاع ان يفر عبر لبنان إلى القاهرة، كثيرون يعتبرون ان فشل هذه المحاولة ونتائجها المأساوية أسست فيما بعد لإضعاف الوجود (السني) في الجيش السوري فخلا الجو لسيطرة الضباط العلويين بإسم البعثية.. خاصة وان الذين راحوا يتسلمون المواقع الاساسية في الجيش والدولة هم ضباط اللجنة العسكرية المشار إليهم وأغلبيتهم الساحقة من العلويين (بقي ان اللواء زياد الحريري الذي كان قائداً للجبهة ويتمتع باحترام وثقة العسكريين وكان خارج التجاذب بين البعثيين والناصريين وقاد الانقلاب في 1963/3/8 استغله البعثيون للتخلص من الفريق الناصري لؤي الاتاسي وعندما أصبح الحريري وحيداً

تم اعفاؤه بسهولة وإخراجه من الجيش عندما كان خارج سوريا فآثر المجيء إلى لبنان ليعيش فيه في منطقة الصنائع في بيروت).

المرحلة الثانية من علوية الجيش السوري

المرحلة الثانية من علوية الجيش السوري بدأت في الصراع بين اللجنة العسكرية وأمين الحافظ وهي التي جاءت به من الارجنتين حيث كان ملحقاً عسكرياً في سفارة سوريا فيها ليرأس مجلس قيادة الثورة كما ورد خلفاً للفريق لؤي الاتاسي. وإذ يمكن رصد التنافس على السلطة كسبب للصراع بين الرفاق أبناء الحزب الواحد والسعي لاكتساب العسكريين كل إلى جانبه مسعوراً بحمى هذا التنافس، فإن المذهبية بدأت تطفو على سطح الاحداث في سوريا بدءاً من المؤسسة التي من المفترض ان تجمع بين أبناء الوطن من كل الملل والطوائف والمناطق والطبقات وهي الجيش وكان الأولى ان تجمع بين رفاق الفكر الواحد، والحزب الواحد والقيادة الواحدة والتربية الواحدة والثقافة الواحدة والتطلع الواحد والاهداف الواحدة.

من القيادة العسكرية والتي عرف الحافظ ان معظم ضباطها من العلويين أو هم تحت سيطرة الثلاثي العلوي محمد عمران، صلاح جديد، حافظ الأسد.. قبل أن يكتشف الحافظ ان عمران كان أقرب إلى ميشال عفلق وصلاح البيطار ولم يكن ذا عصبية علوية بدأ أمين الحافظ يستعمل الاسلوب المذهبي ويطلق النعوت السلبية ضد اللجنة العسكرية وبصورة خاصة حافظ الأسد، صلاح جديد (محمد عمران).

أضعف هذا الاسلوب معركة شرعية القيادة القومية، وطوق نشاط الضباط العلويين البعثيين الذين لم يشك أحد في ولائهم للقيادة التاريخية للحزب وأبرزهم: علي مصطفى وسليمان حداد.

ساعد أسلوب أمين الحافظ في اصطفاف الضباط السنّة حوله مثل صلاح الضلّي ومصطفى طلاس ومحمد عارف الكيالي وآخرين، ومع هذا كان معه من الدروز فهد الشاعر ومن العلويين كما أسلفنا علي مصطفى وسليمان حداد وآخرون، لكنه ساعد أيضاً في اصطفاف العديد من الضباط العلويين حول

قيادتهم.. و لم يخرق هذه القاعدة سوى مصطفى طلاس الذي كان من أشد أنصار أمين الحافظ ثم حصلت واقعة يجب ان نرويها لنعرف أسباب انصراف طلاس عن الحافظ إلى اللجنة العسكرية وضباطها العلويين.

قبل واقعة طلاس نكرر بأن تكاثر العلويين في الجيش وفي الإدارات جاء مع تعدد دورات قبول ضباط في الجيش ومع تطور الحياة الاقتصادية في سوريا، وانصراف شباب المدن السنة عنه إلى الحياة التجارية والمهنية الأخرى بدراسة الطب والهندسة والصيدلة والمحاماة.. وكلها مهن كانت شبه مقفلة على أبناء المدن سنّة ومسيحيين.

واقعة طلاس

اتخذ التنافس بين المجموعتين بعداً شاملاً، انقسمت حياله الثكنات العسكرية المهمة. ومن أبرز ما جرى في أواخر عام 1964، تخلي اللواء، آنذاك مصطفى طلاس، قائد اللواء المدرع الخامس الرابض في مدينة "حمص" عن الفريق أمين الحافظ وانضمامه إلى تكتل حافظ الأسد – صلاح جديد. تدعو الأسباب وراء هذا الحدث، كما روي في ذلك الوقت.. إلى الاستهجان وربما التباكي.

وتشير الرواية التي أكدّ صحتها، أكثر من طرف إلى ما يلي:

أحيا نادي الضباط في "حمص" حفلة غنائية، دعيت إليها المطربة ذات اللون البدوي "سميرة توفيق" حضرها جمع كبير من بينهم مصطفى طلاس الذي خصصت له طاولة مجاملة لمكانته العسكرية فدعا عدداً من اصدقائه لمجالسته من بينهم شاب من آل الاتاسي، معروف في الاوساط الاجتماعية..

دبّ الحماس على وقع الانغام وصوت المطربة سميرة وتمايل الاجساد الغضة، فاندفع ضيف طلاس ابن الاتاسي للصعود إلى المسرح والرقص أمام المغنية. فتضايقت وأبدت اشمئزازاً ونهرته فلم يرتدع بل زاد رقصاً، فتعاظم غضبها..

اثار هذا الموقف رئيس الشرطة العسكرية محمد عارف الكيالي، فانتقل إلى المسرح وشده من رقبته وأنزله بعيداً ومنعه من متابعة الرقص. تضايق اللواء طلاس ووبخ الكيالي، طالباً منه عدم التدخل. علا الصياح بين المسؤولين واستنفر الكيالي عناصره، مما دفع بطلاس إلى طلب المساعدة من عناصر لوائه المدرع. هرب

الناس وفشلت الحفلة ووصلت القضية إلى دمشق. انتصر مسؤول التنظيم العسكري صلاح جديد لطلاس رغم انه كان محسوباً على القيادة القومية، في الوقت الذي اتخذ فيه رئيس مجلس الرئاسة أمين الحافظ الذي يؤيده طلاس آنذاك، جانب الكيالي ورفض العقوبة له.

ترك دعم جديد لطلاس ومخاصمة الحافظ له أثراً كبيراً في نفس اللواء طلاس، فكافأ جديد بالانضمام إلى تكتله.. استمرت الحال على هذا المنوال، شدّ ولين، معارك فارغة غير ذي جدوى إلى ان حصل انقلاب عسكري على القيادة القومية وأمين الحافظ شارك فيه "سليم حاطوم" وهو ضابط درزي كان قائداً لجهاز المغاوير.

انه الانقلاب الذي جاء بصلاح جديد وحافظ الأسد إلى السلطة في 1966/2/23.

الأسد يهدد

في 22 ك1/ديسمبر عام 1966 اي قبل شهر واحد من انقلاب23 شباط/فبراير ضد أمين الحافظ والقيادة القومية، التقى خالد يشرطي بتكليف من مؤسس الحزب ميشال عفلق بحافظ الأسد في دمشق الذي كان وزيراً للدفاع آنذاك للإطلاع منه على حقيقة ما يجري في البلد ومحاولة رأب الصدع، فرد غاضباً.. ابلغ الاستاذ ميشال ان ابن الحافظ يستفز الاخوان (العلويين) كثيراً وإذا استمر على هذه الحالة فإنني لن أقوى على ردع الاخوان (العلويين) إذا ما ثاروا.. وبعد شهر واحد كان حافظ الأسد على رأس القوة التي قضت على حكم أمين الحافظ.

كان أمين الحافظ الذي يتصرف بعفوية وفطرية يستفز حين كانت تأتيه معلومات أو تقارير وتصدر قرارات تكشف خطة إخلاء المواقع الأساسية المفصلية في الجيش من السنّة، في عمليات صرف كانت تخلو في معظم الاحيان من أي ضابط من الاقليات الدينية (علويين اسماعيليين، دروزاً..).

يكشف المقدم عبدو ديري في كتاب عن "أيام مع القدر" انه نجح في إيقاف قائمة إحالة خمسمائة ضابط صف من الصدور عبر اتصال مع المقدم موسى الزعبي والفريق أمين الحافظ، اللذين تأكدا ان الـ 500 صف ضابط المفصولين ليس بينهم أي من الاقليات الدينية.

وبعد استقراره في العراق قال الفريق أمين الحافظ لأركان في المعارضة السورية في بغداد لو سمح لي الاستاذ عفلق بعمل انقلاب قبل أن ينفذ حافظ الأسد وصلاح جديد انقلابهما لكان استطاع أن يسيطر على الجيش ويمنع سيطرة العلويين وإذا قرأنا واقع الجيش السوري في ذلك الزمان لكان علينا أن نعيش حرباً أهلية قوامها العسكريون البعثيون الموزعون في الولاء المذهبي بين سني وعلوي (على الاقل) ليصبح مصير سوريا قبل أقل من نصف قرن في عالم الغيب.

عسكر بعث ميشال عفلق الذي تحلق حوله في بداية الانقلاب عام 1963 تحول بعد سنتين إلى فرق متناحرة متقاتلة كانت الغلبة فيها للعلويين منهم بدءاً من عام 1966، ثم قضي الأمر بتسلم حافظ الأسد للسلطة عام 1970.

أمين الحافظ ومفارقته

وإذا كان أمين الحافظ السني الحلبي هو أول من نبه إلى علوية متصاعدة في الجيش السوري، فإن المفارقة ان هذا الرجل الذي قاتله الحلف العلوي - الدرزي في الجيش في 1966/2/23، هو نفسه الذي فتح الطريق واسعاً لإخلاء الجيش من الاغلبية السنية منتهزاً المحاولة الفاشلة والتي جرى ترتيبها وتوريط الضباط الناصريين فيها في 1963/7/18، لتسريح أكبر عدد ممكن من الضباط السنّة (ناصريين وقوميين، وبورجوازية دمشقية وحلبية وحمصية وحموية ومن اللاذقية..).

صحيح ان انقلابات سوريا منذ العام 1949، استنزفت الاكثرية السنية داخل الجيش ليحل محلها ضباط الاقليات الأخرى (علوية، درزية، اسماعيلية) لكن محاولة انقلاب 1963/7/18 كانت محطة مفصلية في بدء علوية الجيش السوري بشكل ممنهج.

وقد صادف ان الضباط الذين قادوا انقلاب 23 شباط/فبراير 1966 ضد حكم أمين الحافظ (السني) كلهم من الاقليات في سوريا، مع عدد قليل من الضباط السنّة والمسيحيين.

كان أبرزهم من الدروز اللواء حمد عبيد، والعقيد طلال أبو عسلي، والرائد الأبرز في الجيش السوري لسنوات سليم حاطوم.

وكان من العلويين العميد عبد الغني ابراهيم، والعقيد شفيق عبدو، والرائدان عزت جديد شقيق الضابط العلوي الأبرز المدافع الأول عن القيادة القومية وأمين القيادة القطرية صلاح جديد، ثم شقيق الرئيس فيما بعد حافظ الأسد رفعت الأسد، الذي سيصبح أشرس ضباط الجيش السوري وأسوأهم سمعة في تاريخ العسكرية والممارسة السياسية السورية، ومن الضباط الاسماعيليين برز اثنان هما المقدمان عبد الكريم الجندي وأحمد المير (وهما من قيادة اللجنة العسكرية إياها).

علوية الجيش في عهد حافظ الأسد

كان الجيش وأجهزة الأمن في عهد حافظ الأسد صندوقاً مغلقاً لا أحد يملك مفتاحه غيره. صحيح ان البداية في علوية المفاصل الأساسية في الجيش والأمن كتبت قبل تسلمه السلطة اثر انقلاب 1970، لكنه كان واحداً من الذين كتبوا البداية منذ العام 1963.

كان حافظ الأسد ملك الشكل والمضمون معاً أعطى السنّة رئاسة المؤسسات، فكان الشكل منسجماً مع الواقع الاجتماعي والطائفي في سوريا.

رئيس الحكومة سني لكنه لا يتجاوز صفة الموظف عند الرئيس سواء كان اسم الموظف عبد الرؤوف الكسم أو عبد الرحمان خليفاوي أو محمود الزعبي أو محمود الحلبي أو..

رئيس مجلس الشعب سني لكنه ينفذ أوامر السيد الرئيس سواء كان اسم المنفذ محمود الحلبي أو عبد القادر قدورة أو قاسم الابرش.

وزير الدفاع سني لكنه لا يملك ان يتصرف بنقل جندي أو ترفيع ضابط، واسمه طيلة نحو 30 سنة هو مصطفى طلاس.

رئيس الاركان سني حكمت الشهابي في معظم الاحيان لكنه لا يرى السيد الرئيس إلا إذا سمح له الرئيس بذلك.

عندما مرض حافظ الأسد عام 1983 شكل لجنة لإدارة شؤون البلاد رسمياً ضمت القيادات السنية (عبد الرؤوف الكسم، عبد الحليم خدام، حكمت الشهابي، محمد زهير مشارقة، محمود الحلبي) لكن أحداً من هؤلاء لم يكن قادراً على نقل جندي من مكانه لأن السلطة الفعلية كانت عند علي دوبا، علي

حيدر، شفيق فياض، ابراهيم صافي، محمد الخولي.. وكلهم علويون كانوا يحمون نظام حافظ من محاولة أخيه رفعت استعجال وراثته.

لم يكن أحد من وجه الصحارة التي اختارها الأسد للحكم مؤهلاً له.. لكنهم نجحوا في أن ينفذوا أوامر السيد الرئيس حتى لو أدى انعدام الكفاءة إلى حالة هريان شاملة في سوريا في الادارة، في التعليم، في الطبابة، في الزراعة، في الصناعة، في التمثيل الدبلوماسي.

أعدم حافظ الأسد سوريا سياسياً، فلا نخبة سياسية إلا ما يراها السوريون في الاعلام المحنط الناطق ببطاريات فارغة الشحن، ولا أحزاب إلا التي ورثها السوريون من عهود ستالين وموسوليني وفرانكو، ولا نقابيون إلا الذين يبالغون في النفاق في كل مناسبة يريد السيد الرئيس ان يشاهدها عبر الاعلام تسليته المفضلة وهو سجين قصوره الرئاسية كما جلسات مجلس الشعب، كما احتفالات البعث، واتحاد الكتاب.

كل السلطة للأسد.. ولا سلطة لغير الأسد.

أجهزته التي اختار قياداتها بعد تمحيص وتدقيق واختبار وأغرقها بالفساد ليفتح لها ملفاتها ساعة يشاء.. كانت هي نفسها غير موثوقة بالكامل.

تختار أجهزة الأمن المرشحين لمواقع الحزب.. للشعبة في كل منطقة للفرع.. للمؤتمر القطري الذي يسارع نفاقاً لإعطاء السيد الرئيس حق وضع لائحة المرشحين لعضوية القيادة القطرية (21) وللجنة المركزية (90) فيتم انتخابهم بالإجماع.

طيلة 30 سنة من حكمه أمسك السيد الرئيس بمفاصل السلطات الحزبية والسياسية والعسكرية والامنية والنقابية والمهنية والدبلوماسية.

كان رئيس الجهاز الأمني الذي يقمع الاعتراض أو النقد في اختصاصه الجغرافي أو المهني أو السياسي، هو الذي يتمتع بأكبر قدر من الثقة في قلب حافظ الأسد. ومع هذا فإن فوق كل رئيس جهاز أمني آخر أو أكثر يراقب أفعاله، حتى لا تسول له نفسه الانحراف عن الهدف الذي اختاره الأسد له، فهو له حق الانحراف الاخلاقي والمالي وله ان يرتشي وان يسرق وان يغتصب أرضاً أو امرأة أو يعذب وان يقتل لكن يا ويله ويا سواد ليله إذا تلكأ في خدمة سيده.

أفضل هوايات حافظ الأسد هي التأكد من احترافه الغليظ القلب لكيفية الامساك بالسلطة من خلال الأمن والجيش، تلك الهواية التي احترفها عام 1963، ثم أصبح ملكها بعد 1970.

في عهد حافظ الأسد دخلت مرحلة علوية الجيش السوري وطبعاً أجهزة الأمن منعطفاً خاصاً من رسم حافظ وعقليته الأمنية البحتة.

المدخل دائماً في الانتماء إلى الكلية العسكرية وهي من اختصاص علي دوبا الرجل الأكثر قرباً للأسد مع محمد الخولي، وكان مدير مكتب دوبا أحمد عبود العلوي أيضاً هو المدقق في لوائح المنتسبين لهذه الكلية، وكان موضع ثقة علي دوبا، فإذا وقع احمد عبود لائحة المنتسبين شاطباً منها من يريد مضيفاً إليها من يريد، يوقع بعده علي دوبا، فإذا وجد حكمت الشهابي كرئيس أركان توقيع علي دوبا وقع دون نقاش، ويصبح توقيع مصطفى طلاس كوزير للدفاع بعد ذلك تحصيل حاصل.

سألنا نائب الرئيس عبد الحليم خدام، ألم يكن حكمت الشهابي يقرأ ان 90% من المنتسبين إلى الكلية العسكرية هم من العلويين؟ يجيبك كان يعرف ذلك لكنه كان يسكت حتى لا يتهم بالمذهبية أو الطائفية، أما مصطفى طلاس فلم يكن أحد يتوقع منه أي اعتراض.

وجاء وقت أصبح فيه معظم قادة الفرق والافواج والألوية والكتائب من العلويين، فكلما خرج ضابط سني إلى التقاعد جاء محله علوي بحكم الاكثرية في القيادات العليا.

اشتكى بشار لعبد الحليم خدام مرة بأنه اراد أن يجري تشكيلات في الجيش، لكنه وجد ان كل الضباط الذين يجب أن يشكلوا علويون، فقال خدام هذه مشكلة أبوك.. وليس علي أحمد عبود.. كان الرئيس حافظ يرى اللوائح والخلل واضح فيها و لم يفعل شيئاً.

يضيف خدام سبباً آخر فيقول ان معظم الضباط المسرحين في عهدي الوحدة والانفصال عادوا بعد تسلم البعث للسلطة، ومعظمهم علويون.

ضباط الاحتياط الذين أجروا خدمة العلم كانوا يستدعون كل فترة للعمل، وكان العلويون هم الأكثر استجابة للعودة. كان القبول في الكليات العسكرية لا

يتجاوز الـ 300 قفز في عهد حافظ إلى 3000 معظمهم من الساحل، فحافظ كان يخشى إذا تم القبول على اساس نسبة التعداد الطائفي للسكان أن يمسك السنّة بالجيش بنسبة أغلبيتهم الساحقة في المجتمع، وهذا قد يفتح المجال لحصول تحول في المستقبل.

كان كل ضابط من ضباط الأسد العلويين يدخل جماعاته من قريته أو من عشيرته إلى الجيش ليشكلوا عصبية حوله، وحيث ان معلمهم يوالي ويبايع السيد الرئيس فهو وليّ نعمتهم وجاههم وسلطتهم ومالهم، فمن الطبيعي ان يوالي بقية الضباط حتى الجندي العادي السيد الرئيس إلى الأبد.

لكن هذا لم ينطبق على أي من الضباط السنّة ناجي جميل، حكمت الشهابي، مصطفى طلاس (مع الاعتراف باستثناء القاعدة في حالة طلاس الذي أدخل عشرات ضباط الرستن إلى الجيش لتوكيد ولاء الرستن وحمص للسيد الرئيس).

وكم برر الشهابي وطلاس رفض إنشاء تكتلات في الجيش حرصاً على وحدته، لكنهم كانوا شهود زور على تكتل الجيش السوري كله بعصبيته العلوية ضد الشعب السوري كله.

اتخذ حافظ الأسد قراراً ان يكون كل من وزير الدفاع ورئيس الاركان عضوين في القيادة القطرية بينما يكون كبار القادة العسكريين أعضاء في اللجنة المركزية، بجانب كونهم أعضاء بلجنة الحزب العسكرية وتقلدهم وظائف حزبية رئيسية أخرى بالقوات المسلحة كأمناء فروع وقطاعات الحزب العسكرية.

ونتيجة لهذا التدبير أصبحت بنية السلطة الحقيقية داخل القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكري منعكسة بوضوح في تكوين مؤسسات حزب البعث العليا الرسمية أكثر ما كان عليه الوضع أثناء وجود اللجنة العسكرية (البعثية الخماسية).

في إحصاءات 1985 ان حزب البعث كان أقل انتشاراً في المدن الكبرى كدمشق وحلب قياساً بالقرى والريف لكن النزوح الكثيف لأهل القرى والريف من مناطقهم إلى المدن عزز الوجود الحزبي فيها.

كان كل ضابط من ضباط الأسد العلويين يحرص على إدخال أكبر عدد ممكن من عشيرته ومنطقته وأقاربه إلى الجيش، بينما لم يدخل حكمت الشهابي

أحداً من شباب حلب التي ينتمي إليها إلى الجيش أو الأمن، ومن دخل من هذه المدينة وريفها مر عن طريق آخر داخل النظام يقدمون له الولاء أو الرشوة ويرسلونه إلى قطاع عسكري لا قيمة له في مفاصل النظام.

أما مصطفى طلاس، فكان أكثر دهاء وذكاء من الشهابي فأقنع الأسد بإدخال العديد من الرستن ليكونوا العصب السني الذي يحتاجه النظام لتغطية إغراق مؤسسات الجيش والأمن بالعلويين في المفاصل الحاسمة.

الشهابي

ورداً على اتهام حكمت الشهابي انه لم يكن فاعلاً في الجيش السوري، بدليل عجزه أو تعففه عن إدخال حلبيين إلى قطاعاته، كما فعل مصطفى طلاس حين نجح في إدخال 1200 ضابط إلى هذا الجيش، وبموافقة حافظ الأسد نفسه، يقول نائب لبناني كان وما زال على صلة بالشهابي الذي يعيش في لوس أنجلوس.

ان شباب حلب أنفسهم كانوا - كأبناء دمشق - وجدوا ان مستقبلهم لم ولن يكون في المؤسسة العسكرية بل في العمل الحر، والخاص الذي بدأت أبوابه تفتح بعد حرب تشرين/اكتوبر 1973، فهو أربح وأسلم وأكثر فاعلية في المجتمع السوري.

كان شعار هذا الجيش في الفترة الممتدة نهاية نكسة 1967 واحتلال إسرائيل للجولان حتى العام 1974 حين وقع حافظ الاسد اتفاقية وقف النار مع إسرائيل عبر هنري كيسنجر، هو لا تسريح حتى النصر، وقد خدم شباب سوريون في جيش بلادهم سبع سنوات اقتطعت من حياتهم، طلاباً، ومهندسين وأطباء ومحامين وتجاراً..

.. والجنود العلويون مميزون

والعلوية لم تقتصر على دورات الكلية العسكرية منذ الستينيات كما بات معروفاً وما لم ينشر هو "علوية" الخدمة الإلزامية للشباب السوري.

كان مركز تجمع الجيش العربي السوري ملتقى لكل الشباب السوري المدعو لأداء الخدمة الإلزامية، وإلى هذا المركز الذي يبدو مفتوحاً لكل السوريين

من كل الطوائف والمذاهب والمناطق والطبقات (عدا الذين استجابوا في فترات لاحقة لدفع البدل، بما يعني ان الاغنياء لم يخدموا في الجيش) يأتي قادة القطاعات الأخرى في الجيش من مدرسة السواقة إلى المطبخ العسكري وبينهما البحرية إلى المدفعية والقوات الجوية، وقطاع الصواريخ، والمدرعات.. إلى مركز تجمع الجيش وفي يد كل واحد منهم لائحة بأسماء الذين سيختاروهم للعمل في قطاعاتهم، يوهمون الشباب خدام الجيش ان القرعة اختارت الاسماء دون تدخل من اي جهة، لكن الحقيقة المعروفة ان القرعة هنا هي العين التي تقرأ انتماءات العناصر المذهبية وتختار على أساسها.

كانت اللوائح في كل مرة تختار العلويين للخدمة في القطاعات الأمنية.

1 – مدرسة الاستخبارات العسكرية.

2 – قطاع الصواريخ.

3 – القوات الجوية.

4 – المدرعات.

القطاعات الأخرى كالسواقة والمطبخ والمشاة وغيرها كانت تعج بالسنّة.

انشئت مدرسة الاستخبارات العسكرية عام 1978، وأقيمت في منطقة دير العشائر وبعض منها في الاراضي اللبنانية، وقد اختيرت هذه المنطقة على حدود لبنان أو في مناطق التداخل اللبناني – السوري بعد بدء اجتياح نظام الأسد الأب للبنان عام 1976 الذي استمر 30 سنة.

كان قائد هذا القطاع يومها هو العميد محمود البني، وهو سني من دمشق، أما قائد الدورات فهو الرائد العلوي صبرا ديوب وطبعاً كانت سلطة الرائد العلوي هي التي تحرك المعسكر، فقد كان هو صاحب القرار ككل قطاعات الأمن والجيش والاستخبارات في سوريا طيلة نحو نصف قرن.

يخضع الشباب السوري في الخدمة الإلزامية لدورة تأهيل تتراوح بين 6 أشهر للرتباء والعرفاء وبين 45 يوماً للعناصر وبعدها يتم توزيعهم حسب "قرعة".

يروي أحد عناصر الخدمة الإلزامية في إحدى الدورات ان دورته كانت تضم نحو 1000 شاب، كان منهم نحو 50 جندياً بخدمة إلزامية من السنّة والدروز والاسماعيليين والمسيحيين، ونحو 950 شاباً علوياً.

كان السنة في قطاعات الخدمات الأخرى التي تقل أهمية عن القطاعات الأساسية من استخبارات إلى قوات جوية تحديداً هم الاغلبية الساحقة في المشاة والمدفعية والادارة والتموين.. بينما العلويون هم الاغلبية دائماً في القطاعات المهمة (استخبارات، بكل فروعها، دفاع جوي، طيران حربي) دون أن ننسى ان أحداً من هذه المدارس العسكرية لطلاب الخدمة الإلزامية لم يكن يفشل.. فالجميع ناجحون.

وعلوية الادارة

لم يقتصر أمر "علوية" الجيش والأمن على المؤسسة العسكرية فإذا كانت هذه السياسة اعتمدت للإمساك بالسلطة لطائفة أو مذهب معين، فلماذا الإدارة أيضاً، وما المصلحة في أن تكون علوية خاصة في بعض المدن الكبرى.

يقول عبد الحليم خدام ان إدارة محافظة اللاذقية تضم نحو 700 موظف، ولا يتجاوز عدد السنّة في هذه المحافظة أكثر من 3% والأمر نفسه معتمد في بانياس.

يقول خدام ان نحو 300 شاب تقدموا للإنتساب إلى حزب البعث، ظلوا ثلاث سنوات دون جواب.. لأنهم سنّة.

عندما تأسست شركة النفط كانت غالبية موظفيها من المسيحيين، ثم حصل توازن بينهم وبين المسلمين، لكن مع التأميم، وبلوغ كثيرين سن التقاعد، ومجيء أفواج جديدة من الموظفين أصبحت أغلبية العاملين فيها من العلويين.

في مؤسسة الكهرباء 1200 موظف بينهم 1% من السنّة. في مؤسسة مصفاة بانياس 400 موظف ليس بينهم سوى 50 موظفاً سنياً بينما يمنع وجود أي موظف من بانياس في مؤسسة النفط نفسها.

إذا أراد مواطن الهجرة عبر البحر يتوجه إلى الاستخبارات فإذا دفع 50 ألف ليرة سورية يحصل على موافقة هجرة، وإذا عجز عن الدفع يتهم انه "اخوان مسلمين" ويلقى به في السجن.

في أمانة العاصمة في دمشق هناك أغلبية علوية بين الموظفين، وحين راجع خدام رئيس الوزراء يومها قال لي طلع الشعر على لساني من أجل تعديل الأمر.. ولم يتغير شيء.

لذا

ليس مصادفة ان تنطلق الثورة من حوران لتتجاوب معها في البداية بانياس واللاذقية.

ضباط الأسد وعشائرهم العلوية

وينتمي ضباط الاسد الأب والابن إلى العشائر العلوية الأساسية المعروفة وهي

1- الميلانية (المتاورة) وهي أكبر عشيرة بين العلويين ومنها ينحدر العماد علي دوبا، وابن اخته اللواء أحمد عبود وعمل مديراً لمكتبه، العميد محسن سلمان، العميد عزالدين سلمان، العميد جامع جامع (يقود جرائم بشار في منطقة دير الزور) العميد فؤاد المعلا، العميد أحمد يوسف (رئيس دائرة الاستطلاع)، اللواء محمد ناصيف، وشقيقه اللواء فؤاد ناصيف.

2- العشيرة الحدادية ومنها ينحدر اللواء صلاح جديد، اللواء علي حيدر، العميد محمد منصورة.. والسفير في الخارجية سليمان حداد.

3- العشيرة الخياطية التي ينحدر منها اللواء ابراهيم صافي (ابنه الآن يقود إحدى فرق بشار لقمع ثورة الشعب السوري ضده) العميد محسن بدور (قائد فوج النقل في القصر الجمهوري).

4- العشيرة الحيدرية وهي أقلها نفوذاً ومراكز في الجيش والأمن رغم انتماء اللواء محمد الخولي وخليفته اللواء ابراهيم حويجي في الاستخبارات الجوية إليها.

5- العشيرة الكلبية وإليها ينتمي حافظ الأسد وعائلته..

هذا التفصيل هو وفق معلومات أحد قادة مجلس التغيير في المعارضة السورية وحيد صقر (علوي تعرض لاضطهاد ومحاولة اغتيال، كما اعتقلت اسرته بعد سفره إلى لندن ولولا جواز سفرها البريطاني وتدخل السفارة البريطانية لإطلاقها لظل مصيرها مجهولاً كآلاف السوريين الأبرياء..).

لكن حافظ الأسد اعتمد تقسيماً مختلفاً للعلويين في سوريا، حيث جعل علويي القرداحة في أعلى السلم يليهم علويو طرطوس واللاذقية، ثم علويو بقية المناطق (حمص، بانياس، حماه..) وجعل علويي الجولان في أسفل السلم.

إلى هذا التقييم فإن حافظ الأسد الذي ينتمي إلى عشيرة وعائلة علوية متواضعة، جعل عائلته في مقدمة السلطة والنفوذ، لينتقم من الفارق الاجتماعي

الذي كانت تشعر به عائلات القرداحة نفسها (الخير واسماعيل وعثمان..) تميزاً عن عائلة الأسد.

ولعل إنشاء الأسد الأب الشبيحة في اللاذقية، من حثالة الافراد العلويين، كان يهدف للانتقام من العلويين المعارضين لنظامه، سواء كانوا يساريين أو ناصريين، وكثيرون منهم ينتمون أيضاً إلى عائلات عريقة وذات وضع اجتماعي متقدم تاريخياً عن عائلته.. كما أسلفنا.

حافظ حاقد على العلويين

صب حافظ الأسد أحقاده على خصومه العلويين أولاً، فقتل باكراً محمد عمران عام 1972، وبعد ذلك بثمانِ سنوات قتل القيادي البعثي السني صلاح البيطار، وسبق حقده مصير الاثنين بسجن غريمه العلوي الأول صلاح جديد منذ 1970 إلى ان افترش المرض الخبيث كل سجنه فأطلقه ليموت خارجه بعد أكثر من ربع قرن على اعتقاله.. لا تهمة، لا محاكمة، لا قضية إلا الخوف منه على سلطته.

كان 90% من سجناء الرأي في سوريا خلال العقد الأول من حكم حافظ الأسد من العلويين، فضلاً عن العلويين المعارضين الذين سجنوا أو قتلوا أو نفوا خارج سوريا.

هكذا كان مصير حفيد المرجع العلوي سليمان الاحمد منير الذي مات تحت التعذيب بأيدي جلاوزة حافظ أما والد منير الشاعر بدوي الجبل فخطفته عصابات حافظ مرتين في المرة الأولى لإلزامه تأييد المعلم و لم يؤيده، وفي المرة الثانية لقوله شعراً اعتبره الأسد مساً به.

هل استسلم العلويون لآل الأسد؟

وإلى وجود وحيد صقر وأكثم بركات وسندس سليمان وسمر يزبك وعشرات القيادات المعارضة من العلويين ضد نظام بشار الأسد.. فإن الأهم ان بياناً كثير التميز صدر ضد حكم بشار قبل اندلاع الثورة الشعبية في 2011/3/15 بأسبوعين قرأه على قناة "بردى" المعارضة وحيد صقر يتحدث فيه عن ان التغيير في

سوريا قادم (نشر البيان في صحف عربية كـ "الشرق الأوسط" و"الحياة" وصحف بريطانية..).

أبرز ما ورد في البيان: براءة العشائر العلوية من جرائم بشار ضد الشعب السوري، والتهميش الكامل للطائفة العلوية.. وتحديداً بعد المؤتمر القطري الأخير 2010 حيث تم إقصاء الكثير من الضباط العلويين، واعتقال نحو 105 ضباط ونقل 120 ضابطاً من القصر الجمهوري إلى الوحدات المدنية والادارية غير الفاعلة.

يقول صقر ان البيان تضمن نقداً شديداً لبشار الأسد لقرار مجحف ألزم فيه هؤلاء الضباط بإخلاء مساكنهم في قدسيا (المخصصة للحرس الجمهوري) بالقرب من دمّر على طريق بيروت - دمشق، مستخدمين الشرطة العسكرية للإخلاء الاجباري بالقوة..

بشار حاقد أيضاً

يقول صقر: ان الضباط المعاقبين حسبوا على صهر العائلة آصف شوكت، الموضوع دائماً تحت المجهر. والعقلية الأمنية ورثها الشقيقان بشار وماهر من والدهما، وان يكون لآصف مجموعة من الضباط تتجاوز العشرات إلى ما يقرب من المئات يعني ان الصهر تحول إلى مركز قوة قادر على خلع آل الأسد ليحل محلها، ومعه ابنة الأسد الأب الكبرى بشرى.

كان هذا كافياً ليعتقل الضباط، سواء كان آصف بصدد الانقلاب بالاتفاق مع استخبارات أجنبية (فرنسية أو أميركية..) أو يكفي الشك كي يقدم آل الأسد على عملية استباقية.

قتل الشقيقان غازي كنعان، للشك بقدرته على القيام بانقلاب ضد النظام في حالة ضعفه عام 2005، بعد اغتيال الرئيس رفيق الحريري، وإلزام بشار بسحب جيشه المحتل من لبنان.

ومع هذا فقد تم رسم سيناريو الانقلاب المزعوم، وقيل ان الذي كشفه نائب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية اللواء علي يونس، وكذلك العميد زهير حمد الذي رفّع إلى رتبة لواء بعد دوره في كشف المحاولة ليصبح الرجل الثاني في إدارة أمن الدولة برئاسة علي المملوك.

سواء كانت الخطة مزعومة أو حقيقية، فإن الضباط المعتقلين والمنقولين والمحسوبين على آصف شوكت تم تهميشهم، واستبعادهم من الترقيات أو الرتب المستحقة ومن مواقع كان من حقهم الترقي إليها، بسبب انعدام الثقة بهم، والاستعانة بغيرهم من خارج ملاكهم (في القصر الجمهوري) حتى ان قائد الحرس الجمهوري الجديد الذي عينه ماهر النقري هو أحد المكلفين بإحضار فتيات جميلات لابن خال الرئيس رامي مخلوف.

حسين الطيار نموذجاً

حسين. ر هو شاب سوري درزي تقدم للكلية الحربية في بلده على أمل ان يصبح طياراً في سلك الجو السوري، أخضع لجميع أنواع الاختبارات التي يخضع لها عادة المتقدمون للكلية الحربية في سوريا، وخضع للتحقيق في لجان عديدة تقدم تقاريرها قبل الموافقة على قبوله قبل وبعد مروره في الاختبارات الطبية والصحية والنفسية والشفهية والكتابية، وتم إعداد ملف شامل عن حياته وسلوكياته وأفكاره ونشاطاته السابقة وعلاقاته وأصدقائه والميول السياسية له ولأهله ولأصدقائه وكل من حوله.

حسين شاب متفوق في دراسته، وذو جسد رياضي ممشوق وقوي، ولا علاقة له بأي جهة سياسية أو حزبية أو فكرية أو ثقافية، لا هو ولا أي من أهله أو اخوته أو أقاربه.. فهذه المسائل من المحرمات الأمنية طيلة عقود في سوريا.

حسين صاحب ملف نظيف بالنسبة للجهات الأمنية، متفوق في دراسته قبل امتحان الحربية وخلالها، وجاء ترتيبه الأول على كل المختبرين ولا يوجد ما يمنع من قبوله في الكلية الحربية.

لذا

قبل حسين.. في الكلية الموعودة وأعد العدة كاملة لبدء مرحلة جديدة من حياته، فدخل الكلية وانتظم في الدراسة، وكان خلال الشهرين اللذين أمضاهما فيها مثال الطالب الملتزم النشيط الواعد.

بعد شهرين بالتمام من التحاقه بالكلية الحربية استدعي حسين إلى مكتب الأمن في الكلية ليتم إبلاغه انه معفى من الدراسة، وعليه المغادرة والبحث عن عمل آخر لحياته.

تلقى حسين صدمة عمره.. لم يصدق أول الأمر هذا الابلاغ، دارت به الأرض، تماسك.. امتثل أدى التحية وخرج مودعاً دون عودة.

كان أصعب ما تلقاه بعد عودته إلى قريته في جبل العرب (جبل الدروز) هو ان أهل بلدته كلهم كانوا أطلقوا عليه اسم الطيار.. جاؤوا للترحيب به كطيار قادم من إجازة.. لكنها إجازة طويلة استمرت حتى اليوم وهو يعمل في لبنان ليعتاش.. تاركاً في قلبه حسرة، وفي قلوب أهله كسرة، ولكن أهل قريته ما زالوا يصرون على انه الطيار حسين.

يحسم الشجعان من قريته سبب إبعاد حسين انه درزي وليس علوياً ولو كان علوياً لأصبح كما يشتهي أهل قريته أن يكون طياراً.

جنود الجيش السوري قبل الثورة

السوريون واللبنانيون هم أكثر الناس معرفة بطبيعة العلاقة التي كانت تسود داخل الجيش السوري بين الضباط والجنود.. بل بين الضباط الكبار ومن هم أدنى منهم رتبة.

نحن لا نتحدث عن العلاقة بين من هم في الجيش السوري ضباطاً وجنوداً، وبين الناس المحكومين من هذا الجيش سواء كانوا لبنانيين أو سوريين أو فلسطينيين.. فتلك مسألة أخرى قد يعرف حقيقتها أي قارىء بمجرد معرفة العلاقة بين الضباط بمختلف الرتب وجنودهم.

نادراً ما كان الضابط في جيش الأسد يتعامل بالحسنى مع جنوده، وإذا ما ناداه فكثيراً ما كان يستخدم وصفاً للجندي يليق بالحيوانات ولا يليق بأي إنسان.

كانت الاساءة للجندي علنية ودائمة وأمام الناس، سواء عند الحواجز الأمنية التي كانت تنتشر في عموم لبنان طيلة 30 سنة (عدا الجنوب بعد الزهراني) أو في المواقع التي أقيمت في مبانٍ خربة أو ملاعب مفتوحة، أو في قصور مهجورة ومهدمة خلال المعارك والحروب اللبنانية أو مع وضد السوريين أو مع وضد الفلسطينيين ومن إسرائيل ضد الجميع.

كان الضباط السوريون في لبنان يختارون أجمل القصور والفلل للسكن فيها مهما كانت حالتها، وكانوا يختارون الغرف الكبيرة المؤثثة، وإذا كانت فارغة يتم

تكليف الجنود بالذهاب إلى محلات مفروشات لحمل ما يريدون دون دفع أي قرش، وعلى الجنود التنفيذ دون تأخير.. بينما كان الجنود يسكنون في أسوأ أماكن في أي مبنى أو ملعب أو مؤسسة.

نادراً ما كان اللبنانيون يرون جندياً سورياً مرتدياً حذاء عسكرياً عند الحواجز، أو ملابس تظهر هيبة العسكري أو اهتماماً بمظهره، ولم يكن هذا الأمر يثير استغراب الضباط المشرفين عليهم، لأن الضباط أنفسهم كانوا يرتدون ملابس رياضية أو نصف مدنية ونصف عسكرية، فلم يكن أحد منهم مهتماً بمظهره.

قارن كثير من اللبنانيين بين ما كانوا يشاهدونه على أرضهم من أناقة وانضباط ومناقبية وهيبة الجنود الدوليين في قوات الطوارىء التي انتشرت في الجنوب وفق القرار 425، واحترامهم لبعضهم البعض والمحافظة على كرامة وإنسانية كل منهم وبين الجنود والضباط السوريين، وكانت الحسرة تأكل قلوبهم من رؤية هذا البون الشاسع بين قوى دولية وجيش عربي.. بل حتى بين الجيش السوري والجندي اللبناني الذي ظل رغم كل ظروف الحرب الأهلية وانقساماتها داخل الجيش اللبناني نفسه محافظاً على قدر من هيبته ومظهره. وسادت في كل لبنان نكات وطرائف عن الجنود المساكين وعلاقاتهم مع ضباطهم التي لم تكن تسر حبيباً أو عدواً.

فالإهانات للجندي السوري من ضابطه أمام المدنيين اللبنانيين كانت متعمدة، وتستهدف كسر نفسه.. ولم يكن أحد ليصدق ان المسألة تحمل قدراً من التمييز المذهبي لأن معظم الضباط علويون وربما كل الجند من السنّة أو الدروز.. وكان معروفاً في لبنان ان المسيحيين في الجيش السوري يعملون في أجهزة الأمن أو الادارة أو المهمات التي تبعدهم عن الحواجز مباشرة.

وكثيراً ما تبادل السياسيون اللبنانيون سراً وفي مجالسهم المكتومة تحت الحكم الأسدي في لبنان تساؤلات ذات حس قومي أحياناً: كيف يمكن لجندي مكسور النفس والشخصية، معدوم الكرامة أمام ضابطه ان يقاتل إسرائيل، حيث فيها الجندي قادر على مساءلة رئيس الدولة؟

كيف يمكن للجندي السوري المحطم الإرادة المهدور الكرامة الملاحق بالشتائم والكلام البذيء والرفس أحياناً بالرجل والضرب بالسوط أن يفكر للحظة بأن

هناك إنساناً آخر عدواً له.. غير هذا الضابط الذي يلسعه بالسياط ويريق كرامته بأقذع الاوصاف؟

وكان بعض اللبنانيين يتعاطفون أحياناً مع جنود سوريين في مناطقهم وهم يرون من حالهم ما يدمي القلوب، حتى بعد ان يروا كيف يلزم هؤلاء الجنود بالاساءة للناس وممارسة الخوات على بعض الميسورين وحتى بسطاء الحال بأوامر من ضباطهم لجلب المال أو الطعام أو الاثاث أو الملابس أو كل ما تحتاجه بيوت الضباط ومن هم أعلى منهم رتبة في سوريا.

وكانت السخرية اللبنانية من حال الجيش السوري تشمل تدهور أحوال سياراتهم ودباباتهم، وروائح الوقود السامة التي تبثها.. بل وكم الاعطال التي تلحق بها كلما تحركت، وكان التساؤل الأبرز دائما.. كيف لجيش هذه حالته ان يحارب إسرائيل؟ وجاء الجواب مع ثورة الشعب في آذار 2011 ان آل الأسد هيأوا جيشاً لمقاتلة الناس.. وكان أهلاً لذلك وهم لم يبنوا أبداً جيشاً لمحاربة إسرائيل.

هذا في لبنان،

تعالوا إلى سوريا.. ففي حديث نشر في مجلة "الشراع" العدد 1527 تاريخ 2012/1/23 كان المؤلف أجراه مع المفتش الأول في وزارة الدفاع السورية محمود سليمان حج محمد في القاهرة بعد ان انشق عن النظام وانضم إلى الثورة ضد الأسد. قدم المسؤول السوري السابق صورة مأساوية عن حال جنود سوريا قبل الثورة فقال:

الاستخبارات كلها في سوريا فوجئت بثورة الشعب السوري لأنها كانت منشغلة بجمع المال والعقارات والتجسس مكتفية ببث الرعب في نفوس الناس، وكانوا مطمئنين إلى ان الناس اعتادت السكوت والاستسلام، وان أحداً لا يجرؤ على الكلام فكيف التظاهر والثورة.

كانوا يتصرفون على أساس: قمعت فأمنت فنمت قرير العين، كانوا يمارسون النهب والسلب كما فعلوا في لبنان وسوريا، وذهبوا لاقتسام المنافع، فذهب جامع جامع إلى دير الزور، وذهب منير جلعود إلى حمص، ورستم غزالة إلى فرع المنطقة في دمشق وهو أقوى فرع للاستخبارات العسكرية وأضافوا إليه لقدراته الفذة فرع ريف دمشق، (غزالة هو الآن رئيس شعبة الأمن العسكري بعد ان كان رئيس

فرعين للاستخبارات العسكرية) هؤلاء كانوا أساطين لبنان والآن يريدون أخذ دورهم في سوريا.

ابتزاز وتشبيح.. على الجنود

الاستخبارات عادة يجب أن تكون سرية.. لكنها عندنا في سوريا تعرّف عن نفسها كي تفرض الاتاوات على الناس، ولا أحد في سوريا لا يعرف عناصرها وضباطها، لأنهم كلهم مجبولون بالسرقات والخوات.

كل واحد منهم يبتز الناس.. تبدأ من العنصر الأمني الذي يحمل دفتراً يخيف فيه الناس ويكتب تقارير وهمية، يأتي بها إلى التاجر والبائع وسائق السيارة والتجار وكل من يعتقد انه يحصل المال ليشاركه فيه مهدداً إياه بأنه سيكتب ضده تقريراً إذا لم يعطه المال.

يخيفون الناس، ويقول العنصر الأمني للسائق العمومي "انت عم بتسب سيادة الرئيس ولا".. أنت مطلوب للفرع الفلاني، وباتت الناس تعرف ان هذه وسيلة ابتزاز فتدفع حتى لا تتوه في أروقة الاستخبارات، لأن الداخل إليها مفقود، ولا أحد يخرج منها بأي ذكرى جيدة.

يتم التشبيح على الموظفين في الادارات، بأنكم تتلقون الرشى، ورخصتم بدون القانون، وقد يكون هذا صحيحاً لكن العنصر الأمني يريد المقاسمة وفرض الخوة.

كل أجهزة الأمن غاطسة حتى أخمص أقدامها بهذا التشبيح لذا ترى عناصرها وضباطها من الاغنياء في سوريا..

وهؤلاء يستميتون في الدفاع عن هذا النظام الذي يوفر لهم ان يفعلوا ما يشاؤون، لأنهم مطالبون ساعة يطلب منهم النظام أن يفعلوا ما يريده هو من قتل وقنص وتعذيب، وهم وإذا كانوا يوغلون بالتوحش، فلأنهم مقتنعون بأن هذا يحمي مصالحهم وأموالهم وسرقاتهم وسلطتهم.

عنصر الأمن يعرف عن نفسه ويقصد التخويف للابتزاز. الموضوع المهم ان هذا الجهاز الأمني لم يكن قادراً على مواجهة الثورة السورية، لأنه كان مشغولاً بالنهب والابتزاز وجمع المال والعيش الرغيد.

عندما فوجئوا بهذه الثورة الشاملة والحراك الكبير.. صعب عليهم الأمر كثيراً فراحوا يستعينون بقناصين من حزب الله في لبنان، تدربوا في إيران ولديهم خبرة في القنص كسبوها على أيدي الاستخبارات الإيرانية، انهم قناصون وقتلة مأجورون لديهم قدرة على الاصابات القاتلة في الرأس والرقبة.

كيف تؤكد انهم قناصون من لبنان ومن حزب الله؟

لفت انتباهي منذ بداية الحراك في درعا، كنا نجلس في مقهى لاحتساء الشاي، وكنا نفتح "البلوتوث" فإذا العبارات المتداولة، هي "الوعد الصادق" "رجال نصرالله" وحزب الله.. واثار فضولي مع أصدقائي أن يكون هناك لبنانيون في هذه المنطقة كلهم شباب في العشرينيات من العمر، يصرفون ببذخ، فنحن نكتفي بشرب الشاي أو القهوة، وهم يتناولون الطعام الغالي الثمن، وكانوا ينفقون كثيراً بما كان يلفت النظر.. وهذا مثال مبدئي أولي.

ثم بعد ذلك عندما كانت الاصابات في الرأس وكلها دقيقة قاتلة، ونحن نعلم ان جماعتنا في الامن غير محترفين سوى في السرقة، وغير مدربين عملياً.. تردد بين الناس انهم لبنانيون من حزب الله.

ثم تحدث جنود بسطاء هربوا لأنهم لا يريدون قتل الناس لمجرد انهم خرجوا في تظاهرة عن عناصر لبنانية من حزب الله يتولون إطلاق النار على المتظاهرين، وأحياناً يطلقون النار على الجنود لإثارتهم ودفعهم لإطلاق النار على الناس.

شاهد الجنود البسطاء وبعضهم في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة من عمره، ان هناك من يطلق النار عليهم، وكان يطلب منهم أن يطلقوا النار على المتظاهرين، مع ترك القناصة خلف ظهورهم دون أن يلتفتوا إليهم.

المجندون العاديون الذين كانوا يخدمون لسنتين فقط ثم يسرحون، بدأوا منذ أشهر يحتفظون بهم لأنهم بحاجة إلى عناصر لتقتل المتظاهرين.. وقد أصبحوا الآن أسرى ومعتقلين.

كان الجندي يدفع إلى التظاهرة لإطلاق النار على المتظاهرين فيتراجع ولا يطلق النار، فكان يقتل فوراً من الخلف.. أي أجهزة الأمن لأنها لم تكن تزج نفسها في القتل المباشر، بل تريد من الجندي ابن المدينة أو القرية الثائرة أن يقتل أبناء مدينته وقريته وكلها من القرى السنية في سوريا.

مناطق السنّة هي مناطق الفقر والجهل وكثيرون يذهبون إلى لبنان للعمل في الزراعة والبناء وكل المهن الصغيرة يعملون في اليومية، ولا يدركون ما الأمر.

كلهم يخدمون في ألوية بعيدة، محاصرة ليس لديهم وسيلة اعلام لا تلفزيون ولا إذاعة ولا جريدة طبعاً لا يعلمون ما يجري في الدنيا. لا في قراهم ولا في وطنهم.

الافراد يفرون من الجيش، وهم يدركون انهم إما أن يقتلوا أو يقتلوا، وليس كل واحد بقادر على القتل، فكثر الهرب من الجيش، كنت أتدخل بناء على طلب الاهالي لأتوسط لهم من أجل الافراج عنهم، أو السماح لهم بالعودة.. لكن السلطة راحت تداهم منازلهم وقراهم، ومن يعتقل يقتل أمام أهله لذا راح الجنود يهربون إلى مناطق بعيدة، والبعض ذهب إلى الجيش السوري الحر.

كانت الاستخبارات تداهم البيوت، وكان الاهالي يأتون إلي كي يسلم الجنود أولادهم أنفسهم إلى السلطات، وكنت أنصحهم ألا يفكروا بالعودة إلى الجيش لأن مصيرهم القتل الفوري.

لم يعد أحد من الجنود، والفارون ما زالوا فارين والسلطة جعلت التجنيد إلى حين انتهاء الاحداث، ثم ألغت التأجيل الذي كان يتم اعتماده إما بداعي السفر أو الدرس أو لأسباب أخرى.. الآن ممنوع التأجيل في سوريا، لأن الجيش بحاجة إلى الشباب للقتال بعد ان أنهك الجيش الحالي في القتال والقصف والسهر والملاحقات، فضلاً عن ان نفسيات الجنود محطمة.

صراع بين العربي والايراني

أين كنت ترى الجنود؟

- في الوزارة في القطاعات التي أتفقدها، وإداراتها، وكنت ألتقي الجنود والضباط.

هل تصف لنا أحوال وآراء الجنود والضباط؟

- كله كاره وكئيب، لكن الحصار المفروض عليهم أصعب من القتال في الشارع.

لواء صغير له ضابط أمن علوي، معين من قبل شعبة الاستخبارات العسكرية ويتبع لها، هذا الضابط يراقب قائد اللواء ونائبه، فهو رغم صغر رتبته كمقدم

أو رائد أو حتى نقيب أمن يوجه اللواء وعناصره لمجرد انه علوي ومعين من الاستخبارات العسكرية.

لا يستطيع أي قائد لواء أن يحرك قطعاته ولو لمسافة أمتار إلا بإذن من هذا الضابط الأمني العلوي.

وأنا لا أقول هذا علوي وهذا سني، أنا أقول هذا ضابط موال لإيران.. وهذا ضابط سوري عربي ينتمي للعروبة، وهذا هو الصراع داخل الجيش السوري وفي البلد كلها.

نحن نمقت الطائفية، ونحن نشعر بعروبتنا أولاً ووطنيتنا نحن في هذا الوطن اخوة، لا أحد يلغي أحداً، ولا نرضى ان يأكل أحد حقوقنا، نحن نسعى للعيش المشترك.

بصفتك مفتشاً في وزارة الدفاع هل كان هناك ضابط أمني غير علوي؟

- أبداً كلهم علويون.. وهذه الظاهرة معروفة في الجيش السوري منذ نحو نصف قرن تقريباً.

كمشرف في الجيش، هل هناك شعور بالحزن، بالكراهية بالسعي للتخلص من هذا الواقع؟

- الضباط يدافعون عن مصالحهم، الضباط خاصة الكبار لديهم ما لا يقل عن 4000 عسكري إذا كان قائد لواء، وإذا كان قائد فرقة فلديه بين 10 و20 ألف جندي، هذا الضابط لديه مدرسون للغة العربية والانكليزية والرياضيات لأولاده، يختارهم من الضباط المجندين ومنهم أساتذة وطلاب ناجحون يأتون لتدريس الاولاد مجاناً.

ولديه بين الجنود نجارون، حدادون، دهانون وسمكرية هؤلاء يعملون في منازل الضباط، وإذا انتهت أعمالهم فإنه يرسلهم للعمل في ورش خاصة، ويشاركهم بالأجور التي يتقاضونها.

الضباط يرسلون الجنود في الخدمة للعمل خارج الجيش كي يقبضوا تعبهم خلال سنتين. والضباط يعرفون ان بلدهم لم ولن يخوض أي حرب ضد إسرائيل منذ 38 سنة.

أنا أعرف أناساً في محافظة الرقة، مدينة الطبقة خدموا في الجيش، فأرسلهم ضباطهم للعمل رعاة في مزارعهم، يرعون الغنم والماعز والبقر ويؤمنون لهم السقاية وينزعون عنهم الصوف.. وكله بالسخرة عند الضباط.. من أمثال شفيق فياض وغيره..

انها حالة جديدة من حالات الرق والعبودية يمارسها الضباط على الجنود الذين يستدعون للخدمة من أجل الوطن، فإذا هم في خدمة النظام وفي خدمة ضباطه.. وهذا أسهل من إطلاق النار في الشارع.

الضباط لهم مصالح مباشرة في استمرار هذا النظام، وهذه حالة غير مسبوقة في أي نظام إرهابي ديكتاتوري في العالم.

حافظ الأسد وابنه بشار يقولان للضباط الذين أمسكوا بمفاصل الجيش والأمن، اذهبوا واعملوا ما تريدون، طالما أنتم تنفذون ما نريد.

شاهدت ضابطاً في منزله يمد رجله للعسكري كي يقلع حذاءه من رجليه، اعترضت وقلت يا رجل هذا إنسان جاء ليخدم وطنه، وأنت تريده أن يقلع حذاءك، هذا عدا الشتائم والسباب: يا حمار يا ابن الحمار، يا كلب يا حقير.

ماذا تترك من انسانية هذا الجندي وأنت تناديه بهذه الصفات لماذا هذا الإذلال والاهانات وتحطيم الشخصية وانسانية الجندي.

كان لدى كل ضابط سوري حالة تفييش، فمن كان لديه عشرة جنود، يرسل نصفهم إلى أهاليهم، بعد ان يتأكد من مهنة كل واحد منهم.

"انت شو بتشتغل ولاه".

فإذا كان الجندي نجاراً يسأله الضابط.. كم تدفع لي شهرياً حتى تذهب عند أهلك وتمضي الخدمة في بيتك.. فإذا قال له الجندي.. ادفع 15 ألف ليرة شهرياً.. وافق الضابط وذهب الجندي إلى منزله ليعمل ويرسل 15 ألف ليرة شهرياً.. وهكذا.

والضابط الذي يرأس مائة عسكري يرسل 50 منهم إلى منازلهم ليعملوا في مهنهم، حدادين، مصلحي سيارات، دهانين، في العمار والبناء، مقابل الحصول على مبلغ شهري مقطوع يسلمه شهرياً للضابط الذي يعطيه الإذن بترك وحدته العسكرية.

أما إذا كان الجندي ابن تاجر ميسور أو كان الوضع المادي للأهل جيداً ومرتاحاً فالمبلغ أضعاف ذلك شهرياً.

الجندي الذي يملك مؤهلاً مهنياً وامتنع عن الدفع يبدأ مرحلة تعذيب وسجن وقهر، حتى يرضخ ويفضل الدفع مقابل التسريح غير المعلن.

زيادة على ذلك ان الجندي في الخدمة له مخصص في الجندية، كان الضابط أيضاً يقبض عنه مخصصه، وكان يصل في بعض الاحيان إلى عشرة آلاف ليرة سورية، وأحياناً أقل.. عدا عن سرقة طعامه لبيعه وهو المخصص لآلاف الجنود.

ألم تحصل حالات تمرد ورفض؟

- حصل كثيراً وفي إحدى المرات قتل مجند ضابطاً، لأنه لم يتحمل عذابه وابتزازه وإهاناته.. وبعدها أعدم الجندي.. كانوا يرسلون الجنود الغاضبين إلى سرية التأديب، وصاحب الجرائم الكبيرة كان يرسل إلى سجن تدمر.. وكان الجندي يفضل الذهاب إلى سرية التأديب على الذهاب إلى تدمر برغم ان المحال إلى سرية التأديب يتعرض لتعذيب وإهانات لا حدود لها.

هل حصلت حالات تمرد جماعية؟

- من المستحيل ذلك، لأن لا مكان يلتقي فيه اثنان.. فالمهجع يجمعهم وبينهم دائماً مخبرون لا يمكن لأحد من الجنود أن ينبس بأي كلمة، وإذا خرجوا من المهجع، لن يجد سيارة توصله إلى أي مكان وهناك الحرس والاسلاك الشائكة والرقابة.

الناس تظن ان هؤلاء الجنود يحملون السلاح وهم أحرار وهذا منتهى الظلم لهم، لأنهم عبيد وأرقاء ومعذبون ولا يصدق أحدهم كيف ينهي خدمته ليصبح حراً ويهاجر.. فليس كل الجنود أصحاب مهن، فهناك من لا يقرأ ولا يكتب ولا يملك مهنة بين يديه..

الأمن في كل سرية في كل كتيبة في كل لواء هو علوي.

من أين يأتي النظام بالعلويين ليضمنوا السيطرة على الجيش، خاصة إذا كان من نصف مليون جندي؟

- نصف مليون جندي، لا يحتاجون أكثر من 50 ألف أمن بل مائة ألف علوي للسيطرة عليهم.. وهذه ليست مشكلة.. وكلهم ضباط وليس بينهم جنود،

بل ضباط تحت أيديهم الطيران المدني والعسكري والمرافىء والشركات الهامة التي توفر لهم المال.. والأهم انهم يستعبدون مئات آلاف الجنود المساكين.

لم يكن الجيش السوري مهيأ لقتال إسرائيل، والبعض يذهب إلى انه لم يكن له سوى مهمة واحدة هي حماية النظام.

لكن أغلبية المهتمين والعارفين بشؤون النظام يرون ان الأسد الأب تعمد أن تكون السلطة الفعلية في البلاد هي لأجهزة الأمن، أما الجيش المحترف فهو ذاك الذي يكون بقيادة العائلة.. من سرايا الدفاع بقيادة شقيقه رفعت الأسد في عهده، إلى الفرقة الرابعة التي ضمت بقايا السرايا التي وزع دمها على قبائل الفرق السورية الأخرى، بعد طرد رفعت من البلاد..

ويقود ماهر الأسد الفرقة الرابعة في عهد أخيه بشار.. إضافة إلى الحرس الجمهوري.

وكما كانت سرايا الدفاع هي للدفاع عن النظام في عهد الأسد الأب، فإن الحرس الجمهوري في عهد الأسد الابن هو لحراسة حكم العائلة.

إلى ذلك

فإن عاملين أساسيين رسما مسار الجيش السوري في السنوات الأخيرة.

العامل الأول هو تخفيض اعداده التي تضخمت لفترة لتصل إلى نحو نصف مليون جندي ضمن مؤسسة عسكرية – أمنية كانت تستهلك نحو 67% من الدخل القومي السوري وفق احصاءات رسمية معلنة.. إلى نحو 250 ألف جندي لحظة بدء الثورة الشعبية ضد آل الأسد.

العامل الثاني ان ثورة السوريين ضد الأسد ألزمت النظام ان ينشر قواه في طول سوريا وعرضها وهذا أمر تعجز عنه أقوى جيوش العالم.. فكيف إذا كان هذا الانتشار لفترة طويلة، بما أتاح الفرص لانشقاقات طالت عشرات الآلاف من الجنود.

هذان الأمران ألزما بشار الاستعانة بالخارج وخاصة إيران التي مولت النظام بالمال والسلاح.. والرجال من العراق ولبنان ومن إيران نفسها.

يقول النائب غليون للكاتب ان أبناء حمص تأكدوا من وجود عناصر من حزب الله في الكلية العسكرية في حمص، وان اشتباكاً حصل بين عناصر الحزب وجنود سوريين رفضوا وجود هذا الحزب بينهم.. في شهر رمضان.

فضلاً عن شهادات مرور قوافل من العراق ولبنان إلى سوريا، ووجود مستشارين غير سوريين، وهذه أقوال تكررت في أكثر من مكان من جنود سوريين أحرار انشقوا.

وفي جسر الشغور قتل قناصة غير سوريين كانوا يطلقون الطلقات على رؤوس المتظاهرين، بدقة غير متوفرة عند الجنود أو الضباط السوريين، وتكرر الأمر في حي باب السباع في حمص.

جيش المساكين خلال الثورة.. وقبلها

الجيش الحر، هم الافراد الذين انشقوا عن الجيش النظامي وفروا من الخدمة سواء كانوا مجندين يؤدون خدمة إلزامية أو متطوعين، بسبب إلزام النظام لهؤلاء الجنود بإطلاق النار على المتظاهرين.

كان رفض أي جندي أوامر ضباطه بقتل الناس في تظاهرات درعا حيث بدأت ثورة الشعب السوري ضد نظام الأسد يوم 2012/2/27، يعني اعدام الجندي وكل من يعصى الاوامر بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين، وإذا ما حاول جندي التخلص من ذخيرته بإطلاق النار فوق الرؤوس، كان هناك رجال أمن خلفهم يراقبون مجموعات الجنود في الصفوف الأولى، ليتأكدوا من ان هؤلاء يقتلون المتظاهرين أو يتخلصون من ذخائرهم.

كان الهدف من قتل الجنود بسرعة هو إعطاء العبرة لزملائهم حتى لا يقلدوهم فيلقون المصير نفسه.. لكن الجنود الرافضين تكاثروا حتى على القتل وانشق منهم الكثيرون، الانشقاق الأول حصل في منطقة درعا في بلدة نوى في اللواء 52، بعدها نزلت الفرقة الرابعة بقيادة ماهر الأسد إلى محافظة درعا، لقيادة القتل الممنهج ضد المتظاهرين وضد الجنود الذين يرفضون إطلاق النار عليهم. وصعد الهتاف الشعبي الاشهر في بداية الثورة ومن درعا أيضاً:

ماهر أسد يا جبان وجّه جيشك للجولان

أرسل بشار جيشه إلى درعا تحت ذريعة مواجهة مجموعات إرهابية.. هكذا قالوا للجنود، وقد بدأوا إطلاق النار بداية وهم مصدقون مزاعم بشار وشقيقه ماهر.

وبسرعة شديدة اكتشف الجنود على بساطتهم ان ما يحصل ليست مواجهات مع مجموعات إرهابية مسلحة، بل هي عملية قتل جماعي منظمة تتم بأيديهم.. فبدأ عصيان الاوامر.. ومن ثم الفرار إلى القرى والبلدات ثم استفحل الأمر بالقتل فكان على كل جندي يرسل لقتل الناس في بلدته أن يحسم خياره.. هل يقتل أهله وأهل قريته الذين يعرفهم مصدقاً أقوال رؤسائه.. أم يرفض ليقتل.

كان هناك حل ثالث هو الفرار.. ومع تكاثر عمليات الهرب كان لا بد من التجمع واللقاء لهدف واحد هو حماية الاهالي الذين أرسل بشار وماهر جنودهما لقتالهم.

هكذا بدأ تشكيل الجيش الحر.. وكانت البداية مع الضابط حسين هرموش الذي أعلن مع عدد من الضباط من زملائه تشكيل تنظيم الضباط الاحرار.

يقول النائب السوري الحر عماد غليون للكاتب: ان هرموش استلهم التسمية من تشكيل الضباط الاحرار الذي أسسه جمال عبد الناصر في مصر ونظم به ثورة 23 تموز/يوليو في مصر عام 1952 وكان ربما يريد القيام بحركة داخل الجيش السوري لإنهاء الحالة الشاذة في البلاد.. وكان هذا أفضل حلّ لو تم ولوفر على البلاد المآسي التي تعيشها (رواية كاملة عن هرموش في مكان آخر من الكتاب).

وحده النائب عن درعا يوسف أبو رومية وقف في مجلس الشعب السوري ليعلن بعد جرائم جيش النظام في مدينته درعا، ان عناصر من الأمن السوري هي التي اقتحمت المسجد العمري في درعا وقتلت الناس ثم تركت بعض الاسلحة الفردية ومبالغ من المال داخل المسجد وجاءت بمصوري التلفزيون السوري ومحطة الدنيا التابعة لرجل الاعمال الذي يدير مصالح ماهر الأسد محمد حمشو ليصوروا هذه الاسلحة والاموال ليقولوا للناس في سوريا ان جيش الأسد يقاتل إرهابيين.

أغضب موقف أبو رومية أجهزة الأمن التي استدعته لتهدده وتطلب منه نفي هذا الكلام فلما رفض هددوه بإيذاء أهله، ثم جاءه بعض من أهله إلى دمشق ليطلبوا منه التراجع فصمت ثم اختفى كما اختفت محاضر الجلسة التي لم تعرض صورها رغم تصويرها كالعادة (عن مجلس الشعب ومراقبته فقرة خاصة في هذا الكتاب).

لكن الناس في سوريا وخارجها تداولت شريط الجلسة، وكلمة الشيخ أبو رومية، بعد تصويرها بالصدفة، فقد شاهد مرافقو النواب في قاعة خاصة بهم خارج قاعة المجلس الأساسية الكلمة التي ألقاها النائب عن درعا، فعمد مرافقوه إلى تصويرها من خلال الشاشة ثم سربوها إلى وسائل الاعلام الخاصة وبثت في "اليوتيوب".

كان شريط كلمة أبو رومية وثيقة دامغة عن تزوير الحقائق.. بل هو نموذج انطلق من درعا كما الثورة ليتكرر في كل سوريا وفق سيناريو واحد: تظاهرات.. يتصدى لها الأمن.. يقتل عدداً منهم ويجرح أعداداً أكبر ويعتقل أعداداً بالمئات ثم يعمد اعلام بشار للتزوير والادعاء بأنها مجموعات إرهابية مسلحة!!

الجيش السوري يدمر ثم يحضر الاسلحة ليزعم انها مجموعات إرهابية مسلحة..

في إحدى المرات وضع جنود الأسد أسلحة في أحد منازل حي باب السباع في حمص، لكن الثوار شاهدوهم وهم يرمون الاسلحة في المنزل فعمدوا إلى تصويرهم بما يملكون من وسائل تقنية يدوية (هاتف محمول) وكانوا يريدون نشرها فأرسلوها إلى الجهات العربية والدولية لبثها ليكشفوا خطط النظام.

بعد ان بثت هذه الصور الحقيقية لدس الاسلحة في الوسائل الخارجية تراجعت وسائل اعلام النظام عن بث الصور التي التقطتها للأسلحة تجنباً للفضيحة.

بعد تحرك الضباط الاحرار بقيادة هرموش وعدد من الضباط حوله جاء تحرك آخر لتشكيل الجيش الحر بعد ان هرب العقيد رياض الاسعد إلى تركيا وهناك تبنى هذا الاسم الجيش الحر.. بإعلان من العقيد رياض الاسعد علماً بأن الجنود والضباط الذين ظلوا يقاتلون داخل سوريا لم يلتقوا الضباط الذين لجأوا إلى تركيا، بل ارتضوا حمل الاسم وتعمم الاسم الذي اعتمده العقيد الاسعد وهو في تركيا تحت حماية الاستخبارات التركية، وباتت كل مجموعة من الجنود ترفض قتل المتظاهرين وتهرب تحمل اسم الجيش السوري الحر.

أصبح الاسم علماً دون هيكلية ودون تنسيق لكنه ذا هدف واحد وهو محاولة تفكيك آلة قتل جيش الأسد.

زادت الانشقاقات ولم يتحول الجيش الحر إلى جيش متماسك، لأنه كان يحتاج إلى منطقة آمنة ليلتقي فيها، ويقيم معسكراته ويرتب هيكليته.

لكن أهم ما توافر للجيش الحر هو البيئة الشعبية الحاضنة في كل مكان تحرك فيه داخل سوريا بهدفه النبيل وهو الامتناع عن قتل الناس، وترك موقعه العسكري وعصيان أوامر ضباطه بالقتل المباشر للأبرياء المتظاهرين السلميين المنادين بالحرية.

مصطفى طلاس خدم الثورة من حيث لا يعلم

الخطوة التنظيمية المتواضعة الأولى للجيش الحر كانت بتشكيل كتائب في كل منطقة تكاثر فيها الجنود والضباط المنشقون، وكان أبرزها كتيبة خالد بن الوليد والفاروق في حمص والرستن وكتيبة القاشوش من حماه (نسبة للمظلوم ابراهيم قاشوش).. ثم كتيبة ابراهيم هنانو في حلب وكتيبة القعقاع في إدلب وكتيبة الهرموش نسبة للضابط الحر المختطف حسين الهرموش وكتيبة حمزة الخطيب في درعا مهد الثورة. مرفق جدول بالكتائب المسلحة كما أوردتها جريدة "الحياة" السعودية وأعدته الزميلة بيسان الشيخ (الخميس في 2012/4/12).

وتعمم تشكيل الكتائب الثائرة.. وكانت الرستن المدينة التي ولد فيها وزير دفاع سوريا لعقود مصطفى طلاس صديق حافظ الأسد السابق ثم تابعه، هي المدينة السنية التي ينتمي إليها عدد كبير من ضباط جيش الأسد.. وكان أبرز الضباط المنشقين منها هو المقدم عبد الرزاق طلاس قريب صديق الأسد الأب الذي يقود كتيبة الفاروق في الرستن ثم كان الحدث الأبرز وهو انشقاق العميد مناف مصطفى طلاس قائد اللواء 105 في الفرقة الرابعة التي يقودها ماهر الأسد في شهر تموز 2012. وقد بات قبلها معروفاً انه عزل في منزله قبل ذلك بعدة أشهر قبل أن يفر من دمشق عبر عدة طرق إلى باريس ليلتحق بوالده وشقيقه فراس الذي كان يرسل مساعدات لكتائب الثوار في الرستن.

كان مصطفى طلاس يعتز في عهد حافظ انه الاكثر وفاء للأسد فهو بنى في مدينته تمثالاً هو الاضخم للرئيس في كل سوريا، وهو أيضاً بنى المجموعة الأكبر من الضباط في الجيش السوري نسبة لعدد سكان الرستن لكن هاتين الهديتين مجال فخر مصطفى طلاس سرعان ما تم تحطيمهما مع بداية ثورة الشعب السوري ضد النظام الذي خدمه طلاس واعتاش منه لعشرات السنين.

حطم الثوار تمثال حافظ، وانخرط مئات الضباط والجنود في كتيبة هي الأهم في قتال جيش بشار الأسد.

والأهم بعد ذلك ان رجل الاعمال السوري المعروف ابن مصطفى طلاس البكر فراس المتمول الكبير في باريس هو واحد من ممولي الثورة الشعبية في سوريا ضد بشار وشقيقه ماهر..

الابن الآخر لمصطفى طلاس العقيد مناف طلاس الذي أدخله الأسد القيادة القطرية لحزب البعث، كان مقرباً جداً من ماهر الاسد، وقد تعارف الولدان مناف وماهر عن طريق والديهما مصطفى وحافظ، وعندما كبرا والتحقا بالجيش وبعد رحيل الأب وتسلم الابن السلطة.. ساد اعتقاد بأن مناف سيؤدي دور والده قرب ماهر داخل الجيش أولاً.

لكن الثورة الشعبية في سوريا قلبت كل المقاييس، فمصطفى مريض، وفراس يمول الثورة ومناف انشق وحاولت جهات عدة الترويج له ليكون رئيس حكومة انتقالية تخلف الأسد، لكن قادة المعارضة في الداخل والخارج لم يتجاوبوا مع هذه المحاولات.

أدت الانشقاقات التي حصلت ونشوء الجيش الحر وانصرافه إلى حماية الناس وخوض معارك عسكرية دفاعية في مواجهة جيش الأسد إلى حالة جديدة في الجيش الأخير، حيث بات قادته يمتنعون عن زج كامل القطاعات العسكرية في المواجهات المباشرة.

راحوا يتبعون أسلوباً جديداً، معتمدين على ما يسمى عناصر النخبة في محاصرة المدن ويدفعون أمامهم الجنود الذين يؤدون الخدمة الإلزامية لقتال المتظاهرين ويبقى ضباط وجنود النخبة في الخطوط الخلفية.

لم ينقسم الجيش السوري بين جيش حر وجيش الأسد فقط، بل انقسم جيش الأسد نفسه إلى ضباط علويين ومسيحيين في الخلف يعطون أوامر القتل.. وجنود سنّة في الصفوف الأمامية يقتلون ويقتلون في مواجهات مع الجيش الحر.. وهؤلاء الجنود يهربون عندما تسنح لهم الفرصة، ليزيدوا من اعداد الجيش الحر بالمئات اسبوعياً.

المحاكم الميدانية تلاحق الجنود الثوار

ليس جديداً الحديث عن محاكم ميدانية يجريها جيش الأسد لجنوده أو ضباطه في حال اتهمهم بالهروب من الخدمة أثناء الحرب..

لكن المهم إبراز النقاط التالية:

1- مرت 38 سنة على آخر حرب خاضها الجيش السوري ضد اسرائيل (1973 – 2012) وبالتالي فإن الحرب المقصودة في حرب هذا الجيش هي ضد الشعب السوري.

2- المحاكم الميدانية التي يجريها جيش الأسد هي كلها لجنود رفضوا إطلاق النار على المتظاهرين المدنيين المطالبين بالحرية واسقاط نظام بشار.

3- هذه المحاكم لا تستغرق أكثر من دقائق عدة، ولا يسمح فيها للمتهم بأي دفاع عن النفس، فهي ليست محاكم تشهد اتهامات ودفاعاً وأحكاماً واستئنافاً بل هي حكم مبرم مقرر سلفاً.. ونتيجتها الوحيدة هي الاعدام رمياً بالرصاص.

4- كل الذين خضعوا للمحاكم العسكرية الميدانية هم من الضباط والجنود السنّة.. علماً بأن هناك ضابطاً علوياً واحداً أيد الثوار وتم إعدامه.

5- لا يقدم النظام عادة على اعدام جنود وضباط علويين أو مسيحيين أو دروزاً خوفاً من ردود أفعال طوائفهم ومذاهبهم ومناطقهم.

واضطر جيش الأسد أيضاً إلى تغيير أسلوب المواجهات، بعد ان اكتشف ان كل مجابهة بين الجنود الذين يأمرهم بقتل المتظاهرين وبين الجيش الحر تنتهي بإنضمام العشرات بل والمئات إلى الجيش الأخير فعمد إلى تجنب المواجهات المباشرة، ولجأ إلى القصف المدفعي العنيف والقصف بالدبابات وبالراجمات للتدمير المنهجي.. ومن بعيد وهذا ما أدى لاعتماد سياسة المدن المحروقة، لتهجير الناس لتخفيف البيئة الشعبية الحاضنة.

وفي أسلوب يستلهم تاريخ الحروب في القرون الوسطى عمد جيش الأسد إلى حفر خنادق بعرض 5 أو 6 أمتار حول المدن لخنق سكانها ومنع إيصال أي دعم لهم غذائياً أو بالوقود أو بالذخائر من مناطق محررة أو بعيدة عن سيطرة النظام..

قال النائب عماد غليون للكاتب ان هذه الخنادق كان لها هدف آخر، وهو إمكانية إخفاء آلياته الضخمة داخلها في حال تعرض جيش الأسد لعمليات عسكرية خارجية فيتم تغطيتها بسواتر.

ركز جيش الأسد على حي بابا عمرو بسبب وجود ضباط أشداء محترفين وضعوا خططاً لحماية الناس وتدريب الشباب والشد من عزائم المقاتلين ونجحوا في تشكيل جيش مصغر من مئات المقاتلين في هذا الحي وقد آلموا جيش الأسد بعد محاولة اقتحام فاشلة للحي أيضاً بسحب حاجز زارته لجنة المراقبين العرب سابقاً وهو حاجز الاستهلاكية وأصبحت حمص القديمة بعده كلها محررة وسقطت حواجز الجيش الواحد بعد الآخر في منطقة قصر الزهراوي ثم بستان الديوان وحررت شعبة الحزب قبل أن يدكه جيش بشار بكل أنواع الحمم ليحتله مدمراً ثم يزوره بشار كما زار اريل شارون قلعة ارنون في جنوبي لبنان أثناء احتلاله عام 1982.

بالمقابل تمسك الجيش الحر بتواجده داخل المدن بعد ان بات جزءاً منها ومن أهلها، فجنوده ينتمون عادة إلى أهل المدن التي لجأوا إليها، ثم انهم عملوا على تدريب شبابها ليكونوا ضمن مقاومة شعبية شاملة دفاعاً عن مدنهم، أصبح جنود الجيش الحر أبناء الناس يستضيفونهم ويقدمون لهم الطعام والمبيت وغسل الملابس بل وملابس جديدة أو مستعملة. ويقدمون لهم التبرعات.. وبعض النسوة قدمن الذهب الذي حملنه من أولى أيام الخطوبة والزواج.

لم يخرج الجيش الحر من المدن كما كان يريده جيش الأسد، بعد ان تنبه الاحرار إلى أسلوب جماعة النظام.

تعددت مهمات الجيش الحر في المدن المحاصرة والمحررة أيضاً، فإلى جانب حماية الناس، قاموا بتدريب الشباب، فحتى هؤلاء الذين أدوا الخدمة العسكرية لم يكن يتسنى لهم في جيش الأسد ان يجيدوا القتال، لأن التدريب في هذا الجيش كان بدائياً يقتصر على المسائل الادارية والتنظيمية وشؤون الخدمة في المنازل والطبخ والاعمال المهنية.

يؤكد غليون انه عندما أدى خدمته العسكرية لم يشمل تدريبه كما آلاف الجنود الرماية بالرصاص سوى مرة واحدة فقط، وبعض أفراد الجيش الحر مع بداية الثورة كان يطلق النار في الهواء مع جهل حقيقي بكيفية التصويب.

ثم ان بشار الأسد عمد إلى تخفيض مدة الخدمة العسكرية مرتين خلال فترة حكمه.. وأمر بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة في سوريا بتخفيض فترة الخدمة التي كانت 30 شهراً إلى 24 شهراً ثم خفضها بعد ذلك إلى 18 شهراً.

يقول غليون ان الجيش السوري هو نمر من ورق وان كان جيش الأسد هو جيش النخبة أي الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري.

فأي جيش هذا الذي يبيع سلاحه لجيش يقاتله.. منشق عنه وأي جيش هذا الذي يضم ضباطاً يتفقون مع جنود ثوار على ترك مواقعهم وتسليم أسلحتهم المتوسطة (رشاش 500) مقابل مبلغ 300 ألف ليرة سورية (6 آلاف دولار مع النجاة وجنوده).

انه جيش الأسد الذي يبيع بعض جنوده وضباطه حتى من العلويين السلاح والذخيرة لمقاتلي الجيش الحر حتى بأقل من أسعاره العادية بهدف جمع المال.

انها إحدى غرائب هذه الحرب.. انها إحدى وسائل تزويد الجيش الحر بالسلاح والذخيرة.. فضلاً عن الاسلحة والذخائر التي يغنمها الجيش الحر من جيش الأسد خلال المعارك وبعدها وعبر الكمائن.. كذلك عبر تهريب السلاح من لبنان وتركيا والعراق.

ولإقفال أبواب التهريب للسلاح من لبنان مثلاً فإن حزب الله حليف الأسد ضغط على قيادة الجيش اللبناني، لنشر كتائب أو فصائل من عناصره الموثوقين بأنهم غير مؤيدين لثورة سوريا على طول الحدود البقاعية والشمالية مع سوريا، بل وكانت استخبارات الجيش اللبناني التي يشرف عليها مؤيدون لحزب الله تلاحق أي مواطن سوري تتسلم اسمه من الحزب المذكور لتتهمه انه ناشط سوري فتعتقله بحجة انه لا يحمل أوراقاً ثبوتية دون أن ننسى ان لبنان هو الخاصرة الرخوة الجاهزة للتفجير الداخلي.. كما حصل في طرابلس ويمكن أن يحصل في أي منطقة منه.

وبالنسبة إلى تركيا، فإن حماية الحدود معها تحتاج إلى نشر كل الجيش التابع للأسد، والاستعانة بجيوش أخرى لتحقيق هذا الغرض.

علماً بأن هناك اتفاقية تركية – سورية سابقة لاتفاقية أضنة عام 1998، تنص على حق الجيش التركي حماية الحدود حتى عمق 5 كلم داخل الاراضي السورية، على ان تمدهم السلطات السورية بالكهرباء وبعض الخدمات، مقابل حماية الاتراك

للحدود بعد ان أقر الجانب السوري بعجزه عن حماية الحدود الشاسعة.. دون أن ننسى ان بشار تنازل عن لواء الاسكندرون السليب عام 1939 لتركيا في زيارته الشهيرة عام 2007 أما العراق الذي تربطه مع سوريا مساحات شاسعة من الحدود بمئات الكلمترات، وفي محاولات سابقة من جانب بشار لإرضاء الأميركان الذين كانوا احتلوا العراق في 2003/3/20 فقدم إنشاء مفارز أمنية وسواتر ترابية، لذا فإن حكومة العراق برئاسة نوري المالكي التي تتلقى أوامرها من قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني تتشدد بحماية الحدود لمنع التواصل بين ثوار سوريا وأهالي العراق المتعاطفين معهم.. خاصة في المناطق المحاذية لمحافظة دير الزور.. مع التذكير بأن أهالي هذه المناطق كانوا يرفعون صور الرئيس العراقي الراحل صدام حسين في تظاهراتهم ضد العدوان الأميركي على العراق.

وما زال أهالي الفلوجة في محافظة الانبار التي تشكل ثلث مساحة العراق متعاطفين مع ثورة شعب سوريا ومثلما فعل أهالي دير الزور برفع صور صدام، فإن أهالي الفلوجة نظموا خلال الثورة السورية تظاهرات ضخمة لإعلان تأييد العراقيين لها.. بل والزحف إلى سوريا لمقاتلة نظام بشار.. حيث العشائر مشتركة بين دير الزور والرواة والفلوجة.

أدركت طهران هذه الحقيقة.. لذا ألزمت حكومة المالكي التابعة لها في بغداد، أن تراقب الحدود مع سوريا بكل قدراتها، بل وأرسلت إلى الجيش العراقي الذي يتعاطف ضباطه الشيعة مع نظام الأسد لأسباب مذهبية أحدث أجهزة المراقبة والملاحقة والتنصت مع خبراء إيرانيين انتشروا على نقاط معينة عند الحدود بين سوريا والعراق لمنع وصول المساعدات الشعبية والمتطوعين العراقيين لمساندة أبناء سوريا في دفاعهم عن أنفسهم.. ولم يوفر نظام الأسد جهداً في الارهاب إلا واستخدمه لإخافة العراق وتركيا معاً عبر دعم حزب العمال الكردستاني ضد تركيا، وعبر التفجيرات الارهابية التي يعرف العراقيون مصدرها من الجار السوري.

أما عند الاردن فإن عمان حريصة على حساباتها لذا تضبط الحدود خوفاً على أمنها الداخلي، من إرسال النظام من يخرب داخل الأراضي الاردنية.

مرفق تقرير منشور في جريدة "الحياة" يبدأ تحت عنوان تشكيل الكتائب.

ثغرات الجيش الحر

الثغرة الاساسية في حالة الجيش السوري الحر هي في وجود قيادته في تركيا تحت سيطرة الاستخبارات التركية، وتحرك الجنود السوريين الاحرار الذين رفضوا قتل أبناء بلدهم بأوامر من قيادتهم العسكرية والسياسية، لم ينجح قائد هذا الجيش العقيد رياض الاسعد في إنشاء هيكلية له ولا في التواصل مع ثواره وكتائبه. صحيح ان قائد الجيش الحر العقيد رياض الأسعد، الواقع رهينة في قبضة استخبارات الجيش التركي الذي يسيطر عليه علويّو تركيا (العرب والاتراك)، كان على صلة ببعض الضباط الذين انشقوا عن نظام الأسد، وأسسوا داخل سوريا كتائب قتال حقيقية من جنود أحرار، يملكون الايمان والحماس، أكثر بكثير مما يملكون السلاح الفعال للقتال، والتقنية والخطط العسكرية. إلا ان الحقيقة الأهم ان كل المعارك العسكرية ضد جيش الأسد كانت تتم بمبادرات داخلية دون أن يكون للأسعد رأي أو دور أو حتى معرفة بما يجري.

عزل الاتراك رياض الأسعد وحددوا له حركته وحدوا منها وحاصروه، حتى ان أحداً لم يقابله إلا بإذن منهم فبات بعيداً عن الواقع السوري الداخلي، وأصبح وهو الضابط المهني مقتنعاً بنفسه قائداً للثورة.. أو قائداً للجيش السوري المنتظر، ورفض تلقي الأوامر السياسية من المجلس الوطني السوري، وعندما انشق العميد مصطفى الشيخ من جيش الأسد وجاء إلى تركيا رفض الأسعد تسليمه مقاليد الجيش الحر، رغم ان الشيخ أعلى منه رتبة، وخاف أن يضيع مركزه القيادي الاعلامي مما دفع الشيخ للانفتاح على قوى عربية خارج تركيا وسوريا وتلقى دعماً من رئيس وزراء لبنان السابق (يومها) سعد الحريري.. الذي سهل له الانفتاح على بعض المسؤولين السعوديين.

وللتوضيح لا يعني رفض رياض الأسعد التعاون مع المجلس الوطني السوري ان هذا الأخير كان يمثل الشعب السوري أكثر مما يمثل رياض الأسعد الجيش السوري الحر، فالمجلس الوطني ركب بطريقة توافقية بين قطر وتركيا وفرنسا حفظ فيها "المركبون" للاخوان المسلمين دوراً مميزاً داخله.

لم تكن التركيبة التي قام عليها المجلس الوطني معبرة عن الثورة السورية إلا في الاطار الاعلامي، السياسي، لكن الحقيقة ان ثورة الشعب السوري تجاوزت كثيراً طروحات هذا المجلس، وكشفته انه عاجز عن مواكبة الحراك الثوري في الشوارع السورية.

كان الشعب السوري ينادي بإسقاط النظام ومحاكمة بشار، وكانت طروحات المجلس الوطني تتحدث عن تغيير النظام وظل بعض قيادييه لأشهر يتجنبون الحديث عن إسقاط بشار.

وكانت أخبار التوقيع على التنسيق مع هيئة التنسيق التي تمد خيوطاً قوية مع استخبارات الأسد ضربة قوية لسمعة المجلس الوطني في الشارع السوري الثائر التي خرجت تظاهراته ترفض هذا التنسيق وتتهم موقعيه بأنهم خانوا الثورة السورية وباعوها.

ولكن ثورة الشعب السوري المدنية ثم المسلحة تجاوزت كل الخطوط الحمر، وسبقت كل القوى السياسية والقيادات العسكرية بمراحل، حتى ألزمت الجميع اللهاث خلفها، حتى تم إيجاد نوع من التنسيق أمكن خلاله تحقيق انتصارات عسكرية حقيقية على الارض استعجالاً لإسقاط بشار وعصاباته..

كان التنسيق ضرورياً حتى يتوافر التحرك السياسي المواكب للتحرك العسكري والشعبي، فأمكن توفير ما تيسر من مال وسلاح وعتاد وأجهزة حديثة لم تأت إلا بعد ان قدم السوريون الاحرار الدماء انهاراً وهزوا أمن بشار في معاقله في دمشق وحلب وكانت الثورة قاب قوسين أو أدنى من الانتصار.

جدول بالكتائب المسلحة

في ما يلي جدول بالمجموعات المقاتلة في سورية بحسب المناطق، مع العلم ان بعضها أعلن عنه الجيش السوري الحر في شكل رسمي في شريط مصور عرض في تشرين الأول/اكتوبر 2011، فيما بعضها الآخر انضم لاحقاً. مصدر هذه المعلومات قادة بعض الكتائب إضافة إلى أبحاث وتقارير اكاديمية.

محافظة حمص

كتيبة خالد بن الوليد

منطقة العمليات: محافظة حمص

القائد: الرائد عبد الرحمان شيخ علي

العدد المقدر: أكثر من 2000

تعدّ كتيبة خالد بن الوليد من أكبر وأكثر قوات الثوار الناشطة في سوريا فاعلية بعد توحيد قيادات عدة للثوار في أنحاء حمص، دخلت في أول معركة لها في نهاية أيلول/سبتمبر 2011 لإجبار قوات أمن النظام على الانسحاب من الرستن.

كتيبة الفاروق

منطقة العمليات: بابا عمرو، مدينة حمص

القائد: الملازم أول عبد الرزاق طلاس (9 شباط 2012)

العدد المقدر: ألف (شباط 2012)

كانت كتيبة الفاروق التابعة لكتيبة خالد بن الوليد وحدة القتال الأكثر فاعلية وأوقعت خسائر كبيرة في صفوف الجيش النظامي في بابا عمرو بين تشرين الأول وتشرين الثاني (نوفمبر) 2011. وفي شباط (فبراير) 2012، أدت المقاومة الشديدة في بابا عمرو إلى فرض حصار لثلاثة أسابيع وقصف الحي قبل دخول القوات النظامية الميدانية إليه وإحكام السيطرة عليه.

كتيبة فادي القاسم (متفرعة من خالد بن الوليد)

منطقة العمليات: باب دريب، مدينة حمص

القائد: النقيب يوسف الحمود

العدد المقدر: 100

كتيبة محمد طلاس (متفرعة من خالد بن الوليد)

منطقة العمليات: الرستن، محافظة حمص

القائد: الرائد أحمد بحبوح

العدد المقدر: بين 50 و100

كتيبة حمزة

منطقة العمليات: الرستن، محافظة حمص

القائد: الرائد علي محمد أيوب

العدد المقدر: بين 50 و100

نجحت الكتيبة في انتزاع الاحياء الغربية في الرستن من قبضة قوات النظام في كانون الثاني/يناير 2012.

سرية علي بن أبي طالب (متفرعة من خالد بن اوليد)

منطقة العمليات: الحولة، محافظة حمص

القائد: الملازم أول فايز أحمد العبدالله

العدد المقدر: 25

كتيبة المهام الخاصة

منطقة العمليات: الزعفرانة والمختارية، محافظة حمص

القائد: النقيب رواد أحمد الاكسح

العدد المقدر: 50

محافظة درعا

كتيبة العمري

منطقة العمليات: محافظة درعا

القائد: النقيب قيس القطاعنة

العدد المقدر: 100

كتيبة الناصر صلاح الدين

منطقة العمليات: سنامين، محافظة درعا

القائد: غير معروف

العدد المقدر: بين 25 و50

تعمل في شكل مستقل عن كتيبة العمري لكن بتنسيق مع القطاعنة.

كتيبة أحمد الخلف

منطقة العمليات: الجيزة، محافظة درعا

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 25

كتيبة شهداء الحرية

منطقة العمليات: المسيفرة، محافظة درعا

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 25

سرية رائد المصري

منطقة العمليات: تسيل، محافظة درعا

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 10

محافظة حلب

كتائب أبابيل

منطقة العمليات: محافظة حلب

القائد: النقيب عمار الواوي

العدد المقدر: غير معروف

كتيبة الحرية

منطقة العمليات: محافظة حلب

القائد: النقيب ابراهيم منير مجمور

العدد المقدر: بين 25 و30

واحدة من المجموعات التي أعلن الجيش السوري عن تشكيلها في الشريط المصور.

محافظة إدلب

كتيبة الهرموش

منطقة العمليات: جبل الزاوية

القائد: النقيب يوسف الدين يحيى

العدد المقدر: 150

من أكبر المجموعات المقاتلة وأكثرها قدرة. سيطرت على جبل الزاوية في شكل كامل قبل أن تعود القوات النظامية وتنتزعه في كانون الأول/ديسمبر. استأنفت العمليات القتالية ونصب الكمائن وشن الغارات في كانون الثاني 2012.

كتيبة حمزة

منطقة العمليات: مدينة إدلب وضواحيها

القائد: المقدم عبد الستار يونس.

العدد المقدر: غير معروف

واحدة من المجموعات الـ 22 التي أعلن الجيش السوري الحر عن تشكيلها في الشريط المصور.

كتيبة أبو بكر الصديق

منطقة العمليات: مدينة إدلب

القائد: غير معروف

العدد المقدر: غير معروف

سرية درر بن الأزور (انضمت لكتيبة أبو بكر الصديق)

منطقة العمليات: سرمين

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 15

تشكلت في كانون الأول 2011

كتيبة معاوية

منطقة العمليات: سراقب

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 50

أعلن عن تشكيلها في شريط مصور في شباط عرض تجمعاً كبيراً لحوالى 50 مقاتلاً

ريف حماة وجنوبي إدلب

كتيبة أبو الفداء

منطقة العمليات: ريف حماة وجنوب محافظة إدلب

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 500 (بمن فيهم أعضاء كتيبة أسامة بن زيد)

واحدة من المجموعات التي أعلن الجيش السوري الحر عن تشكيلها في الشريط المصور. شنت كتيبة أبو الفداء وكتيبة أسامة بن زيد حوالى 20 غارة ونصبت كمائن في السهل الزراعي الواقع عند سفح جبل سهل إدلب، شمال مدينة حماة.

كتيبة أسامة بن زيد

منطقة العمليات: ريف حماة وجنوب محافظة إدلب

القائد: النقيب زهير الشيخ

العدد المقدر: 500 (بمن فيهم أعضاء كتيبة أبو الفداء)

سرية محمد حسين الحلاق (التابعة لكتيبة أسامة بن زيد)

منطقة العمليات: كفرنبودة، إدلب/حماة

القائد: الملازم أول أيمن حلاق

العدد المقدر: بين 25 و50 (بمن فيهم أعضاء سرية ايمان بن حسين عبدالله)

الملازم أول حلاق هو قائد سرية محمد حسين الحلاق وسرية ايمان بن حسين عبدالله، وفي شباط 2012 ألقت وحدته القبض على 11 إيرانياً كانوا يسافرون عبر مدينة حماة ثم أطلق سراحهم.

سرية ايمان بن حسين عبدالله (التابعة لكتيبة أبو الفداء)

منطقة العمليات: كفرنبودة، إدلب/حماة

القائد: الملازم أول أيمن حلاق

العدد المقدر بين 25 و50 (بمن فيهم سرية محمد حسين الحلاق)

سرية كفاح سرماني (تابعة لكتيبة أسامة بن زيد)

منطقة العمليات: خان شيخون، إدلب ومورك، حماة

القائد: الملازم أول عبد المجيد أيوب

العدد المقدر: 25

سرية منهل فكري (تابعة لكتيبة أسامة بن زيد)

منطقة العمليات: خان شيخون، إدلب

القائد: الملازم أول أبو زيد

العدد المقدر: 15

سرية أبو عمار

منطقة العمليات: إدلب

القائد: الملازم أول أمين أبو عثمان

العدد المقدر: 15

عملت في شكل مستقل بقيادة أحمد مدير الحسين قبل وفاته في منتصف تشرين الثاني 2011. وانضمت إلى كتيبة أسامة بن زيد بقيادة عثمان.

سرية حسن الحسن (تابعة لكتيبة أسامة بن زيد)

منطقة العمليات: إدلب/حماة

القائد: الملازم أول محمود أحمد حمادي

العدد المقدر: 15

سرية محمد الشيخ (تابعة لكتيبة اسامة بن زيد)

منطقة العمليات: إدلب/حماة

القائد: الملازم أول محمد باز

العدد المقدر: 15

سرية خضر الشريف

منطقة العمليات: كفرنبودة، إدلب/حماة

القائد: الملازم أول محمد الخال

العدد المقدر: بين 15 و25

تشكلت في منتصف كانون الأول 2011 وأعلنت انضمامها لكتيبة أسامة بن زيد في منتصف شباط أعلن الملازم الأول فيها طلال المصري في شريط مصور انضمامه إلى أسامة بن زيد وكتيبة أبو الفداء.

سرية مصعب السبع

منطقة العمليات: غير معروف

القائد: غير معروف

العدد المقدر: 30

تشكلت الوحدة في منتصف شباط 2012 وأعلنت انضمامها لكتيبة أسامة بن زيد في شريط مصور لم تعلن عن مسؤوليتها عن اي هجوم محدد.

سرية عزالدين

منطقة العمليات: إدلب

القائد: جعفر عبد الفتاح اكربو

العدد المقدر: 20

تشكلت في منتصف شباط 2012 وأعلنت انضمامها لكتيبة أسامة بن زيد في شريط مصور لم تعلن عن مسؤوليتها عن أي هجوم محدد.

كتيبة سليمان

منطقة العمليات: جنوب محافظة أدلب

القائد: العميد الركن رضوان المدلوش (قتل في 14 تشرين الثاني 2011)

واحدة من المجموعات التي أعلن الجيش السوري الحر عن تشكيلها في الشريط المصور يبدو ان هذه المجموعة تفككت بعد مقتل المدلوش ومن المرجح أن يكون اعضاؤها انضموا إلى كتيبة ابو الفداء.

كتيبة القاشوش

منطقة العمليات: حماة

القائد: النقيب أيهم الكردي

العدد المقدر: غير معروف

واحدة من المجموعات الاثنتين والعشرين التي أعلن الجيش السوري الحر عن تشكيلها في الشريط المصور وان النقيب الكردي هو قائد الكتيبة في حماة. اللافت ان كتيبة القاشوش لم تعلن مسؤوليتها عن عمليات محددة على خلاف عدد من الكتائب الأخرى التي تنشط في المنطقة.

الكاتب:

هذه المعلومات كانت صالحة حتى صيف 2012 حيث نشأت تشكيلات جديدة، وانتهى بعض القديم، ودخلت مجموعات مدنية ذات توجه اسلامي كان بعضها يحمل شكلاً راية الجيش الحر، وبعضها رفع رايات الجهاد الديني.

المقدم حسين هرموش
يرفض الخضوع للإخوان المسلمين
وضابط تركي علوي يسلمه للأسد

كيف بدأ المقدم حسين هرموش انشقاقه عن جيش الأسد؟

المقدم حسين هرموش هو من أوائل الضباط المنشقين في جيش الأسد هو من قرية ابلين في جبل الزاوية في إدلب.

يحمل بكالوريوس في الهندسة، أجرى دورات عسكرية بعضها في روسيا وألمانيا (خريج الاتحاد السوفياتي) متزوج ولديه 4 أولاد هو مواليد 1972، هو أبو براء اسم ابنه الأكبر.

انشق في شهر حزيران/يونيو 2011، ووصل إلى المناطق الوعرة في جبل الزاوية وعائلته أولاً، والمنطقة كانت ملاذاً لهاربين من بطش جيش الأسد.

عندما اشتدت الملاحقات الأمنية لجأ إلى تركيا وانضم إلى مخيمات اللاجئين التي أقيمت في تركيا في منطقة انطاكيا (هاتاي بالتركي) ثم بدأ تدفق العسكريين المنشقين من ضباط ومجندين (20 ضابطاً و75 مجنداً) السلطات التركية جمعتهم في

مخيم خاص بهم وفرضت قيوداً مشددة على حركتهم كانت لجنة تركية أمنية تستقبل العسكريين وتحقق معهم وتفتح لكل واحد منهم ملفاً للتوثيق.

بعد اشتداد هجمات جيش الأسد على المدنيين وسقوط الآلاف من المدنيين، وتزايد أعداد المنشقين في الداخل، حاول الهرموش التواصل مع عدد من الضباط في الداخل من أصدقائه ومعارفه وأسس معهم حركة الضباط الاحرار التي سرعان ما انضم إليها العشرات من المنشقين في درعا وفي الرستن وإدلب وحمص.

السلطات التركية لم تسمح بتوسع حركة المقدم هرموش والتواصل مع الضباط والعسكر خارج المخيم، وكانت تفرض بشكل دائم نوعاً من الرقابة على تحركاته، فشعر بنفسه انه خرج من حصار إلى حصار، وهذا ما دفعه إلى التفكير بالخروج من المخيم والتواصل مع المنشقين في الداخل والخارج.

في هذه الاثناء توجه وفد من مؤتمر التغيير السوري الذي كان قد عقد في انطاليا في نهاية أيار/مايو بداية حزيران/يونيو 2011 إلى المخيم (الطنوز) وضم الوفد صلاح الدين بلال ناشط سياسي وهو عضو اللجنة التحضيرية للمؤتمر السوري للتغيير وناشطين آخرين.

ذهب بلال بتكليف من المكتب التنفيذي للمؤتمر بهدف التواصل مع هرموش وغيره من الضباط والتعرف على حاجيات الضباط والجنود ومشاكلهم.

تم اللقاء بناء على طلب المقدم هرموش حيث كان تواصل مع بلال هاتفياً منذ مجيئه إلى المخيم، وكان اللقاء يستدعي موافقة قائمقام المنطقة ومختار القرية المسؤول عن المخيم، واستغرق اللقاء نحو ساعتين، وأهم ما بحث:

1- تحدث هرموش عن دافعه للثورة وهي المعاناة عندما شاهد جيش الأسد يقصف المدن ويقتحمها ويقتل المدنيين، تحرك ضميره ورفض أن يشارك في قتل أبناء شعبه مما دفع به إلى عصيان الأوامر والتوجه والهروب إلى جبل الزاوية ومنها إلى المخيم، راكباً على الدواب والدراجات بمساعدة شباب من الثوار.

2- طلب مساعدة مالية وعسكرية للتحرك ضد جيش الأسد، ودعم حركة الضباط الاحرار.

3- المساعدة على ان يخرج من المخيم للعمل داخل الأراضي السورية ضد جيش الأسد.

4- تحدث عن تواصل عدد كبير من المعارضين والشخصيات الوطنية في الخارج معه ومنهم نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام بواسطة نجله جهاد، جماعة الاخوان المسلمين عبر مرشد الجماعة رياض الشقفة، الشيخ عدنان العرعور، وبرهان غليون ومحمد زهير الصديق وشخصيات سورية في السعودية، فضلاً عن أطراف سلفية وأصولية من الطليعة المقاتلة في جماعة الاخوان وأطراف اسلامية من طرابلس شمالي لبنان.

هؤلاء جميعاً عرضوا دعمه والوقوف بجانبه مع جماعته. كان هرموش يشعر ان معظم هذه الاطراف من الذين يتصلون به تريده ليكون عوناً لها في حملته ضد بشار ليقول كل طرف انه يملك قوة عسكرية مسلحة لتعزيز موقعه السياسي تجاه الآخرين.

محمد زهير الصديق اتصل به ووعده بتقديم دعم كبير وكل ما يحتاجه في مواجهته لجيش بشار.

بعد مرور نحو شهرين لم ينفذ أي طرف أي أمر لهرموش، ربما بسبب المضايقات التركية، التي كانت تصادر حتى الورقة البيضاء إذا وصلت إلى هرموش وكان مستحيلاً أن يتم دعمه أو إيصال أي قرش مالي أو اقتصادي أو عسكري.

كانت السلطات التركية تصادر أو تمنع أي زائر للمخيم من حمل أي مبلغ مالي ولو كان ليرة تركية، كانت تأخذ أموال الزائرين قبل لقاء هرموش ثم تعيدها عند مغادرتهم المخيم.

طلب هرموش من صلاح الدين بلال دعماً حقيقياً على الأرض يتمثل بإيصال سلاح وتأمين العساكر المقاومين في الخارج والمنشقين في الداخل ليتمكنوا من مواجهة جيش الأسد.

عرض بلال هذه المطالب على زملائه في قيادة مؤتمر التغيير وشرح المعاناة التي يعيشها المنشقون في المخيم التركي والذي كان يبتعد عن الحدود السورية نحو 500م اي على خط نار مباشر، وكان يشرف على المخيم مخفر سوري على تلة يستطيع عناصره قتل أي لاجىء سوري يتحرك داخل المخيم التركي. كان جنود الأسد يصورون كل تحرك داخل المخيم ويحصون أنفاس من بداخله.

سأل بلال عن الوضع الجغرافي للمخيم ولماذا يوضع تحت رحمة فوهات بنادق جيش الأسد.

كان ضابط المخيم التركي يرد بأن "المنطقة هنا مؤمنة بـ 200 عسكري تركي بأحدث الأسلحة والأجهزة، وقناصات فضلاً عن طائرة حوامة قرب المخيم، ودبابة ومدرعة قريبة من المخيم للتعامل مع أي هجوم سوري محتمل.

الزيارة الثانية: تمت بعد ثلاثة أسابيع، والتقى بلال مع هرموش والعقيد رياض الأسعد والعقيد محمد حجازي والنقيب محمد مشهور الذين كانوا التحقوا بهرموش إلى المخيم وكان مخيم الجنود والضباط السوريين محاطاً بحماية ضباط استخبارات وجنود أتراك حول خيم السوريين.

جلس بلال مع عقيدين ومقدم ونقيب، ثم حضر شخصان من الاخوان المسلمين السوريين خليل هنداوي وشخص اسمه أبو خالد، استمع الثلاثة، بلال وهنداوي وأبو خالد، إلى مطالب الضباط الذين كانوا يتذمرون من أوضاعهم داخل المخيم بسبب الحصار التركي والمعاملة الرديئة التي تقيد حركتهم وتمنعهم من الاتصال مع أركان المعارضة والضباط السوريين، انفرد بلال بهرموش في جانب من المخيم ليحدثه بمطالبه، حيث كان هرموش من أكثر المتحمسين للعمل على الأرض، واعترف لبلال انه يريد ترك المخيم والدخول إلى سوريا لبدء الحركة المسلحة ضد النظام.

وذكر هرموش انه سيتصل ببلال عندما يصبح خارج المخيم، وبعد 48 ساعة وأثناء تواجد بلال في منطقة انطاكيا اتصل الهرموش ببلال قائلاً له: الآن أصبحت حراً وأنا الآن داخل الأراضي السورية ومعي بعض الشباب ونريد العمل المسلح وحشد الامكانات كي نواجه تحركات جيش الأسد.

قال ان لديه لائحة بطلباته تتضمن: سلاحاً لـ 12 كتيبة كان يطمح لتشكيلها خلال مدة 3 أشهر، موزعة على كافة المناطق في سوريا ولم يمض وقت طويل حتى تم تشكيل 3 كتائب منها كانت مسلحة ذاتياً من الاسلحة التي غنمتها من جيش الأسد:

- الكتيبة الأولى في منطقة الرستن التي كان يقودها الملازم أول عبد الرزاق طلاس.
- الكتيبة الثانية في المنطقة الجنوبية يقودها الملازم أول قيس القطاعنة.

- الكتيبة الثالثة في المنطقة الوسطى يقودها الملازم أحمد الخلف.

بعد ذلك أعلن عن كتيبة أخرى بقيادة الملازم عبدالله عودة في المنطقة الشمالية قرب حلب.

الكتائب الأكثر عدداً وفاعلية هي التي تضم عسكريين وجنوداً فارين في المنطقة الوسطى وفي مناطق جبل الزاوية.

وإذا أضفنا وجود مدنيين مسلحين بأسلحة خفيفة فإن كل كتيبة كانت مشكلة من حوالى 200 جندي وضابط.

كان المقدم هرموش يحتاج الى مساعدات مالية لتسهيل الحركة والاتصال وشراء بعض الحاجيات في الداخل، وطلب اجهزة اتصال.

كان يريد تسليح 12 كتيبة تمتد من دير الزور حتى درعا ودمشق والمنطقة الساحلية.

خلال مرحلة التحضير الاولى حصلت مواجهات بين الضباط الاحرار وجيش الاسد في مناطق حماه وحمص والرستن وادلب.. وشنوا هجمات ضد جيش الاسد أسفرت عن خسائر في صفوفه وفي صفوف الضباط الاحرار.

في هذه الفترة كان عمل حسين هرموش مقتصراً على القضايا اللوجستية بالاتصال مع الكثير من الضباط العاملين في الجيش ليحفز فيهم روح الانشقاق والتخطيط لعمليات وانشقاق عدد كبير من الجيش بأسلحتهم.

كان التواصل مع رتب عالية منهم قادة ألوية في الجيش للانشقاق وتوسيع قاعدة حركة الضباط الاحرار ضد جيش الاسد.

كان هرموش مقيماً بشكل سري في منزل داخل الاراضي التركية ومعه 4 ضباط سوريين يساعدونه في التواصل بينهم الملازم بسيم الخالد والملازم عبدالله عودة..

اقتصر عملهم على التوجيه والعمل اللوجستي، وكانت مواجهات حقيقية تتم ضد جيش الاسد المعتدي على المدنيين السوريين، وكانت عملياتهم في اطار الدفاع عن النفس.

انتقل هرموش ومن معه من الضباط الى منزل في مدينة غازي عينتاب يقول بلال ان هذا التحرك كان يتم دون معرفة السلطات التركية وقد تم تأجير المنزل بأسماء مختلفة.

لكن السلطات السورية كانت تلاحق هرموش وشعر الرجل بأن هناك من يلاحقه فخرج من غازي عينتاب وعاد الى انطاكيا واستأجر بيتاً ومن معه، وبعد عدة ايام اقتحم المنزل عدد من افراد الشرطة التركية لاعتقاله هو والضباط بتهمة الخروج من المخيم والتحرك دون اوراق ثبوتية ودون موافقة امنية.

جرت اتصالات مع جهات عدة لتركه حراً، لكن سلطات الامن في انطاكية أصرّت على اقتياده لاعادته الى المخيم بالرغم من انتظار مؤشرات بأن الحكومة التركية كانت تعلم بتحركات الهرموش ولا تمانع في ذلك، لكن على ما يبدو ان الوعود التي كانت تعرض عليه انقلبت بعد ان اتضح حجم تحركه وتأثيره على الارض داخل سوريا.

خافت السلطات التركية من حركة هرموش ومن تصاعد مد حركة الضباط الاحرار، وظهور 12 حالة انشقاق في فترة زمنية قصيرة، علماً ان هرموش لم يكن خاضعاً لأحد، وبعيداً عن سيطرة او توافق مع الاخوان المسلمين الذين ارادوا السيطرة عليه وان تكون حركة الضباط الاحرار تحت وصايتهم.. وبعد ان كان ينسق مع رياض الاسعد في بداية تحركه ظهر الخلاف معه وأعلن الاسعد عن تشكيل الجيش السوري الحر تحت رعاية ودعم الاخوان وهذا ما وفر له الرعاية التركية، وكان خليل هنداوي وابو خالد هما صلة الوصل بين رياض الاسعد والاخوان وقد نجحا في اقناع رياض ان يكون تحت جناح الاخوان، وهذا ما رفضه هرموش لذا شكل الجيش السوري الحر مقابل حركة الضباط الاحرار لحسين هرموش.

وهذا ما يفسر احتضان أردوغان لرياض الاسعد، ومضايقة هرموش واعتقاله اول مرة.. ثم يعتقل للمرة الثانية بعد ان وصل الى المخيم التركي.

اعتبر هرموش ان اعتقاله كان إهانة كبيرة له وطعنة في الظهر وخاصة ان طريقة التعامل كانت قاسية، بعد ان أصرّت الشرطة التركية على سوق الضباط وهم مقيدو الايدي بالاصفاد الى المخيم امام الناس والعساكر السوريين والاتراك.

ثار هرموش وبات كالاسد الجريح وصمم على الخروج نهائياً من المخيم علماً بأنه طلب من السلطات التركية السماح له بالخروج السلمي لكن حكومة أردوغان بواسطة ضباط الاستخبارات المسؤولين عن المخيم رفضوا السماح له

بالخروج، وحاولوا تهدئته في جلسات عدة معه ذاكرين له انه سيكون اكثر اماناً داخل المخيم خاصة بعد ان وصلتهم تقارير عن دخول عدد من رجال أمن بشار لاغتيال وتصفية الضباط المنشقين في انطاكيا.

لم يقتنع هرموش بهذه الحجة ونجح في الهرب نهاراً بعد ثلاثة ايام والعودة الى احد المنازل داخل تركيا مصحوباً بعائلته، والتواصل مرة اخرى مع المنشقين في الداخل، بعد ان وصل عدد الاتصالات مع جنود وضباط الى عدة آلاف عن طريق سكايب وبرامج الاتصال الاخرى.

هذه الاتصالات كانت كلها مراقبة من الاجهزة التركية التي سارعت مرة اخرى وبعد ان حددت مكانه الى اعتقاله وإعادته الى المخيم.

هنا بدأ على ما يبدو فصل الحلقة الاولى من الترتيب لمسلسل اختطافه.

تواصل ضابط أمن تركي يدعى ابو محمد معه وعرض عليه مساعدته وتأمين السلاح له وكذلك الاوراق القانونية ليكون اكثر أمناً في التحرك داخل الاراضي التركية.

ارسل الهرموش رسالة الى بلال يقول فيها ان ضابط استخبارات تركياً برتبة نقيب يعرض عليه المساعدة عسكرياً وأمنياً لتسهيل تحركاته وايصال الدعم الى الداخل، وقد رد بلال عليه بأن هذا العرض غير مقبول وغير منطقي خاصة ان الاتراك، ومن خلال اعتقاله اكثر من مرتين وإرجاعه الى المخيم لا يبدون اي حسن نية تجاهه وتحركاته، فكيف يمكن مساعدته بما هو أهم عسكرياً؟

حذرته بأن هذا العرض يحمل في طياته اسراراً خفية عليه التنبه لها (يقول صلاح الدين بلال) وكان هذا التحذير يوم 2011/8/22.

وفي 2011/8/27 ارسل هرموش رسالة اخرى قائلاً لبلال: صلاح ستسمع اخباراً جيدة خلال 24 ساعة، فرد عليه بلال برسالة اخرى: ارجو ان تكون هذه الاخبار خيراً، لأنني لا أتلمس في هذه الايام خيراً خاصة ان الاوضاع كانت صعبة جداً حول المقدم هرموش.

في اليوم نفسه (2011/8/27) كان صلاح الدين في الطريق الى فرنسا لشراء بعض اجهزة الاتصال التي كان طلبها هرموش للجيش المنشق، وبعد

يومين من وصوله الى باريس اي يوم 2011/8/29 جاءه هاتف مساء وكان المتكلم هو شقيق المقدم حسين، ابراهيم الذي كان معه في المخيم التركي وهو رجل أمن سوري منشق، قائلاً له: ان المقدم خرج من المخيم ظهراً في تركيا ولم يعد.

استغرب بلال هذا الاتصال لأنها كانت المرة الاولى التي يتحدث فيها شقيق المقدم ولم يكن بينهما اي تواصل فسأله من اين حصل على الرقم فرد قائلاً بأن الاجهزة الامنية التركية، وبعد السؤال عن اختفاء الهرموش اعطوني رقمك وقالوا اتصل مع هذا الشخص فربما يكون لديه معلومات حول مكان شقيقك.

ووفق ما ذكروا له بأن آخر اتصال اجراه المقدم هرموش كان مع بلال الذي قال بأن هذا لم يكن صحيحاً لأنني من تاريخ 27 حتى 2011/8/29 لم أتواصل معه بسبب سفري، وكانت هناك اتصالات عديدة اجراها هرموش، وحسب زوجه وشقيقه ابراهيم وبعض اصدقائه من الضباط الذين اكدوا انهم سمعوه يتصل مع العديد من الناس وانه تلقى العديد من الاتصالات الهاتفية في تلك الفترة.. وكان هذا امراً مريباً لأن بلال لم يكن آخر المتصلين مع هرموش.

يتابع بلال: قلت لشقيقه ان المقدم لم يتصل بي منذ اكثر من يومين وكانت اتصالاته السابقة قبل عدة ايام كلها عبر "سكايب"، وفي اتصال آخر في اليوم التالي اكد صحة كلام بلال.. بعد ان اعترف الاتراك ان هرموش كان على اتصال معك لكن خطك كان مقفلاً.

كيف خطف الهرموش؟

سأل بلال شقيق المقدم حسين، ابراهيم عن ملابسات الخطف فقال ان شخصاً باسم ابو محمد وهو نقيب رقم هاتفه 0905358911798 اتصل به قبل يوم اي يوم 2011/8/28 وطلب لقاءه لأمر خارج المخيم واعتقد بأن الرسالة التي ارسلها لي عن الخبر المفرح الذي وعدني به خلال 24 ساعة كان هو الخبر المحزن الذي وصل وكان خطفه وتسليمه للاستخبارات السورية وإخراجه على الفضائية السورية ليلقي البيان الشهير بما حصل معه.

تهديد بلال

في 2011/8/31 وبعد شراء بلال الاجهزة المطلوبة وعاد بها إلى تركيا اتصل به أحد الاشخاص قائلاً له الأفضل ان تبقى في اسطنبول قبل ان تأتي إلى انطاكيا لتوضيح بعض الأمور حول اختفاء هرموش لأن الاجواء متوترة جداً في المخيم والدعايات المنتشرة هناك كثيرة ومنها ان لبلال دوراً في خطفه.

رغم ذلك بقي بلال اسبوعاً في اسطنبول للحصول على تفاصيل الاختفاء فإتصل بمستشار أردوغان للإشراف على المخيمات السورية غزوان المصري وهو شخصية سورية قريبة من الاخوان المسلمين يحمل الجنسية التركية ومتزوج من سيدة، هي ابنة شخصية إسلامية تركية قريبة جداً من حزب أردوغان وحزب الرفاه الإسلامي سبب اتصال بلال بالمصري هو ان شقيق هرموش ابراهيم أعطاه رقم هاتفه وقال له بأن السيد غزوان اتصل بعائلة المقدم وقال لهم ان الهرموش في مكان آمن!

يقول بلال: سررت جداً من هذا الخبر وأردت أن أتأكد منه فعرفته عن نفسي وعندما أخبرته انني أرغب في الحصول على مزيد من التفاصيل عن اختفاء هرموش اعترض غزوان المصري على نقل ما جرى بينه وبين ابراهيم هرموش وإعطائه رقم هاتفه لي، لكنه ذكر لي مرة أخرى انه بخير وليس هناك حاجة لتضخيم الأمور.

يقول بلال: شعرت بإطمئنان وقلت لأنتظر ما سيحدث خلال الساعات القادمة وتمنيت أن يكون حسين في يد الاتراك لأي سبب لأنه سيكون حراً ولو بعد سنة لكنه إذا سقط في قبضة أمن بشار فستكون هذه المصيبة الكبيرة.

المفاجأة

لكن بلال برغم ذلك، لم ييأس وحاول عبر جهات عربية التدخل لدى السلطات التركية والاتصال بهم لأخذ المعلومات الدقيقة حول قضية اختفائه أو اعتقاله من قبل الاتراك.

وفعلاً وعبر أحد الاصدقاء تم التواصل مع شخصية عربية (رئيس جمهورية سابق) طلب منه التوسط لدى السلطات التركية والسؤال عن هرموش.. ويشرح صلاح الدين بلال الأمر فيقول:

خلال ساعتين جاءني هاتف من الرئيس السابق وأخبرني عبره بأنه أجرى اتصالاً مع الرئيس أردوغان شخصياً للإطمئنان طالباً منه معرفة حقيقة اختفاء الضابط هرموش. وان أردوغان قال انه غير مطلع على الموضوع وطلب وقتاً للإطلاع من مستشاريه على حقيقة الأمر.

بعد فترة وجيزة (ساعة) أجابه أردوغان بأن الرجل بخير وهو في إحدى المناطق القريبة من المناطق السورية وسيكون عند عائلته خلال أيام.

أثلج هذا الخبر صدور العائلة لكن بلال أصر على الصديق الرئيس أن يتكلم مع مكتب أردوغان ويطلب أن يتصل هرموش بعائلته ولو بكلمتين ليشعروا بالإطمئنان الحقيقي، خاصة وانه كان مضى سبعة أيام على اختفائه وكانت عائلته وزوجه في حالة انهيار كامل.

أردوغان أعطى وعداً للرئيس السابق بأنه خلال ساعتين سيتحدث حسين هرموش مع زوجه لكنها فوجئت مثلما فوجىء الشعب السوري والعالم بأن الهرموش ظهر على الفضائية السورية، لإكمال صفقة عقدتها السلطات التركية مع استخبارات الأسد بتسليم هرموش مقابل تسليم دمشق لعناصر قيادية في حزب العمال الكردستاني التي تتخذ من سوريا مقراً لمهاجمة الجيش التركي.

يتابع بلال:

هذا ما خلق لدي سؤالاً لم أحصل على إجابة عليه حتى الآن وهو من يقف وراء اختفاء الضابط هرموش؟ خاصة انه طلب مني الخروج من تركيا في أسرع وقت ممكن عندها رجعت إلى القاهرة.. ومن هناك شاهدت الهرموش لكنه وراء قضبان الفضائية السورية.

هذا الرجل الذي عشق الوطن وعشق الحرية وأحب أن يكون قائداً وطنياً وان يقدم روحه في ساحة المعركة لكنه للأسف تعرض للخيانة وللطعن في الظهر وأخذ معه أسراراً كثيرة لم يعلن بعد عنها لكن قسماً كبيراً منها ما زال في مكاتب الاستخبارات التركية.

الصفقة

صحافي تركي قال في حديث مع محطة "العربية" ان شخصاً كردياً اسمه صلاح الدين بلال كان يرافق الهرموش وانه من الممكن أن يكون ذهب معه إلى شمالي العراق.

هذا الصحافي التركي يتهم بلال ليزيل التهم عن السلطات التركية ويلصقها بالأكراد في طعن بالوحدة الوطنية السورية ولتمرير أجندة تركية وتغطية لبعض أطراف الاخوان المسلمين عبر صفقة استخبارات بين الاخوان - أردوغان - وبعض أهل المنطقة، كلهم باعوه للاستخبارات السورية.

لماذا؟

لأن المقدم هرموش كان يحشر الاتراك وهم غير مستعجلين وكان قادراً على تجنيد عشرات الآلاف من الجنود وأردوغان يتمهل لا يريد أن يستعجل الأمور حتى يهيىء الظروف لتسليم الاخوان السلطة في سوريا خلفاً لعائلة الأسد.

تواطؤ علني

رأى ابراهيم هرموش ضابط الأمن التركي المزعوم أبو محمد عند بوابة مخيم الطنوز فطلب ابراهيم من الأمن التركي اعتقاله أو سؤاله عن أخيه وذلك لأن ابراهيم هرموش اتهمه بشكل مباشر بالمسؤولية عن اختفاء أخيه لكن الأمن التركي لم يتجاوب معه وذهب ضابط الأمن التركي المزعوم أبو محمد إلى سيارته وغاب عن الانظار.

يعتقد أهل المفقود الناشط السياسي مصطفى محمد قسوم وأهل المقدم المنشق عن الجيش السوري (قائد لواء الضباط الاحرار) ان الحكومة التركية متمثلة بوالي ولاية هاتاي وقائمقام مدينة ييلاداغي وقائمقام مدينة الطنوز ومن حولهم ومستشار رئيس الوزراء التركي والمسؤول عن ملف اللاجئين السوريين غزوان المصري، بأنهم قصروا وبكل وضوح في ملابسات اختفاء المذكورين أعلاه وان أهالي المفقودين عاشوا على الأمل 16 يوماً من تاريخ اختفاء ذويهم وذلك عبر رسائل التطمين التي تأتي من قبلهم مثل (اخوكم بخير - وأنتم تعرفون مكانه - وخلال يومين أو ثلاثة سترونه - ولا تقلقوا ومن هذا الكلام الذي يظن سامعه ان

الشخصين المفقودين هما تحت نظر ورعاية الحكومة التركية) وعدم تحريكهم للملف بشكل رسمي.

أربع ساعات تفصل بين اختطاف الهرموش وبين اختطاف قسوم الأول الساعة 12 ظهراً تقريباً والثاني 4 عصراً بتوقيت تركيا وفي اليوم نفسه 2011/8/29 وقبل يوم من عيد الفطر، والمتهم هو ضابط أمن تركي ورقم جواله منتشر على الأقل مع 200 لاجىء سوري.

هكذا تمّ استدراج حسين هرموش من قبل ضابط الامن التركي

تنشر "الشراع" دقائق تحركات المقدم حسين هرموش يوم اختطافه من قبل الاستخبارات التركية لتسليمه الى استخبارات بشار الاسد يوم الاثنين في 2011/8/29.

تجهيز بيان العيد

11,45 صباح وقفة العيد خرج حسين هرموش وابنه محمد 6 سنوات وابن اخيه محمود 20 سنة من مخيم الطنوز باتجاه محل لينسخ بياناً سيلقيه على لواء الضباط الاحرار عبر الاعلام ويطالب فيه الاهالي في سوريا بعدم تسليم ابنائهم الى الجيش في سحب اول شهر ايلول/سبتمبر.

11,50 تلقى حسين هرموش من ضابط امن تركي يدعى ابو محمد اتصالاً يدعوه فيه الضابط التركي للقاء سريع لمدة ربع ساعة فقط فقال له حسين هرموش بأني في طريقي الى الطنوز، سأل الضابط التركي حسين: اين في الطنوز؟ اجاب حسين هرموش: نحن مقابل حديقة منزل ومكتب قائمقام الطنوز، قال له الضابط: انا قريب من مكانكم اي من حديقة القائمقام.

12,00 التقى حسين هرموش وابنه محمد وابن اخيه محمود مع ضابط الامن التركي ابو محمد وسلموا عليه جميعاً.

سأل الضابط التركي ابن اخ حسين هرموش، محمود: ألم تعرفني، فقال له محمود: لا اتذكرك، فأجاب الضابط التركي: انا من حققت معك عندما جئت من

سوريا الى مخيم ييلاداغي، حيث انني أحقق مع كل من جاء من سوريا، فقال لـــه محمود هرموش: نعم تذكرتك، ولكن اين ستذهب انت وعمي حسين؟، فأجاب: سنذهب مشواراً لمدة ربع ساعة ونرجع انتظرونا هنا.

12,05 ركب حسين هرموش مع الضابط التركي في السيارة البيضاء والـــتي حاول محمود هرموش اخذ رقم لوحتها لكن السيارة كانـــت بـــدون ارقـــام ولا حروف.

12,30 اتصل ابراهيم هرموش على جوال اخيه حسين فتبين له انه مغلق.

13,10 خرج ابراهيم هرموش من مخيم الطنوز باتجاه المدينة بحثاً عن اخيه ومن معه ابن اخيه محمود وابن حسين محمد فوجدهما جالسين على مقعـــد في حديقـــة قائمقام مدينة الطنوز وسألهما اين حسين هرموش فأجابا: لقد ذهب مـــع ضـــابط الامن التركي ابو محمد.

15,00 أبلغ ابراهيم هرموش قائمقام مدينة الطنوز عن مجريات اختفاء حسين، فرد عليه القائمقام بأنه سيبلغ والي محافظة هاتاي بالموضوع.

الثلاثاء 2011/8/30 اول ايام عيد الفطر

11,00 قبل الظهر اتصل ابراهيم هرموش مع ضابط الامن التركي ابو محمـــد وسأله: اين ذهبت بأخي حسين. اجاب الضابط بأننا ذهبنا لمدة ربع ساعة ونـــزل اخوك حسين في إحدى القرى المجاورة دون ان يفصح عن اسمها.

ابلغ ابراهيم هرموش قائمقام مدينة الطنوز بما جرى خلال المكالمة الهاتفية بينه وبين ابو محمد وطالبه باعتقاله وبأنه متهم مباشر في عملية الاختطـــاف فأجـــاب القائمقام سنبلغ الوالي بما جرى.

الاثنين 2011/9/19

10,00 صباحاً توجه ابراهيم هرموش (الاخ الاكبر للمقدم حسين هرمـــوش) وعمر قسوم (الاخ الاصغر لمصطفى قسوم الذي كان اختطف ايضاً من المخيم) الى الأمنيات في مدينة انطاكيا وتقدما بشكوى رسمية رغم تعجب الامنيات التركية عن سبب تأخر تقديم الشكوى بشكل رسمي فكان الجواب بأن القائمين على الموضوع

من الحكومة التركية مثل الوالي والقائمقام ومستشار رئيس الـــوزراء قـــالوا بـــأن الشكوى وصلت ولا داعي لتقديمها بشكل رسمي.

الخميس 2011/9/22

تابعت الامنيات التحقق بخصوص اختطاف المقدم حسين هرموش وذلك عن طريق المركزية الامنية في مدينة الطنوز.

الفصل الرابع

اغتيالات حافظ

- مقدمة
- حافظ قتل مؤسس حزبه
- صلاح البيطار والانتخابات
- هكذا اغتيل صلاح البيطار
- نزاع على الجثمان
- اغتيال د. محمد الفاضل
- المنحور غازي كنعان

حافظ الأسد

قتل مؤسس حزب البعث

ولد صلاح الدين البيطار في حي الميدان في دمشق عام 1912 من أبوين متدينين، ومن اسرة عرف فيها الكثير من المشايخ والعلماء ورجال الدين.

التقى ميشال عفلق على مقاعد الدراسة في ثانوية التجهيز في دمشق التي كانت مهداً للحركات القومية في سوريا، البلد الذي كان يضج بالشعارات القومية والحركات الرامية إلى الاستقلال والوحدة والحرية والتخلص من الانتداب الفرنسي.

ومن مفارقات السياسة والثقافة في البلاد التي احتلها الفرنسيون، ان البيطار وميشال عفلق حصلا عقب نيلهما شهادة البكالوريا على منحة للدراسة في باريس، على حساب الدولة الفرنسية تسلماها من الملحقية الثقافية الفرنسية نظراً لتفوقهما وحصولهما على علامات عالية في امتحان الشهادة الثانوية.

وبالإضافة إلى انغماس البيطار في دراسة العلوم الطبيعية، أظهر مع عفلق الكثير من الاهتمامات بالقضايا اليومية والوطنية، وكانت باريس ملتقى ضخماً للعديد من الطلاب الوافدين من جميع أنحاء العالم ولا سيما شمال افريقيا والشرق العربي وعدد كبير من آسيا.

أتاح وجود الشابين ذوي التفكير القومي في باريس فرص الاطلاع عن قرب على الفكر الماركسي من خلال مؤمنين به ومتخصصين في دراسته والترويج له، وكذلك على تجارب الفكر الوطني والقومي والاحتكاك بصورة خاصة مع طلاب شمال افريقيا، حيث كانوا بالرغم من كونهم مغرقين في اتجاهاتهم الفكرية القومية كانوا جزائريين وتونسيين ومغاربة جزءاً من الادارة الفرنسية المحتلة لبلادهم.

أمضى صلاح البيطار 3 سنوات في فرنسا عاد بعدها إلى دمشق حاملاً شهادة الاجازة بالعلوم الطبيعية وتعاقد مع وزارة التعليم في مدرسة ثانوية وهي المدرسة العالية التي درس فيها.. كانت عودته مع زميله ميشال عفلق في وقت كانت فيه

الحركة الوطنية في سوريا تغلي نشاطاً فسهل لهما ذلك التفكير بإنشاء حركة تعتمد على الطلاب وأصحاب الدخل المتوسط والعمال للترويج للفكر القومي المثالي، وتجارب الاشتراكية الأوروبية. وقد استغرق منهما ذلك الكثير من الوقت والاجتهاد تعرفا خلاله على عدد كبير من الطلاب والعمال.

اندلاع الحرب العالمية الثانية ووجود الجيش الفرنسي في لبنان وسوريا ضاعف لدى الاستاذين الرغبة في إنشاء حركة وطنية قومية بادر إليها ميشال عفلق مؤسساً لحزب البعث وكان البيطار قطبه "الرئيسي" الثاني مميزاً منذ بداية نشاطه الفكري والسياسي بالواقعية والعلمية لكن تصرفاته السياسية وحياته النضالية الهادئة تميزت بالتأني والتمحيص معتمداً الاسلوب العلمي مما ولد حالة من التردد والامعان في الفحص والتدقيق إضافة إلى كونه مستقيماً واخلاقياً ويمكن بدون أي تحيز أو مبالغة القول انه أميل إلى الضعف في الشخصية منه إلى القوة (كما يصفه أقرب المقربين إليه).

البيطار والانتخابات

سمح النشاط الحزبي والسياسي للبيطار أن يتقدم للانتخابات النيابية، التي كانت إحدى ثمار الديموقراطية السائدة في سوريا في تلك المرحلة رغم الانتداب الفرنسي. سقط البيطار في انتخابات 1943 – 1947 لكنه نجح في انتخابات 1954 التي تلت ابعاد أديب الشيشكلي عن السلطة وفاز على خصمه أمين عام حركة الاخوان المسلمين في سوريا. وفي عام 1956 أصبح وزيراً للخارجية وأعطى الوزارة لوناً خاصاً، شارك فيه مع ضباط الجيش السوري الذين راحوا يؤدون أدواراً متصاعدة في قرارات البلد السياسية والاستراتيجية في صنع الوحدة مع مصر، التي أعلن قيامها بإسم الجمهورية العربية المتحدة بزعامة جمال عبد الناصر في 1958/2/22.

بسرعة ظهر التناقض بين دولة الوحدة التي اشترط عبد الناصر لقيامها حل الاحزاب وإبعاد الجيش عن السياسة، ووافقه البعث والضباط الذين استجدوا عبد الناصر لقيامها، وبين الرفاق من كل الاحزاب، فانسحب البعثيون من دولة الوحدة وضمنهم البيطار وتلامذته واستقال من منصبه مع رفاقه البعثيين المسؤولين الآخرين.

وعندما حصل الانفصال في صبيحة 28 أيلول/سبتمبر 1961، كان البيطار واحداً من السياسيين السوريين الذين التقوا في منزل وزير الدفاع السوري السابق قبل الوحدة أحمد الشراباتي وكتبوا وثيقة الانفصال، الأمر الذي أثار غضب البعثيين عليه والجماهير الوحدوية فوجهوا له الاتهامات التي ألزمته العزلة لفترة، كما الاحباط خاصة انه خسر مواقعه بين الوحدويين وهم غالبية الشعب السوري، ولم يكسب موقعاً له بين الانفصاليين الذين سرعان ما طردوا من السلطة بعد حكم لم يدم أكثر من 18 شهراً.

ويقول شريكه في قيادة البعث أكرم الحوراني انه رجاه ألا يوقع وثيقة الانفصال لأن له ماضياً عريقاً في تأسيس حزب البعث وبالتالي العمل الوحدوي.

ندم صلاح البيطار على توقيعه وثيقة تأييد الانفصال، وأصدر بياناً أدان فيه هذه الخطوة، وظن بذلك انه استعاد "إيمانه" بالوحدة، لكن هذا الحدث الهام جداً في تاريخ العرب ظل ذا تأثير كبير على بنية حزب البعث الذي فقد عدداً كبيراً من قياداته وجدت في موقف البيطار انتهازية سياسية حيث ظلت نتائجها ترافقه إلى ان لقي مصرعه اغتيالاً عام 1980.

بعد سنة على هذا الحدث المهم أعلن البيطار انفصاله عن حزب البعث الاشتراكي دون استقالة، لأن معنى الانفصال عنه انه شريك في عمل بناه بيديه وعقله وجهده في حين ان الاستقالة هي تخليه عن مؤسسة لم يكن له دور في بنائها خلال السنوات الممتدة بين توقيع صك تأيد الانفصال عام 61 لغاية 65 أو 66 عاد صلاح إلى الحزب وتسلم مسؤولية رئاسة الوزراء لأكثر من مرة بعد انقلاب 8 آذار/مارس 1963، متحالفاً بعمق مع شريكه الطالب الدارس المغترب المؤسس لحزب البعث، ثم دمجه مع حزب أكرم الحوراني العربي الاشتراكي.. رفيقه ميشال عفلق.

هذه الشراكة.. فضلاً عن أفكار البيطار التحررية هي التي جعلته هدفاً من أهداف اللجنة العسكرية إياها في الحزب والمدنيين المتحلقين حولها، فسقطت ثنائية البيطار وعفلق في انقلاب ثنائي اللجنة إلى حين صلاح جديد وحافظ الأسد في 23 شباط/فبراير 1966.

بعد انقلاب 23 شباط/فبراير 1966 على القيادة القومية هرب صلاح البيطار وكان رئيساً للوزراء مكروهاً من اللجنة العسكرية إلى لبنان.

كان جديد والأسد يعتبران البيطار يمينياً متعفناً، وكانا يعارضان سياساته كرئيس للوزراء لأنه كان يدعو إلى الانفتاح الاقتصادي وإطلاق الحريات خاصة الاعلامية والشخصية والسياسية.

كان البيطار في رأي كثيرين يطبق ربيعاً حقيقياً في دمشق وهو أول ربيع بعد الانقلابات العسكرية قبل الوحدة وقبل ديكتاتورية صلاح جديد وحافظ وبشار الأسد.

في عهده تصدى البيطار لتجاوزات ضباط الاستخبارات، وأحال المخالفين منهم إلى محاكم عسكرية، وعندما كان ضابط استخبارات يسير مع خطيبته وتعرضت لتحرش بالكلام من شابين في الشارع تصدى لهما الضابط واستدعى سيارة عسكرية اعتقلت الشابين وأرسلتهما إلى السجن دون محاكمة فذهب أهلهما إلى البيطار يشتكون فتدخل وأطلق الشابين وأحال الضابط إلى التحقيق للمحاسبة.

وعندما شملت عملية التأميم مؤسسات منزلية تدخل لإيقافها، خاصة بعد ان أممت حركة 8 آذار/مارس في عهد أمين الحافظ - منفذاً أوامر اللجنة العسكرية - وعاء وضعه صاحبه في منزله لتصنيع الكبريت تدخل البيطار لإعادة الوعاء إلى صاحبه، وعندما أممت 8 آذار/مارس ورشة لصنع "صاجات" لصنع مفروشات معدنية، أعادها البيطار وكان يعمل فيها 4 عمال.

أعاد البيطار كل المصالح الصغيرة لأصحابها بعد تأميمها بقرارات مراهقة يسارية، وأبقى على تأميم المؤسسات الضخمة التي يعمل فيها آلاف العمال كالشركة الخماسية، وشركة الزجاج وشركات أخرى في حلب أقل أهمية منها.

ظل صلاح البيطار في بيروت من العام 1966 إلى ان اندلعت الحرب الأهلية، كان خلالها يلتقي معارضين سياسيين سوريين كان بعضهم ضده سياسياً واقتصادياً منهم محمد عمران، خالد الحكيم، حمود الشوفي واضع الأسس النظرية لتحويل البعث إلى الاشتراكية العلمية التي كان يعارضها البيطار، وكان الشوفي ضمن الذين كانوا يتهمون البيطار بأنه يميني متعفن.

التقى المعارضون لجديد والأسد والمجموعة العسكرية التي سيطرت على الحزب وهم بقايا اللجنة العسكرية بعد خلع الحافظ وعمران في لبنان، في حلقات نقاش سياسي ونظري في مقاهي الحمرا والروشة في بيروت قبل أن ينتقل محمد عمران إلى

طرابلس في جبل محسن، ووصلوا إلى تفاهم حول برنامج سياسي - اقتصادي لتصحيح مسار حركة الحزب في 8 آذار/مارس 1963، وإعادة العلاقة مع جمال عبد الناصر وإيجاد شكل متطور لإعادة الوحدة مع مصر، على أن تبدأ في عملية اتحادية (فدرالية).

ثم اعتمدوا سياسة وقف الحملة الاعلامية على دول الخليج العربي وتحديداً المملكة العربية السعودية، واتفق الجميع على انه ليس من مصلحتنا معارضتهم والتهجم عليهم بل يمكن الافادة منهم لمصلحة الشعب السوري.

كانت هذه المجموعة ضد التعنت في التعامل مع الغرب، ويريدون مساواة علاقاته معه بمثيلها مع الاتحاد السوفياتي.

شمل الحوار أول الأمر نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة السابقة أكرم الحوراني، لكنه انسحب من الاتفاق معهم بعد ان وضع شروطاً ثلاثة:

1- انه لم يكن يريد أي نوع من أنواع التعاون مع جمال عبد الناصر، فقد كان الحوراني يكن حقداً وكراهية لا حدود لها ضد الزعيم العربي.
2- كان الحوراني ضد أي علاقة مع دول الخليج العربي ويريد استمرار العداء معها.
3- كان الحوراني يرفع شعار ان الصديق الوحيد للعرب وسوريا هو الاتحاد السوفياتي.

بعد اندلاع الحرب الأهلية في لبنان في 1975/4/13، انتقل صلاح البيطار إلى القاهرة وسمحت السلطات المصرية له بالإقامة فيها وسهلت له أموره، خاصة ان تعليمات أنور السادات للسلطات الأمنية والادارية كانت ان تستقبل المعارضين السوريين لحكم البعث وتسهل لهم أمورهم في الاراضي المصرية.

بقي البيطار في القاهرة إلى ان ذهب السادات إلى القدس في 1977/11/19، فاعترض عليها البيطار وعدد من قيادات المعارضة السورية في أرض الكنانة ومنهم العقيد جاسم علوان (قائد محاولة الثورة الناصرية في سوريا يوم 1963/7/18) ورئيس اتحاد نقابات العمال خالد الحكيم.

التقى البيطار عبد الحميد السراج في القاهرة عدة مرات وتناقشا واختلفا، وان ظلا محافظين على الود الانساني بينهما.

توجه البيطار إلى العراق عام 1978 وكان نائب الرئيس فيه يومها صدام حسين وهو الحاكم الفعلي وقد رحب به كثيراً وأكرمه كثيراً وأعطته السلطات العراقية منزلاً كبيراً وحراسة، وراتباً مجزياً وعامله كما عومل ميشال عفلق وأكرم الحوراني وأمين الحافظ من قبله.

استأجر العراقيون للبيطار في باريس شقة تطل على نهر السين عند فندق "نيكو" الشهير، وأسكن فيه عائلته لأنه لم يصطحبها معه إلى العراق، بينما أجّر مكتباً في نهاية شارع هوش أحد التفرعات الضخمة لشارع الشانزليزيه الأهم في العالم.

وفي حين ان الحراسة الفرنسية كانت كاملة حول منزل البيطار فإن البيطار حرص على أن يكون حراً دون حراسة في مكتبه، كانت باريس مقر سكن البيطار وعائلته، والاجتماع مع السياسيين والمعارضات السورية التي لم تكن تقيم علاقة مع النظام العراقي مثل حمود الشوفي الذي كان مقيماً في سوريا ويلتقيه عندما يزور فرنسا.

كان نظام حافظ الأسد في سوريا يعاني من مواجهات مسلحة داخلية مع الاخوان المسلمين في معظم المدن السورية من دمشق إلى حلب ومن حماه إلى جسر الشغور وحمص واللاذقية.

كانت الصدامات والاغتيالات والتفجيرات تدمي النظام كما تستنزف الاسلاميين.

حرص الأسد على محاولة استقطاب رموز بعثية وسنية معتدلة وغير معادية للعلويين، وهي إحدى صفات صلاح البيطار فهذا الرجل هو سليل أسرة مشهود لها ببروز رجالات عديدين منها في المؤسسات الدينية كعلماء ومشايخ رجال دين سنّة لهم مكانتهم في المجتمع السوري المسلم السني.

وتحت تأثير ضباط اللواء محمد عمران الذين استقطبهم الأسد بعد قتله زعيمهم في طرابلس – لبنان 1972 والذين كانوا يعرفون صلات عمران مع البيطار.

ولأن النظام السوري كان يتألم من خسائر طالت عدداً كبيراً من الفعاليات العلوية مثل رئيس وحدة الصواريخ في الجيش السوري العميد عبد الكريم رزوق

(من جماعة عمران) وعدداً كبيراً أيضاً من أساتذة الجامعات والمثقفين وضباط الاستخبارات.

تحت ضغط كل هذا رأى الأسد ان يمد يده إلى صلاح البيطار، فأرسل له أحد أنصاره العسكريين اللواء علي مدني وكان سفيراً لسوريا في أثينا محاولاً إقناع البيطار بفتح صفحة جديدة مع النظام، وان يأتي إلى دمشق لمقابلة الأسد والحوار معه.

جاء البيطار إلى دمشق وقابل الرئيس لمدة ثلاث ساعات كان الحوار خلالها يدور حول مستقبل سوريا وإعادة السلام الاجتماعي إليها والانتعاش الاقتصادي وإعادة تأهيل الجيش والقوات المسلحة تحت عناوين الديموقراطية لمواجهة إسرائيل كما تدعو الحاجة الوطنية، والأهم هو القضاء على الفتنة الحاصلة داخل سوريا بين السنّة والعلويين من خلال الصدام الحاصل بين النظام العلوي والاخوان المسلمين السنّة.

دعا البيطار حافظ الأسد إلى تبني الديموقراطية، والسماح بالتعددية الحزبية الحقيقية، وإنهاء احتكار حزب البعث للسلطة وإطلاق الحريات الاعلامية، وإجراء انتخابات نيابية حرة لعضوية مجلس الشعب، وإعادة النظر في موضوع الانفتاح الاقتصادي الذي لم يستفد منه إلا تجار دمشق وحلب كسماسرة، وليسوا كمنتجين وهؤلاء حتى اليوم عملاء نظام حافظ وابنه بشار.

طلب البيطار إعادة هيكلة النظام الاقتصادي القائم على الانفتاح على ان يتم ضبطه وترشيده، لكن حافظ كان يريد أن يشتري تجار حلب ودمشق لأنهم كانوا تاريخياً من داعمي الجماعات الإسلامية فإذا اشتراهم عزلهم عن دعم هذه الجماعات وهذا ما حصل حتى الاشهر الأخيرة من عمر نظام الأسد الابن.

في السياسة الخارجية دعا البيطار الأسد للإنفتاح على العالم الخارجي، ودعاه إلى دعم المنظمات الفلسطينية التي كان الأسد يحاربها في كل مكان ما عدا جماعات جبريل والصاعقة وكان حافظ الأسد يريد أن تصبح المنظمات الفلسطينية إحدى فرق الجيش السوري تنفذ ما تطلبه منها الاستخبارات ورفضت كل منظمات فلسطين ما عدا أحمد جبريل الذي كان وما زال أحد أفرع هذه الاستخبارات وأدواتها لشق العمل الفلسطيني والعدوان على لبنان تحديداً.. وخلال ثورة الشعب السوري ضد بشار كان جبريل إحدى أدوات الوحش للعدوان على السوريين.

بعد ثلاث ساعات من النقاش ومحاضرة البيطار اكتفى الأسد بأن استدعى مدير مكتبه ليحضر له جرائد "البعث" و"الثورة" و"تشرين" ليقدمها الأسد إلى البيطار قائلاً له: انظر هذه الصحف كيف تنتقد وزير التموين!! ثم قال له أتعرف يا دكتور ان الرجل وزوجه في سوريا يختلفان حول من يحبني أكثر من الآخر!!

بعدها عرض الأسد على البيطار أن يشكل حكومة وان يديرها كما يريد لكن لا تتدخل في هذه الأمور:

1- ان يبقى حزب البعث هو قائد الدولة والمجتمع وفق الدستور، وأنا لن أعدل الدستور من أجل ارضائك.
2- لا مساس بالمؤسسة العسكرية والاجهزة الامنية لأنهما صلب النظام وهما اللذان يواجهان المؤامرات الخارجية والداخلية.
3- العلاقات الخارجية ستعتمد وفق السياسة التي رسمها ويرسمها الرئيس.

وما عدا ذلك

افعل ما تريد، أطلق الاعلام، واعط حرية للانفتاح الاقتصادي.

خرج البيطار من لقائه مع الأسد وهو يائس من إمكانية إقناع حافظ الأسد بالتغيير الديموقراطي والانفتاح الحقيقي، وقال لصديقه وأحد أنصاره العقيد مجاهد السمعان في لندن: ان حافظ الاسد هو حالة ميؤوس منها. قالها باللهجة الشامية الأثيرة لديه.. "فالج لا تعالج".

قرر البيطار الاندماج في المعارضة حتى النهاية وأسس حزب "الاحياء العربي" دون اعلان أو ترخيص وكان من أبرز قيادات الحزب الجديد: خالد الحكيم (سني)، عبد المجيد الاسطواني، نسيم سفرجلاني، منصور الاطرش (ابن سلطان باشا الاطرش)، حمود الشوفي (درزيان)، جميل حداد، سليمان العلي وأيوب الغانم (علويون) وهم من جماعة اللواء محمد عمران أصلاً.

استلهاماً لفكرة البعث أكمل البيطار مشروعه بإصدار جريدة سماها "الاحياء العربي" كان يكتب مقالاتها ويحملها بنفسه إلى المطبعة، وآخر ما كتبه ذلك المقال الشهير الذي ربما هو الذي أدى إلى مصرعه "عفوك شعب سوريا العظيم" فأفرغ في ذلك المقال كل معاناته وغضبه ويقينه بالخطايا الكبيرة التي غزّ نظام

حافظ الاسد السير فيها ومنها قتل البيطار نفسه (اقرأ مقالة البيطار التي أودت به في صفحات ملاحق الكتاب).

كيف اغتيل صلاح البيطار ولماذا؟

كتبنا انه تحت ضغط ضباط عمران أجرى الأسد حواره مع صلاح البيطار في فترة الفتنة مع الاخوان المسلمين، وفشل الحوار مع البيطار أدى بالأسد إلى كراهية شديدة له.. ورأى ان بقاء البيطار حياً وعلى علاقة مع العراق عدوه اللدود، ومع قادة الجيش السوري من جماعة عمران كل هذا يشكل خطراً حقيقياً على نظامه فقرر قتل البيطار حتى لا تتكرر قصة تدبير انقلاب عسكري ضده تنظمه جماعة عمران ويأتون بالبيطار رئيساً للجمهورية سنياً كما كان الحال مع حكمت الشهابي.

وإذا كان الشهابي وشى برفاقه.. فإن البيطار ذهب إلى خصم حافظ صدام حسين وأصدر في باريس مجلة "الاحياء العربي" ثم كان بصدد إنشاء حزب يحمل الاسم نفسه وهذه كلها مبررات لدى الأسد للتخلص من هذا الرجل.

يقول مجاهد السمعان: ان دبلوماسياً سورياً يعمل في الادارة المركزية لوزارة الخارجية السورية هو زهير العقاد شقيق المخرج العالمي مصطفى، قصده إلى لندن ليطلب منه اللقاء مع صلاح البيطار لأن شقيقه مصطفى يريد إخراج فيلم عن جمال عبد الناصر بتمويل ليبي، ويريد من البيطار تغطية مرحلة ما قبل وخلال الوحدة بين مصر وسوريا. وان العقاد مستعد لأن يدفع تكاليف هذا التعاون.

ذهبت إلى البيطار وعرضت عليه الأمر، وان العقاد سيتبرع بمبلغ من المال (نصف مليون دولار) لمجلته "الاحياء العربي"، لإطلاقها وتطويرها بدل تعويض عن مساهمته في تأمين وثائق مرحلة عبد الناصر في سوريا.

وافق البيطار وسمح لي بأن أعطي رقم هاتف منزله للعقاد، فأبلغت الأخير بما تم.

خلال هذه الفترة قصدني العقاد لأساعده في تحصيل مبلغ 50 ألف دولار حولت له من جنيف إلى البنك العربي في لندن لكن البنك كان يماطل في تسليمه المبلغ، وكنت أنا - يضيف السمعان - صديقاً لمديره الفلسطيني، فذهبت معه إلى

المصرف العربي وعاونني المدير بتحصيل المبلغ لكنه كشف لي ان المبلغ أتى إلى زهير العقاد من سوريا ومن جهة رسمية، وليس من جنيف.

في شهر آب 1980، تلقيت اتصالاً هاتفياً من زوج البيطار وهي تبكي وتصرخ وتتهم العقاد بأنه قتل بعلها.

اتصلت بالعقاد عدة مرات إلى ان رد هاتفياً وواجهته بالاتهام فرد بأنه قادم لتوه من باريس، فذهبت إليه لأسأله ما هو دوره في اغتيال البيطار فأقسم يمينات معظمة بأن لا صلة له بالموضوع، وشرح لي انه اتصل بالبيطار برقم الهاتف الذي سلمته له، وحدد له البيطار موعداً في الساعة 12 في مكتبه الخالي من الحراسة بناء على طلبه، وان كان الأمن الفرنسي يفرض حراسة مشددة على منزله على نهر السين.

العقاد قال انه كان يستقبل ضيفاً في المنزل من آل جبور تبين فيما بعد انه من استخبارات الأسد، وذهب وإياه إلى مقهى الفوكيتس في جادة الشانزليزيه في باريس ليكون قريباً من مكتب البيطار في شارع هوش وبالفعل توجه في الساعة 11.45 للقاء البيطار لكنه شاهد حراسة وفوضى حول المبنى فسأل الشرطة عما حدث، مخبراً أحد رجال الشرطة انه كان على موعد مع البيطار فأوقفته الشرطة وسألته عن اسمه فقدم اسماً مغايراً لاسمه مستغلاً انشغال الشرطة بتأمين المكان ليهرب إلى "الفوكيتس" ليطلب من جبور المغادرة فوراً إلى لندن وهذا ما حصل.

أقسم العقاد انه لم يكن يعرف بالأمر، لكنه اعترف بأنه جاء إلى لندن لمقابلتي لمعرفته بعلاقتي بالبيطار، بهدف إقناع البيطار بالعودة إلى سوريا للقبول بتسلم السلطة، وان الذي أرسله هو عبد الحليم خدام وكان وزيراً للخارجية.

وعندما سأله السمعان عن المال الذي حوّل إليه من جهة رسمية في سوريا أقسم ان هذا المبلغ هو تقاعده الذي سحبه من الخارجية وطلب تحويله عن طريق جنيف إلى لندن.

يقول أحد كبار البعثيين السابقين للمؤلف – معتذراً عن نشر اسمه – ان العقاد نفى أي دور له في اغتيال البيطار، وقد تحدث بنفيه هذا لمقربين منه بينهم بعثيون، وأن لا علاقة له البتة بهذا الأمر، وهو لم يتلق أي تكليف من أي جهة في سوريا.

ويكرر العقاد انه كان وما زال من التيار البعثي الشديد الاعجاب بالتجربة الناصرية وبزعامة جمال عبد الناصر، وان النظام كان يعلم هذا جيداً عنه، وليس من المعقول أن يكلفه بهذه المهمة الدنيئة، ولديه مئات العملاء والمخبرين الذين يمكن ان يعتمد عليهم لتنفيذها.

لكن رفاقاً للعقاد يؤكدون انه إن لم يكن له دور في التخطيط أو الاشراف – وهذا مؤكد – فإن الاستخبارات السورية، والبعض يغمز من قناة وزير الخارجية السورية يومها المسؤول عن العقاد وظيفياً.

وصل البيطار إلى موعده مع العقاد قبل الثانية عشرة ظهراً بدقائق وما ان ترك المصعد ليدخل مكتبه، وقبل ان يقرع الجرس حتى تلقى رصاصة في رأسه أردته قتيلاً من عنصر الاستخبارات السورية.

خرج أحد مساعدي البيطار الشاب التونسي محمد الشابي من المكتب على وقع الضجة التي أحدثها سقوط البيطار على الأرض، ليجده مضرجاً بدمه.

يقول الشابي انه كان أبلغ البيطار قبل عدة أيام من مصرعه ان وحدة من الاستخبارات السورية جاءت من دمشق واستقرت داخل السفارة السورية، في باريس، وهي جاءت لتقتله.. فرد البيطار مستنكراً: في باريس يا محمد! لا يمكن ان يفعلوها.. لكنهم فعلوها وقتلوه.

زوج البيطار الراحلة ملك كانت اتهمت الدبلوماسي السابق في الخارجية السورية زهير العقاد، بأنه هو الذي استدرج بعلها ليتوجه إلى مكتبه، وانه صمم على لقائه في المكتب، وانه أبلغ وحدة الاستخبارات في السفارة السورية بأن موعده مع البيطار، هو في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم 1980/7/21.. في باريس.

كان سفير سوريا في باريس يومها وزير دفاعها السابق اللواء يوسف شكور (والد مها السفيرة أثناء ثورة الشعب السوري ضد نظام آل الأسد) وكان الملحق العسكري هو نديم بيطار الذي جهر برأيه بأن البيطار خائن ويستحق القتل! لذا حمله كثيرون مسؤولية قتل البيطار.. من خلال عنصرين في عصابة أحمد جبريل الفلسطينية، وقد اعتقلهما الأمن الفرنسي لفترة ثم أخلى سبيلهما.

رفيق البيطار السابق أكرم الحوراني كتب في مذكراته التي نشـرتها جريـدة "الشرق الأوسط" ان العقيد مجاهد السمعان كان وراء جريمة الاغتيـال مـع دور لزهير العقاد.. وكان وراء اتهام الحوراني للسمعان خلاف بين الاثـنين.. لـذا لم يقبض أحد إسقاط الحوراني للسمعان.

نزاع على الجثمان

بعد اغتيال الرجل سارع النظام السوري إلى اتهام البعث العراقـي بالجريمـة، بينما أرسل الرئيس العراقي صدام حسين طائرة من الخطوط العراقيـة إلى بـاريس لحمل جثمان البيطار لدفنه في مقبرة أم الطبول في بغداد.

زاد سعار بعث الأسد في دمشق، خاصة بعد فشله في إقناع أرملـة البيطـار وابنته بنقل جثمان الضحية إلى سوريا لدفنه وسط مراسم رسمية وعد بها منـدوب من السفارة في باريس تقام لتأبين الراحل في دمشق.

قبل أن يكتب صلاح البيطار مقالته التي اعتذر فيها لشعب سوريا العظيم كان أخضع أفكاره نظرياً لمراجعة جدية، مدخلاً إليها مفهوم الديموقراطية التي كانت في أساس قراءته الاشتراكية الأوروبية هو وزميله ورفيقه ميشال عفلق خريج الجامعات الفرنسية.

عندما قرر حافظ الأسد قتل صلاح البيطار، كان الأخير، اعتمد الديموقراطية طريقاً لإسقاط نظام الحاكم، مع اعتراف أكيد بالنهج الذي سار فيه لفترة طويلـة رفيقه عفلق وهو رفض الوصول إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري، أو ثـورة مسلحة أو عن طريق العنف.. إنما عن طريق صندوق الانتخاب في مناخ كامل من الحرية للفكر والتعبير والاعلام والمعتقد.

استقطب البيطار معظم ممثلي قوى المعارضة السورية في الخارج، التي عجز النظام عن تدجينها، كما حصل مع أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية في الداخل، فكان ينسـق مع ممثلي الناصريين المستقلين والاتحاد الاشتراكي العربـي - برئاسة جمال الاتاسي - وحزب الشعب الديموقراطي (رياض الترك) والاخوان المسلمين، وبعثيي صلاح جديد، وكثيراً ما كان يلتقي وزير خارجية سوريا الاسبق د. ابراهيم ماخوس الذي كان يتردد إلى باريس من مقر إقامته وعمله في جامعة الجزائر.

بدأ صلاح البيطار بعملية واسعة للنقد الذاتي ونقد سلوك وبعض أفكار حزب البعث وسياسة أنصار القيادتين القطرية والقومية، التي فجرت خلافاتهما عدداً مـن الانقلابات والتحركات والمواجهات البعثية الداخلية.

وفي 1980/7/23 قتل نقيب الصحافة اللبنانية رياض طه في بيروت وحملـت الجريمتان بصمات استخبارات حافظ الأسد وشقيقه رفعت الذي كان هدد قبـل ثلاثة أسابيع بملاحقة المعارضين وقتلهم في كل مكان.

اغتيال د. محمد الفاضل

الدكتور محمد الفاضل واحد من أبرز الاساتذة الجامعيين في سوريا وكان استاذاً في جامعة دمشق، عرف عنه انتقاداته من على مـدرج الجامعـة وفي أحاديثه الخاصة للنظام ولتفرد حافظ الاسد بالسـلطة طيلة 10 سـنوات (1970 - 1980) وكذلك تفرد حزب البعث بالسلطة طيلة نحـو 20 سـنة (1963 - 1980).

في أحاديثه طالب د. الفاضل بالديموقراطية في سوريا ورغم انه علوي.. وربما بسبب كونه علوياً تم اغتياله بإطلاق النار عليه بواسطة شاب كان يركب دراجـة بخارية.

كان استخدام الدراجات البخارية في جرائم الاغتيالات هو السـائد طيلـة سنوات المواجهة بين نظام حافظ الأسد والاخوان المسلمين.

وما ان قتل د. الفاضل حتى روّج النظام بأن جماعة الاخوان هم الذين قتلوه، لكن مصادر المعارضة الوطنية وجماعة الاخوان أكدت ان أمن الأسد هو الذي قتل الفاضل بسبب معارضته لحافظ الأسد، ودعوته الدائمة للديموقراطية.

وذهبت بعض المعارضة إلى تفسير قتل حافظ الأسد للدكتور الفاضل، بأنـه جاء خوفاً من مكانة الاستاذ الجامعي الأدبية والعلمية والطائفية فالرجل من الطائفة العلوية ومن جماعة الحدادين التي كان ينتمي إليها أيضاً غـريم الأسـد الأساسـي والسجين صلاح جديد، وكثيراً ما كان د. الفاضل يتساءل عن الـذنب الـذي ارتكبه اللواء جديد حتى يقبع في السجن 10 سنوات (لتاريخه) وحـتى يظـل دون محاكمة أو أية تهمة.

المنحور غازي كنعان

قبل اغتيال رفيق الحريري في بيروت بأسبوع واحد أي يوم الاثنين في 2005/2/7 اقتحم أربعة مسلحين غير مقنعين وكالة تحويل أموال في وسط مدينة دمشق في وضح النهار، وألزموا الزبائن والعاملين فيها على رفع أيديهم وتوجيه وجوههم ناحية الجدران، وسرقوا ثلاثة وأربعين مليون ليرة سورية (كانت تقدر وقتها بـ 100 ألف دولار أميركي) ثم فروا في سيارة مرسيدس، وقد أطلقوا طلقتين من بندقياتهم الآلية، ليفتحوا الطريق المفتوح أمامهم أصلاً.

حدث غير مألوف داخل أي مدينة سورية فكيف في دمشق، وكيف في عهد حاكم لبنان الأمني السابق غازي كنعان الذي توجه بنفسه إلى موقع الحدث ليجعله تحت المجهر.. الحدث الذي تحدى الوزير في وضح النهار مرة أخرى.

كثيرون قرأوا في الحادثتين (السرقة وزيارة الوزير) حرباً تهدف إلى إشغال صديق الحريري غازي كنعان، قبل الاغتيال بسبعة أيام، لمنعه من الحصول على معلومات أو إيصالها للرئيس اللبناني والبعض رأى ان العمل مقصود لإظهار عجز وزير الداخلية تمهيداً لعزله، وفي الحالتين يتم الربط بين الرجلين ومصيريهما فقد اغتيل الحريري يوم 2005/2/14 في بيروت، وقبل مرور أربعة أشهر على الجريمة اغتيل صديقه غازي كنعان في مكتبه في وزارة الداخلية في دمشق.

اغتيال غازي كنعان

وفق رواية نائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام فإن غازي كنعان قد اغتيل في مكتبه في شهر حزيران/يونيو 2005.

تقول رواية خدام ان بشار الأسد استدعى اللواء غازي كنعان وكان وزيراً للداخلية، واستدعى معه اللواء رستم غزالة الذي كان آخر ضابط مثّل الوصاية السورية على لبنان قبل طرد جيش الأسد من لبنان في 2005/4/26 بمقتضيات القرار الدولي 1559 الصادر في 2004/9/3.

الاستدعاء تم في السابعة صباح يوم الاغتيال، وبدأ بشار حديثه مع غازي وكأنه يترجم كابوساً أرّقه ومنعه من النوم فكان عصبي المزاج حمّل كنعان

مسؤولية تدهور الاوضاع في لبنان، حتى أدت إلى إخراج الجيش السوري من البلد الذي كان يحكمه طيلة 30 سنة (1975 - 2005).

وعندما حاول كنعان الرد على بشار بالقول ان ما حصل في لبنان قبل وبعد اغتيال الحريري يوم 2005/2/14 لا علاقة له به، بل هو مسؤولية زميله رستم غزالة. رد بشار بغضب: ألست أنت من اقترحت اسم رستم؟

كان منطق بشار أعوج، فليس هناك من لا يعرف ان بشار سحب كنعان من لبنان قبل اغتيال الحريري بعدة سنوات، وانه تلاعب به، فعينه مديراً للأمن السياسي خلفاً لعدنان بدر حسن، دون صلاحيات تذكر، ثم نقله إلى الداخلية في وقت كانت فيه مسؤولية الأمن بين أيدي قادة الاجهزة الذين اختارهم بشار بنفسه، وكان يرفض الرد على اتصالاته الهاتفية حتى جاءه ذلك الاستدعاء المشؤوم.

لم يسمح بشار لغازي أن يدافع عن نفسه، فطلب منه الخروج قائلاً له: انت لا تعرف ماذا فعلت.. اذهب ورتب أمورك.

توجه كنعان إلى مكتبه وهو في حالة قلق شديد وحزن أشدّ، وحيرة قاتلة.. وبعد عدة ساعات سمع صوت طلقتين ناريتين من مكتبه فدخل سكرتيره الخاص وآخرون في الداخلية إلى مكتب كنعان فوجدوه ملقى على الأرض مضرجاً بدمه، وفي يده مسدسه الخاص.

ما يرجح عملية القتل كما يقول نائب الرئيس الذي كان أكبر وأهم مسؤول سوري ينشق عن سلطة آل الأسد طيلة 40 سنة عبد الحليم خدام، ان جماعة بشار هم الذين تولوا أمور دفنه من لحظة حمله من مكتبه إلى لحظة مواراته الثرى.

1- لم يسمحوا لأي من أهله بفتح التابوت الذي حوى جثمانه، من دمشق إلى قريته بحمرا.

2- رفضوا لف النعش بالعلم السوري حتى لا يعطي رمزية التضحية أو "الاستشهاد" لكن أهله أصرّوا على لف جثمانه بالعلم السوري.

3- الطبيب الشرعي الذي أشرف على فحص الجثة أسرّ لعائلة كنعان ان هناك طلقتين في الرأس قتلت الرجل.. وهذا يجعل خبر الانتحار أضحوكة.

4- عندما تحدث شقيق غازي متسائلاً عن الطلقتين وكيف يمكن لإنسان أن ينتحر برصاصتين، وجد مقتولاً عند قضبان سكة الحديد.

لماذا قتل غازي كنعان؟

يقول خدام ان بشار كان يضغط كثيراً على كنعان، ويمكن أن أقول انه كان يراقبه.. بل ربما كان لا يحبه، فغازي كنعان هو المسؤول السوري الوحيد في لبنان الذي لم يكن يضع صورة لبشار في مكتبه ولم يضطر لهذا إلا حين تم أول لقاء بين بشار ورئيس وزراء لبنان رفيق الحريري بدعوة غداء من كنعان في 1997/5/12 (غير ان هذا حديث آخر سيرد ذكره في مكان آخر من الكتاب) وهو يذكر – خدام – واقعة تظهر فقدان الود بين الاثنين. كان خدام يتناول الطعام مع غازي كنعان في أحد المطاعم فرن هاتف غازي كنعان ليبدو من طريقة رد الأخير ان طالب الهاتف كان بشار نفسه الذي قال له بعدما أوضح له انه يتغدى مع خدام.. انت تترك عملك كي تتغدى مع أبي جمال؟

ومع ان كنعان كان ترك لبنان قبل سنوات من قتل الحريري في 2005/2/14، إلا ان بشار كان يحمل في نفسه ضغينة ضد كنعان لأنه كان يعتبره مقرباً من الحريري الذي كان بشار يكرهه كثيراً.

وكانت شهادة غازي كنعان في جريمة اغتيال الحريري – أمام لجنة التحقيق الدولية – التي شكلها مجلس الأمن الدولي – ذات أهمة خاصة، وستكشف (وربما لا تكشف) وقائع المحاكمة الخاصة بلبنان أهمية شهادة كنعان.

المهم – وفق قول خدام – ان المترجم الذي كان ينقل كلام كنعان أمام المحققين كان مخترقاً من أجهزة الأمن وهنا يصح القول انه كان من المستحيل ألا يكون هذا المترجم وفي قضية بهذه الخطورة، وفي موقف مسبق ضد كنعان ألا يكون أمنياً في الدرجة الأولى أي يقدم تقريراً مكتوباً لمرؤوسيه بعد انتهاء اللقاء.

والاخطر ان حدثاً كهذا يستحيل ألا يكون خاضعاً للتصوير والتسجيل أي صوتاً وصورة ومحفوظاً في سجلات الاستخبارات السورية.. وكل حرف قاله كنعان ربما كان ينضح بتحميل مسؤولية قتل الحريري لجهة كان نظام بشار يعتبر نفسه معنياً بها سواء كانت إيران أو حزب الله أو جهاز أمن سوري مباشر أو شخصيات سورية أمنية أو عسكرية.. وشهادة كنعان في هذه القضية كانت المسمار الأخير في نعشه.

إذن لماذا سكتت عائلة كنعان؟

عدا ما نقل عن طرح شقيق كنعان للأسئلة حول مقتل شقيقه وانتحاره أو نحره على قضبان سكة حديد، فإن معلومات خدام ان بشار استدعى عائلة غازي كنعان، وتحديداً ابنه يعرب وهدده بالصمت وإلا لن يكون مرتاحاً.. وأكثر من ذلك ان بشار أتى على ذكر تركة كنعان المالية الكبيرة، ناصحاً بالاهتمام بها والعيش الرغيد بما تحمله، حتى لا تخسر، عائلة غازي كنعان الدنيا.. والآخرة..

رواية جوني عبده

في رواية جوني عبدو ان غازي كنعان لم ينتحر بل قتل.. حتى إذا صدقنا انه انتحر فإنه لو لم يفعل، فقد كان بشار أرسل إليه من يقتله.

عندما اغتيل رفيق الحريري في 2005/2/14، كان رد فعل غازي كنعان ان هذا عمل لا يقدم عليه إلا حمار وعندما استنطقته لجنة التحقيق الدولية التي كان يرأسها المدعي العام الألماني ديتليف ميليس عمن يمكن أن يكون قد قتله قال: لا أعرف.. وقد أخذ هذا الرد انه يحتمل توجيه التهمة إلى سوريا وإلى غيرها، لأنه لم يتحدث بمنطق النظام الذي بدأ أول الأمر دفاعه عن نفسه في جريمة اغتيال الحريري بالزعم ان القاتل هو أحمد أبو عدس، ثم في رواية أخرى ان هناك جماعة اسلامية قتلته وتوجهت إلى استراليا وفي رواية ثالثة ان القاتل ظن انه ذهب ليقتل رئيس وزراء العراق السابق اياد علاوي.

لم يلتزم غازي كنعان كوزير للداخلية بأي من روايات النظام وأجهزته وأتباعه في لبنان خاصة جميل السيد الذي نسبت إليه كل الفبركات السابقة.. وكان هذا التميز لغازي كنعان في رفض فبركات النظام وأدواته في لبنان في رمي التهم جزافاً في قتل الحريري كافياً كي يمتنع بشار عن الرد على اتصالات كنعان طيلة الاشهر التي تلت اغتيال الحريري، حتى كان استقباله له بحضور رستم غزالة ليعنفه ويهدده قبل لحظات من توجه غازي إلى مكتبه ليقتل داخله.

ثم ان تقاريراً عديدة كانت تصل إلى بشار وأول من بادر إلى كتابتها هو رستم غزالة، بأن غازي كنعان هو بديل بشار في حكم سوريا بعد خلع بشار، وبشار يستمع كثيراً إلى أجهزة الأمن، ويصدق دائماً آخر من يتحدث إليه.

والخلاصة ان بشار قتل الحريري مثلما قتل غازي كنعان لأنه لا يطيق ان يرى إلى جانبه رجلاً أكبر منه كثيراً قيمة وقدراً.. لا فرق سواء كان الرجل سياسياً لبنانياً كرفيق الحريري أو أمنياً سورياً كغازي كنعان.

أبو يعرب

لم يكن غازي كنعان يشك لحظة انه ساعة يترك ساحة لبنان طوعاً لترقية أو كرهاً لإبعاد أو بقرار فيه بين الترقية والابعاد إلى سوريا، لن يجد سياسياً لبنانياً واحداً من الذين صنعهم سيجرؤ على إقامة حفل تكريم له بمناسبة مغادرته لبنان الذي حكمه فعلياً منفرداً طيلة ثلاث عشرة سنة كاملة (1989 - 2002). والذين حضروا حفل التسليم والتسلم غير الرسمي بينه وبين صاحب الدعوة إليه خلفه العميد رستم غزالة، جاؤوا تلبية لدعوة غزالة فقط حتى لو كان لكنعان رأي في من يدعى إلى هذا الحفل لكنه بالتأكيد لم يكن له رأي في من يستبعد.

كان اللواء كنعان خلال فترة حكمه للبنان (20 سنة) مطيعاً بامتياز لتوجهات حافظ الأسد، جندياً فعلياً في جيشه، ضابطاً مخلصاً في أركانه، منفذاً لتعليماته بشدة يعرفها بالأصل عن صاحب القرار، ومن يدعي ان كنعان فشل في مهماته هو جاهل أو متجاهل أو لا يعرف مدى اهتمام واحترام القيادة السورية لهذا الانجاز الذي لم تجد غيره متقدماً عليه خلاصة السياسة السورية في العقود الماضية وهو.. احتلال لبنان.

وحالة كنعان في الحكم السوري هي نتاج العقلية السياسية - الامنية التي قاد فيها الرئيس حافظ الأسد بلاده خلال ثلاثة عقود بقيادة الضباط الذين تعاونوا معه فيها فشكلوا قادة العمل السياسي الحقيقي الممسك بخيوط السلطة كلها، وخطوطها في كل نواحي الحياة الأمنية والعسكرية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والاجتماعية والاعلامية والجامعية والثقافية والمهنية واتحاد الكتاب ومؤسسات القطاع العام فطبعت سوريا كلها بطابعها الأسدي حتى داخل صفوف ومؤسسات ومؤتمرات وسلوكيات حزب البعث العربي الاشتراكي، الذي كان الأسد أمينه العام حتى بدا انه المؤسس الحقيقي للحزب الحالي في سوريا (وبقاياه الموروثة في لبنان) (مؤسسوه الأساسيون هم ميشال عفلق وأكرم الحوراني وصلاح البيطار).

بهذه الصفة جاء غازي كنعان إلى لبنان ليواجه فيه الأهوال قبل أن تستتب الأمور له ولسوريا الأسد فتنتقل الأهوال إلى الضفة الأخرى، ضفة كل من يعادي هذه السياسة بدءاً بياسر عرفات الذي عاد ليشارك الأسد حكم لبنان من طرابلس عام 1983 بعد اخراجه من بيروت عام 1982، ثم عبر حرب المخيمات أعوام 1985 - 1986 - 1987 التي ألغت وجوده السياسي المؤثر تماماً في لبنان.

تلك هي مهمة غازي كنعان

كرئيسه حافظ الأسد كان على غازي كنعان ان يحافظ كثيراً على الشكل وبدايته اكتمال عقد مجلس نواب في لبنان مؤلف من 99 عضواً كان انتخب عام 1972 ولم يبق منه عام 1991 أكثر من ثلثيه بعد رحيل ثلثه الآخر بين متوف ومقتول ومع إضافة 29 نائباً إليه ليصبح 128 كما نص اتفاق الطائف ترك لغازي كنعان ان يختار أكثر من 50 نائباً في أول تجربة اختيار رجاله لهذه المسؤولية التشريعية، وقد سبقتها عملية اغتيال أول رئيس للجمهورية اللبنانية حسب اتفاق الطائف رينيه معوض، ويبدو ان الرجل لم يكن عندما قتل مستوعباً المتغيرات التي عصفت بلبنان ولا بسقوط معادلة 1943، فبدا ان أول وصوله كان محاولة لاستعادتها على طريقته، وكان من ضمن مرشحيه لتولي وزارة الدفاع في أول تشكيلة حكومية في عهده العماد المتمرد ميشال عون المحصن محتلاً قصر بعبدا مقر الحكم الجمهوري في لبنان.. والذي لم يكن ليرضى بأقل من رئاسة الجمهورية ودونها الخراب وحرب التحرير وحروب الالغاء وسرقة القصر الرئاسي.

وككل نظام جديد يبدأ عمله في اختيار رجاله ممن يثق بهم، وتحديداً ممن يعرفهم وخبرهم جيداً، فكان نموذجاً لهذه الطبيعة اختيار غازي كنعان لعلي حمد جعفر نائباً عن بعلبك الهرمل، بديلاً عن رئيس مجلس النواب السابق نائب المنطقة السابق وزعيمها صبري حمادة، واستبعاد أكيد لنجله ماجد (رحل عام 1996) لقد اختار غازي كنعان من يعرفه جيداً وخبره في التعاون معه عندما كان ابو يعرب (كنية غازي كنعان لابنه البكر، مقدماً في الاستخبارات السورية مسؤولاً عن منطقة حمص، وكانت حمص إحدى محطات الاطلال على لبنان من ناحية البقاع الشمالي لمعرفة الوضع في هذه المنطقة تجاه سوريا، ولم يكن غريباً "تعاون" أبو

ياسين (كنية علي حمد جعفر) وهو أحد قادة أبرز عائلات المنطقة (جعفر) مع المقدم كنعان وهو ينتمي إلى منطقة كان أهلها الأقرب عبر الزمان لسوريا، كما حال أهل الشمال اللبناني، وكثيرون منهم ما زالوا يتحدثون عن عملتهم بوصفها الليرة السورية، حيث يسهل التعامل بها داخل قراهم وبين بعضهم بعضاً وحيث أسواق المنطقة على طرفي الحدود وقربها غير البعيد محط أنظار المتبضعين في كلا البلدين.

وعلى هذا المنوال اختار كنعان اكمال مجلس نواب الـ 1972 وكذلك إضافة نواب للمجلس قبل انتخابات 1992 حيث كانتا التعبير الأمثل عن كيفية إدارة البلد منذ ذلك اليوم.

وإذا كان علي حمد جعفر قد حل محل صبري حمادة في البقاع الشمالي، فإن الشاعر القومي السوري غسان مطر حل في بيروت في مقعد مؤسس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل عام 1992. مثلما حلت مهى أسعد في مقعد عميد الكتلة الوطنية ريمون اده في بلاد جبيل (في انتخابات 1992) وحل ايلي حبيقة في مقعد ادوار حنين في منطقة بعبدا وحل عضو حزب الله علي عمار في مقعد النائب التاريخي للمنطقة محمود عمار، وكان مسؤول أمن "أمل" محمود ابو حمدان حل في مقعد عمار نفسه في تعيينات 1990. وحل ناصر قنديل في مقعد محمد يوسف بيضون في انتخابات 2000 في دائرة بيروت الثالثة وحل باسم يموت في مقعد صائب سلام في منطقة المصيطبة (أو مقعد رشيد الصلح في الباشورة) في الانتخابات نفسها، وحل علي حسن خليل العبدالله في مقعد الرئيس كامل الأسعد، كما حل سابقاً علي خريس في مقعد كاظم الخليل، والعليان مسؤولان في حركة أمل.

الذين اختارهم اللواء غازي كنعان ليكونوا نواباً في مجالس 1992 - 1996 - 2000 نماذج للذين اختارهم هو نفسه ليكونوا وزراء أو مدراء عامين أو قادة أجهزة أمن أو عمداء كليات في الجامعات أو مسؤولي نقابات.

وكان معيار اختيار كنعان لهؤلاء جميعاً المبدأ الذي يسود الانظمة الحزبية في العالم كله، الولاء قبل الكفاءة، والولاء يبدأ دائماً للمبدأ ثم يتدرج ليصبح للشخص الذي يمثل المبدأ ثم للمصلحة التي يمثلها الشخص ثم للمنصب الذي يناسب

المصلحة، وتضيع بين هذه الدائرة أولويات الوطن والمبدأ والشخص والمصلحة.. ومصلحة من؟ دون أن نغفل ان بعضاً من المختارين تمتعوا ويتمتعون بكفاءات عالية في اختصاصهم، ولكنهم لم يكونوا ليصلوا لولا تقاطع المواقف بينهم وبين كنعان نفسه؟

كان مطلوباً من غازي كنعان أن يكون لبنان حالة سورية كاملة في السياسة والأمن مثلما هو حالة تكامل في الجغرافيا، وقد نجح غازي كنعان في هذا الأمر نجاحاً ساحقاً، كان مطلوباً منه أن يجعل بيروت آمنة كدمشق فجعل لبنان كله ممسوكاً مثل سوريا.. ولسوريا وحدها وللأسد وحده.

جاء غازي كنعان إلى لبنان عام 1982 وساحته مرتع لكل قوى الأرض الشرقية والغربية والعربية المهتمة أو التي لها جذور وأصول وامتدادات وحضور ومصالح ومنظمات في لبنان، فلما غادره كنعان عام 2002 لم تبق لأحد على وجه الأرض مصلحة لا تمر عبر الموافقة السورية ومن مكتب صغير متواضع في عنجر يندر أن تجد سياسياً أو أمنياً أو قاضياً أو استاذاً جامعياً أو رئيس حزب أو مرشحاً لموقع نقابي إلا وانتظر فيه أو قابل فيه حاكم لبنان الفعلي ذا الابتسامة الجذابة الحريص على رشاقته بما يستدعيه صعود جبال قريبة من عنجر صبح كل يوم كي يظل في كامل طاقته وحيويته قادراً على وظيفته اليومية مع ساسة لبنان.

أولويات الأسد - كنعان

كان الموعد التقليدي لاستقبال السياسيين اللبنانيين، نواباً ووزراء ومرشحين ومستوزرين ومدراء عامين وقضاة ومدراء جامعات وعمداء ورؤساء مصالح ونقابيين واتحادات مهنية واعلاميين وضباطاً ومثقفين وفنانين ورياضيين وسفراء، هو يوما السبت والأحد من كل أسبوع (بعد لقاء قادة أجهزة الأمن اللبنانيين قبل ظهر السبت)، حيث تتحول باحة مقر اللواء كنعان في قرية عنجر القريبة من الحدود السورية في البقاع إلى معرض سيارات من كل الاشكال والارقام ثنائية وثلاثية (رسمياً) ورباعية (لزوم الوجاهة) مدنية وعسكرية فيجتمع المرافقون من كل الاتجاهات واللهجات المحلية القروية والمدينية ينتظرون بالساعات فراغ معلميهم من مواعيدهم فمنهم من يرد خائباً مكسوراً ومنهم من يعود منفرج الأسارير مبهوراً،

ومنهم من ينتظر وما تبدل من في الداخل تبديلاً، بل زاد خبرة وحبوراً، ضاحكاً في سره من مطالب اللبنانيين.. كل يريد سحب البساط إلى تحت قدميه واللحاف فوق رأسه والوظيفة له أو لإبنه والمنصب لـ "خدمته".

كان عند اللواء غازي كنعان فرن لصهر الحديد في قوة "الاقناع" وقوة الارادة، وصدراً يكاد من شدة اتساعه تعجز ان ترى قلبه فيه لكنك ستجد نفسك داخل هذا الصدر إلى جانب القلب إذا كانت الكيمياء عندك متوافقة مع كيمياء الرجل، أما إذا لم تكن قريباً من القلب فعبثاً تجد لك مكاناً في هذا الصدر، رغم سعته.

كان كل زائر ينقل طموحه ومطالبه الخاصة والسياسية والحزبية إلى اللواء غازي ولم يكن ضرورياً أن يسمع جواباً حاسماً ليعود إلى أهله وزوجه وأصحابه مستبشراً مبشراً، فمجرد استقبال أبـي يعرب له جواز مرور إلى المنصب - كي ينام مرتاحاً - أما إذا لم يستقبله اللواء غازي فلا نوم بعد اليوم لا لخلايا رأسه ولا لخلايا رؤوس كل من معه في البيت والمكتب والمرافقة..

نادراً نادراً ما كنت تجد سياسياً أو أمنياً أو قاضياً أو وزيراً أو نائباً متمرداً على اللواء غازي كنعان، لأنه كان يعرف ان تجاهل أمر واحد يطلبه كنعان موقفاً يعني ان يذهب هذا المتجاهل إلى مجاهل النسيان.

ولا تشاطر مع أبـي يعرب، حتى إذا قرر كنعان أن يسكت ليطيل الحبل على رقبة المتشاطر سقط ولم تقم له قائمة من بعدها، ومثلما كان اللواء كنعان كريماً جداً مع الذين تتقاطع المواقف معهم بأجزل الألفاظ وأطراها كان كريماً أكثر مع الذين تتناقض معهم المواقف بأقسى العبارات وأوجعها.

لقد سقط عبدالله الأمين في لعبة التشاطر بتجاهل زيارة كنعان في عنجر للذهاب إلى دمشق مباشرة فهو أمين قطري لحزب البعث في لبنان وهو عضو محكمة قومية منبثقة عن المؤتمر القومي للحزب فلما استدعاه كنعان ليطلب منه تصريحاً ضد التمديد لإلياس الهراوي عام 1995 تلقى أبو زياد طلباً آخر من دمشق يقول له ان التمديد للهراوي حاصل ولا داعي للتصريح والأمين أقام علاقة مميزة مع رئيس الجمهورية لا يريد أن يخسرها وكم تبادل الاثنان النكات والتقريق على هذا أو ذاك أنكلة وسخرية. ولم يجب الأمين فقرر عدم إطلاق التصريح، وعندما

سأله كنعان "لماذا لم تعد تمر يا أبا زياد؟" يرد الأمين متباسطاً "والله يا سيادة العميد (يومها) أنا أذهب باكراً إلى دمشق وأنت في رياضتك وأعود بعد الظهر وأنت في قيلولتك". فدخل عبدالله الأمين في غيبوبة سياسية طالت منذ العام 1995، رغم انه في أول تشكيلة حكومية أعدها رفيق الحريري بعد انتخابات 1996 كان يتدلل مطالباً بعدم تسلمه وزارة العمل التي جاءها ليذبح النقابات بتفريخ العشرات منها والاتحاد العمالي ليمسخ قيادته وكله لحساب استخبارات ومصالح الأسد ليفاجأ بأنه خارج التشكيلة كلها.. إلى الأبد. أما لماذا كان كنعان رافضاً للتمديد للهراوي فيعود لمعرفته بأن الهراوي انتقده بظرفه المعهود أكثر من مرة أمام الرئيس حافظ الاسد الذي كان يكتفي بالضحك من أسلوب الهراوي وبمزيد من التمسك بغازي كنعان ومسعى الأخير لعدم التمديد توقف عند حدود الزكزكة ثم الالتزام الكامل بما يريده سيادة الرئيس.

الفصل الخامس

اغتيال كمال جنبلاط

- مقدمة
- مع جنبلاط - الخلاف الدائم
- لماذا لا يذهب إلى الهند
- فلسطينيون يسخرون
- قبل اغتيال جنبلاط
- رواية خدام عن اغتيال جنبلاط
- القدري والهارب منه

مقدمة

وكم كان كمال جنبلاط بريئاً وهو يطل من على منبر مدرج جامعة دمشق ليخاطب نظام حافظ الأسد عام 1975، مع بداية الحرب الاهلية في لبنان التي اتهم الأسد نفسه بإشعالها قائلاً:

"جئنا سوريا لنستعير سيفها، لنقطع به رأس الأفعى".

كانت عبارة جنبلاط حارة، حادة.. ألقاها بهدوئه المعهود لكن مدرج الجامعة قابلها ببرود وهدوء أكبر.. فقد غص المدرج بمخبري النظام، الذين ما قبلوا موقف جنبلاط.

كان جنبلاط يريد السلاح لمقاتلة الكتائب.. وكان حافظ الأسد يستقبل مبعوثين كتائبيين لنسج علاقة استراتيجية مع الحزب، وكان من مفارقاتها ان ممثلي الحزب اللبناني في تلك الفترة كانا كريم بقرادوني وميشال سماحة، وسيصبح هذان الشخصان فيما بعد من أكثر المسيحيين التصاقاً بنظام الأسد الأب والابن..

وعندما عقد الاجتماع الشهير والأخير بين حافظ الأسد وكمال جنبلاط، كان كل منهما قد تزود من ياسر عرفات بما يستفز الآخر فكان الصدام.. وقرار قتل الأخير.

كمال جنبلاط - حافظ الأسد الخلاف الدائم

حرص حافظ الأسد على إقامة علاقات جيدة مع كمال جنبلاط، في مشروعه البعيد المدى لإقامة حلف الاقليات داخل سوريا وامتداداً إلى لبنان.

في كتابه "الصراع على الشرق الأوسط - الأسد" أورد باتريك سيل ان الأسد في بداية حكمه أعاد الاعتبار لزعيم ثورة العرب في جبلهم (الدروز) سلطان باشا الأطرش وخاصة بلقبه المحبب المجاهد.

وفي هذه الفترة وجه دعوة إلى الزعيم الاشتراكي في لبنان حامل وسام لينين كمال جنبلاط، واستقبله الأسد كما لم يستقبل أحداً من قبله حفاوة وتكريماً.

شهدت هذه الزيارة مفارقات عدة:

1- فجنبلاط الذي استقبل وفوداً عديدة من دروز سوريا قبل وخلال وبعد انتفاضة 1958 ضد كميل شمعون كان يعدهم بأنه سيزورهم في جبلهم العربي لتوحيد وحدة العرب بين لبنان وسوريا، تطبيقاً لشعار حزبه حرية - اشتراكية - عروبة.. وقد توافرت الظروف لتلبية هذه الدعوة مطلع عهد حافظ الأسد.

تسابق الدروز لإقامة استقبال غير معهود لزعيمهم المحبوب في محافظتهم السويداء وعندما علمت أجهزة الأسد بالاستقبال الضخم الذي أعده أهل الجبل لجنبلاط، فإنها فاتحت الزعيم اللبناني بأننا نستقبلك كزعيم وطني لبناني وعربي وليس كزعيم درزي.

أرسل الأسد إلى جنبلاط ان ذهابك إلى الجبل سيسبب مشاكل بين الدروز أنفسهم بسبب التنافس بين القيادات الدرزية على استضافتك.

2- أجرى جنبلاط مباحثات مع أمين عام مساعد حزب البعث في سوريا عبدالله الاحمر، لكنه رفض إصدار بيان مشترك بين الحزبين الاشتراكي والبعث، ومع هذا أصدر الاحمر بياناً مشتركاً نسب فيه مواقف لجنبلاط لم يقلها في المباحثات.

3- حرص جنبلاط على توطيد العلاقة مع النظام الجديد في سوريا، لكنه اعترض على قيام الجبهة الوطنية التقدمية بزعامة حزب البعث في سوريا قائلاً من غير المنطقي أن يفرض حزب البعث جبهة مع أحزاب لن يكون قرارها في يدها، بل تحت هيمنة السلطة الحاكمة.

4- بعد ان تناول كمال جنبلاط الغداء في قصر الروضة مع حافظ الأسد جاؤوا له ببيان عن الزيارة، فتناول جنبلاط قلمه وشطب منه فقرات عدة أهمها، ان الزعيم الاشتراكي أشاد بالحركة التصحيحية التي قام بها السيد الرئيس الفريق حافظ الأسد.

قال جنبلاط بعد شطب الفقرة ان الحركة التصحيحية مسألة داخلية ليس لنا دخل فيها.. فأمر الأسد عضو القيادة القطرية للبعث جورج صدقني أن يشطبها.

كان جنبلاط يراقب النفوذ السوري المتصاعد في لبنان في عهد حافظ الأسد وسليمان فرنجية بعد مفارقة الموقف السوري يومها من منظمة التحرير الفلسطينية.

قبل حرب تشرين الأول/اكتوبر 1973 التي خاضها الجيشان المصري والسوري ضد العدو الصهيوني، اصطدم الجيش اللبناني بأوامر من الرئيس فرنجية بالمنظمات الفلسطينية حتى انه أعطى الاوامر للطيران الحربي اللبناني للقيام بعمليات عسكرية هي الأولى في تاريخه وكانت في أيار/مايو 1973.

وكان الجيش اللبناني نفسه وفي عهد فرنجية وقبل غاراته على المنظمات الفلسطينية قد عجز عن حماية ثلاثة قادة من المنظمة (كمال ناصر - كمال عدوان - محمد يوسف النجار) الذين قتلهم العدو الصهيوني في منازلهم في شارع فردان بعد ان طلب رئيس وزراء لبنان صائب سلام إقالة قائد الجيش اسكندر غانم لتقصيره في حماية القادة الفلسطينيين، فلما رفض فرنجية ذلك استقال صائب سلام، وجاء الرئيس أمين الحافظ الذي تفاقمت الأزمة في عهده الذي لم يبدأ.

نتج عن توتر الاوضاع في لبنان واستخدام الطيران اللبناني لقصف معسكرات الفلسطينيين إقفال الحدود مع لبنان للمرة الثانية في تاريخ العلاقة مع البلدين (الأولى كانت في عهد خالد العظم سوريا 1951).

لم يفتح الأسد الحدود مرة أخرى رغم الخسائر التي لحقت بالمزارعين والمصدرين اللبنانيين إلا بعد ان حصل على تنازلات لبنانية لمصلحة وضعه الاقتصادي والعمالي..

بعد حرب تشرين كان الأمر مختلفاً، فقد نتج عن مباحثات وزير خارجية أميركا ومستشار الرئيس للأمن القومي هنري كيسنجر، ان كلفت واشنطن حافظ الأسد تصفية منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان.. مقابل مد نفوذه من خليج العقبة على البحر الأحمر إلى الاسكندرون وهو اللواء السوري الذي احتلته تركيا وضمته إلى دولتها عام 1939.

كان الصدام حتمياً بين الأسد وجنبلاط الذي كان يرأس الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية وواقع الأمر ان حركات وجبهات عديدة نشأت تحت إسم مساندة الثورة الفلسطينية.. لكن جنبلاط هو الذي وضع اسم ومضمون

جبهته فإذا هي مشاركة مع الثورة وليست مجرد مساندة.. وقد ضم في صفوفها قادة ومفكرين وسياسيين واعلاميين من عدد كبير من البلاد العربية.

كان الأسد أعد نفسه للإمساك برقبة منظمة التحرير الفلسطينية، وكان جنبلاط يعتبر نفسه مشاركاً في ثورة فلسطين مدافعاً عنها.

ولم تنقطع الاتصالات

في لقاء آخر بين جنبلاط والأسد بحضور عبد الحليم خدام قال الأسد: يا كمال بك أنت معنا في ضبط الأمور في لبنان، والمسيحيون معنا كذلك ومن مصلحة البلدين إيجاد حالة من التنسيق الرسمي بيننا.

رد جنبلاط سيادة الرئيس المسيحيون في لبنان يضحكون عليك ولن يقبلوا اي تنسيق، هم يريدونك أن تضرب الفلسطينيين، بعد ان عجزوا عن ضربهم بواسطة الجيش اللبناني حتى لا ينقسم، ثم لا تنسى يا سيادة الفريق ان المسلمين وبسبب سياسة الموازنة في لبنان باتوا يعتبرون الفلسطينيين جيشهم مقابل الجيش اللبناني الذي يحتمي به المسيحيون.

وقبل أن ينهي جنبلاط كلامه يوجه الأسد حديثه لخدام طالباً منه أن يقرأ من ملفه رسالة من نائب كميل شمعون في حزب الوطنيين الأحرار كاظم الخليل، وفيها يعرض حزب شمعون قيام اتحاد كونفدرالي بين لبنان وسوريا والاردن.

بعد ان قرأ أبو جمال مشروع الاتفاق قال يا كمال بيك هذه الاتفاقية جرى بحثها وتقديمها من شمعون وبحثها معه أثناء رحلة صيد له داخل سوريا ومعه كاظم الخليل.

وكان كمال جنبلاط قاطعاً كالسيف: سيادة الرئيس أنا لا أستطيع أن أمشي في أي اتفاقية من هذا النوع، فأنتم ليس لديكم حرية.. وأنا لن أعيش في لبنان دون حرية.. هذا هو شأن كل اللبنانيين.. أنا يا سيادة الرئيس لن أدخل قفصك الذهبي الكبير.

زرع موقف جنبلاط الحاسم من سجن حافظ الأسد الذهبي في نفس الأخير نبتة كانت تكبر مرحلة بعد أخرى إلى ان استحالت كراهية شديدة في نفس حاكم سوريا.. ولبنان إلى حين.

لعل من شأن الوثائق التي ستكشفها ثورة الشعب السوري ضد بقايا عهد حافظ الأسد، ان تفضح دور أجهزته والتابعين له في لبنان (ميشال عون، أحمد

جبريل) في إشعال الحرب الأهلية في هذا البلد الذي نكب كما سوريا نصف قرن بحكم حزب البعث.. الأسد بدءاً من اغتيال معروف سعد 2/26 – 1975/3/6 إلى استهداف حافلة أحمد جبريل في عين الرمانة في 1975/4/13.

وقبل الوثائق وبعدها فإن العالم كان يعرف ان حافظ الأسد كان يبحث عن مبرر يحتل به لبنان كي يمسك بتلابيب منظمة التحرير الفلسطينية.

وما ان انفجرت هذه الحرب حتى سارع كمال جنبلاط إلى تحصين الوضع سياسياً في لبنان من خلال تشكيل جبهة واسعة من القوى السياسية اللبنانية المؤيدة لاستقلالية منظمة التحرير الفلسطينية، لتسارع أجهزة الأسد في لبنان لتشكيل جبهة مضادة لها.

وكلما حاول الأسد إشعال جبهة في لبنان، سارع جنبلاط لإطفائها بأي طريقة.

اقتحمت قوات الكتائب والاحرار منطقة المسلخ شمالي بيروت يوم 1976/11/21 وهي منطقة يسكن معظم خيمها وبيوت التنك فيها لبنانيون مسلمون ومنهم البدو، وعدد قليل من الفلسطينيين بينما يسكن عند مداخلها مسيحيون فوق أرض تملك معظمها الرهبانيات المارونية.

نتج عن الاقتحام سقوط عشرات القتلى والجرحى ونزوح شامل لكل سكانه المسلمين، وجاء كثيرون منهم إلى منزل كمال جنبلاط في منطقة المصيطبة، وكان قادهم مسؤولو الحزب الاشتراكي فأطل جنبلاط على المهجرين من على شرفة منزله في الدور الأرضي من المبنى الصغير ليقرأ المأساة على وجوه المهجرين من عرب المسلخ، ويستمع إلى نداءات طلب الاستغاثة.

تأثر الرجل الكبير بقلبه الأكبر، ودخل مجلس منزله الذي كان غاصاً بالسياسيين والحزبيين حوله طلب من مرافقه جوزيف ان يطلب له رئيس الجمهورية سليمان فرنجية، فسارع كل من محسن دلول ورياض رعد (والاثنان كانا صديقين لجهازين مختلفين من أجهزة الأمن في سوريا إلى كمال بيك ليستفهما منه طلبه، فقال يا عمي بدي احكيه لنتفق نحن واياه لوقف هالمجازر..).

نصح الاثنان دلول ورعد كل على طريقته رئيسهما ألا يقدم على الاتصال بسليمان فرنجية إلا بعد ان يتحدث مع السوريين، وبالفعل تحدث جنبلاط مع عبد

الحليم خدام وكان يومها وزيراً لخارجية حافظ الأسد، فاستمهله خدام ألا يقدم على أي حوار مع فرنجية إلى ان يقرر الأسد ما يجب عمله في لبنان.

وكان القرار السوري هو الرد على إحراق وتهجير المسلخ بالهجوم العسكري السوري بملابس جيش التحرير الفلسطيني المرابط في سوريا وقوات الصاعقة على مناطق الموارنة الواسعة جنوبي بيروت وهي السعديات حيث قصر الرئيس كميل شمعون الذي تم نهب محتوياته ثم إحراقه الجية – الدامور – الناعمة.. فيتم تهجير عشرات آلاف المسيحيين من بلداتهم هذه وكثيرون منهم من أنصار كمال جنبلاط نفسه.

في ذروة الصراع السوري – العراقي اشترت استخبارات العراق ما عرض للبيع من مقتنيات شمعون ومنها أسلحة الصيد وأعادتها له بعد ان استقر في الاشرفية شرقي بيروت.

كان جنبلاط يريد اعتبار سقوط المسلخ خاتمة الاحزان لينهي الحرب بالاتفاق السياسي مع سليمان فرنجية.

وكان رد الأسد ان تهجير المسيحيين من قراهم في المناطق الاسلامية هو الذي يجب أن يسبق هذا الاتفاق..

وحصل الاتفاق في 14 شباط/فبراير 1976 في دمشق بين الأسد وفرنجية ليدخل ياسر عرفات على الخط ويجهض ما تم في دمشق بانقلاب عزيز الاحدب في 11 آذار/مارس.

وجد جنبلاط نفسه وحيداً عاجزاً عن التوازن مع الجيش الذي أرسله الأسد للإمساك برقبة الفلسطينيين.

ذهب إلى الرياض وقابل الملك خالد ولم يكن من في المملكة من يريد الصدام مع حافظ الأسد. ظن جنبلاط ان النظام في العراق خصم النظام في سوريا سيقف معه، فإذا به يستمع من طه ياسين رمضان النصائح بصنع قنابل المولوتوف لتدمير الدبابات السورية.

قال له جنبلاط يا عمي أنا مش شغلتي تدمير الدبابات السورية، أنا بدي احمي الشعب اللبناني.

كان بعث العراق يحرض جنبلاط على مقاتلة الجيش السوري وهو يقول لهم أنا لا أريد مقاتلته، أنا أريد دوراً عربياً لإنهاء الحرب وسحب الجيش السوري.

في الرياض سبقت جنبلاط إلى عاصمة المملكة سمعته كزعيم لليسار الذي لم يكن ليكنّ أبداً وداً للمملكة وسياستها وتقاليدها، ولم يجد من يستمع إليه سوى الأمير عبدالله بن عبد العزيز، والشيخ عبد العزيز التويجري اللذين أرادا إيجاد توازن في لبنان بين الوجود الفلسطيني والمشروع السوري، بين المسلمين والمسيحيين.

وكان شعار جنبلاط في مباحثاته مع السعوديين: فليتركنا السوريون كلبنانيين لنعمل على ترتيب شؤوننا بأيدينا.

نهى جنبلاط حافظ الأسد عن دخول جيشه للبنان قائلاً بالحرف: أنت تحضر لتوازن استراتيجي مع إسرائيل، أرجوك ألا تجر لبنان إلى هذه المعادلة.. نحن لدينا توازن في لبنان وإذا دخلت أنت لبنان فإنك بهذا التوازن، ودخولك سيعطي الفرصة لإسرائيل لاحتلال لبنان.

كانت رؤيا كمال جنبلاط أبعد كثيراً من رؤية حافظ الأسد فقد كان ترويج أجهزة ورجال حافظ الأسد ان دخول قواته إلى لبنان هو لمنع دخول إسرائيل إليه، لكن الحقيقة ان إسرائيل لم تكن لتدخل لبنان وتحتل جزءاً من أراضيه طيلة 22 سنة (1978 – 2000) لولا احتلال جيش الأسد للبناني (1976 – 2005) بل قيل ان الأسد كان مهتماً بأن تمسك إسرائيل بناصية الجنوب اللبناني مقابل أن يمسك هو بما تبقى من البلد المنكوب بجاريه العدو الصهيوني والرفيق البعثي!!

وظلت هذه المعادلة قائمة حتى قررت إسرائيل الانسحاب من لبنان عام 2000 وفق وعد رئيس وزراء العدو يهود باراك لإخراج جيشه من لبنان.

فرض احتلال الجيش السوري للبنان عام 1976 على الدول العربية أن تتدخل لإيقاف الحرب في لبنان فكان مؤتمرا الرياض والقاهرة في أيلول/سبتمبر وتشرين الأول/اكتوبر 1976.. الذي انتهى بإرسال قوات ردع عربية بأغلبية ساحقة سورية للإمساك برقبة لبنان والفلسطينيين.

لكن وقبل الاحتلال السوري حاول كمال جنبلاط جدياً أن يخلص لبنان عربياً.. وتلك قصة مأساوية من الضروري كتابتها:

كان كمال جنبلاط يردد: "لسنا وحدنا في العالم، انها مؤامرة دولية علينا، ويجب على أحرار العالم الوقوف إلى جانبنا وأن يساعدنا".

قرر أن يخرج بجولة عربية – دولية لشرح قضية لبنان أمام العالم كي يؤكد انه ليس وحده.

والعبارة التي قالها مطلع الحرب الأهلية عام 1975: يا عمي سوريا هي الرئة التي تنفس منها حتى أقفلها الأسد، وكان من المستحيل على جنبلاط أن يتنفس من رئة فلسطين المحتلة.. ولم يعد له إلا البحر.

من الجية (25 كلم جنوبي بيروت) انطلق جنبلاط وصحبه إلى قبرص قاصداً القاهرة التي وافقت على استقباله في مطلع جولته العربية في مركب اسمه فينيسيا، كان يقوم برحلات تجارية بين مرفأ هذه البلدة المختلطة بين مسلمين وأكثرية مسيحية وله فيها أنصار كثيرون.. وبين قبرص.

في الطريق إلى قبرص تعرض مركب فينيسيا لعدوان من زورق صهيوني أمطره برصاص سبب له اختراقات عديدة في جانبه، سمح لمياه البحر المتوسط أن تخترقه.

توافرت لإسرائيل فرصة لم تشأ أن تفوتها وهي الانتقام من كمال جنبلاط لتبنيه القضية الفلسطينية، ورئاسته الهيئة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية.

والتقت في ذلك مع حافظ الأسد الذي حمل من أميركا (وإسرائيل) تفويضاً لاحتلال الجزء الذي تسيطر عليه القوات المشتركة التي تقودها حركة فتح بالدرجة الأولى في لبنان، وهي الحركة التي أسسها ياسر عرفات وعدد من اخوانه.

لو أرادت إسرائيل إغراق مركب جنبلاط لفعلت.. لكنها أوصلت له رسالة واضحة بأنك تجاوزت الخط الاحمر في حماية المقاومة الفلسطينية.

وإسرائيل وجهت رسالة تأييد لحافظ الأسد بأنها معه في حملته الدموية لذبح القضية الفلسطينية وكل من يقف معها في لبنان، وفي مقدمهم كمال جنبلاط المهدد بالغرق في مياه البحر المتوسط.

خلع كمال جنبلاط سترته التي كان يحرص على ارتدائها بألوانها الداكنة المتراوحة صيفاً شتاء بين السوداء والكحلية والرمادية والرصاصية، وطلب من صحبه الانخراط في إخلاء المياه المخترقة بما توافر من أوعية في المركب طالباً من الجميع ان يهيىء كل من كان على متنه أيضاً د. ألبير منصور، ومحسن دلول، نديم عبد الصمد، علي القبيسي (صحافي من جريدة "الحياة" توفي بعد ذلك في

الرياض). مرافق كمال بيك محمد درويش ومندوب من السفارة المصرية في بيروت ما يمكنه من إفراغ المركب من المياه التي كادت تغمره.

استمرت رحلة فينيسيا من الجية إلى الشواطىء القبرصية حوالى 8 ساعات، ومنها استقل الوفد طائرة أرسلها الرئيس أنور السادات تكريماً لكمال بيك الذي يعقد اجتماعاً في مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي على النيل (أصبح مقر الحزب الوطني الديموقراطي في عهدي السادات ومبارك وتم احراقه يوم 2011/1/28 مع انطلاقة ثورة 25 ك2/يناير ضد مبارك).

بحضور أعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وبين تصفيق وعناق من السادات لجنبلاط ومعهما نائب السادات حسني مبارك ورئيس مجلس الشعب سيد مرعي ورئيس الوزراء ممدوح سالم.

قال السادات: رحبوا معي برفيق جمال عبد الناصر الزعيم الوطني القومي كمال جنبلاط.

قال السادات لجنبلاط أمام أعلى سلطة في البلاد (يومها) الاسرائيليون الجبناء عايزين يقتلوك وانت جاي، اطمئن يا كمال بيه الاسطول المصري سيرافقك أثناء العودة.

وعد السادات جنبلاط بالمساندة الكاملة ضد حافظ (الأسد) لأن المؤامرة على الشعب اللبناني والثورة الفلسطينية كبيرة قوي.

من القاهرة طار نديم عبد الصمد إلى موسكو لتهيئة زيارة جنبلاط لها، فسمع من المسؤول السوفياتي الرفيق بروتنس: قل للرفيق كمال جنبلاط انه يعرف رأينا، ونحن نعرف رأيه ولا حاجة لزيارتنا.

توجه جنبلاط إلى الجزائر بطائرة وضعها السادات تحت تصرفه طالباً نجدتها لحماية الثورة الفلسطينية، فلم يسمع من الجزائريين الذين كانوا يحرضون على استمرار القتال سوى الديماغوجية المعتادة في التأييد اللفظي دون أي فاعلية.

توجه جنبلاط بعد الجزائر إلى ليبيا تاركاً طائرة السادات لأن السلطات الليبية لم تأذن لطائرة مصرية بالهبوط في مطاراتها بسبب توتر العلاقات الليبية – المصرية وركب طائرة جزائرية..

ولم يكن حال ليبيا مع جنبلاط أفضل من حاله في أي مكان عربي آخر.

عاد جنبلاط إلى القاهرة محبطاً يائساً واسطول مصر الذي وضعه السادات تحت امرته ليعيده إلى مرفأ الجية، كان في عرض البحار، فاضطر جنبلاط للعودة إلى الساحل اللبناني جنوبي بيروت بالمركب نفسه الذي حمله منه.. فينيسيا.

جاء جنبلاط إلى قدره.. وهو يستمع عبر الاعلام والرسائل السياسية إلى الموقف الأميركي المتكرر:

"ان الادارة الأميركية ترى في الوجود السوري في لبنان عامل استقرار".

"ان الولايات المتحدة تعترف بالمصالح المشروعة لسوريا في لبنان".

لماذا لا يذهب إلى الهند؟

مصادر لبنانية وعربية ودولية أوصلت إلى جنبلاط ومن معه، بأن هناك قراراً بقتله، لم يكن سوى قرار حافظ الأسد.. فالمبرر واضح وهو ان جنبلاط خارج السيطرة السورية، مؤيداً للمقاومة الفلسطينية، حاملاً القرار الوطني اللبناني المستقل، ساعياً للحصول على دعم عربي – دولي لقضيته.. والقطبان الاساسيان في العالم اتفقا على دعم حافظ الأسد، والتخلي عن جنبلاط والثورة الفلسطينية.

كان السوفيات يمنعون تسليم القوات المشتركة اللبنانية – الفلسطينية أي قطعة سلاح تتجاوز المسدس. إذا كان الهدف مقاتلة قوات الأسد.. وممنوع على أي دولة اشتراكية بيع المسدس إلا بقرار من موسكو.

بينما سمحت السلطات السوفياتية بتسليم وليد جنبلاط الدبابات والاسلحة الصاروخية والمدفعية، وسلحت له لواء ونصف لواء بأحدث الاسلحة، بل وزودته بكل القدرات الادارية والتنظيمية لإنشاء كلية حربية وأركان طالما كان الهدف هو مقاتلة القوات اللبنانية.

هرع مسؤول الشؤون العربية في الحزب الاشتراكي توفيق سلطان المقيم في القاهرة، ومعه هاني فاخوري (رئيس الحركة اللبنانية المساندة للثورة الفلسطينية) للقاء وزير خارجية مصر اسماعيل فهمي الذي كان يمضي فترة نقاهة صيفية في منطقة المنتزه في الاسكندرية لينقلا له الخبر الأكيد: هناك قرار بقتل كمال جنبلاط.

فاجأ فهمي الرسولين: نحن نعرف ذلك.

وما العمل؟ سأل الرجلان وكان جواب فهمي مفاجئاً أكثر: أهلاً وسهلاً به في مصر، سنقدم له فيلا في مصر الجديدة، ثم استطرد.. ولماذا لا يذهب كمال بيه إلى الهند.. وهو يحبها ويجري رياضته الروحية فيها، لماذا لا يشغل نفسه بعقد ندوات في أي مكان خارج لبنان خلال هذه الفترة؟

فلسطينيون يسخرون

وكان تعليق أمين سر منظمة الصاعقة التي انشأها البعث السوري لاختراق العمل الفدائي الفلسطيني زهير محسن على اغتيال جنبلاط.

لقد تم قتل الرفيق كمال جنبلاط.. لأسباب درزية!

فيما بعد قتل محسن في "كان" أثناء قضاء إجازة صيفية في المنتجع الفرنسي الذي يقصده اثرياء العالم.

وقال مستشار عرفات السياسي هاني الحسن ساخراً من استشهاد جنبلاط:

بين سبلين وبترومين ضاعت القضية الفلسطينية وسبلين هي مكان المعمل الذي بناه جنبلاط في هذه المنطقة لإنتاج الترابة أما بترومين فهي شركة اصطياد وتصنيع السمك التي كان لكميل شمعون الاسهم الاعظم فيها.

سقط كمال جنبلاط يوم 1977/3/16، حين كان المجلس الوطني الفلسطيني منعقداً في القاهرة، وحين قرأ فاروق القدومي (بعثي سوري فلسطيني) التقرير السياسي تجاهل أي دور للحركة الوطنية اللبنانية بزعامة كمال جنبلاط، كما اغفل ذكر أي إشارة للرجل الذي قتل وهو يدافع عن القضية الفلسطينية.

ولم يكن الأمر جديداً.. فقد نأت منظمة التحرير بنفسها عن أي صلة مع كمال جنبلاط بعد مؤتمر القاهرة 1976، وتوقف أي لقاء مع أي مسؤول على صلة بجنبلاط.

وحين انعقد المجلس هذا في القاهرة، لم تعط كلمة لجنبلاط الذي كان عريس كل المجالس السابقة.. بل لم يدع العريس إلى المجلس نفسه.. وقد اغتيل في آخر أيام جلسات المجلس الفلسطيني.. فاكتفى المجلس المذكور بتأبين القائد اللبناني الذي كان يرى ان قوته هي في تمسكه بقرار حرية لبنان طريقاً لحرية فلسطين.. فسقط

برصاص الحاكم الذي كان وجوده في السلطة طيلة عقود سبباً في وأد حريات لبنان وسوريا واستمرار استعباد فلسطين.

وكان رد أوفى أوفياء كمال جنبلاط توفيق سلطان بليغاً وهو يقول: قتلوك يا جنبلاط لأنك فلسطيني، هناك من يموت فيمنح شهادة وفاة، وهناك من يستشهد فيمنح شهادة ميلاد.

قبل اغتيال جنبلاط

في اللقاء الأخير بين كمال جنبلاط وحافظ الأسد اتهم الرئيس السوري الزعيم اللبناني بأنه يريد أن يحكم لبنان، من خلال ياسر عرفات، في إشارة إلى انتشار القوات المشتركة - الفلسطينية - اللبنانية التابعة لأحزاب وطنية ويسارية وقومية في الجبل اللبناني المسيحي، حتى فزع بعض المسيحيين إلى قرع أجراس الكنائس خشية سقوط مدنهم وقراهم في أيدي الفلسطينيين، وقد سمعوا جميعاً الرجل الثاني في حركة فتح أبو اياد (صلاح خلف) يردد ان طريق فلسطين تمر من جونية!

رد جنبلاط على الأسد بقوله: يا سيادة الرئيس نحن لدينا مشروع وطني لحل مشاكل لبنان.

وكثيراً ما كان البعض يردد قول جنبلاط في إحدى لحظات غضبه النادر: "هؤلاء الموارنة إذا أردنا أن نعيش معهم، فيجب أن يتلقوا صفعة.. كل فترة".

قال الأسد بلؤم شديد: أنت يا كمال بيك تنتمي إلى طائفة صغيرة، ولا يمكن لك ان تحمل مشروعاً وطنياً شاملاً للبنان.

وقبل أن يكمل الأسد فكرته، وهو كثيراً ما كان يأخذ محدثة بعيداً بهدف تشتيت فكره.. قاطعه جنبلاط على ندرة ما كان يفعل وهو يرد الصاع للأسد:

يا سيادة الرئيس إذا كان المقياس هو الانتماء إلى طائفة كبيرة.. فأنت نفسك لا تنتمي إلى مثل هذه الطائفة في سوريا.

كانت هذه العبارة التي تحدى بها جنبلاط حافظ الأسد، المبهور بالصفات التي يطلقها عليه اعلامه: "القائد وبطل التشرينين (حرب تشرين وانقلاب تشرين الثاني) بداية الاحزان في حوار الطرشان بين الأسد وجنبلاط.

في طريق العودة يسأل الوزير السابق المرافق عباس خلف الشاهد على الحوار في جلسته الساخنة معلمه.

كمال بيك.. هل يقتلوننا قبل أن نقطع الحدود؟

رد جنبلاط بهدوء شديد كعادته: انهم أذكياء ولن يقتلوننا قبل مرور سنة.. ثم استطرد لكنهم سيقتلونني وحدي.

بعد سنة كاملة اغتال جنود سوريون الزعيم الاشتراكي عند مفترق بلده دير دوريت يوم 1977/3/16.

كان جنبلاط أراد أن يقتل وحيداً لذا رفض اصطحاب أحد قيادات حزبه الملح على الركوب معه، فسبقته سيارة الزعيم حين كان متوجهاً لشراء علبة تبغ من دكان قريب..

لكن الجناة الذين كلفهم حافظ الأسد بالجريمة عبر رجله الموثوق قائد استخبارات القوات الجوية محمد الخولي، وهذا الأخير اعتمد الرائد ابراهيم حويجي لهذه المهمة القذرة - لم يحققوا نبوءة كمال جنبلاط فقتلوا سائقه ومرافقه.. ربما عقاباً لهما على وفائهما للزعيم الفيلسوف.

يقول نائب الرئيس عبد الحليم خدام

ان حافظ الأسد استقبل كمال جنبلاط بناء على طلب من ياسر عرفات.

يشرح أبو جمال فيقول: كان بيننا وبين ياسر عرفات زعل شديد بسبب سياسته في لبنان ضدنا، وقد وسط عدداً من دول الخليج العربي لاستقبال الأسد له، فوافق الأسد وجاء عرفات مادحاً الأسد وسوريا ومواقفها لدعم القضية الفلسطينية، وبعد عودته إلى بيروت اتصل بي في الساعة 3 صباحاً ليقول ان كمال جنبلاط بات جاهزاً ليأتي إلى سوريا للقاء الأسد وبيعه موقفه الجديد بقبول السلام داخل لبنان والمصالحة التي تريدها سوريا في لبنان بين القوى السياسية.

اتصلت بالأسد 3 صباحاً وكان ما يزال ساهراً لأنقل له رغبة عرفات باستقباله جنبلاط - فوافق فأبلغت أبو عمار، وجاء جنبلاط إلى دمشق والتقى الأسد لسبع ساعات كان كل منهما يتحدث لغة مختلفة عن الآخر.

كان الأسد يدعو للسلام، وكان جنبلاط يدعو الأسد لتسليمه مزيداً من السلاح.

– قال الأسد ان استمرار الحرب يهدد لبنان بتدخل إسرائيلي وهذا يهدد أمن سوريا

سأل المؤلف خدام عن الرسالة التي تحدث جنبلاط عن استقبالها من القيادة السورية تدعوه للذهاب إلى دمشق للقاء الرئيس الأسد لبحث تسوية الخلاف بين سوريا والحركة الوطنية اللبنانية.

نفى خدام وجود هذه الرسالة أو أي دعوة لجنبلاط لزيارة دمشق.

يصرّ المؤلف ان كمال جنبلاط دخل مقر اجتماع الحركة الوطنية اللبنانية، في مقر الجبهة المشاركة بالثورة الفلسطينية بعد ظهر يوم الجمعة في 1977/3/11.. كان يرتدي بدلة رصاصية وربطة عنق برتقالية على قميص أبيض، ويتأبط ملفات زرقاء اللون وكان بشر المحيا، أطل بابتسامة خفيفة، مصافحاً الحضور واحداً تلو الآخر بادئاً الاجتماع بالحديث عن تلقيه دعوة من القيادة السورية لزيارة دمشق لبحث الأزمة بينها وبين الحركة الوطنية، طالباً من الحضور إبداء رأيهم في الأمر.

وافق كل الحضور من ممثلي الاحزاب الوطنية اللبنانية المشاركين في الاجتماع عدا حزب البعث العراقي. ظل خدام نافياً لوجود رسالة، والمؤلف يؤكد كلام جنبلاط وأظن ان من بقي من الحضور على قيد الحياة هم شهود على هذه الدعوة وهم محسن ابراهيم، ألبير منصور، اسامة فاخوري، حسين حمدان، عصام نعمان، سمير صباغ وكان مقرر الاجتماع غسان أبو عياش وربما ما زال محتفظاً بمحضر الاجتماع.

القدري والهارب منه

مثلما رسم قرار بشار الأسد مصير رفيق الحريري ووليد جنبلاط، وقتل الحريري وما زال جنبلاط على لائحة الموت التي وضعها بشار وشقيقه ماهر كذلك رسم حافظ الأسد مصير كمال جنبلاط وريمون اده، وقتل الأول وحاول قتل الثاني حتى ألزمه اللجوء إلى فرنسا ليلقى وجه ربه فيها.

تنافس جنبلاط الابن والحريري الأب فيمن سيقتله بشار أولاً..

كذلك تنافس ريمون اده وكمال جنبلاط فيمن سيقتله حافظ أولاً.

أرسل العميد إلى الزعيم الاشتراكي يحذره بأن معلوماته من مصادر فرنسية ان حافظ الأسد سيقتلهما وان عليه الرحيل من لبنان، وهو سيغادره حتى يفوت الفرصة على الأسد الأب.

توجه اده إلى القاهرة للقاء أنور السادات، ليستمع منه إلى تحذير نقله أيضاً إلى جنبلاط بأن حافظ سيقتلكما..

غادر اده إلى باريس، واستقبل فيها كمال جنبلاط ليبحثا قيام حكومة لبنانية في المنفى.. سرعان ما سقطت فكرتها لأن أحداً في العالم لن يؤيدها.. فالغرب والشرق لزما لبنان ومنظمة التحرير إلى حافظ الأسد ولن يؤيدا أي أمر يزعج الأسد الهائج.

نصح اده جنبلاط ان يبقى معه في باريس، أو أن يغادر إلى الهند أو يبقى متنقلاً بين هذه العاصمة وتلك (القاهرة – الرياض).

لم يمتثل جنبلاط لنصائح العميد الذي كان يردد ان جنبلاط كان محكوماً بنقطة ضعف انه سيقتل حين يصل إلى سن الستين.. وقد صدق حدسه.

الفصل السادس

بشير الجميل يرفض حلفاً علوياً – مسيحياً

- مقدمة
- كيف نظر الأسد إلى لبنان
- شهادة لمروان حماده
- جنبلاط – معوض – الحريري
- رواية الاخضر الابراهيمي
- دمشق تدعم ميشال عون
- بعد معوض.. قبل الهراوي
- وقائع من جوني عبدو
- الأسد ينعت الهراوي بالخسيس
- واقعة إثبات عن جشع الهراوي
- الثلاثي السني والمفاجأة
- من إنجازات منظمة الأسد في لبنان
- الأسد يوزع حصص النفط
- 20 مليار دولار خسائر لبنان من الاحتلال السوري منذ 1992
- خاتمة الفصل

حلف علوي – مسيحي
يرفضه بشير

في منـــزل حسن الخير (عقيد متقاعد في الجيش الفرنسي) كان حماً لرفعت الأسد، التقى الأخير بشير الجميل، طوني فرنجية، وابن بطرس الخوري، ليعرض عليهم إقامة حلف ماروني – علوي ليحكم لبنان وسوريا.

أيد فرنجية والخوري عرض رفعت لكن بشير رفض هذا الأمر بالمطلق، قائلاً ليس من مصلحة المسيحيين في لبنان وفي سوريا أن يكونوا جزءاً مـــن حلـــف أقليات، بل لا بد من اللقاء دائماً مع الاغلبية، دون استفزازها.

كيف نظر الاسد إلى لبنان

لم يمدد حافظ الأسد لالياس الهراوي و لم يمدد بشار الأسد لإميل لحـــود، لأن هذا وذاك وحدهما شديدا التبعية والارتهان لنظام عائلة الأسد، ولا لأن أياً منـــهما يحمل "كفاءة خاصة" ليست موجودة عند بقية الساسة الموارنة الذين يملك بعضهم مؤهلات عديدة وموضوعية وصادقة ليكون أي واحد منهم رئيساً للجمهوريـــة، أفضل عشرات المرات من الهراوي ولحود.

وإذا قيل ان الياس الهراوي كان خفيف الظل فعلاً بما يناسب حاجة حـــافظ الأسد لمن يروّح عنه بين الحين والآخر، فاستبقاه لثلاث سنوات أخرى. وإذا قيـــل ان رفيق الحريري أدى دوراً مهماً في التمديد للهراوي ليبعد عنه كأس مجيء لحـــود الذي ذاق مرارته في 2005/2/14. وإذا قيل ان الياس الهراوي كـــان مســـتعداً لأن يقدم ما لا يحلم به حافظ الأسد من تنازلات سياسية وطائفية وشخصية كي يرضى عنه ليقبل به رئيساً ثم ليمدد له.

فأين هي خفة دم إميل لحود حتى يختاره حافظ الأسد رئيساً وان يمدد له بشار الأسد لثلاث سنوات، ورفيق الحريري ذهب إلى آخر الدنيا كي يبعـــد التمديـــد للحود عام 2004.

قيل لبشار الأسد كثيراً من داخل السلطة السورية وعلى أعلى المستويات كعبد الحليم خدام نائبه ونائب والده وصديقه ومساعده لعقود كثيرة ان لدى سوريا أصدقاء موارنة كثراً في لبنان مؤهلون كي يكونوا رؤساء بدل التمديد لإميل لحود الذي استدرج القرار الدولي 1559، وبموجبه خرج الجيش السوري من لبنان.

ومع هذا صمم بشار على التمديد للحود.. لماذا؟ مع الاشارة إلى ان خدمات لحود لحزب الله خلال عهده أكثر من أن تحصى، وان حسن نصرالله حمل نفسه إلى دمشق ليقنع بشار الاسد بالتمديد للحود بعد ان أبلغه رفيق الحريري ان بشار ترك للبنانيين ترتيب أمر انتخاب رئيس جديد للبنان خلفاً للحود بعد ان وعد بعض القادة العرب والاجانب بأنه قرر ترك اللبنانيين ليختاروا رئيساً جديداً لهم، وقد نجح نصرالله في إقناع بشار بذلك.

رواية ذهاب نصرالله إلى دمشق لإقناع بشار بالتمديد للحود رغم وعد الرئيس السوري لكل من اتصل به بأنه سيترك للبنانيين انتخاب رئيسهم، سمعها الكاتب من سعد الحريري في منزله في وسط بيروت السبت في 19 آب 2010 وعندما سأل الكاتب نائب الرئيس خدام في باريس في ت1/اكتوبر 2011 عن هذه الواقعة أيدها خدام نفسه وكثيراً ما تحدث عن تردد بشار الدائم، وعن إصغائه لكل من تحدث معه، وانه يلتزم عادة بكلام آخر من يحدثه في موضوع ما.. فإن تأثير نصرالله عليه أكيد في موضوع التمديد.

غير اننا لم نجب على السؤال الأهم.. أين هي الحلقة المفقودة في التهشيم السوري المتعمد للمؤسسات في لبنان بدءاً من رئاسة الجمهورية؟

يكتنز حافظ الأسد – من منطلق حرصه على نظامه الأمني الاوتوقراطي – حقداً لم يخفه يوماً على التجربة الديموقراطية في لبنان، تتواكب مع حقد شخصي – اجتماعي – سياسي عقائدي على العائلات السياسية الاساسية التي ساهمت حتماً في قيام لبنان واستقلاله والمحافظة على سيادته.. وتطبيقها للديموقراطية اللبنانية بما كان يستفز مشروعه الأمني الذي سمح له ان يحكم وحيداً لثلاثين سنة ثم ان يورث ابنه.

والغريب الغريب ان حافظ الأسد كان يحقد على العائلات السياسية في لبنان (كما في سوريا قبله) ثم كلف جماعاته بالقضاء على هذه العائلات في الشارع وفي

مؤسسات الحكم (الحكومة، مجلس النواب تحديداً) وكان يدعي كراهية لتوارثها السياسي أباً عن جد ثم ولداً عن أب.. لكنه في نهاية المطاف صمم على التوريث في حكم سوريا في إطار العائلة الواحدة التي لم تدخل معترك الحياة السياسية قبله، وكان أفرادها في أحسن الحالات ضباطاً أو عمالاً زراعيين أو أجراء أو فقراء يرسلون بناتهم للعمل في خدمة بيوت البورجوازية السنية سواء في دمشق، حلب، طرطوس، اللاذقية ثم بيروت وطرابلس..

كان حافظ الأسد يكره العائلات السياسية اللبنانية التي أقامت نظاماً سياسياً لبنانياً يعتمد الديموقراطية وتداول السلطة ويسقط كل من يحاول التمديد كما حصل مع بشارة الخوري عام 1952 اثر الثورة البيضاء التي شارك فيها كمال جنبلاط وكميل شمعون، حتى إذا حاول الاخير التمديد لنفسه مستفيداً من الدعم الأميركي – البريطاني لمواجهة جمال عبد الناصر بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا عام 1958 برئاسته، ومن ثم إسقاط حلف بغداد.. نجح اللبنانيون في ثورة شبه بيضاء في التخلص من شمعون ومعهم وقف بطريرك الموارنة بطرس المعوشي.

ديموقراطية لبنان التي كرهها حافظ الأسد سمحت لابن سيدة متواضعة الياس سركيس أن يصبح رئيساً للجمهورية، وسمحت لابن عامل بسيط شفيق الوزان ان يصبح رئيساً للوزراء.

ولا أحد في لبنان ينكر أدوار ومكانة عائلات لبنان السياسية سواء اتفق معها أو اختلف سياسياً وثقافياً وفكرياً واجتماعياً وسلوكياً.. من آل الصلح إلى آل سلام وكرامي، ومن آل اده وبطرس إلى آل الجميل، ومن آل الزين والخليل وعسيران إلى آل الاسعد وحماده حرص حافظ الأسد على تحطيم زعامات هذه العائلات بإصرار ودأب شديدين وكلف غازي كنعان القيام بهذه المهمة فنجح أيما نجاح (في ملاحق الكتاب اشارة إلى دور كنعان في هذا الامر).

كان التمديد للهراوي ولحود تطبيقاً لمنهج سياسي حاكم في ذهن حافظ الأسد وهو ان لا يكون في لبنان نظام ديموقراطي حقيقي، وان لا يكون في لبنان تقاليد سياسية ثابتة تحترم العهود أكثر من تمسكها بالعقود، فيها من العرف ما يكتسب صفة القانون لشدة تعلق القوى السياسية والاعلامية والثقافية به.

اعتاد حافظ الأسد ان يحكم سوريا كأنها ملك متوارث له، وليست نظاماً ملكياً له تقاليده وأسسه، لذا قرر في لبنان إلغاء العائلات السياسية ليقيم عائلة سياسية بإسمه في سوريا.

قرر في لبنان إلغاء أعراف وقوانين ودساتير ليقيم في سوريا نظاماً يستمد أعرافه وقوانينه ودساتيره من كلمة السيد الرئيس وتوجيهاته وأوامره وما يحبه وما يكرهه ومن يسير معه ومن ينفذ أوامره، وتولت أجهزة أمنية ابتدعها تنفيذ أوامره بقسوة لم يعرفها تاريخ البشرية قبله.

التمديد لإلياس الهراوي وإميل لحود من بعده كما اختيارهما هما من النبت الشيطاني في فكر حافظ الأسد ونجله بشار في كراهية لبنان الواحة الديموقراطية، والمؤسسات الدستورية وأصول الممارسة وأعرافها وتقاليد العمل السياسي سواء كان عبر عائلات سياسية أو مساحات من الحرية والمساواة والفرص المتاحة التي تأتي بإبن الغسالة رئيساً وابن الفران وزيراً.

شهادة لمروان حماده

يقول الوزير والنائب المميز مروان حماده للكاتب في لقاء مسجل في الرياض في شباط/فبراير 2012 رداً على سؤال كيف كان حافظ الأسد ينظر إلى لبنان؟

"كان حافظ الأسد ينظر إلى لبنان على انه موجود قسراً، وزائل حتماً، وكانت بداية ترجمته لهذه المقولة موقفه من الكلمة الحرة في لبنان فقد كان الأسد يكن كراهية شديدة للصحافة في لبنان، لأنها في نظره صورة عن نظام لا يحبه، ولا يريد أن يراه موجوداً.. فكيف إذا كان هذا النظام إلى جانبه جغرافياً لا تفصل بينه وبين عاصمته أكثر من 110 كلمترات وبين اللبنانيين والسوريين زيجات ومصاهرات وعلاقات قربى وحدود مفتوحة وهواء حر ينقل من لبنان ما يخشاه على نظامه، وهو لم ينس ان من دور الصحف في لبنان ولقاءات سياسييها ومثقفيها واعلامييها مع أمثالهم من سوريا الذين لجأوا إليه بسبب الاحكام العسكرية المتتالية في بلاده.. كانت ترتب دائماً للتغيير في سوريا.

إذاً

كان أول ما فعله حافظ الأسد في لبنان بعد اجتياحه له عام 1976، ان عمدت أجهزته وبتكليف شخصي منه بإقتحام الصحف اللبنانية وضرب صحافييها بأعقاب البنادق. اقتحمت قوات الأسد صحف "النهار" و"السفير" و"لوريان لوجور" الناطقة بالفرنسية، و"ديلي ستار" الناطقة بالانكليزية وجريدة "النداء" التي كان يصدرها الحزب الشيوعي اللبناني، ثم نسفت جريدة "الاحرار"، وأحرقت جريدة "المحرر"، ولاحقت مجلة "الحوادث" حتى هرب بها صاحبها سليم اللوزي إلى لندن لإصدارها هناك، فلما جاء اللوزي لتلقي العزاء بوفاة والدته، اختطفته جماعة فلسطينية مسلحة تعمل في أجهزته الامنية، وتركته جثة هامدة بعد عدة أيام وقد أحرقت أصابع يده اليمنى بالأسيد.

ويجب أن نتوقف عند اغتيال الزعيم الوطني كمال جنبلاط يوم 1977/3/16، فهذا الاغتيال كان رسالة دموية من حافظ الأسد إلى كل اللبنانيين سياسيين ومثقفين واعلاميين، ان مجرد الخلاف مع حافظ الأسد ممنوع، وان الوطنية اللبنانية دون الخضوع لأوامر أجهزته الأمنية تصبح عمالة تستحق العقاب بالقتل.

يقول الاستاذ حماده:

بعد توقيع اتفاق الطائف 1989، كان الأسد يجزم بألا قيامة للبنان.. وكل قيامة ستكون مؤقتة وتحت إشرافه، ورغم إقرار الدول العربية قيام صندوق إعادة إعمار لبنان، وعقد وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل مؤتمراً صحفياً أعلن فيه وضع ملياري دولار لهذا الهدف، فإن الصندوق هذا الذي نص عليه في اتفاق الطائف والذي لو أسس لما وقعنا في كارثة الدين العام، كان جازماً انه لن توفر له الأموال، ولن تقوم له قائمة.

منع الأسد - بسياسته واغتيالاته قيام الصندوق اعتقاداً منه ان لبنان سقط سياسياً وأمنياً، وان مرحلة القضاء عليه لاستنساخ نظام أمني فيه على غرار نظامه الأمني في سوريا، بات مرتبطاً بسقوطه الاقتصادي.

كمال جنبلاط ورينيه معوض ورفيق الحريري

كان اغتيال الرئيس رينيه معوض قراراً لإركاع لبنان سياسياً، وكان تقييد حركة الرئيس رفيق الحريري قراراً لإسقاط لبنان اقتصادياً.. أما إسقاط لبنان أمنياً فكان حققه الأسد بقتله كمال جنبلاط جسدياً.

سقط رينيه معوض بعد إقرار الـ 2 مليار دولار في صندوق إعادة إعمار لبنان.

يقول حماده: كان الأسد يعارض انتخاب رينيه معوض للرئاسة.. ولقد دعينا إلى دمشق بعد الطائف وكنا نبيه بري، وليد جنبلاط، جورج حاوي، عاصم قانصوه، عبدالله الأمين، محسن دلول.. للقاء القيادة السورية ممثلة بالعماد حكمت الشهابي، عبد الحليم خدام، اللواء علي دوبا لمناقشة مسألة اختيار أول رئيس للجمهورية بعد الطائف.

كنا نرى ان رينيه معوض هو الاصلح للرئاسة، والاتجاه العام معه مع تكليف الرئيس سليم الحص بتشكيل أول حكومة في عهده مع انتخاب السيد حسين الحسيني رئيساً لمجلس النواب.

كان نواب لبنان موزعين في أرجاء العالم، بين من يجول على قادة الدول العربية الثلاثة المملكة العربية السعودية، والمغرب والجزائر لشكر قادتها الملك فهد والملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد على دورهم المهم في الوصول إلى اتفاق لإنهاء الحرب وبدء مرحلة السلم الأهلي في لبنان، وكان نواب آخرون بين فندقي روايال مونصو وبلازا اثينيه في باريس، والبعض كان في فندق سمرلاند غرب بيروت.

عندما ظهر في لقائنا مع القيادة السورية اننا نريد انتخاب معوض للرئاسة، كنا نسمع من الثلاثي كلمة واحدة: ولماذا ليس الياس الهراوي؟ مم يشكو هذا الرجل؟

كان اجتماعنا مع الثلاثي يشهد خروج أحدهما كل فترة إلى غرفة ثانية لمخاطبة الأسد وسماع توجيهاته بضرورة اقناعنا بانتخاب الهراوي للرئاسة.

كانت حجة القيادة السورية ان الياس الهراوي سيكون عنيفاً في تعامله مع ميشال عون ولن يتراجع أمامه، بينما يظهر ان معوض رجل ضعيف وعاجز عن مواجهة عون.

تناوب الحضور اللبناني الذي يمثل حركة أمل واحزاب الاشتراكي والشيوعي والبعثي على القول ان رينيه معوض أفضل لهذه المرحلة، ويمكن أن يعيد الهدوء إلى لبنان ويحل مشكلة عون بالطرق السلمية.. أما ان الهراوي قوي وعنيف، فهذا الكلام سلاح ذو حدين لأن الهراوي الذي يمكن أن يكون قوياً مع أعداء سوريا، يمكن ان يكون أيضاً قوياً ضد أصدقائها وكان رأي محسن دلول وعاصم قانصوه ان الهراوي ممكن أن ينقلب على أصدقائه عندما يتمكن.

انتهى الاجتماع في دمشق وبدا ان السوريين قبلوا كلامنا على مضض.

يتابع حماده:

في الثانية بعد منتصف الليل الذي تلى عودتي إلى بيروت من لقاء دمشق يتصل بـي الياس الهراوي هاتفياً من باريس ليسألني: ولو يا مروان أنا شو عاملك حتى تفخّت فيّ انت وأصحابك عند السوريين؟

يقول حماده انه علم بعد ذلك ان خدام هو الذي أبلغ الهراوي بمواقفنا ضده.. وانه إذا أردت أن تعاتب أحداً فعاتب زميلك مروان حماده الذي كان أصغر وزير في وزارة كان فيها هو وزيراً للسياحة، والياس الهراوي وزيراً للأشغال العامة.

يقول حماده: ان هذه الوقائع أكدت لي بما لا يدع مجالاً للشك ان الأسد لا يريد رينيه معوض وانه يريد الياس الهراوي رئيساً.

كان معوض أول من اعترض على مقارعة عون بالقوة، وأول من وضع كلمة إعادة تموضع الجيش السوري في الجبل خاصة المسيحي منه، وانه سيأخذ على عاتقه بالتعاون مع بعض الضباط المسيحيين العمل لإقناع عون بأن يحل معارضته دون عنف، ثم ان معوض رفض اتخاذ قرار بإقتحام قصر بعبدا الذي كان عون يحتله بقوة السلاح وحشد أنصاره كدروع بشرية حوله لحمايته.

قلنا لحماده: لقد سمعنا من الوزير السابق محسن دلول ان الذي قتل رينيه معوض انه كان يحمل في جيبه تشكيلة حكومية سمى فيها ميشال عون وزيراً للدفاع.

يرد حماده: هذا اقتراح حمله المبعوث الخاص للقيادة العربية الثلاثية المشار إليها، الاخضر الابراهيمي، وأيضاً كان الأمر اقتراحاً حمله الأمير سعود الفيصل في

المحاولات الأخيرة قبل إقرار اتفاق الطائف.. بتشكيل حكومة وحدة وطنية يمثل فيها الاقطاب ويكون عون فيها وزيراً للدفاع.

لكن عون كان يريد أن يكون قائداً للجيش ووزيراً للدفاع وكان أعطى للسوريين ضمانات مثل العلاقات المميزة معهم واتفاقيات تشمل كل القطاعات (كما فعل لاحقاً مع حزب الله) لكن السوريين لم يقبلوا بها.

على كل

لم ترق تشكيلة معوض التي تشمل تسليم عون وزارة الدفاع للتركيبة الحاكمة في دمشق، وقد أبلغوا معوض بذلك عندما زار العاصمة السورية، كما تبلغها معوض عندما جاء عبد الحليم خدام إلى بيروت للقاء معوض وبرفقته ضابط سوري كبير (عبد السلام الداغستاني).

كان رينيه معوض يأخذ الأمور بسلاسة وكانت دمشق ترى ان معوض جاء خطأً وفي الوقت الخطأ.

كانت لدى معوض أوراق عديدة، فقد جاء بشبه إجماع لبناني وعربي ودولي، وكان على علاقة جيدة مع الجميع، حتى مع آل فرنجية المحسوبين على آل الأسد، أقام معوض علاقة جيدة، ولم يكن السوريون ليحبوا رجلاً سياسياً يتولى منصباً كهذا في لبنان، لا يدين لهم وحدهم بالمجيء إلى موقعه، حتى إذا قالت زوجه (النائبة والوزيرة السابقة) نائلة معوض ان هناك لقاء محلياً وعربياً ودولياً حول اختيار الرئيس معوض لموقعه.. كان هذا آخر ما يريد أن يسمعه حكام دمشق الذين كانوا يرون ألا شريك لهم في لبنان، خاصة وان معوض كان يريد انتزاع الاوراق اللبنانية من أيدي الأسد، لاستعادة لبنان إلى عافيته، بينما كان الأسد يريد إبقاء لبنان في معتقله، أما أن يكون معوض قد انتخب بشير الجميل لذا فإنهم كانوا يريدون معاقبته، فهذه حجة خشبية يرفعها أركان نظام الأسد ضد كل من يريدون الضغط عليه في قضية ما.. أما من يريدون استخدامه واستعماله فلو كان القاتل المميز في ميليشيا بشير ايلي حبيقة، أداة في أيديهم فلا يمانعون في الترويج له كي يكون رئيساً بعد ان عينوه نائباً ثم وزيراً ثم أصدر حزب الله فتوى وتكليفاً شرعياً لانتخابه بناء على طلب حافظ الأسد.

رواية الاخضر الابراهيمي

يقول الاخضر الابراهيمي للكاتب وهو يسأله ذكرياته عن دوره كمبعوث للجنة العربية الثلاثية التي شكلها مؤتمر الدار البيضاء لحل الأزمة اللبنانية المؤلفة من الملكين فهد والحسن الثاني ورئيس الجزائر الشاذلي بن جديد:

التقيت الرئيس رينيه معوض مرتين قبل اغتياله، المرة الأولى مساء الاثنين في 1989/11/20 والثانية صباح الثلاثاء في 1989/11/21.

في المرة الأولى كان الحديث عاماً حول تصوره العام للمستقبل في تشكيل حكومته والعمل على المصالحة الداخلية دون استثناء أحد بمن فيهم ميشال عون الذي كان بدأ حرباً سياسية ضد الرئيس الجديد معوض بعد حربه العسكرية ضد الوجود السوري في لبنان بدءاً من 1989/3/14.

صباح اليوم التالي قابلته لأخبره ان معلومات وصلتني من مصادر عربية خليجية ومصرية ودولية بأن مجموعة قتل وصلت إلى لبنان لاغتياله أي لاغتيال رينيه معوض.

طمأنني معوض قائلاً لا تخف هناك حماية عربية ودولية كاملة حولي.

كنت وعدته بحضور احتفال عيد الاستقلال يوم 22 لكن عملاً مستعجلاً خارج لبنان ألزمني الاعتذار للسفر.

قتل رينيه معوض في اليوم التالي بعد حضوره احتفال عيد الاستقلال اللبناني.

لماذا قتل؟

ومن هي الجهات التي كانت تملك هذه المعلومات التي أعطاها الاخضر الابراهيمي للرئيس معوض محذراً إياه بناء على طلبها؟

إذا كانت هذه الجهات متأكدة من وصول مجموعة القتل فهي تعرف من أين وصلت، وما هو هدفها؟ فلماذا لم تبادر إلى حمايته فعلياً، وتأمين طرقاته، بل ومنعه من التحرك الذي جعله سهل الاصطياد؟ وهل راجعت هذه الجهات الدولة أو النظام الذي صمم على اغتيال رئيس لبنان الجديد؟

يقول النائب والوزير السابق محسن دلول لمؤلف الكتاب عام 1992: أتعلم يا أبا أحمد لماذا قتل رينيه معوض؟ لقد قتل لأنه كان يحمل في جيبه لائحة أسماء

الوزراء الذين سيشكلون أول حكومة في عهده، وفيها اسم ميشال عـون وزيـراً للدفاع، فدمشق لم تكن تريد أي دور لعون بينما معوض صـمم علـى ان تبـدأ المصالحة بعون وجعجع وحبيقة أيضاً مع جعجع.

هنا ينفي الاخضر الابراهيمي للمؤلف هذه الرواية ويقول روايتـه المختلفـة وهي انه بعد اتفاق الطائف وقبل توقيعه رسمياً بحضور الملك فهد بن عبد العزيز في المملكة العربية السعودية، جئت إلى لبنان بتكليف من العاهل السعودي للإتفاق مع الرئيس سليم الحص على حضور حفل التوقيع ولإقناع ميشال عـون بـالمجيء إلى المملكة للغاية نفسها فيجلس الحص على يمين الملك كرئيس للحكومـة اللبنانيـة، ويجلس ميشال عون إلى يسار الملك فهد كرئيس للحكومة الذي عينـه الـرئيس المنتهية ولايته أمين الجميل ليل 23 - 1988/9/24 كما ينص الدستور على تكليف قائد الجيش لإدارة شؤون البلاد إلى أن يجتمع المجلس النيابـي لانتخـاب رئـيس جديد حتى لا يقع البلد في الفراغ إذا تعذر انتخاب رئيس.

دمشق تدعم عون

وفي حين قبل الحص الحضور، فإن ميشال عون كما يتابع الاخضر الابراهيمي رفض ذلك بشدة، وبعد طول نقاش معه أطلع عون الابراهيمي إلى انه تلقى وعـداً من السوريين بأنه إذا ظل على موقفه الرافض فإنه سيكون مرشح الرئاسة الوحيـد للبنان وان دمشق ستدعمه.

يشرح الابراهيمي هذا التحول المفاجىء لعون الذي أدهشه وقتها كما قـال للمؤلف فيضيف ان عون أبلغه ان المبعوث الذي نقل له هذا العرض من دمشق هو النائب والوزير السابق ايلي حبيقة! وان دمشق تريده لمجابهة الميليشيات المسـيحية المتمردة على الدولة ويقصد سمير جعجع.

قال الابراهيمي لعون لكن د. جعجع مؤيد للطائف ويريد المصـالحة وقيـام الدولة، فلا يجيب عون، ثم يسأل الابراهيمي عون: ولماذا اعتمدت علـى حبيقـة كوسيط مع السوريين، وهناك من هو أقرب إليهم من السياسيين اللبنانيين فسـألني ومن هو؟ أجبته انه محسن دلول، فلم يجب عون أيضاً.

إذن كان حافظ الأسد رافضاً لمعوض حتى قتل ولماذا قبل به رئيساً إذن؟

يقول الابراهيمي لأن معوض اختير من قبل الطائف والتوازنات العربية، والرغبـة الدولية، أما الياس الهراوي الذي جاء خلفاً لمعوض فهو اختيار الأسد وحده.

ورواية النائب والوزير السابق د. محمد بيضون الذي قال للمؤلف في بيروت عام 2003.

ان رئيس مجلس النواب يومها السيد حسين الحسيني طلب موعداً عاجلاً من الرئيس حافظ الأسد بعد اتفاق الطائف، وقبل انتخاب معوض رئيسـاً، ليرجـوه قبول معوض للرئاسة بعد ان سمع الحسيني من مسؤول سوري أمني رفيع بأن الأسد يريد الياس الهراوي للرئاسة.

وان الحسيني أخذ يعدد فضائل معوض ومساوىء الهراوي، وكـان الأسـد يبتسم ليختم اللقاء بموافقة السيد على تسمية معوض.

والعلاقة بين الحسيني والهراوي كانت دائماً في أسوأ مراحلها طيلـة العمـل السياسي للاثنين قبل الرئاسة وخلالها وبعدها، فالرئيس حسين الحسيني كان دائماً حليفاً انتخابياً للزعيم البقاعي الراحل جوزيف سكاف، وكان هذا يحتقر الهـراوي ويسميه بياع البطاطا والبصل، ويتندر بحكاويه مع الغجريات في حقول البقاع.

وعندما أصبح الهراوي رئيساً كان سكاف يعالج في أميركا وبعـد ان تعـافى وأمضى فترة نقاهة كافية، رفض العودة إلى لبنان إلا إذا نـزعوا صورة الهـراوي كرئيس للجمهورية من صالون الشرف في مطار بيروت الدولي، وعندما قيل لـه نستطيع يا جوزيف بيك ان نحملك من الطائرة بالسيارة إلى خارج المطار مباشـرة دون أن تمر في صالون الشرف حيث صورة الهراوي.. تجهم وجهه وهو يردد، لن آتي إلى لبنان طالما بياع البطاطا هو رئيس جمهوريته، ولم يعد زعيم البقاع جوزيف سكاف إلى لبنان إلا في نعش نـزل في المطار ليوضع في سيارة حملته إلى البقـاع لدفنه.. ولم ير ولم يسمع ما يشير له إلى ان الهراوي أصبح رئيسه.

وفي عهد الياس الهراوي حصل النظام السوري على ما لم يكن يحلم به مـن اتفاقيات وعهود ومواثيق في كل مجالات الحياة السياسية والامنيـة والاقتصـادية والمالية والقضائية والدبلوماسية لدرجة ان الوزير السابق فؤاد بطرس أعد دراسـة لهذه الاتفاقيات حدّد فيها المغانم السورية على حساب لبنان وقارنها بما كانت تطلبه سوريا من لبنان وحملها إلى الياس الهراوي ليقول له يا فخامة الرئيس لقد أعطيـت

لحافظ الأسد أكثر مما كان يطلبه، فرد الهراوي بلهجته الزحلاوية ويا ريتها بتشبعهم هالاخوات..

هل يكفي هذا كي يختار الأسد الهراوي؟

يقول حماده:

ربما هو الحضن البقاعي، فهو ابن زحلة وهي محمية في الجوف السوري المضمون أمنياً وعسكرياً واقتصادياً وجغرافياً.

ثم ان زحلة في عرف نظام حافظ الأسد القائم على تحالف الاقليات في سوريا كما لبنان هي عاصمة الكثلكة في الشرق العربي، وهو يريد زحلة تحديداً في هذا الحلف خاصة وانها محاطة بحضور شيعي كثيف فهي حاضرة البقاع الأوسط القريب من البقاع الشمالي حيث يسيطر حزب الله وحركة أمل على هذه المساحة الأكبر في لبنان، بينما يظل حذره قائماً من سنية البقاع الغربي وعروبتها (ناصرية + اخوانية + سلفية) وعندما كانت زحلة محاصرة من النيران السورية على أنواعها عام 1981، نتيجة إصرار بشير الجميل على تعميم حضوره في الاوساط المسيحية في كل لبنان، وكان البعض يريد نقل قضية زحلة الكاثوليكية إلى الأمم المتحدة بتشجيع من الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان يومها، توجه الياس الهراوي على رأس وفد من التجمع الزحلاوي الذي كان أسسه في المدينة ونيابة عن فعاليات زحلاوية إلى دمشق والتقى حافظ الأسد.

كانت القذائف الصاروخية من الراجمات والمدفعية والدبابات السورية تنهال على زحلة، وكانت فرقعة ضحكات حافظ الأسد من طرائف الياس الهراوي بلهجته التي لا تفارقها الشتائم والكلام البذيء، تحضر بين الرجلين كيمياء غريبة بما يهيء للقول ان بداية تفكير الأسد بترئيس الهراوي كتبت منذ ذلك التاريخ..

ذهب الهراوي بإسم أبناء زحلة لإنقاذها من حمم الأسد فعاد يحمل درع تأهيل للرئاسة.

ولكي يأتي الياس الهراوي رئيساً بعد اتفاق الطائف.. وأمام عقبة الاجماع على رينيه معوض محلياً وعربياً ودولياً (وقبول سوري على مضض) كان يجب إزاحة رينيه معوض كعقبة أساسية وجاء قتل رينيه معوض في 1989/11/22 من النسيج نفسه الذي ألبس التمديد لإميل لحود في 2004/9/2.

بعد معوض قبل الهراوي

بعد مقتل رينيه معوض الذي كان الحريري ضمن الساعين لترئيسه كان هناك مرشحان بارزان هما بيار حلو وجان عبيد.

كان رئيس مجلس النواب السيد حسين الحسيني مع انتخاب بيار حلو، لأنه كان سمع كثيراً من الغزل السوري لالياس الهراوي الذي لا يطيق سماع اسمه.

لكن بيار حلو قال تحت ستار رفض عائلته الرئاسة بعدما حصل مع معوض "أنا إذا أتيت فإنني لن أستخدم العنف.." وكان السوري يريد هذا العنف فقط من الرئيس القادم.

يقول الوزير حماده ان رفض حلو استخدام العنف ورثه ابنه هنري عضو كتلة "اللقاء الديموقراطي" التي يرأسها وليد جنبلاط، حين جاء الخيار بين اختيار سعد الحريري أو نجيب ميقاتي لرئاسة الحكومة عام 2010.

قال هنري حلو: أنا اليوم في عيد ميلاد والدي، وأنا لن أخرج عن رسالته بعدم العنف، وأنا لن أرشح نجيب ميقاتي، لأنه سيأتي بواسطة حزب الله، وأنا لن أكون مع الحزب لأن سياستنا هي عدم العنف، وحزب الله مسلح وطريقه هو العنف الذي لم يرتض به والدي ولن أرتضيه.نحن مع العدالة وضد العنف، لذا لن أسير في تأييد حكومة تكرس الهيمنة السورية وفيها حزب الله).

أما جان عبيد فقد روى للكاتب انه كان مؤيداً من رفيق الحريري، وقد طلب منه قبل لقائه الأسد ان يسايره، بما يريد، فإذا بعبيد يؤكد في لقائه مع حافظ انه مع المصالحة في لبنان وانه لن يستخدم العنف.. فكأنه رفض ان يصبح رئيساً للجمهورية بشروط حافظ الأسد.

يؤكد جان عبيد للمؤلف انه عندما أخبر الحريري بما جرى معه سمع عتاباً ممزوجاً بالغضب في صوت ووجه وتعابير الحريري المبتسرة.

ويختم جان الذي يملك روح دعابة كما الثقافة العربية - الاسلامية وهو حافظ جيد لكثير من آيات القرآن والشعر العربي، وهو البعثي والاعلامي والسياسي:

الرتبة الأعلى عند الجيش هي رئاسة الجمهورية.. أما الرتبة الأعلى عند المليونيرية السنية فهي رئاسة الوزراء.. لكنه لم يتسن له أن يكون رئيساً للجمهورية يرأس حكومة يشكلها رفيق الحريري.

جوني عبده ووقائع عن

حافظ الأسد - سركيس

عرفات - بشير

ليس أجدر من السياسي الدبلوماسي الأمني رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية اللبنانية في عهد الرئيس الياس سركيس العقيد جوني عبده في شرح أهم مفاصل العلاقة بين الرئيس اللبناني وحافظ الأسد.

يقول جوني عبده في حوار مع المؤلف في باريس ت1/اكتوبر 2011.

جوني عبده

كان الرئيس الياس سركيس يعمل حساباً للأسد وكان لديه ووزير الخارجية فؤاد بطرس إحساس بألا شيء يمكن عمله في لبنان دون موافقة سوريا.

في احد الاجتماعات قال بطرس بحضور سركيس وحضوري ان لا شيء يتم في لبنان دون رأي سوريا، فسألني سركيس ما رأيك؟ قلت: الوزير بطرس على حق، والمصيبة إذا كان السوريون يعرفون ان هذا هو رأينا.

سألني لماذا؟

قلت: أنتم اعملوا ما تريدون، وأنا سأظل أعطي انطباعي بأننا نستطيع أن نفعل أمراً دونها دائماً.. لتعزيز المفاوضة معها.

في حرب المائة يوم على الاشرفية 1978، لأول مرة غضب الرئيس الياس سركيس غضباً عارماً من الهجوم السوري على المسيحيين، فإتصل بالأسد الذي كان يومها في زيارة رسمية إلى رومانيا للقاء زميله نيكولاي تشاوشيسكو، قائلاً له أريد أن أراك بشكل ضروري، فرد الأسد عال سأراك عندما أعود، أنا عائد غداً، سأراك بعد يومين، فألح سركيس لا بل أريد رؤيتك اليوم إذا أمكن يا سيادة الرئيس، فحدد له الأسد موعداً مساء يوم وصوله.

بالفعل توجهنا ليلاً وحملت معي احتياطات كافية من العملة الاجنبية بالاتفاق مع سركيس لرحلة قد تكون طويلة إذا لم يتم الاتفاق مع الأسد على وقف إطلاق النار للقيام بجولة عربية، لعرض الوضع المأساوي للمسيحيين تحت القصف

العسكري السوري، وإذا لم نوفق فكنا عملنا حسابنا للتوجه إلى الأمم المتحدة لطلب نجدتها.

في سوريا اجتمع سركيس بالأسد، في هذا الاجتماع تبين ان الأسد يقول ان الجيش اللبناني مع بشير الجميل ولا يجوز إكمال الأمور هكذا، فرد سركيس: ما لا يجوز أن يكمل هكذا هو قصف الجيش السوري للأشرفية، لأن بشير الجميل الذي تعتبرونه عدوكم، كان يساوي في الاشرفية 10% أصبح الآن يساوي 90% من قصفكم لمناطق المسيحيين.

كيف يمكن تهدئته؟ في النهاية حصل وقف إطلاق النار وأطلق بشير في سماء المسيحيين اللبنانيين زعيماً أوحد.

المهم ونحن في الخارج حدثنا عبد الحليم خدام عن قصة زيارة أنور السادات إلى إسرائيل عام 1977، فقلت له يا أبو جمال هناك كلام غريب عجيب في لبنان عن ان السادات قبل أن يتوجه إلى القدس جاءكم وقابلتموه وهذا أعطى انطباعاً بأنكم كنتم موافقين على الزيارة.

فرد خدام لقد اقترحنا أن نقتل السادات وهو عائد بطائرته إلى القاهرة بصاروخ أرضي أو بطائرة عسكرية تسقط طائرته، وعرضنا الأمر على الرئيس الأسد الذي قال لا، لا يجوز قتل رئيس جمهورية كان في ضيافتنا.

بطرس قال والله ان الأسد هو أفهم واحد فيكم وأثناء العودة وركوبنا الطائرة، يتابع عبده جلس الوزير بطرس في مقعده وهو يتحسس رأسه وينظر خلفه فربما يكون أحد من السوريين وراءه يريد قتله أو ان هناك من يريد إسقاط طائرتنا.

يتابع عبده

لم نقم بجولة إلى الأمم المتحدة لكننا توجهنا بجولة عربية، وعندما وصلنا إلى مطار ابو ظبي استقبلنا الشيخ زايد رئيس الدولة الذي فاجأ سركيس بعد ان احتضنه وقبله بسؤال أثار اهتمامنا.. وهو كيف "الشتايب" أي كيف حال حزب الكتائب، مما يدل على ان العرب كانوا حريصين على الوضع المسيحي في لبنان، وانهم غير راضين عن السلوك السوري العسكري ضد اللبنانيين..

العرب لكثرة كراهيتهم لسلوك الأسد وأمنه وجيشه في لبنان أحبوا بشير الجميل.. وما كانوا مخطئين.

وبالمناسبة

فقد اعتقل بشير الجميل مرتين الأولى على طريق المكلس بواسطة منظمة فلسطينية مسلحة، وقد أنقذه ياسر عرفات بعد ان اتصل به بيار الجميل.

في المرة الثانية اعتقلته القوات السورية في الاشرفية وقد أطلقوه بعد تدخل مباشر من سركيس مع حافظ الأسد ولم يكن لدى الأسد وقتها القدرة السياسية على أن يظل رجل بحجم بشير الجميل معتقلاً لدى قواته فأطلقه.

ربما يمكن قتله بواسطة أحد.. أما الإيقاف فهذا أمر لا يمكن تحمله ثم إن الأميركي قال للأسد أدخل إلى لبنان لمواجهة ياسر عرفات وليس لاعتقال بشير الجميل أو لقتال المسيحيين.

كان عرفات يكرههم كرهاً شديداً.. ونحن نبهنا الأسد.. لا تهددنا بإسرائيل.. اترك إسرائيل علينا. بشير الجميل أخبر عرفات من خلال هاني الحسن في منزلي بأن هناك اجتياحاً صهيونياً.. وقد طلب بشير من الحسن إبلاغ عرفات بأننا نحن وإياكم نقف ضد الإسرائيلي لمنع الاجتياح شرط أن تلتزموا بعد ذلك بأن يكون وضعكم في لبنان مثل وضعكم في بقية الدول العربية، أي ان يتم جمع سلاحكم كما هو سلاحكم في سوريا وفي الاردن وفي العراق وفي مصر.

نعطيكم كتيبتين لجيش التحرير الفلسطيني واحدة في الشمال والأخرى في بيروت، وغير ذلك لا وجود لأي منظمة فلسطينية مسلحة في أي منطقة من لبنان.

أعجب هاني الحسن بالفكرة وبطرح بشير ووقف وقال أنا لن أتناول طعام الغداء معكم، لأنني يجب أن اذهب لأبلغ أبو عمار بهذا الكلام المهم غادر هاني لإبلاغ عرفات.. ولم يعد حتى الآن.

في الاجتياح قابلت عرفات ثلاث مرات.. أثناء مفاوضات فيليب حبيب، سألني الرئيس سركيس عنه فأجبته كويس انني لم أكن أعرفه قبل ذلك، قال لي لماذا فرددت: لأنني كنت سأحبه حتماً.. خفيف الظل مهضوم.

ذهبت إليه مرة وقلت له لدي ثلاث رسائل إليك الرسالة الأولى من الرئيس الياس سركيس، الرسالة الثانية من فيليب حبيب والثالثة من الرئيس المنتخب بشير الجميل فقال لي: الله انت مشروع الـ 18 سنة فسألته ماذا تعني فقال: مشروع بشير الجميل رئيس جمهورية لبنان دلوقت، وبعدها أنت حتبقى فخامة الرئيس وبعد

ست سنين، وبعدها بشير الجميل رئيس من تاني لست سنين ادي 18 سنة يا جوني!

سأل المؤلف السفير جوني عبده:

من الذي قتل بشير الجميل، فأجاب: لقد قلت لالياس سركيس، لو تم الاغتيال بعد شهرين لاتهمت إسرائيل، لأن اجتماع بشير مع بيغن في نهاريا كان سيسبب له الاغتيال، ثم حصل هناك مصالحة، والكتب الصهيونية خاصة "الحرب الإسرائيلية في لبنان" لزئيف شيف ويهود اهاري (ترجمته ونشرته مجلة الشراع عام 1983) هاجمت بشير بشدة قالت صحف صهيونية ان بشير الجميل كان يعطينا 99% لندخل إلى لبنان وبعد ان احتلينا لبنان صار يريد هو 99% لم يعد يقبل إلا لبنان الواحد.

في التشكيلات التي جلسنا نناقشها مع بشير بعد انتخابه، طرح أن يكون حاكم مصرف لبنان من خارج الموازنة فقلت له: ماذا تفعل.. انت ما زلت في أول الطريق وتبدي كرماً في الادارات على حساب الموازنة..

قال لي: ألا تعتقد انه يكفي المسلمين انني أصبحت رئيساً للجمهورية.. هل تريد منهم تنازلاً أكبر منذ ذلك؟ خاف الأسد ان يتحول المسلمون لقبول بشير، الذي كان لديه مشروع حقيقي للخلاص من كل القوى غير اللبنانية على أرض الوطن، الإسرائيلي والسوري والفلسطيني والليبي والعراقي..

في حديث سابق مع المؤلف نشر في "الشراع" بعد وفاتها مباشرة قالت السيدة علياء الصلح ان بشير الجميل كان شغوفاً بأن يتعلم ويتعرف على أفكار بطل الاستقلال رياض الصلح وان يعرف معنى العروبة.

والذي أشرف على جريمة اغتيال بشير هو مستشار الأسد للشؤون الجوية وقائد الاستخبارات الجوية اللواء محمد الخولي، وهو الذي رعى نبيل العلم وحبيب الشرتوني لقتل بشير بعلم مباشر من حافظ الأسد.

الأسد ينعت الهراوي الخسيس

وعن لبنان يروي عبد الحليم خدام ان حافظ الاسد تحدث له عن دور قام به الياس الهراوي وكان رئيساً للجمهورية في لبنان للتحريض ضد هذا الثلاثي

(الشهابـي، خدام، الحريري) قائلاً للأسد ان هؤلاء يشكلون جبهة سنية لإسقاط النظام في سوريا لإقامة نظام سني.

روى الأسد هذه الواقعة لخدام، وهو في حالة غضب فسأله أبو جمال ومـاذا قلت له.. قال الأسد كلاماً قاسياً للهراوي واصفاً إياه بالخسيس الـذي يريـد أن يفتن داخل سوريا قائلاً له انه نبه الهراوي بحزم: "لا بقا تقول هالكلام لا قـدامي ولا قدام غيري".

قال الأسد لخدام "يا أبو جمال هذا العرض لحم كتافو من مـال الحريـري، يفضح حريمو ما بيشبع، بكرا بيروح لعند الحريري وبيشكي انو بحاجـة للمـال والحريري بيعطيه".

روى الحريري للمؤلف، انه كثيراً ما يكون غاضباً من الهراوي وسـلوكياته ضده، فيقصده ليهد المعبد فوق رأسه فإذا بالهراوي يلاقيه بالنكـات والطرائـف والشتائم المشهودة فيقهقه الحريري وينسى كل ما خطط له ضد الهراوي.

واقعة إثبات عن جشع الهراوي

ذهب الياس الهراوي إلى دمشق يشكو إلى حافظ الأسد انه محاصر في بيـت رفيق الحريري في منطقة الرملة البيضاء الذي كان قدمه له كمقر رئاسي مؤقـت، وهو عبارة عن مبنى من ست طبقات، بعد ان جهزه له الحريري، وكان يدفع لـه مبلغاً وقدره 350 ألف دولار شهرياً مصاريف الرئاسة فقط.

اشتكى الهراوي بأنه لا يريد أن يظل أسير رفيق الحريري، فسأله الأسد: وماذا تريد؟

رد الهراوي أريد حصة في مبيعات النفط التي يستوردها لبنان ويجـني منـها المستوردون مئات ملايين الدولارات فضحك الأسد قائلاً للهراوي خذ حصـة.. ولا تنسى أن تحسبوا حساب سليمان فرنجية.

والمبلغ الذي تحدث عنه الهراوي وكان يقبضه من الحريري، كان المؤلف قـد ذكره في مجلة "الشراع" في شهر آذار/مارس 1992 منسوباً إلى الهراوي الذي كـان يحدث مهنئيه بعيد الفصح في آذار/مارس 1992 عن ان رفيق الحريري هـو الـذي يتولى الصرف على الرئاسة بمبلغ قدره 250 ألف دولار شهرياً.

بعد يومين من صدور عدد "الشراع" حاملاً الخبر اتصل رفيـق الحريـري بالمؤلف رئيس تحرير المجلة معاتباً بسبب النشر، فتوجـه حسـن صـبرا إلى دار الحريري في منطقة قريطم ليواجه الحريري بما يتهم به يومها من انه يريد إسـقاط حكومة عمر كرامي ليتولى هو الرئاسة مكانه (في مكان آخر من الكتاب روايـة مكملة).

المهم

ان رفيق الحريري كان عاتب المؤلف الصحافي لسببين الأول: ان الرقم الذي ورد في "الشراع" 250 ألف دولار شهرياً هو رقم خاطىء لأن الرقم الحقيقي هـو 350 ألف دولار.

الثاني: ان الصحافي بنشره هذه المعلومة سيفتح أعين كثيرين في لبنـان علـى طلبات كبيرة وكثيرة طالما ان الهراوي يقبض الـ 350 ألف دولار شـهرياً (4، 2 مليون دولار سنوياً لسياسي واحد).

يقول خدام ان الياس الهراوي صديقك حتى الموت عندما تكون معه، لكنـه عدوك حتى القتل حين تدير ظهرك.

ولم يكن بخّ الهراوي أو ناصيف دون أثر في سوريا في عهد بشار الذي ورث الحقد على الحريري من هذه الاشاعات وقيل أيضاً ان الشهابـي وخـدام كانـا ينصحان أيضاً الحريري ألا يهتم ببشار الذي كان والده حافظ يحرص ان يجتمع مع الحريري.. ولم يحصل هذا اللقاء.

يقول خدام: أنا لم أكن أعرف بشار أبداً.. زارني قبل وفـاة أبيـه بسـنة ونصف بناء على تدخلات من العماد ابراهيم صافي وغازي كنعـان وعزالـدين ناصر، كنت أرفض استقباله وأقول لا علاقة لي به كانت علاقتي مع حافظ وليس مع ابنه.

كانت مجموعة بشار في لبنان من لحود إلى جميل السيد إلى ميشـال سماحـة يوغرون صدره ضد الحريري، بأنه صاحب مشروع سني - عربـي سـعودي - أميركي لتقويض الوجود السوري في لبنان تمهيداً لإخراج الجيش السـوري منـه وكان الخلاف بين الحريري ورئيس مجلس النواب اللبناني السابق السـيد حسـين الحسيني صديق محمد ناصيف من عوامل موقف الحريري الضعيف.

في سوريا في عهد بشار.

كان الحسيني يعقد مؤتمراً صحفياً صبيحة كل أحد في منـزله في شمسطار للحديث عن الشخص وأخطائه وكان الحريري يقرأ رسائل الحسيني اسبوعياً بعنوان واحد هو مكتب محمد ناصيف في دمشق.. وكان يعرف كراهية هذا الضابط له، وتحريضه عدداً من زواره الاسبوعيين ضده، كان يشكو لأبي جمال وكان الأخير يطمئنه بأن الملف اللبناني عنده وعند أبو حازم (حكمت) وأبو يعرب (غازي).

إذا كان بشار انفرد بالحريري طعناً حتى الموت بعد وفاة والده، فلماذا لم يحم حافظ الأسد رئيس وزراء لبنان الذي كان كنزاً حقيقياً لسوريا، بل كان دجاجة تبيض ذهباً، وكان في وقت من الاوقات وزيراً لخارجية لبنان وسوريا نفسها حين كانت الدبلوماسية السورية في عهد فاروق الشرع في الحضيض (وزاد عمق حضيضها في عهد وليد المعلم).

الثلاثي السني

كان أبو حازم وأبو جمال وأبو بهاء يشكلون في نظر مجموعة أمنية سياسية سورية – لبنانية ثالوثاً سنياً يخطط لاستلام السلطة في سوريا بعد رحيل حافظ الأسد المريض، لقطع الطريق على تسلم بشار.

المفاجأة

يجيب خدام: ان حافظ الأسد لم يكن يمون على ابنه بشار مثلما لم يكن يمون على باسل، بسبب ضعفه الشديد أمام أولاده، كان حافظ الأسد قوياً جداً أمام الناس ضعيفاً جداً أمام أهل بيته.. كل الناس حول حافظ حدثته عن ضرر الهجوم على الحريري من سوريا.. ولم يفعل حافظ الأسد شيئاً.

كان بشار مستمعاً يعطي اذنه ويتأثر، وهو رجل قليل الذكاء، نجح في إثارة الدنيا كلها ضده في فترة بسيطة، ووالده ما زال يقود سوريا من القبر، حاصراً ابنه في القصر أسير الموت والموتى.

من إنجازات منظمة الأسد في لبنان
لماذا أطلق ريمون اده اسم زهير عجمي
على أمين عام منظمة الصاعقة؟

في إحدى غزوات منظمة الصاعقة القومية التابعة لاستخبارات الأسد، خلعت سيارة "رانج روفر" يقودها عنصر للصاعقة باب كنيسة مارمخايل – الشياح، بعد ان وصلت إلى مسامع مسؤولي المنظمة القومية ان الكنيسة تذخر بالسجاد العجمي الغالي الثمن، ومنها سجادة المذبح.

من داخل الكنيسة جمعت عناصر الصاعقة كل أنواع السجاد الغالية والعادية، ونقلوها إلى مستودع مبنى في قصقص مقابل مقابر الشهداء، كان يسكن فيه قياديو الصاعقة والبعث السوري.

كانت هذه إحدى الغزوات الشهيرة للصاعقة في لبنان، أما أبرز الغزوات فهي غزوة مصرف بنكو دي روما عام 1976، حيث واجه عناصر المنظمة القومية عقدة فتح أرقام الخزنة الرئيسية فحملوها إلى أحد مقرات الصاعقة في منطقة الاستديو العصري في أرض مخيم صبرا للاجئين الفلسطينيين جنوبي شرق بيروت وأحضروا خبراء إيطاليين لفتحها، وغنموا منها مجوهرات وصكوكاً وأمانات ووثائق.

فيما بعد روجت الصاعقة انها قامت بعمل قومي عظيم إذ اكتشفت وثائق بيع أراضٍ في جنوبي لبنان لمصلحة إسرائيل، وانها مزقت هذه الوثائق لمنع تملك العدو الصهيوني لأراض في جنوبي لبنان.

لم تقدم الصاعقة أي دليل على وجود أي وثيقة؟ وإذا كان هناك وثائق فلماذا حفظها في مصرف في لبنان وليس في فلسطين المحتلة مثلاً أو أي مصرف أوروبي (سويسري مثلاً) ماذا فعل حافظ الأسد عندما بلغته أنباء سرقة منظمة تابعة له مصرفاً في لبنان؟ هل طلب مصادرة أمواله لمصلحة خزانته، ماذا حصّل زهير محسن وجماعاته.

سرقة "سبينس"

هي من أوائل السرقات الكبرى المنظمة في بيروت، حصلت في ك2/يناير 1976، وبدايتها كالتالي نقلاً عن أحد مسؤولي الصاعقة السابقين الذي يعيش اليوم خارج لبنان.

تقدمت مجموعة من عناصر الصاعقة من مدير "السبينس" في جنوبي بيروت طالبة تزويدها بكميات من المواد الغذائية للصاعقة.

وافق مدير المخازن على طلب المنظمة، واعداً نفسه بأن مساعدة الصاعقة ستوفر له حماية منها وضد الآخرين، وعرض ان يحضروا شاحنة وعمالاً ليحملوا من مخازن "سبينس" كل ما يريدون قائلاً لهم بالحرف: إذا كان في مخازني 5 علب حليب فخذوا ثلاثة منها واتركوا لي اثنتين.

جرى إبلاغ أمين فرع بيروت في حزب البعث السوري في لبنان عبد الأمير عباس بالاتفاق الذي أبلغ الصاعقة بالأمر، وتم وضع خطة لإرسال شاحنات للصاعقة والبعث إلى المخازن الكبرى في الخامسة بعد ظهر يوم شتوي في ك2/يناير.

في الثالثة والنصف بعد ظهر اليوم نفسه أي قبل ساعة ونصف اقتحمت منظمة الصاعقة المخازن وسط إطلاق نار وإرعاب ونزل أفراد متخصصون بالسرقة إلى مخازن "سبينس" وأغاروا على الخزائن وفتحوها بالكسر والخلع وحملوا من داخلها إيداعات زبائن ومجوهرات ووثائق، وخرجوا تاركين لعناصر أخرى دبوا الصوت لملاقاتهم لإفراغ "سبينس" من كل محتوياته.

وما هي إلا لحظات حتى عج كنز التموين الأهم في لبنان بالمئات يحمل كل منهم ما يقدر عليه ويتنازع كثيرون حول الحمولات الثقيلة والمرتفعة الثمن فتدور اشتباكات مسلحة فيسقط قتلى وجرحى ضحايا الصراع على حمل براد أو جهاز أو أثاث..

الانجاز الحديدي

وبأمر من قيادة حزب البعث السوري في لبنان عام 1976 تم انتزاع حديد وخشب سكة الحديد التي كانت واصلة بين بيروت ودمشق بطول عشرات الكلمترات وبيعها لحساب الحزب المناضل في لبنان!!

الأسد يوزع حصص النفط و..

350 ألف دولار هو المبلغ الشهري الذي كان رجل الاعمال رفيق الحريري (الرئيس المظلوم) يسلمه إلى رئيس الجمهورية الياس الهراوي عبر رسول في مقر الرئاسة المؤقت الذي قدمه الحريري للدولة اللبنانية لإقامة الرئيس فيه قبل إعادة ترميم قصر بعبدا وقد سبق الهراوي للإقامة في هذا القصر المؤقت الرئيس المظلوم رينيه معوض، هو الآن مكاتب الزميلة جريدة "المستقبل" التي يملكها الحريري.

لم يعجب الهراوي هذا المبلغ ووجده غير كاف، فيتجه إلى دمشق بعد طلب موعد عاجل من الرئيس حافظ الأسد ليفاجأ الأسد بأن الموعد العاجل هو لأجل شكوى يحملها الهراوي من أنه لا يريد أن يظل تحت رحمة الحريري بهذا المبلغ، فقال له الأسد: أبو جورج شو بتريد؟ يرد الهراوي بلا وجل أو خجل.. أريد حصة من النفط في لبنان، يقول له الأسد مبتسماً: "ستأخذ حصة من النفط.. ولكن ديروا بالكم على سليمان فرنجية!".

ليس في لبنان نفط بل هو دولة مستوردة له، والبلد المصدر هو سوريا، التي لم يعد نفطها يجد أسواقاً خارجية لعدم تقبل دول العالم لنوعيته في ظل نوعيات نفط الدول الأخرى المميزة.

ليس عيباً ولا محرماً أن يستورد لبنان النفط من سوريا، لكن الحقيقة ليست في الاستيراد.. بل في الوقائع التالية:

1- ان العراق في عهد الرئيس الراحل صدام حسين، قدم للبنان عرضاً بإعطائه النفط العراقي بأسعار رمزية كما يقدمه للأردن، والنموذج في ذلك مقياس الاسعار بين نفط العراق الذي يبيعه للأردن بـ 10 دولارات للبرميل مثلاً، وبين السعر الحقيقي في أسواق العالم وهو 20 دولاراً للبرميل الواحد، أي ان لبنان كان يستطيع أن يوفر 50% من فاتورته النفطية التي تبلغ مليارات عدة سنوياً.. كما فعل الاردن.

2- لكي يكتمل هذا العرض، فإن العراق في عهد حزب البعث عرض إصلاح مصفاة طرابلس التي تدفع رواتب لنحو 250 مهندساً وعاملاً وموظفاً وحارساً دون أن يقوموا بأي عمل منذ عقود عدة لاستقبال النفط الخام

العراقي وتصفيته، تمهيداً لاستخدامه في السوق المحلية اللبنانية.. وتصديره فيوفر لبنان ويربح.

3- لم تجرؤ حكومات الرئيس رفيق الحريري، ولا أي حكومة بعده على مجرد النقاش في العرض العراقي، وإذا كان الرفض لم يظهر علناً فإن "تطنيش" الرد دل على ان الحكومة اللبنانية لا تستطيع قبول عرض النفط العراقي!

4- كانت الحجة التي سمعها عراقيون سألوا عن عدم الرد اللبناني، ان هذا العرض سيسبب حرجاً للبنان أمام المملكة العربية السعودية والكويت، وهما شقيقتان للبنان ويساعدانه كثيراً، بل ان التضليل بالغ حتى وصل إلى حد ان الرئيس الحريري يرفض النفط العراقي حتى لا يغضب السعودية والكويت.

5- سارعت كل من السعودية والكويت عبر سفيريهما في بيروت يومها إلى الرد بأن قبول العرض العراقي لا يؤثر لا من قريب أو بعيد على علاقات بلديهما بلبنان الذي يجب أن يتصرف وفق مصلحته.

6- بات مفهوماً ومعروفاً للجميع ان قبول عرض النفط العراقي سيقفل الباب على شراء النفط السوري الذي لم يكن يجد أسواقاً تقبله خارج لبنان، وكذلك مشتقاته التي كانت تسبب تلوثاً كبيراً في البيئة – خاصة المازوت – فضلاً عن أعطال دائمة يلحقها بمولدات الكهرباء وبآلات في معظم المصانع وفي السيارات.. فكان لبنان يشتريه رغم هذا بأسعار عالمية في وقت كان يستطيع أن يقبل النفط العراقي بنصف الثمن.

7- وبيت القصيد الآخر هنا، هو ان دمشق كانت توزع مال الدولة والشعب اللبناني على جماعاتها في لبنان حصصاً لكل منهم بحسب نصيبه، فالنفط بات مفهوماً ان جزءاً من أرباحه – بعد الحصة السورية الأضخم – توزع على الياس الهراوي وسليمان فرنجية وآخرين، وفي الكهرباء ايلي حبيقة والياس الهراوي ووزراء حركة "أمل" وآخرين، ومنافع وزارة الداخلية بأرقام السيارات وغيرها لمن يتولاها، والكسارات والمغاور السياحية لنقولا فتوش واللوتو والبينغو للأحزاب التابعة للاستخبارات السورية.. بدءاً من حزب البعث السوري الذي يتقاتل قياديوه على الحصص منها والاتصالات الدولية لحزب الله وغيره.. ودائماً بعد الحصة السورية الاضخم في كل الموارد.

8- كان عهد بارودي يذهب إلى مكاتب غازي كنعان في عنجر وهو متعهد تأهيل الكهرباء الأول في لبنان، ووكيل شركة (انسالدو) التي رفض الحريري قبول عرضها لعدم ثقته بها لكن غازي كنعان وبعد زيارات بارودي يرضخ لها ويضع الارقام كلها بين يدي أبو يعرب الذي كان يوزع الحصص.. ومن حضر السوق باع واشترى ودائماً في البال يا الياس الهراوي.

كان الامساك بالعصب المالي لهؤلاء يعني الامساك بقرارهم السياسي بل والشخصي والعائلي.. والآكل من خبز السلطان يضرب بسيفه، لكن الخبز هو خبز الشعب اللبناني، وسيف السلطان سوري، وويل لمن اعترض أو حاول أن يعترض فإن مصيره العتمة ان لم يكن تلفيق تهمة ترج به في السجن أو المنفى أو الاهانة.

المال قبل الأمن أحياناً

حكمت الاستخبارات السورية لبنان خلال 15 عاماً بأوجه مختلفة كان العصب المالي دائماً نصب عينيها كما هو الأمن تماماً بل كثيراً ما تغاضت عن الأمن في سبيل المال.

حاجز الرميلة نموذجاً

كان حاجز الاستخبارات السورية عند مدخل صيدا الشمالي في منطقة الرميلة شاهداً على كيفية تغلب المال على الأمن عند عناصرها وضباطها.

كانت الخوة على الحافلة الصغيرة التي تحمل الركاب، ألف ليرة في الذهاب ومثلها في الإياب، وكانت الخوّة على الشاحنة الصغيرة التي تنقل أثاثاً أو خضاراً أو فاكهة خمسة آلاف ذهاباً ومثلها إياباً، فضلاً عن صندوق من التفاح أو الخيار أو البندورة أو الخس أو من أي نوع محمول على متن الشاحنة، أما الخوّة على الشاحنة الكبيرة، فهو عشرة آلاف ليرة ذهاباً ومثلها إياباً.

كان هذا الحاجز الاستخباراتي مخصصاً لمراقبة مدخل صيدا الجنوبي، لضبط أي تحرك صهيوني أو فلسطيني عسكري في اتجاه الجنوب، وكان من الطبيعي أن يتم تفتيش كل سيارة حسب طريقة الاستخبارات في اختيار السيارة التي تفتش أو يدقق في هوية ركابها أو الحافلة أو الشاحنة.

لكن جواز المرور لهذه المركبات صغيرة أو كبيرة كان يعمل وفق التسعيرة السابقة، فإذا دفعت يمكن تهريب أي كمية أسلحة أو عناصر صهيونية فيصبح المال هذا أهم من الأمن.. أما إذا تمنع السائق جهلاً أو فقراً أو بخلاً أو غيره عن الدفع فمن البساطة أن يتم إنزال ركاب الحافلة لتفتيشهم وتفتيشها وإهانة السائق والبحث في أوراقه ساعات يلعن فيها جهله أو فقره أو بخله ليدفع المعلوم فيمشي وعين الله ترعاه وحافلته وركابها.

أما إذا تمنع سائق الشاحنة الحاملة للخضار أو الفاكهة أو الاثاث عن الدفع للاعتبارات السابقة وهي الجهل أو الفقر أو البخل.. ولا بأس لو أضفنا شيئاً من التحدي أو الكرامة أو الغرور.. فإن الرجل مهدد بأن ينزل كل صناديقه وأثاثه ومعداته على الأرض، وهات يا عبث واستهتار، دون أن يخلو الأمر من إهانات وعبارات العمى شو قليل فهم، العمى شو انك بلا نظر، صحيح انك حيوان ولاه.. كل هذا وأرتال السيارات المتراكمة حتى كلمتر طولاً مزدحمة بالركاب، كانت تحيل حياة هؤلاء إلى جحيم، خاصة في أيام الصيف فتشتعل صدور الناس غضباً وشتائم مكبوتة ضد كل شيء وأعصاب مشدودة، وكثيراً ما كانت فشة خلق الركاب ضد نسائهم أو أولادهم متنفساً في هذا الانتظار الطويل لأبناء الجنوب.

والمضحك المبكي بعد هذا ان شق الاوتوستراد بين بيروت وصيدا وافتتاحه ألغى هذا الحاجز، الذي كان مقاماً على الطريق القديم ولم يعد له وجود، فكان التساؤل: إذا كان وجود الحاجز لاعتبارات أمنية فإن هذا الاعتبار لم يزل عند فتح الاوتوستراد، فإسرائيل ما تزال عدوة والتسلل الفلسطيني المسلح ما زال ممكناً وكان يجب أن ينقل إلى الاوتوستراد الجديد.. فلماذا ألغي الحاجز إذن لو لم يكن مصدر استرزاق لعناصر الاستخبارات عنده..

هذا دون أن ننسى ان الاستخبارات السورية جاءت بمن كانت تصفهم بأنهم عملاء للموساد وأعداء لسوريا ولبنان وجعلتهم في أعلى المواقع السياسية والمسؤولية لمجرد ان بعضهم دفع المال لشراء منصبه لهذا الضابط أو ذاك، أو ان بعضهم تعهد قبل تسلمه منصبه انه سيعب المال من هذا المنصب، في الكهرباء.. في النفط أو من كل قطاع خدمات يوفر المال للاستخبارات.. وله.. حتى إذا وفى

بوعده ودفع أصبح بين عشية وضحاها عيناً من أعين الخط القومي وشريفاً من أشراف الاستراتيجية، وسيفاً من سيوف النضال، إلى آخر المعزوفة التي تفنن غازي كنعان ومن بعده رستم غزالة في تلاوتها ليل نهار، لكل قادم يحمل صكاً أو محفظة أو هدية لا ترد.

نهب منظم

تلقى الياس الهراوي تقريراً من قوى الأمن الداخلي يحمل أرقاماً مذهلة عن عدد السيارات الفخمة والحديثة التي تمت سرقتها خلال السنة الأولى من رئاسته، وان هذه السيارات عبرت كلها إلى سوريا بأرقامها ولوحاتها ولم تعد إلى أصحابها.

في إحدى زياراته شبه الدورية إلى دمشق فاتح الهراوي حافظ الأسد بهذا التقرير وسلمه نسخة منه، فأظهر الأسد انزعاجاً وتعهد للهراوي بإعادة السيارات كلها إلى لبنان.

بعد عدة أيام اتصل الأسد بالهراوي، وتم نشر خبر الاتصال في الصحف اللبنانية دون الاشارة إلى طبيعة ما دار سوى توكيد علاقات الاخوة بين القطرين الشقيقين. لكن الأمر الوحيد الذي نقله الأسد في هذا الاتصال هو ان كل السيارات التي وردت في التقرير موجودة في سوريا، وان على أصحابها أن يتوجهوا إلى دمشق مع أوراقهم الثبوتية للحصول عليها من مواقع عسكرية للجيش وأجهزة الأمن لأنها جميعها في عهدة الجيش والأمن السوريين!

نقل الهراوي الخبر لقيادة قوى الأمن الداخلي فإتصل مقسمها الهاتفي بأصحاب هذه السيارات ليتوجه كل منهم إلى دمشق يبحث عن سيارته بعد ان صدر أمر رئاسي سوري بإعادة المسروقات إلى أصحابها.

توجه المئات من أصحاب السيارات اللبنانية الفخمة إلى سوريا وراحوا يتوزعون بين المخافر ومكاتب الأمن وفي كل مكان كان أصحاب السيارات يسألون عنها كان الجواب انها في محافظة أخرى، فيتوجه البعض إلى حلب ويحصلون على توكيد ان سياراتهم في القامشلي، ومن هناك يأتي الرد انها في حمص، ومن حمص يكون الجواب سياراتكم في دمشق.

داخ اللبنانيون السبع دوخات وهم يبحثون عبثاً عن سياراتهم توكيداً لأمر من حافظ الأسد شخصياً.. وعاد الجميع أدراجهم بعد أيام من البحث والتعب ودفع المصاريف والرشى دون نتيجة إلا الخسائر نفسها.

بعد فترة صدر قرار جمهوري بتسجيل سيارات الضباط السوريين كلها في مصلحة تسجيل المركبات كسيارات سورية يمتلكها سوريون.

ممتلكات مطار بيروت
تعمل في مطار دمشق

إلى سنوات متتالية بعد دخول قوات الردع السورية إلى لبنان، ظلت ممتلكات مطار بيروت الدولي ومحتوياته الحديثة تفكك وتحمل إلى سوريا ليتم تركيبها في مطار دمشق الدولي سرقة علنية دون أن يجرؤ أحد على الكلام.

بأمر من الضباط محمد غانم، محسن سلمان، إياد.. أبو عيسى الذين تناوبوا على السلطة في لبنان والمطار.. فككت سلالم كهربائية من مطار بيروت وحملت إلى دمشق، وفككت سيارات نقل الامتعة وحمل الفيول وغيرها من المعدات وبعضها ما تحتاجه صيانة الطائرات المدنية، وكلها أصبحت من مقتنيات المطار السوري الدولي.

لم يجرؤ وزراء الاشغال العامة الذين تناوبوا على شغل وزارتهم في لبنان على المراجعة أو السؤال، رغم ان مطار بيروت الدولي يتبع وزارتهم.

لم يتحدث أحد من رؤساء طيران الشرق الأوسط التي كانت تشرف على خدمات المطار ومعداته عن السرقات.

لم تتناول وسيلة اعلامية الأمر، ولا أمن المطار بأجهزته المتعددة، ولا نقابة العاملين والطيارين والموظفين.. طبعاً.

كان نظام حافظ الأسد وابنه بشار يتباهى داخل مؤتمرات حزب البعث القطرية، بإنجاز يعول على رصيده الضخم، توكيداً لقدرته اللامتناهية على السحب المفتوح منه.. فلبنان هو مصرف آل الأسد وشبيحتهم لعشرات السنين ولا يقل ما سرقه هذا النظام من لبنان عن ثلاثين مليار دولار، وهو اعلام الاسرة الناجحة في توظيف أبواقه ولبنان هو مصدر الموز حين يعز في دمشق، وهو مصدر محارم

الكلينكس والخبز والدواء.. والشبيحة، وحين يريد آل الأسد إقناع ما تبقى من السوريين بقوتهم ومناعتهم ومقاومتهم يستعيرون من لبنان المحللين السياسيين والباحثين الاستراتيجيين والخبراء العسكريين..

إلى هذا القدر من الاسفاف هبطت عصابات الأسد..

إلى هذا الدرك من الحضيض اعتمد آل الأسد على حثالات لبنان ليتساوى الجميع في الحط من قدر لبنان وطناً ومجتمعاً وقيماً وأخلاقاً.

قراءة اقتصادية لبنانية لخطاب الأسد:
20 مليار دولار خسائر لبنان من الوجود السوري منذ 1992

الدكتور كمال ديب(*)

(النهار في 8 آذار 2005)

خصص الرئيس بشار الأسد ثلثي خطابه الواقع في 3500 كلمة للوضع اللبناني، فيما خصص الثلث المتبقي للموضوعات الاخرى (العراق وموضوع السلام). ويراوح الواقع الاقتصادي للخطاب بين إيجابي (خفض المخاطرة السياسية في الاقتصاد اللبناني بعد الانسحاب) وسلبي (إبقاء الافق مفتوحاً على مرحلة مبهمة ودعوة الحلفاء للاستعداد). ورغم ان الخطاب وضع الانسحاب في قالب انتهاء مهمة سورية في مساعدتها وتضحيتها تجاه لبنان، إلا انه أغفل اكلاف هذا الوجود على الاقتصاد اللبناني وأثره السلبي تالياً على رفاهية الشعب اللبناني.

ونبين في الجدول أدناه ان الوجود السوري منذ عام 1992 أدى إلى خسائر اقتصادية لبنانية تقدر بـ 20 مليار دولار، نتيجة الاختراق السوري لسوق العمل اللبنانية وللسوق المحلية للسلع والمنتجات الزراعية (أي خارج الاطر القانونية والاعراف) ودور الوجود السوري في زيادة درجة المخاطرة في الاقتصاد اللبناني لدى المستهلك والمستثمر. (استثنينا الفترة التي سبقت عام 1992 اعترافاً بدور إيجابي لسوريا، رغم ما شاب تلك الفترة من ممارسات خاطئة أيضاً). وهنا تحليل اقتصادي لبناني للخطاب، مساهمة في فهم سوري أفضل لما يعانيه لبنان:

(*) خبير اقتصادي لبناني مقيم في كندا.

وقع الخطاب الإيجابي على الاقتصاد اللبناني

أولاً، اتسم الجزء المتعلق بالوضع اللبناني من الخطاب بالإيجابية في قرار الانسحاب من لبنان مما أعطى نتيجة فورية في خفض نسبة المخاطرة في الاقتصاد اللبناني حيال الاستثمار والانفاق. ولقد رفعت "ميريل لينش" تصنيفها للسندات اللبنانية بناء على قبول سوريا بسحب جيشها من لبنان. ثانياً بدا الأسد متفهماً إلى الحاجة لتطوير العلاقة بين البلدين إلى مستويات علمية واقتصادية، بعيداً من العلاقة السطحية الاستخباراتية العسكرية التي زادت نقمة اللبنانيين ضد الهيمنة السورية حيث دعا في خطابه إلى: "رؤية جديدة للتعامل مع الاشقاء اللبنانيين تنطلق من ضرورة توسيع العلاقة معهم وان تكون على المسافة عينها مع كل الوطنيين المخلصين، وان تتجه العلاقة إلى بناء قاعدة شعبية مؤسسية لها على المستوى التعليمي والثقافي والتربوي والاقتصادي والاجتماعي لتدعيم العلاقات الثنائية وحمايتها".

فلو اقتصر خطاب الأسد على قرار الانسحاب وعلى دعوته إلى علاقة سوية محترمة بين البلدين لكان الواقع إيجابياً صرفاً على الاقتصاد مما ينعكس تحسناً في الاقتصاد السوري. ولكنه لم يكتف بذلك بل تطرق إلى موضوعات قد تزيل مفاعيل الانسحاب الايجابية.

اغفال الفوائد الاقتصادية التي جنتها سوريا

قال الرئيس الأسد، شارحاً إحدى موجبات المصلحة السورية في الانسحاب: "القوات المسلحة مصاريفها كبيرة جداً وتتحول إلى عبء سياسي" وأضاف في فقرة أخرى: "أما وجود قواتنا في لبنان فنحن فقط من نتحمل أعباءها".

بلغت النفقات السنوية في الموازنة السورية نحو 8 مليارات دولار منها مليار تقريباً للدفاع (ما هو معلن) ولدى سوريا قوات مسلحة تبلغ 600 ألف جندي واحتياط من الخدمة الاجبارية قد يبلغ المليونين. فتكون تكلفة المجند الفرد السنوية بما فيها العتاد والتجهيزات والتموين 1500 دولار. وعلى هذا الاساس تكون تكلفة 40 ألف جندي في لبنان 70 مليون دولار سنوياً حتى عام 2000 وأقل من ذلك في ما بعد (تقلص رغم شجاعة الرئيس الأسد في الاعتراف بـ "أخطاء

ارتكبت على الساحة اللبنانية"، إلا انه ترك هذه الجملة يتيمة بدون تفاصيل وخصص مقاطع كاملة تشرح بأن ما يقصده هو العكس: فالسوري مخلص وبريء ولكن مكر اللبنانيين وفسادهم هو الذي أفسد دوره وحرّفه عن اهدافه القومية الشريفة، وأوقعه في حبائل اللعبة اللبنانية حيث قال الرئيس الأسد: "هذا الكلام لا يعني ان ممارساتنا في لبنان كانت صواباً كلها بل لا بد من الاعتراف بكل وضوح وشفافية ان ثمة اخطاء ارتكبت على الساحة اللبنانية حيث دخلنا في بعض التفاصيل والاجراءات واندفعنا في بعض الاحيان بعلاقتنا مع بعض اللبنانيين على حساب البعض الآخر". وفي فقرة أخرى قال: "كما ان استغلال البعض لوجود القوات السورية لاعتبارات مصلحية ضيقة مادياً أو سياسياً أو انتخابياً أو غيرها أدى إلى الكثير من التراكمات السلبية".

بهذا المنطق لم يفرق الأسد بين سوء نية اللبنانيين وحسن نية السوريين فحسب، بل انه قلل من الاثر الاقتصادي للوجود السوري على تراجع انتاجية الاقتصاد اللبناني بعدم سرده لأخطاء سوريا.

فلم يذكر مثلاً ان سوريا تدخلت عبر أجهزتها الامنية وعبر "مكتب عنجر" وفروعه في المحافظات في كل شاردة وواردة في لبنان، وفي التعيينات والتوظيف وسن القوانين والانتخابات، وفرض الخوات، وعقد الصفقات المالية، واعطاء صبغة للخارج ان لبنان ما يزال بؤرة توتر بدرجة عالية من المخاطرة السياسية. وان هذا الوجود قد أدى إلى تضاؤل نسبة النمو وإلى ناتج خسره لبنان يقدر بتسعة مليارات دولار نذ عام 1993. فقد زاد الوجود السوري في تكلفة المخاطرة السياسية في الاقتصاد اللبناني مما انعكس سلباً على المستثمر، لبنانياً مقيماً أو مغترباً أو عربياً أو غربياً.

وهكذا بلغت خسائر لبنان المقدرة من الوجود السوري منذ عام 1992 وحتى اليوم 20 مليار دولار (وهو رقم محافظ) في مقابل انفاق عسكري وأمني سوري في لبنان بلغ مليار دولار في الفترة عينها.

تهديد الاستقرار الاقتصادي والسياسي

لطالما قال الرئيس الأسد انه يفضل علاقة بين دولة ودولة في لبنان لدى ممانعته محاورة فئات لبنانية. ولكنه في الفقرات التالية من خطابه بدا وانه يستبدل وجوده

العسكري بتدخل سوري أخطر منه عبر دعم فئات لبنانية كثيرة، وعبر تصنيف اللبنانيين بين مرتهن لإسرائيل والغرب وبين حليف لسوريا مخلص للقضية القومية حيث قال:

"انسحاب سوريا من لبنان لا يعني غياب الدور السوري فهذا دور تحكمه عوامل كثيرة جغرافية وسياسية وغيرها، وبالعكس تماماً نكون أكثر حرية وأكثر انطلاقاً في التعامل مع لبنان. طبعاً هذه الصورة يجب أن نعرف انها جزء طبيعي من تاريخ لبنان وهي موجودة منذ أكثر من مئتي عام. هناك دائماً قوى تمد يدها إلى الخارج وقوى وطنية وهذه القوى فشلت مرات عدة، في 1985 فشلت في جعل لبنان جزءاً من حلف بغداد، وفشلت في العام 1969 ان تضرب المقاومة الفلسطينية، وفشلت في العام 1983 ان تعطي الحياة لاتفاق 17 أيار/مايو وستفشل في كل مرة طالما ان هناك قوى وطنية. وهذا الكلام يدفعني لتأكيد حقيقتين أساسيتين، الحقيقة الأولى التي أكدتها مراراً هي ان لا مصلحة لنا في لبنان عندما يفتتح سوق الحسابات الرخيصة والمصالح الضيقة.

ان كل ذلك لن يعني تخلي سوريا عن مسؤولياتها تجاه الاخوة الاصدقاء في لبنان الذين جمعتنا وإياهم وحدة الهدف والارادة في لحظات حرجة من تاريخنا بل ستبقى سوريا حصنهم ومرجعهم ودائماً لهم في كل الاوقات وستبقى معارك الشرف التي خضناها معاً رمزاً للتلاحم المصيري بيننا والذي سيتعزز في المستقبل بعون الله، وأقول لهم ان "17 أيار" جديداً يلوح في الافق فاستعدوا لمعركة إسقاطه كما فعلتم قبل عقدين ونيف".

هذه الفقرات المؤسفة كان على الاسد استبدالها بعبارات يطلب فيها من حلفاء سوريا في لبنان ان يدعموا السلم الأهلي ويساعدوا بلدهم لا ان يوحي لهم بالاستعداد الذي أفرز الساحة اللبنانية وجعلها صعبة التوحد على هدف الاستقلال والسيادة. فما ان تلفظ بعبارة "17 أيار" حتى خرج هؤلاء إلى الشارع وبدأوا بإطلاق خطابات نارية حول "تكسير الرؤوس" وعبارات التخوين واقتحام ساحة ساسين واطلاق العيارات النارية وابراز السلاح في أماكن عدة (يذكرنا بعادة بث كلمة السر في الخطابات العربية) فأين هو الدور المشرف الذي يتولاه الرئيس السوري في مواصلة دعم هدوء لبنان واستقراره؟

ثم ان تصوير لبنان وكأنه بؤرة حروب أهلية ومشكلات منذ مائتي سنة ينقصه الدقة التاريخية: ان سوريا كانت مسرحاً أيضاً لحرب أهلية عام 1860 كما كان جبل لبنان حيث كانت محاولة تصفية سكان دمشق من الروم الارثوذكس سبباً مباشراً للتدخل الغربي ولمساعي الأمير عبد القادر الجزائري. وان التركيبة الاجتماعية السورية لا تختلف كثيراً عن لبنان وقد تعاني الضحالة عينها في عقدها الاجتماعي من دون الخوض في التفاصيل. وان دور المقاومة الفلسطينية في لبنان منذ عام 1969 لم يكن مشرفاً حيث أدت تداعياته إلى تدمير لبنان وبناء دولة داخل دولة (تصريح ياسر عرفات مراراً انه يحكم لبنان من الفاكهاني).

وهنا نستغرب عدم القيام بمراجعة دقيقة للخطاب من خبراء واكاديميين سوريين قبل أن يلقيه الأسد، فيكون بذلك قد شوه الحقائق التاريخية لخدمة هدف سياسي!

اهمال الوضع الاقتصادي والاجتماعي في سوريا

منذ القانون رقم 10 عام 1991 الذي وعد بانفتاح اقتصادي وبجو استثماري مشجع (جاء مباشرة بعد انهيار النموذج السوفياتي في اقتصاد الموجه) والشعب السوري الصابر ينتظر الاصلاحات والحريات وانهاء حكم الحزب الواحد والنظام العسكري المستمر منذ 1963. ولقد فوت الرئيس الأسد فرصة مهمة في خطابه بأن يطلق عنان الحريات وعندها لكان خرج ملايين السوريين إلى الشوارع في دمشق وحلب والقامشلي واللاذقية وحمص وحماه يؤيدونه ويحمون قراراته بأرواحهم ضد الحرس القديم الذي يمنع التقدم ويجد في امتصاص لبنان بديلاً من نهضة سوريا. ولكن الرئيس الأسد، وربما تحت ضغوط داخلية اكتفى معتذراً بالقول: "نحن الآن في صدد التحضير للمؤتمر القطري المقبل في هذه السنة ونتمنى أن يكون هو القفزة الكبيرة في هذا البلد" أي انتظروا قرارات حزب البعث الحاكم.

خاتمة الفصل

كان أمراً لافتاً للنظر، مع دخول القوات السورية إلى لبنان في خريف 1976 اثر مؤتمري الرياض (السداسي) والقاهرة (قمة عربية) لحل حرب السنتين في لبنان

ان راح ضباط سوريون يقصدون بيوتاً معينة في بيروت وطرابلس تحديداً، لإخراج الفتيات العلويات العاملات في تلك المنازل وترحيلهن قسراً إلى سوريا، واعتبار ذلك تحريراً لهن من العبودية من خلال الخدمة في منازل السنّة اللبنانيين، رغم ان كثيراً من هؤلاء الفتيات أصبحن أمهات متزوجات وبعضهن حصل على منزل مستقل قدمه لهن أصحاب البيوتات اللاتي يعملن عندهم، وكثيرات منهن احتججن رافضات ترك العمل الذي يوفر لهن ولأسرهن مورد رزق شريف وكاف.

ومثلما أدى مخبرون لبنانيون وسوريون أدوارهم لدى ضباط الأسد لتطبيق هذا التوجه، فقد ظل هؤلاء المخبرون عيونهم لمتابعة تنفيذ هذا القرار وغيره وتحول عدد كبير منهم إلى نواطير لمباني بيروت لهذا الغرض وغيره بعد ان توسعت مسؤوليات النواطير ليفتحوا عيونهم على كل ما يجري في المبنى والحي والشارع، وليكتبوا ما يحصي على الناس أنفاسها وليفتروا ويبتزوا ويشكلوا عصابات سرقة، وليشاركوا في عمليات قتل وخطف واغتيالات.

انه السلوك نفسه الذي اعتمدته سرايا الدفاع التي رئسها رفعت الأسد، حين راح تسلطها يتعاظم على حياة السوريين، فأمر ضباطها الفتيات العلويات العاملات في بيوتات دمشق وحلب واللاذقية وحمص بترك أعمالهن والعودة إلى قراهن أو منازل أهاليهن، وأيضاً استناداً إلى عسس ومخبرين أدوا الدور نفسه فيما بعد في لبنان.

الفصل السابع

الحريري الأب والأسد الأب

- **مقدمة**
- **الحريري رئيساً للحكومة**
- **كراهيتهم لبري**
- **المخبرون**
- **شطارة الحريري ودأبه الشديد**
- **الغاز المصري**
- **الزراعة**
- **التهريب**
- **وخوة على النفط**
- **"ايدال"**
- **مطار بيروت الدولي**

مقدمة

شهدت العلاقات بين اللبنانيين والسوريين أعلى مستوياتها الاجتماعية والانسانية والسياسية عبر عنها حين كان رئيس أركان الجيش السوري لبنانياً من بلدة ارصون هو اللواء شوكت شقير، وكان قائد الجيش العربي السوري لبنانياً من مدينة صيدا هو الفريق عفيف البزري.

واختار عدد من السياسيين اللبنانيين الذين سيصبحون رؤساء للوزراء في بلدهم (رياض الصلح، صائب سلام، تقي الدين الصلح) سيدات سوريات من عائلات كبرى في حلب ودمشق وحمص ليشاركوهم الحياة وينجبن لهم الابناء والبنات.

وبعد مرور أقل من ربع قرن على تسلم البعث العربي الاشتراكي السلطة في سوريا انعدمت المصاهرات بين عائلات الشقيقين خاصة في الطبقات السياسية، وأصبح ضباط البعث حكاماً للبنان..

لكن أمراً جوهرياً حصل أيضاً وهو حاجة حكام سوريا للأطباء اللبنانيين لتلقي العلاج، فاعتمد حافظ الأسد د. ابراهيم داغر لعلاجه واحتاج فاروق الشرع أن ينزل إلى مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت لإجراء عملية جراحية، واحتاجت ابنة حافظ بشرى إلى الطبيب النسائي كرم كرم يشرف على ولادتها ثلاثة توائم من بعلها آصف شوكت، وطلب غازي كنعان وساطة د. ابراهيم السلطي الاردني لإدخال ابنه يعرب إلى الجامعة الأميركية في بيروت. وكان نقيب أطباء لبنان (الشيعي لأول مرة في تاريخ لبنان) د. محمود شقير يعالج زوج حافظ والدة بشار أنيسة مخلوف في إحدى مرات مرضها.

والاهم من هذا

ان سوريا احتاجت رفيق الحريري كي يفك عن نظام الأسد عزلته الدولية الخانقة حتى وصفته جريدة "اللوموند" انه وزير خارجية لبنان وسوريا حين كان فاروق الشرع يرافق الحريري في جولاته ليتعلم منه كيف تتم المفاوضات وكيف يجب أن يخاطب العالم.

تعززت صلات رفيق الحريري مع حافظ الأسد بعد عقد مؤتمري لوزان وجنيف لحل مفترض للأزمة في لبنان، وكانت فرصة لتوثيق علاقات كانت نشأت قبل ذلك بنحو عام بين الحريري واثنين من أركان الأسد عبد الحليم خدام وحكمت الشهابي.

حرص الملك فهد ان يضطلع الحريري بدور بارز لحل الازمة وحصر الدور السعودي به، وأدرك الحريري باكراً ألا حل لأزمة لبنان إلا بدور حاسم لحافظ الأسد فعمل على توثيق صلاته به.. يساعده في الأمر تكليف الملك فهد بتلك العلاقة وثقته به.

يروي رفيق الحريري للمؤلف ان علاقته بالأسد الأب كانت قوية جداً ويوثق كلامه بثلاث وقائع:

الواقعة الأولى رواها الحريري للمؤلف في نيسان/ابريل عام 1989 في باريس وجاء فيها: ان الحريري كان مع الأسد يفتتح قصر المؤتمرات الذي بناه الحريري من جيبه الخاص على طريق مطار دمشق الدولي وبعد انتهاء الحفل دعاه الرئيس السوري إلى الغداء في قصره الجمهوري وكان اليوم 1989/3/8 واثناء تناول الطعام قال الأسد لضيفه أنا لا أجد أصلح من ميشال عون لرئاسة الجمهورية في لبنان. ويسأل المؤلف الحريري لكن عون بدأ ما اسماه حرب التحرير ضد الاحتلال السوري يوم 89/3/14 أي بعد 6 أيام فقط من كلام الأسد..

فيرد أبو بهاء بالقول انه مجنون وعون يرى الدنيا كلها من خلال طموحه الشخصي ومصلحته هو فقط ويستطرد الحريري انه توجه بعد الغداء إلى فندق شيراتون في دمشق وهو يعرف ان جماعة سوريا اللبنانيين مزروعون فيه، فقابل رياض رعد ليطلب منه التوجه إلى قصر بعبدا لينقل لعون ما سمعه من الأسد، ثم يطلب من فايز القزي ان ينقل الرسالة نفسها فيتسابق الاثنان ويتنافسان على من يصل أولاً إلى عون.

الواقعة الثانية وقد قالها الحريري للمؤلف في آذار/مارس رداً على ما ساق له المؤلف مباشرة من اتهامات في الوسط السياسي والاعلامي بأنه يوعز لجماعاته بحرق الدواليب في شوارع بيروت لإرغام رئيس الحكومة يومها عمر كرامي على الاستقالة حتى يأتي الحريري مكانه رئيساً للحكومة.

قال الحريري: أنا علاقتي جيدة جداً بالرئيس الأسد.. وأنت تعلم يا حسن ان رئيس الوزراء في لبنان كما رئيس الجمهورية ورئيس مجلس النواب يعينهم حافظ الأسد، فلماذا أريد أن أنزع علاقتي مع الرجل لأرغمه بتعييني رئيساً؟

أنا رجل أفهم قليلاً في السياسة - يا حسن وأفهم ان معاندة الأسد تنقلب على رأس المعاند، وأنا أعرف ان الأسد يحبني كثيراً وما من مرة كنت أطلب موعداً إلا ويكون الجواب أهلاً وسهلاً.

كنت في باريس متوجهاً بسيارتي إلى المطار لأستقل طائرتي الخاصة للسفر إلى دمشق، وفي الطريق تحدثت مع أبي سليم دعبول (مدير مكتب الأسد) بأني قادم إلى سوريا فهل أستطيع مقابلة الرئيس فاستمهلني أبو سليم قليلاً ليعود قائلاً: الرئيس سيستقبلك حين وصولك.

الرواية الثالثة أيضاً عام 1992 بعد ان أصبح الحريري رئيساً للحكومة في لبنان كان مدعواً للعشاء مع زوجه السيدة نازك على مائدة حافظ الأسد وقد طال الحديث بعد العشاء حتى ان الرئيس طلب مني أن أبيت عنده في القصر للصباح وبعدها أسافر مرتاحاً، فرددت عليه أنا يا سيادة الرئيس سأرتاح في طائرتي الخاصة وفيها غرفة نوم كاملة فابتسم الأسد وودعه متمنياً له نوماً هنيئاً قائلاً له: يبدو يا أبو بهاء انك تستطيع النوم على الأرض وفي السماء.

سأل المؤلف الحريري: بشرفك دولة الرئيس ألم ترسل طائرة خاصة للأسد بعد هذه العزومة فعبس الحريري وهو يقول بحزم وجدية: حسن أوعا تجيب هالسيرة لحدا!!

وها أنا أكتبها بعد رحيل حافظ الأسد واغتيال الرئيس المظلوم.

كان رفيق الحريري إحدى القابلات الأساسيات لولادة اتفاق الطائف.. وكان هو من أبنائه بعد ان انتقل من دور الوسيط إلى دور ناتج الاتفاق.

لم يكن حافظ الاسد ليتخلى عن لبنان، ولم يكن ليرضى ان يكون قوياً، ولكنه لم يكن ليريده مريضاً مهدداً بالموت، لذا كان المجيء برفيق الحريري رئيساً للحكومة مشروطاً بأن يبقى لبنان مريضاً وفي غرفة العناية الفائقة - شرط ألا يموت، لأن حياة لبنان فيها حياة لقطاعات أساسية في النظام السوري تعرف مؤهلات الرجل في جلب المال للإعمار والمشاريع في كل القطاعات التي يحتاجها

لبنان الخارج من الحرب منهكاً في الخدمات والمؤسسات والمرافق على أنواعها.. وكذلك مؤهلاته الأخرى بفتح الابواب المغلقة التي أقفلتها سياسات حافظ الأسد مع الغرب ومع الشرق.. "بفضل إنجازات" دبلوماسييه ولغتهم الخشبية المحنطة.

الحريري رئيساً للحكومة

يقول الوزير والنائب مروان حمادة للكاتب:

استدعاني الرئيس رشيد الصلح في أيلول/سبتمبر 1992 إلى منزله صباحاً، وكان يربط رقبته بأنشوطة لإصابتها بديسك، سألني ما الذي يجري بعد الانتخابات (كان الصلح رئيس حكومة الانتخابات النيابية ذلك العام، وقد قاطعها المسيحيون، وفازت مرشحة مسيحية في جبيل مهى أسعد خوري بعد ان حصلت على 49 صوتاً، وقيل ان رشيد الصلح نفسه الذي كان رئيس لائحة انتخابية في بيروت عجز عن الفوز فهدد بالاستقالة وعدم إكمال المرحلة الأخيرة من الانتخابات التي كانت مقررة في الجنوب إلى ان تم إنجاحه على حساب زميله المرحوم زكي مزبودي).

سأل الصلح حمادة من الذي سيأتي رئيساً للحكومة بعد الانتخابات فرد حمادة قائلاً: الله اعلم فكرر الصلح السؤال ألم يخبرك أصحابنا (أبو جمال مثلاً) عن الرئيس المقبل فنفى حمادة معرفته بأي اسم، عندها قال الصلح والرواية لمروان حمادة: شوف يا مروان إذا السوريين بدهم يضبطوا البلد.. بدهم يجيبوا رفيق الحريري، واني بعتقد انهم ما بدهم يضبطوا البلد.. منشان هيك ان حظوظي كبيرة!

في أول لقاء لرفيق الحريري بعد ان أصبح رئيساً في ت1/اكتوبر 1992 مع حافظ الأسد.. عرض الحريري على الحاكم العرفي لسوريا ولبنان ان يحصل على صلاحيات استثنائية كي يتمكن من تسريع الانجازات التي يحتاجها لبنان للخروج من دمار وخراب تصاعداً خلال 17 عاماً دون انتظار نقاشات مجلس النواب التي قد تطول وقد تجعل الحكومة والحريري تحديداً تحت ضغوط وابتزازات النواب والكتل السياسية، قال الأسد للحريري أنا لا أريدك أن تبدأ حكومتك الأولى بمشكلة كبيرة مع الشيعة، لقد رفضت تسليم وزارة المالية لشيعي، وأنا أعلم ان هذا لم يرد في اتفاق الطائف.. لكن السياسيين الشيعة وعدوا أنفسهم بها للمشاركة

في السلطة، والآن تريد صلاحيات استثنائية من مجلس النواب، وهذا يعني تعطيل المؤسسة التي يشارك فيها الشيعة في الحكم.

لقد استدعيت أبو مصطفى (الرئيس نبيه بري) وقلت له ان يسهل كل ما تريد من قوانين ومراسيم في مجلس النواب وألا تتمسك بطلب صلاحيات استثنائية بل تفاهم مع أبي مصطفى كي تنجز مشاريعك ولا تزعل أبا مصطفى فهو سيكون شريكك في الحكم.

هذا في لبنان أما في سوريا

فقد نظر محمد ناصيف والمجموعة العلوية الكارهة للسنة والعروبة ولرفيق الحريري باعتباره شخصية سنية قوية لها صلات قوية وتكاد تكون عضوية مع المملكة العربية السعودية التي تراها مجموعة ناصيف قطباً سنياً قوياً.

ولأن علاقات السعودية قوية مع أميركا وانعكست ايجاباً على علاقات الحريري بها، فإن هذه المجموعة رأت انها الأولى بالعلاقة مع أميركا، أو ان علاقة الحريري مع أميركا يجب أن تمر من خلال دمشق وبإذن منها وبتكليف فقط وليس من خلال الرياض.

ثم ان هذه العلاقة تعطي الحريري قوة وهذه القوة تثير كراهية وحسد مجموعة العلويين المحيطين بحافظ الأسد الذين تولوا تربية بشار على هذه الكراهية.

لم يكن حافظ بعيداً عن ثقافة هذه الجماعة لكنه كان أكثر ذكاء من أن يفرط بدور مهم يمكن لرفيق الحريري أن يؤديه خدمة لاستراتيجية الأسد الأب.

أما بشار فكان أكثر غباء من أن يستفيد من مكانة الحريري العربية والدولية، بعد ان استوطنت الكراهية خلايا دماغه وسلوكياته العلنية.

كراهيتهم لبري

ورغم ان نبيه بري بواقعيته وذكائه كان الاكثر انسجاماً مع رفيق الحريري، فإنه كان حساساً جداً تجاه ما يريده السوريون و لم يكن مستعداً أبداً لأن يغضبهم أو يبدو انه يخالف تعليماتهم.

وكثيراً ما كان يصطدم بالحريري لاعتبارات سورية.. ومع هذا فإن بري لم ينج من كراهية الأسد وشلته وتحديداً محمد ناصيف.

قال أحد أصدقاء محمد ناصيف في لبنان النائب والوزير السابق محمود أبو حمدان للكاتب: ان السوريين ارتضوا مجيء الحريري لرئاسة الحكومة وفي ذهنهم ان نبيه بري سيكون العقبة الكأداء أمام الحريري وشطحاته.. لكنهم اكتشفوا سريعاً انه أصبح شريكه، ومدافعاً عنه بحكم علاقة الاثنين مع مسؤولي الملف اللبناني في سوريا (خدام - الشهابي - دوبا - كنعان) وهؤلاء كان ناصيف يكن لهم عداء مستحكماً.

وقد انعكست هذه الكراهية أيضاً على مجموعة بشار - ناصيف في لبنان (اميل لحود - جميل السيد..) التي كانت تكن عداء وكراهية شخصية وسياسية وطبقية وعربية لرفيق الحريري الذي كان أصبح شخصية عالمية، وكم اثارت غضب السوريين صورة استقبال وزيرة خارجية أميركا مادلين أولبريت لرئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري وإلى يمينه وزير خارجية سوريا فاروق الشرع لتكتب جريدة "لوموند" الفرنسية في الفترة نفسها تقييماً لمكانة الحريري واصفة إياه بأنه بات وزير خارجية لبنان وسوريا.

فضلاً عن ان الحريري راح يعاند مجموعة بشار في لبنان وعلى رأسها اميل لحود عندما كان قائداً للجيش والذي استخدم تابعه جميل السيد كي يتطاول ضد رفيق الحريري وحكومته عبر مخبريه في الصفحات الثانية من صحف لبنانية كان الحريري يدفع الاموال لأصحابها، لكن هؤلاء الاصحاب كانوا عاجزين عن معاندة جميل السيد فكانوا يتركون العنان لمخبرين في صحفهم للتطاول على الحريري.. أحياناً بشكل ابتزاز وأحياناً أخرى بشكل عجز.

كان الحريري يشكو الأمر لحافظ الأسد.. وكان الأخير يبتسم ويعد بمراجعة بشار، وبشار يصعد كراهيته للحريري خاصة بعد ان نجح الأخير بتأخير مجيء لحود لرئاسة الجمهورية بعد ان نجح بإقناع الأسد عبر علاقاته مع عبد الحليم خدام وحكمت الشهابي بالتمديد ثلاث سنوات لإلياس الهراوي في رئاسة الجمهورية.

لاحظوا ان رفيق الحريري نجح عام 1995 بالتمديد لصديقه اللدود الياس الهراوي في الرئاسة لمنع دخول رجل بشار وناصيف إميل لحود إلى الرئاسة باكراً.

ثم ان رفيق الحريري نجح عام 1996 بدخول مجلس النواب بكتلة نيابية تضخمت رغم اصرار السوريين على زرع ودائع داخلها تدين بالولاء وكتابة

التقارير لغازي كنعان ورستم غزالة وجهاد صافيتلي وجامع جامع (عدنان عرقجي - باسم يموت.. وغيرهم).

في ذلك العام 1996 كان عدوان نيسان/ابريل على لبنان بسبب استدراج حزب الله إسرائيل للمواجهة لحسابات عديدة.. منها إيصال رسالة حاسمة للحريري ان عليه ألا يتمادى في طيرانه خارج السرب السوري بتصعيد علاقاته شرقاً وغرباً من ايران إلى البرازيل ومن ألمانيا إلى جنوبي افريقيا ومن مصر إلى المغرب حتى روسيا والصين واليابان.

وان كل انجاز يضيفه الحريري إلى رصيده محكوم بصاروخ يطلقه الحزب فوق فلسطين المحتلة ورد العدو الصهيوني عليه.

لذا يعتبر عدوان نيسان/ابريل 1996 محطة فاصلة في تاريخ لبنان والحريري وحزب الله.

خرج الحريري منتصراً في فرض تفاهم يعطي الامم المتحدة دوراً في رعاية الوضع بين إسرائيل وحزب الله.. صحيح ان لبنان الرسمي لم يكن موجوداً خاصة بعد تكريس المقاومة عملاً شرعياً.. لكن الاهم ان الباب فتح واسعاً لدور الامم المتحدة احتاج الأمر 10 سنوات أخرى حتى يكرس في القرار 1701 عام 2006 بعد استدراج آخر من حزب الله للعدوان الصهيوني في لبنان.. في غياب الحريري الأب قتيلاً مظلوماً، وفي حضرة الحريري الابن عبر رئيس وزرائه فؤاد السنيورة.

وأخيراً

علينا أن نعترف ان عمليات حزب الله ضد الاحتلال الصهيوني (1982 - 2000) كانت تهدف إلى ما يلي:

1- ادخال إيران طرفاً أساسياً في الصراع العربي - الصهيوني وفي حين كان العرب قطعوا مسافات هروباً من التزاماتهم العسكرية بهذا الصراع، فإن إيران كانت تجد فرصتها الذهبية في الوصول إلى العرب كلهم من باب فلسطين والصراع العسكري ضد إسرائيل وبواسطة حزب الله.

2- بناء سمعة محلية وعربية للحزب المذكور بصفته مقاتلاً عنيداً حقق تحرير الأرض من العدو المحتل في تجاهل متعمد لكل المقاومات الوطنية والعربية ضد العدو الصهيوني خلال العقود التي سبقت إنشاء هذا الحزب.

3- كان نظام الأسد يعقد اتفاق ربط نزاع مع إسرائيل من خلال تبنيه دعم حزب الله، فضلاً عن ان هذا الحزب كان يساند معادلة حافظ الأسد ان يكون لبنان بؤرة توتر دائمة تحتاج حتماً لدور الجيش السوري لمنع الانفجار.

4- بين هذه الالغام السورية - الايرانية التي ينفذها حزب الله كان على رفيق الحريري ان يسير دون أن يفجر أياً منها، حتى لا يدفع ثمن التفجير طرفاً يفقد أو عيناً تفقأ أو رأساً يطير حتى حصل التفجير يوم 2005/2/14.

لكن أحلام الحريري في حياته ظلت تحاصر من الحاقدين على حالته التي رسمته زعيماً لا ينازع للسنة في لبنان، وجعلته أبرز رجل لبناني في كل البلاد العربية حتى ان رستم غزالة في إحدى نوبات نفاقه قال لأبي بهاء: يا دولة الرئيس انت لو رشحت نفسك في سوريا لنجحت في الانتخابات حتى والدتي وزوجي (السورية) ستنتخبانك. أما على المستوى الدولي فإن الحريري كان محل تقدير واحترام من اندونيسيا إلى أميركا مروراً بروسيا وكل أوروبا، حتى في إيران كان للحريري أصدقاء على أعلى المستويات مثل رئيسي الجمهورية المتتاليين الشيخ علي أكبر هاشمي رفسنجاني والسيد محمد خاتمي..

كان الحريري كبيراً في الداخل وفي الخارج، وبسبب هذا الكبر كبر عليه الحاقدون وأولهم اميل لحود وجميل السيد، وكل الذين تربوا في أحضان محمد ناصيف في سوريا، سواء كانوا لبنانيين أو سوريين وفي مقدمهم بشار وماهر الأسد.

وأوصى المحتل السوري لحلفائه في لبنان وهم بين حلف القدر وحلف الضرورة بين مسلمين ومسيحيين، بالحذر من الحريري، على الرغم من أن الرجل واظب على زيارة دمشق باكراً، وبتكليف من القيادة السعودية منذ العام 1982.

وليس غريباً ان يبدأ النظام الأمني السوري مرحلة تحويل أصدقاء سوريا بل حلفائها في لبنان إلى مخبرين وعملاء واتباع.. فقد كان كبيراً على جماعة بشار في لبنان ان يكون رفيق الحريري صديقاً.. وهو لا يستحق في نظرهم إلا أن يكون عميلاً.. ولأنه كان يرفض فقد كان من الطبيعي ان يزداد الحقد ضده "والفضل" دائماً لإميل لحود الذي ما جمعت الكيمياء يوماً بينه وبين الحريري.

كان اميل لحود يخطط لإدخال رفيق الحريري إلى السجن وكان رفيق الحريري يسخر من أبو نصف لسان كما كان يصفه ويقول انه سيعيده عريفاً في الجيش. عندما جاء محمد حسنين هيكل إلى لبنان وقابل لحود سأله أصدقاء كيف وجدته فرد ساخراً أنتم تقولون انه أبو نصف لسان ونصف كم وأنا أقول لكم انه أبو نصف عقل أيضاً!!

لم يعد سماسرة نظام الأسد يكتفون بما يحققونه من أرباح غير شرعية من مشاريع الحريري، فراحوا يكيلون تهمة اغراق البلاد في الديون.. وهم جزء رئيس من فيضان الاغراق هذا.

كانوا روجوا في البداية وربما في نهاية مرحلة الأسد الأب ان دمشق جاءت بالحريري لهدف اقتصادي، دون أن يسمح له بالتدخل بأي شأن أمني أو سياسي، وفي مرحلة الاسد الابن، دخلوا على شأنه الاقتصادي وأزاحوه في بداية عهد لحود وجاؤوا بجورج قرم لإجهاض كل ما أنجزه الحريري فإذا بقرم الذي كان أحد أسباب كارثة الجزائر الاقتصادية عندما كان خبيراً لدى حكومتها، يقول ذهب الحريري وبقيت الحريرية وظل أسيراً لكل التركيبة التي وضعها الحريري عبر وزير ماليته فؤاد السنيورة.

المخبرون

اللواء سامي الخطيب واحداً من أذكياء وأقوياء المؤسسة الامنية اللبنانية، عندما كان ضابطاً صغيراً في المكتب الثاني اللبناني (استخبارات الجيش فيما بعد) إلى ان أصبح أحد أهم ضباط هذا الجهاز إلى جانب غابي لحود رئيسه لعدة سنوات.

وقد أهلته مواقعه الامنية، لأن يكون الخطيب خبيراً بالشؤون الأمنية السورية استمرت منذ عهد الوحدة بين مصر وسوريا (1958 - 1961) حتى أصبح فيما بعد قائداً لقوات الردع العربية، التي اقتصرت على القوات السورية طيلة 30 سنة، وتولى بعدها وزارة الداخلية اللبنانية.

علاقة الخطيب مع الاجهزة السورية الحاكمة في لبنان اتاحت له ان يكون قريباً من مركز المعلومات والقرار السوري في لبنان.. إلى حد ما.. حتى أصبح نائباً لأكثر من دورة عن أحد المقعدين السنيين في البقاع الغربي.

يروي الخطيب للمؤلف انه كان مجتمعاً مع عدد من زملائه النواب في مكتب غازي كنعان في عنجر، عندما دخل زميله عن المقعد السني الثاني في البقاع الغربي عبد الرحيم مراد، فرحب كنعان به كثيراً، وبالغ بالاهتمام به حتى قال له أمام الحضور: والله يا أبو حسين بتلبقلك رئاسة الوزارة!!

بعد مغادرة الجميع، انفرد أبو بديع (الخطيب) بأبي يعرب (كنعان) ليسأله بنوع من العتب وبأدب شديد: ولو يا أبو يعرب.. عم توحي لعبد الرحيم برئاسة الوزارة.. نحن بالنيابة مش مخلصين معو، فكيف برئاسة الوزارة؟

فرد كنعان على الخطيب قائلاً: ولو يا أبو بديع كبر عقلك نحن زارعين عبد الرحيم مخبر عند الحريري حتى يبلغنا كل شيء من بيتو.

لم يكن عبد الرحيم مراد هو المخبر الوحيد الذي زرعه غازي في منزل رفيق الحريري، فهنا مخبرون سوريون في كل مؤسسات عمل الحريري ومنزله في كتلته النيابية كان هناك من أطلق عليهم ألقاب الغواصات، والبعض اسماهم ودائع سورية، وهم في جميع الحالات ينقلون كل ما كان يجري في داخل بيت وحكومة وصحة رفيق الحريري.

كانت الودائع السورية المعروفة في كتلة الحريري النيابية: بشارة مرهج، عدنان عرقجي، ناصر قنديل وباسم يموت.

وكانت الودائع السورية في حكومة الحريري: عبد الرحيم مراد، أسعد حردان، (وعندما يوزر ميشال سماحة كان هذا أشطر الايداعات نقلاً لما يجري في حكومة الحريري) فضلاً عن وزير انتقل إلى رحمة الله.

أما باسم يموت الطبيب المختص بأعصاب الرأس فكان يستجدي عديله الرئيس (فيما بعد) نجيب ميقاتي كي يؤمن له موعداً مع بشار الأسد الذي بدأ والده اعداده لتسلم الملف اللبناني، وكان ميقاتي وشقيقه طه نسجا علاقات شخصية مع باسل ثم بشار الأسد عندما كان هذا الأخير طالباً في لندن.

تولى طه ميقاتي لفترة ترتيب أمور باسل المادية عندما كان يزور أوروبا ولندن، وعندما قتل ابن الاسد اهتم طه بالشقيق الآخر الذي سيصبح رئيساً للجمهورية. كان باسم يموت ابن ابراهيم أحد مرافقي انطون سعادة قومياً سورياً مستتراً، وعندما فرضه غازي كنعان على الحريري نائباً كبر طموحه ليكون رئيساً

للوزراء كما هو وعد السوريين لعشرات الطامحين للعمل السياسي ليكونوا رؤساء وزراء سواء كانوا يملكون ما يؤهلون لذلك او ان أقصى ما يملكونه هو الطموح.

أزواج المخبرين بائعات

ولم يكن التجسس وكتابة التقارير للاستخبارات السورية ليقتصر على الوزراء والنواب، بل ان أزواج هؤلاء كن يتلقين تكليفات زوج اللواء غازي كنعان (أم يعرب) لبيع الهدايا التي كانت تأتيها من عدد كبير من المسؤولين اللبنانيين ورجال الاعمال اللبنانيين، ومن الطامحين لشغل موقع سياسي أو مسؤول أو للترفيع في المسؤولية كقضاة أو ضباط أو أساتذة جامعات أو رؤساء أحزاب وسفراء أو تجار أو مقاولين أو رجال أعمال يريدون عقد صفقات لصالحهم، أو لإخفاء خطاياهم في مشاريع منجزة أو لم تنجز..

لم تكن أم يعرب لتقبل هدايا متواضعة، من أزواج هؤلاء الطامحين، وإذا قبلت هذه الهدايا فلن يكون سعر الهدية أقل من عشرة آلاف دولار كفرو من أغلى الانواع أو سجاد عجمي عتيق أو ساعات مزينة مرصعة بالألماس أو من الذهب الخاص.

تكثر الهدايا عند أم يعرب فتكلف أزواج نواب البقاع الغربي والاوسط ببيع معظم هداياها، فتجول السيدات أزواج النواب على الاصدقاء والصديقات لبيع الهدايا، شارحات ان ثمن هذه الهدايا يذهب إلى أم يعرب لتشجيع الاصدقاء والصديقات على الشراء.. وبأغلى الاسعار.

شطارة الحريري ودأبه الشديد

بسرعة شديدة أصبح الحريري خبيراً بما يريده حافظ الأسد من لبنان، وكم سمعنا من الراحل الكبير انه تلقى تدريباته السياسية الاساسية من أهم حاكمين عربيين يومها ويقصد الملك فهد بن عبد العزيز والرئيس حافظ الأسد، كان رفيق الحريري أشطر من أدرك ماذا يريد الأسد من لبنان، بعد ان أمسك حافظ برقبة الوطن سياسياً وأمنياً وكان أبو بهاء يعتقد انه كلما استعدنا عافيتنا اقتصادياً كلما اقترب موعد إزالة القبضة السورية عن رقاب اللبنانيين.

وكان الحريري أشطر من أدرك جشع أركان النظام في سوريا لنهب خيرات لبنان بأي طريقة كانت وقد كان متواصلاً مع كل من يعرف ويفهم من هو خبير في المال وجمعه وصلاته وحمايته من الامن السوري.

وكان أركان النظام السوري داخل مشاريع الحريري حيث لهم المخبرون في كل اجتماع واتفاق وصفقة وتحويل وقرض ومساعدة وهبة.

لم يكن في لبنان مشروع في عهد الحريري إلا ولنظام الأسد وجماعاته لبنانيين وسوريين رشوة محفوظة.

كان هذا مالان يتحولان إلى الداخل السوري:

1- المال الحلال والشرعي لعمل نحو مليون عامل سوري في معظم قطاعات البناء والزراعة والخدمات والبيع على انواعه وكان هذا المليون يتحول مليارات الدولارات سنوياً إلى بلاده.

2- المال الحرام وهو ما كانت الاستخبارات السورية تقتطعه من أموال المشاريع التي جاء بها الحريري.. من التلزيم إلى التنفيذ فإذا أراد الحريري من خلال أي وزارة أو هيئة أو إدارة تلزيم أي مشروع فيجب أن تقبض استخبارات الأسد أولاً.. وإلا فلا يمر المشروع.. بدءاً بحملة في الاعلام، ثم عن طريق تصريحات لنواب ثم لمخبرين سوريين كلهم لبنانيون وعلى مستويات مختلفة يبدأون بسب الحريري وانتمائه للسعودية، وعلاقته بالصهيونية، وعمالته للأميركان وعدائه لسوريا العروبة، سوريا الأسد المقاومة الممانعة.. يدفع الحريري مباشرة أو عن طريق الوزارة أو الادارة النسبة المعروفة بالسمسرة.

إذا أرادت شركة عاملة نقل تراب لمشروعها فعليها أن تدفع للأمن السوري، إذا أرادت هيئة رسمية تلزيم تركيب زجاج فعليها أن تدفع للأمن السوري وكذلك في تلزيم الابواب والبلاط والدهان والكهرباء والمعدات.

يدفع الحريري إذا أراد تمرير مشروع في مجلس الوزراء، يدفع الحريري إذا أراد تمرير مشروع في مجلس النواب.

يطلب غازي كنعان أو رستم غزالة أو من هم داخل دمشق نفسها ان يتم تلزيم المقاول الفلاني هذا المشروع أو ذاك، لأن هذا المقاول هو صوتنا القومي وهو في خدمة مشاريع الامة العربية الكبيرة.

ويمكن ان يكون المقاول حرامياً، يغش في المواصفات ليوفر ويرشو الضباط السوريين الذين يشاركونه الربح مقابل فرض الخوة على الحريري وحماية مشروعه لحين الانتهاء منه.

الكهرباء أفظع الفضائح

يكاد يكون ربع الدين العام على لبنان ممهوراً بطابع الكهرباء.

عندما كلف الحريري بتشكيل أول حكومة له في ت1/اكتوبر 1992، كانت التقديرات ان إعادة بناء شبكات الكهرباء في لبنان لإيصال النور إلى كل الاراضي اللبنانية 24 على 24 ستكلف نحو مليار ونصف المليار دولار، سيتم انجازها خلال فترة لا تزيد عن سنة واحدة.

اغتيل الحريري بعد 13 سنة في 2005/2/14 وصرف على شبكات الكهرباء نحو 10 مليارات دولار وما زال التقنين شاملاً الاراضي اللبنانية بمعدلات تزيد أحياناً عن 20 ساعة أو أقل لـ 16 أو في أحسن الحالات لـ 12 ساعة.

ارتبطت فضائح الكهرباء في لبنان بأربعة سياسيين وضباط لبنانيين وسوريين: هم الياس الهراوي، ايلي حبيقة، عهد بارودي وغازي كنعان وعن طريقه كان كثير من السياسيين اللبنانيين يحصلون على نصيبهم كاملاً.

فقد كانت المعادلة التي اعتمدتها أجهزة استخبارات الأسد في لبنان مع جماعاتها، اننا نوفر لكم المساعدات المالية من طريقتين:

الطريقة الأولى: هي ما نغرفه من أموال المشاريع بالطرق المشار إليها.

الطريقة الثانية: هي ما نفرضه من خوات على رجال أعمال يعملون أو يطمحون للعمل في السياسة.

تحت حجة السرعة كان التسرع بالتلزيم، الذي يؤمن الربح السريع والذي يوفر الربح الاسرع هو شراء المولدات الكبيرة دون إعطاء الاهتمام الكافي لشبكة التلزيم.

أصبح في لبنان مولدات ضخمة على المازوت ولكن شبكة التوزيع لم تكن مؤهلة. والمولدات على المازوت لأن مشروع الغاز لم يسمح به بعد ان أحبطه التدخل الأمني السوري.

لا تحضروا الغاز إلا من سوريا، فتم فرض إنشاء خط غاز من سوريا بتكلفة 13 مليون دولار.. لم يعمل لأن سوريا لم تعد تستطيع بيع الغاز لأن كميته غير كافية إلا للاستهلاك السوري.. وكان الجميع يعلم ان الاحتياط من الغاز السوري لا يكفي.. فضلاً عن ان الغاز نفسه لا يملك مواصفات جيدة.

سمعت من وزير النفط والطاقة الكهربائية القطري عبدالله بن حمد العطية (الآن رئيس الديوان الأميري) وهو من أكثر العرب معرفة وحباً بلبنان، ان قطر عرضت مرتين إيصال الغاز إلى لبنان عن طريق البواخر ليتم الاستعاضة به عن الفيول.

في المرة الأولى جاء رولان الياس الهراوي يريد حصته وفي المرة الثانية جاءنا اميل لحود يريد حصته أيضاً.

ثم وصلنا انه إذا أرادت الدوحة إيصال الغاز إلى لبنان فإن دمشق سيكون لها الحصة الاكبر، وإذا لم نحصل على حصتنا فهذا أفضل لأننا لا نريد للبنان ان يستغني وان ينهض.

وصلت هذه الشروط إلى أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة فرفض دفع الرشى حول الغاز للمسؤولين السوريين ولولدي الهراوي ولحود.

الغاز المصري

وحكاية الغاز المصري هي الفضيحة الأكبر، فقد اتفق الرئيس الحريري مع المسؤولين المصريين على ايصال الغاز المصري عبر أنابيب الغاز إلى لبنان بحراً، ليتم من لبنان توزيعه إلى سوريا – الاردن – تركيا، لكن أبواق سوريا في لبنان شنت حملة شرسة ضد الحريري واتهمته انه سيحصل على الغاز من مصر ليوصل فرعاً سرياً منه إلى العدو الصهيوني.. فتوقف المشروع، وفجأة عقدت دمشق اتفاقاً مع القاهرة للحصول على الغاز نفسه مباشرة ولتتولى سوريا توزيعه بعد ذلك لمن يريد!!

وهكذا لم يحصل لبنان على الغاز لا من قطر ولا من مصر ولا من سوريا، ويستمر شراء الفيول ويتم تأخير طلبه إلى ان يهدد لبنان بالغرق في الظلمة ليعلو الصراخ ان اشتروا الفيول بأي سعر.. والبواخر تنتظر في عرض البحر يستوردها تجار معروفون يدفعون لمن يشاركهم مؤامرة التأخير.. بعد رفع الاسعار دائماً!!

وفقاً لتقرير صدر حديثاً عن "شركة كهرباء لبنان"، وقام بتحريره المدير العام للمؤسسة، فإن العجز السنوي لشركة كهرباء لبنان يبلغ 500 مليون دولار سنوياً، علماً ان أصول المحاسبة الحكومية في لبنان تتجاهل مفهوم الاستهلاك بالتقادم (للمعدات) مما يعني ان العجز الحقيقي أكبر من الرقم المعلن.

مع ذلك لنتوقف عند رقم 500 مليون دولار، يفيد التقرير نفسه ان ثلث انتاج الكهرباء يتعرض للسرقة، أي انه يتم الاستيلاء عليه بواسطة تفريعات غير شرعية، وان 15 بالمئة يتألف من هدر فني، وان نصف الانتاج الذي يتم اعداد فواتير تتعلق به، لا يتم استرداد سوى نصف قيمته.

يعني ما سبق انه يجري بيع وقبض ثمن 25 بالمئة فقط من انتاج الكهرباء في لبنان، ان معظم الانتاج الذي تتم سرقته ولا يتم قبض ثمنه يتعلق بالمناطق التي تخضع لزعامات "مفبركة" إلى حد ما وقريبة من الطبقة الحاكمة السورية: 500 مليون دولار 10 سنوات = 5 مليارات دولار، تصوروا ماذا كان يمكن أن نفعل بمثل هذا المبلغ في ميدان تطوير المناطق المحرومة.

صحيح انه لم توفر الكهرباء النور لكنها سلطت الضوء كثيراً والمصاعب المالية الكبيرة التي تعانيها مؤسسة كهرباء لبنان.

وإلى الاهدار في الانتاج والجباية والاستهلاك، هناك الروايات المتعلقة بالمناقصات العائدة إلى اعادة تأهيل الشركات، ومنها يعود لتأهيل المحطات القائمة وإلى تبني دراسات عديمة الجدوى.

كذلك لفت التقرير إلى اختراق الشبكة السورية الاراضي اللبنانية، كما يعدد الخروقات الحاصلة على صعيد الاتصالات الدولية حيث عدد كبير من الخطوط الدولية يمر عبر مركز طرطوس تحت ذريعة عدم وجود تجهيزات، يضاف إلى ذلك ان كل اتصال دولي بلبنان يسجل نسبة من الرسم للمشغل المحلي ولأن الاتصالات تمر بطرطوس فإن الرسم يذهب إلى ذلك المركز وليس للبنان. وتوقف التقرير أيضاً عند الخسائر المترتبة من الاهدار في موضوع البث المرمز أو "cables" لينتقل بعدها إلى ملف الطرق والكسارات والصحة والعمالة والمصارف والقضاء والعمل والميكانيك والكازينو وسباق الخيل، وينتهي إلى احصاء بعض الارقام.

صحيح ان محاولات عدة جرت لتقدير حجم الخسائر المتوقعة من جراء الفساد المستشري، لكن الارقام التي تم التوصل إليها بدت ضخمة لدرجة تعذر تبنيها. لكن إذا تم الاخذ في الاعتبار القروض التي استعملها مجلس الانماء والاعمار في عملية اعادة الاعمار والبالغة 7 مليارات دولار، فإن حجم الاهدار بلغ نحو 5.1 مليار دولار.

- الفوترة المضخمة في المشتريات لمصلحة القطاع العام أو الخاص (الفيول، المرافىء، المطار).
- الفوائد المدفوعة على سندات الخزينة.
- الخسائر المترتبة عن العمالة السورية.
- الربح الفائت نتيجة تراجع الاستثمارات وتزايد الاخطار السيادية للبلاد وهجرة الكفايات منه.

وينتهي التقرير إلى ملاحظة مفادها انه كان يمكن للبنان أن يكون أغنى مرتين أكثر مما كان عليه عام 1974.

الزراعة

أحد مظاهر التدخل تبدو واضحة في وزارة الزراعة، فكل القرارات التي تصدرها هذه الوزارة كالاتفاق الثنائي، والروزنامة الزراعية وغيرها تخضع مباشرة لتأثير موظف قريب من سوريا، كما أشار مصدر في مجلس الانماء والاعمار الذي أوضح ان أهم الاجراءات المتخذة جاءت على صعيد توقيع اتفاق التبادل الحر الذي يلغي الرسوم الجمركية على مجموعة كبيرة من السلع، وإذا كان الاتفاق في الشكل يبدو مطابقاً للمعايير الدولية، فقد ظهر عند التطبيق عدد كبير من الاعتراضات. والواضح ان الاتفاقات الموقعة سهلت فتح الاسواق تحت وطأة جهل الاضرار التي خلفتها على قطاع زراعي غير مستعد لها.

وقد لوحظ ان اهمال القطاع في لبنان مرده إلى السماح للانتاج السوري بالدخول إلى السوق اللبنانية، ويمكن اعطاء مثل هذا المجال يتعلق بزراعة الموز التي قام بها مزارعو الجنوب باعتبار ان سوريا لا تنتج الموز، لكن ما حصل هو العكس، فسوريا تستورد الموز الصومالي وتصدر الفائض عنها إلى الاسواق اللبنانية، وهذا

غير شرعي ويشكل كارثة للمزارعين، وما حصل بالنسبة إلى الموز تكرر أيضاً بالنسبة إلى مزارعي الزيتون والتفاح.

على صعيد انتاج الحليب: يشير التقرير إلى استيراد الحليب الرخيص ومن نوعية رديئة بدون أي رقابة، فضلاً عن استغلال مؤسسة تشجيع الاستثمارات "ايدال" وليس بالضرورة بعلمها، من أجل الافادة من الدعم الذي تقدمه للإنتاج الزراعي. يتوقف التقرير أيضاً عند سوق الجملة في بئر حسن التي تشكل مركزاً للعناصر السورية ويتعاطى توزيع الخضر والفاكهة التي توفر "الحياة" للعناصر الاستخباراتية.

التهريب

لم يكن لكثير من الصناعيين السوريين مصلحة في فتح الاسواق بموجب اتفاق تحرير التبادل، ومنذ زمن طويل هناك قنوات منظمة يتم عبرها نقل السلع غير المعلنة وغير المراقبة.

فعلى بوابة المصنع الحدودية، ثمة طريق جانبية أخرى تعتمدها الشاحنات اللبنانية أو السورية التي تتجنب المرور على مراكز الامن أو الجمارك اللبنانية، وقد لوحظ ان بدء اعتماد الضريبة على القيمة المضافة في لبنان وخفض الرسوم الجمركية قد أثرا على الاقتصاد السوري، لأن الضريبة على القيمة المضافة قد أرست نوعاً من المراقبة الذاتية.

ويفيد التقرير ان عمليات التهريب منظمة وثمة تعرفات محددة على المستوعبات وعلى نقل البضائع، فنقل مستوعب يكلف بين 5000 و8000 دولار أميركي أياً يكن نوع البضائع.

والامر المماثل في المرفأ وفي المطار حيث تتم عمليات التهريب من دون اخفاء البضائع بل عبر تزوير الفواتير وشهادات المنشأ التي تثبت "القيمة المضافة" السورية التي تقارب الـ 40 في المئة وفق الاتفاق.

وخوة على النفط

دامت ولاية الرئيس الهراوي 9 سنوات، وفي نهاية ولايته، تم ايداع وزير النفط شاهي برصوميان وأحد تجار المشتقات النفطية في السجن بتهمة الفساد. ويعمل نظام الخوة على النفط على النحو التالي:

ان استيراد بعض المشتقات النفطية مثل الفيول والمازوت وغاز البوتان يخضع لنظام الاجازة المسبقة.. التي لا يحصل عليها سوى اشخاص معينين، يظلون هم أنفسهم على الدوام.

سنضع جانباً هوامش الربح التي يتم تحقيقها على المازوت والفيول (بضع عشرات من ملايين الدولارات) وسنركز على غاز البوتان (الغاز المنزلي). ان السعر الدولي هو 60 دولاراً الطن المتري، في حين يدفع المستهلك 300 دولار/الطن المتري. بديهي انه ينبغي إضافة اكلاف التخزين والهامش التجاري، مع ذلك كله يظل واضحاً مع مراعات الكميات الكبيرة المستوردة، ان الهامش الاضافي (الهامش الاستثنائي) الذي يحققه "الوكلاء الوهميون" اللبنانيون لحساب الطبقة الحاكمة في سوريا يقارب 200 مليون دولار سنوياً.

من ملف "لوكوميرس دو ليفان"

"ايدال"

"ايدال" هي هيئة حكومية تعمل لتشجيع الاستثمارات وقد وضعت "ايدال" مؤخراً برنامجاً لدعم الصادرات الزراعية اللبنانية مالياً، ومنذئذ تقوم بضع عشرات من الشاحنات بنقل المنتجات الزراعية السورية، التي يتم اعتبارها منتجات لبنانية بمجرد دخولها إلى لبنان، والتي تستفيد من هذا الدعم المالي اللبناني.

وهكذا يتم استخدام الموارد الهزيلة للدولة اللبنانية لتمويل الصادرات السورية، والادعى ان الكثير من المزارعين اللبنانيين باتوا مضطرين للمرور بنظام الخوة هذا لكي يحصلوا على نصيبهم من الدعم.

مطار بيروت الدولي

كان الحريري مؤمناً بأن الامن والاستقرار، يشجع للمجيء إلى لبنان، وكان يريده جنة الله على الارض، وكلما استقر لبنان، سحب من الاسد مبرر استمرار جيشه وأمنه في لبنان.

عندما طرح الحريري مشروع مناقصة اعادة بناء مطار بيروت ليستوعب 6 ملايين راكب في السنة، أفلت السوريون السنة جماعاتهم في لبنان ضد المشروع

متهمين الحريري بأنه يهيىء لبنان لمشروع الشرق أوسطية الذي جاء به رئيس وزراء العدو الصهيوني شمعون بيريس.

ولم تمض سنوات حتى ضاق المطار بضيوف لبنان وأولاده وكانت هذه إحدى إشارات السعادة للحريري ان البلد في طريقه للاستقرار الدائم وما يعنيه ذلك من إشارات إلى قرب رحيل جيش حافظ الأسد وأمنه.

عندما أطلق الحريري مشروع الهاتف الخلوي كان الاعتقاد ان الأمر لن يتجاوز شراء 50 ألف خط، لكن لم تمض ثلاث سنوات حتى أصبح في لبنان 500 ألف خط هاتف خلوي.

كانت إحدى أكبر الكوارث التي حلت بعمل الحريري هي ارتباط صهره نزار دلول بمسألة الهاتف وقد وقف الحريري عاجزاً عن حلها.

ولم يكن ممكناً تشغيل محطتي الهاتف في لبنان دون أن يؤمن الحريري غطاء سورياً فاعلاً، فحصل أبناء مسؤولين سوريين فاعلين على نسب من أسهم الشركتين: "ليبانسيل" و"سيليس" قبل بدء تشغيل خطوط الهاتف الخلوي في لبنان.

صراعات الهراوي ولحود يحسمها حكمت الشهابي

في أول وأعنف معركة خاضها أول أمين عام لحزب الله الشيخ صبحي الطفيلي كونه قائداً لثورة الجياع في البقاع، حصل اصطدام بين جماعاته والجيش اللبناني على ضوء اقتحامه لحسينية عين بورضاي أسفر عن استشهاد ضابط في الجيش وجرح عدة عناصر فأمر رئيس الجمهورية الياس الهراوي قائد الجيش يومها العماد إميل لحود باقتحام مقر الطفيلي واعتقاله حياً أو ميتاً.

كان الهراوي يريد افتعال مشكلة للحود الطامح لرئاسة الجمهورية، كي يقطع عليه الطريق بمواجهة شعبية خاسرة في جميع المقاييس، ما دفع لحود للاتصال برئيس هيئة أركان الجيش السوري العماد أول حكمت الشهابي في دمشق، ليعرض عليه أمر الهراوي بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة في لبنان.

الشهابي طلب من لحود عدم تنفيذ أمر الهراوي لأنه سيعالج الأمر معه بنفسه، فيتصل الشهابي برئيس الجمهورية اللبنانية ويبلغه ان الطفيلي هو مواطن سوري وستهتم دمشق بأمره، وهو لا يريد اي مشكلة في البقاع.

وكان الهراوي نفسه وللهدف نفسه، أمر عام 1991 قائد الجيش إميل لحود بالتوجه إلى مخيم عين الحلوة للاجئين الفلسطينيين وحصاره، تمهيداً لاقتحامه ونزع الاسلحة منه وإنهاء أي وجود مسلح.

لحود اتصل بالشهابي ليعرض عليه أمر الرئيس فيطلب الشهابي من قائد الجيش الاكتفاء بوضع قواته في موقع المستنفر حول المخيم لضبط حركته، وعدم السماح بتفاقم الأمور، ثم يتصل القائد العسكري السوري بالهراوي ليسأله وماذا يستفيد لبنان أو تستفيد سوريا إذا دخل الجيش اللبناني إلى المخيم وجرّد المنظمات الفلسطينية من أسلحتها وسيطر عليه؟

لماذا يسلم لبنان وسوريا هذه الورقة المهمة لإسرائيل دون أن يقبض ثمنها.

ويختم أبو حازم المكالمة الهاتفية مع الهراوي حاسماً: يا أبو جورج: ما زال جنوب لبنان محتلاً وما زال الجولان محتلاً.. وأنت تريد أن تدخل المخيمات وتخلص إسرائيل من هذه الورقة الفلسطينية، هذه الورقة يا أبو جورج بيدنا ويجب أن تبقى بيدنا، وغير مسموح دخول المخيمات ولا أحد يفكر بتجريد المنظمات الفلسطينية من سلاحها.. أبداً.

(هاتان الواقعتان سمعهما المؤلف من العماد إميل لحود عندما كان قائداً للجيش في عهد الهراوي).

وكانت العلاقات بين الهراوي ولحود تسوء كلما كتب لحود تقريراً عن سلوك الهراوي.. وسرب الهراوي معلومات عن مصاريف الجيش الذي لا مونة لرئيس الجمهورية عليه.

ولعل أبرز التقارير التي كتبها لحود وطيّرت عقل الهراوي هو ذاك الذي كشف ان الهراوي كان ينتقل بغفلة عن حراسه الرسميين في سيارة عادية مسدلة الستائر على نوافذها إلى مقر السفارة الأميركية في عوكر ليلاً لمقابلة القائم بالأعمال الأميركية يومها جون شلايكر.. وصل التقرير إلى دمشق، فإذا بالعميد (اللواء) غازي كنعان يتصل من عنجر بالرئيس الهراوي ليخاطبه عبر الهاتف باللغة الانكليزية التي لا يتقنها، صباح اليوم التالي.. Good Morning Mr the president صباح الخير سيدي الرئيس في إشارة إلى ان زيارته للسفارة الأميركية مكشوفة ونحن نعرف كل تحركات الهراوي.

ومع ان الهراوي كان سرعان ما ينجح في تجاوز هذه المشكلة إلا ان كنعان كان يفتح عليه النار من كل الجهات السياسية والاعلامية عبر تسريبات تطال سمعة الهراوي المالية وصفقاته وأبرزها ما تناقلته وسائل الاعلام عن اعتقال نجله جورج في باريس بإشاعات حمله كمية من المخدرات يتم تجاوزها أيضاً بترتيبات مختلفة.

خاتمة

وفي حين كان رفيق الحريري يبدي خشية شديدة من الانفتاح على بشار الأسد حتى لا يغضب حكمت الشهابي وعبد الحليم خدام، كان وليد جنبلاط لا يتردد في اللقاء مع رفعت الأسد الذي كان بشار يرى فيه خطراً علوياً - عسكرياً - بعثياً كبيراً على سلطته.

في جنيف وعلى مائدة عشاء في أحد مطاعمها الفخمة جلس الحريري وجنبلاط، ليفاجأ الأخير برجل يؤدي التحية العسكرية للزعيم الاشتراكي مستمعاً منه إلى عبارة: وليد بيك سيادة القائد ينتظرك، ثم انصرف.

سأل الحريري زميله على المائدة: وليد من هو هذا القائد فرد جنبلاط: انه رفعت الأسد.. لم يصدق الحريري أول الأمر ثم سأله: كيف؟ ألا تخشى من الجماعة هناك؟ رد وليد.. انهم يعرفون كل شيء.. ولقد عودتهم على هذا الأمر.. ما في مشكلة ما في مشكلة.

الفصل الثامن

الوريث

- مقدمة
- العائلة
- ماهر يرث - ماهر لا يرث
- ادمان المخدرات
- بشار بعد باسل وقبل ماهر
- ماهر للقيادة.. بشار للعبادة
- مزاج ماهر
- سيرة ابن الملك
- هكذا ورث بشار
- طلاس ومعلوماته
- حكومة ظل
- بشار المريض
- مبارك يسخر من بشار
- أمير عربي يصف بشار بالانكار
- لماذا قبل كبار الضباط العلويين بشار رئيساً
- هكذا تخلص حافظ من علي حيدر من أجل بشار
- زواج بشار
- بشار وأسماء في بيروت
- الكنة والحماة وبشرى السلفة
- بشرى الثانية

- بشار يكره القرداحة
- بشار وربيع دمشق الاسود
- خدام متهم خدام يرد
- ماذا فعل الحزب يا أبو جمال
- وذروة الاسقاط من طلاس
- شهادة الرئيس علي ناصر محمد
- الشهابي: بشار سينشىء دولة علوية وخدام يرد.. بل سنلاحقه كما فعل الليبيون مع القذافي

الوريث

بعد تخرجه من كلية حمص العسكرية، كتبت مجلة "تايم" الأميركية في عددها بتاريخ 1994/12/5 ان بشار الأسد سيكون - ربما - واحداً من صانعي التاريخ في القرن 21، وجعلت المجلة الأميركية اسم بشار ضمن 100 شخصية، ربما ستقود العالم في النصف الأول من القرن الواحد والعشرين!!!

كان بشار الأسد حصل على تأشيرة دخول إلى أميركا قبل وفاة والده، وكان الأميركان هيأوا له فرصة للقاء عدد كبير من رجال الإدارة، ومؤسسات الفكر وأساتذة الجامعات.. ووسائل الاعلام.

ليس غريباً ان يدرك الأميركان باكراً ان القادم لحكم سوريا هو ابن الملك، لذا كان من الطبيعي أن يتعرفوا عليه عن كثب، وليس فقط عن طريق التقارير التي كانت تكتب عنه من مقابليه وعارفيه.

العائلة

كانت علاقة العائلة أي الوالدة (أنيسة) والولدين بشار وماهر جيدة جداً، خصوصاً عندما تبوأ بشار مركز أبيه بعد غيابه في حزيران 2000، أما الذي عقّد الأمور داخل العائلة فهو زواج بشار من سنية مقيمة في الخارج لها ثقافتها وحضارتها وأسلوب حياتها المختلف عن عادات وتقاليد السوريين ولا سيما أبناء القرى. هي أسماء الأخرس ابنة الطبيب السوري الذي يعيش وعائلته في بريطانيا فواز.

كان بشار يريد أن يقدم زوجه - وهذا طبيعي - (وهي نظراً لثقافتها ونعومتها أهل لذلك، ولكن بشرى كانت تريد فرض وجودها في القصر الرئاسي متخذة من الوالدة أنيسة متراساً لها.

كل من كان يتصل بالعائلة وكان على علاقة حميمة معها، يعرف ان العلاقة بين بشار من جهة وعائلته من جهة أخرى قد تطورت سلباً وكادت أن تودي بوحدة العائلة، وبالفعل فقد حصل قبل الثورة ضد العائلة بسنتين ان غادرت بشرى احتجاجاً على موقف أخيها منها ومنعها من دخول القصر الجمهوري وانعكاسات

ذلك على بعلها آصف مما دفعها إلى الذهاب إلى دبي في الامارات العربية المتحدة والاقامة فيها بضيافة الشيخ محمد بن راشد لفترة تربو عن الستة اشهر تدخل خلالها الاقرباء وبصورة خاصة الخال محمد أبو رامي مخلوف، فعادت بشرى وتحددت أدوار كل من بالعائلة حيال هذه العلاقة.

يقول أحد العارفين بشؤون أسرة الأسد.. لن يذكر الكاتب اسمه: "إنه لا صحة للخلاف ولا للقول بأن بشار ضعيف الشخصية، بل على العكس فهو الآمر الناهي في الأسرة وكلهم يطيعونه فهكذا أوصاهم حافظ الأسد قبل رحيله راسماً خطاً واضحاً مفاده ان الذي يتبوأ بينهم مركزاً متقدماً يتوجب على الآخرين إطاعته والعمل على إنجاحه".

ماهر يرث

ماهر لا يرث

ليس في الجيش السوري ضابط كبير لا يعرف ان ماهر يكثر من الكحول عندما يكون له لقاء مع أحدهم لينهال عليه توبيخاً وإهانات في تعمد لإظهار شراسته واستهتاره بكل القيم. وماهر هو الذي أحضر من قيادة الاركان إحداثيات الموت والقرى السورية ليأمر بقصفها سواء كانت مدارس أو مصانع أو بيوتاً أو مزارع، وهو الذي كان يأمر ويشرف على التعذيب ويأمر برمي جثث المعذبين على أبواب أهاليهم تخويناً وانتقاماً.

إدمان المخدرات

إلى شراسة ماهر المعهودة، فإن واحدة من أهم أسرار عائلة الأسد، ان هذا الولد الشرس كان مدمناً للمخدرات، التي كان يتعاطاها مع شقيقه الأصغر مجد ومع جيران السكن في حي أبو رمانة أولاد الضابط السابق توفيق جدعان، ومنهم جهاد وشقيقته منال (شقيقتهما الثالثة والكبيرة مجد التي هربت إلى أميركا وتعيش اليوم في لوس انجلوس).

ولأن لتوفيق جدعان قصة تروى، فإننا نستأذن القارىء ان يعود معنا إلى مرحلة كان فيها جدعان مسؤول الشرطة العسكرية في الجيش السوري، وكان من

مجموعة الضباط الذين قادوا جريمة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في 1961/9/28، بقيادة العقيد عبد الكريم النحلاوي الذي كان يشغل مدير مكتب المشير عبد الحكيم عامر، حين كان نائباً لرئيس الجمهورية جمال عبد الناصر متولياً مسؤولية الاقليم الشمالي في الجمهورية المتحدة (سوريا).

بعد انقلاب 8 آذار/مارس 1963 الذي قاده الضباط القوميون من ناصريين وبعثيين ومستقلين، وأنهى حكم الانفصال، اعتقل توفيق جدعان ضمن من اعتقلوا من ضباط الانفصال.. وظل سجيناً لعدة اشهر قبل ان يطلق سراحه مع آخرين، ثم ليتوجه إلى المملكة العربية السعودية ليكون مع النحلاوي وآخرين في ضيافة ملكها فيصل الذي كان تولى لتوه حكم المملكة بعد خلع شقيقه الملك سعود بن عبد العزيز.

فتحت المملكة في عهد فيصل المجالات واسعة أمام هؤلاء وغيرهم للعمل والتطور الاقتصادي، حتى نجح توفيق جدعان بدخوله حقل العقارات في مراحله الأولى ورخص أسعار الاراضي الشاسعة، في تكوين ثروة كبيرة، أتاحت له ان يشتري منزلاً كبيراً لعائلته في منطقة أبو رمانة الراقية في دمشق قريبة من سكن حافظ الأسد العائلي.

لم يطل بقاء جدعان في السعودية كثيراً، لأن السبل التي فتحت أمامه في عهد فيصل، بدأت تضيق في عهد خليفتيه الملك خالد ثم الملك فهد، فحول مبالغ ضخمة من حساباته في المملكة إلى الخارج، ثم اختار لندن للسكن طويلاً دون ان يتمكن من العودة إلى سوريا رغم انه طلب ذلك كثيراً في عهد صلاح جديد وحافظ الأسد (1966 - 1970).

المهم ان أبناء توفيق جدعان وحافظ الأسد تقاربوا كثيراً، وتعددت لقاءاتهم، ونشأت مودة من خلال اللقاءات بين ماهر ومنال، وأصبح الجميع أصدقاء.

أحب ماهر منال وذهب عام 1997 يطلبها من أهلها دون معرفة أهله، فقد جابهه والده ووالدته بالرفض المطلق، لأنه يجب أن يتزوج من فتاة من اسرة علوية كبيرة في الجبل، ولا يريدان له أن يتزوج من فتاة سنية (جدعان دمشقي من أصل إدلبي).

وكانت المأساة كاملة في العائلتين ان جهاد ابن توفيق جدعان والصبي الوحيد في العائلة توفي بجرعة زائدة من تعاطي المخدرت، بينما أصيب ابن الأسد

الأصغر مجد بحالة من الادمان واستعصى على الاطباء علاجه منها وظل يعاني منه حتى توفي بعد علاج طويل في ألمانيا.

أصيب مجد الأسد بداء الصرع، وكان أطباؤه يصفون له جرعات من أدوية مهدئة هي نوع من المخدرات الخفيفة التي كان يكثر منها حتى أدمنها.

بشار بعد باسل وقبل ماهر

نعم

حاولت أنيسة مخلوف بعد وفاة نجلها باسل، ان تورث نجلها ماهر الرئاسة بعد حافظ الأسد فهي رأت فيه شخصية هي الاقرب بين أبنائها لوالده، كانت ترى في ماهر قساوة حافظ، وشراسته، وانعدام الرحمة في قلبه، وهي في نظرها ان هذه الصفات هي التي أهّلت حافظ للإنفراد بالسلطة طويلاً، بعد التخلص ليس من خصوم البعث فقط، بل ومن قادة الحزب وضباطه ومؤسساته قتلاً وسجناً ونفياً وتخويفاً وترهيباً وترغيباً.. لشراء موافقتهم للتوريث.

وحين قرر حافظ ان ماهر يجب ان يظل داخل الجيش، لأنه يريد وصيفاً له يساعده ويساعد خليفته (وهو أحد أبنائه دائماً) في الامساك بالسلطة في أهم مفاصلها وهي المؤسسة العسكرية.. واختار بشار بعد مصرع باسل، فإنها اعترضت بشدة وقالت لبعلها ان بشار طري العود، لا يتمتع بأي كفاءة قيادية، وهو بسيط إلى حد السذاجة، بل انها قالت لوالده يومها: ابننا يا حافظ فهمو على قدو، وما في شي منك، بينما ماهر هو أنت تماماً. لكن قرار الملك الأسد صدر.. وكان لا بد من تنفيذه.

ماهر للقيادة
بشار للعيادة؟

وما زال في ذاكرة كثيرين ذلك الهتاف الذي انطلق من حناجر جنود سوريين كانوا مرابطين في بلدة القرداحة خلال وجود حافظ الأسد فيها لتقبل العزاء بمقتل بكره باسل:

بشار للعيادة.. وماهر للقيادة.

فقد راج بسرعة البرق ان الأسد الأب يهيّيء نجله الثاني في ترتيب الصبيان بشار طبيب العيون الذي لم يكمل اختصاصه في بريطانيا حيث كان يتابع دراسته بسبب استدعاء والده له ليورثه ولاية العهد خلفاً لباسل، وكان الجنود السوريون هؤلاء يرفعون صوراً لماهر وكان يومها برتبة نقيب على – زجاج سياراتهم. (وحصلت على بعضها في البلدة التي قصدتها للتعزية أيضاً برفقة الزميل العزيز مدير تحرير مجلة "الشراع" زين حمود).

كأن هؤلاء الجنود كانوا يقولون علناً ما قالته أنيسة مخلوف الأسد لبعلها حافظ حين طالبته بتسليم ولاية عهده لماهر الأصغر بعد باسل وبشار.

وكما أوردنا، فإن حافظ قال لزوجه: يا أم باسل (وهي الصفة التي كان حافظ ينادي أنيسة به) ماهر خليه بالجيش، وهو الاقدر على الامساك به لمساعدة شقيقه بشار، وإذا كان ماهر رئيساً فإنه لن يستطيع الامساك بالجيش كما فعلت أنا خلال نحو ربع قرن، بينما إذا كان بشار في الرئاسة يستطيع ماهر التفرغ للجيش والسيطرة عليه.

واستفاق الجميع إلى حقيقة صنعتها ثورة الشعب السوري ضد آل الاسد، وهي ان بشار لم يدخل العيادة مطلقاً وان فشله الاكبر كان في القيادة.. أليست هذه حقيقة ماهر أيضاً؟

مزاج ماهر

بنى أحد تجار دمشق واسمه خالد وهو صديق لماهر الأسد استراحة في قمة جبل قاسيون تبدو كلسان خارج من الجبل المطل على دمشق، كان ماهر يقصدها لعقد جلسات الأنس الخاصة به وفيها نساء وخمر وحشيش ملغوم ضمن النارجيلة التي كان انقطع عنها لسنوات.. لكنه عاد إلى ادمانها بالمخدرات بعد اغتيال رفيق الحريري..

كان مقسم الهاتف في القصر الجمهوري يرد على السائلين عن ماهر من الاصدقاء أو بعض المسؤولين بأن العقيد لديه مشروع (أي تدريبات عسكرية معينة) وفي معظم الاحيان كان ماهر مستلقياً في هذه الاستراحة، التي ظلت المعرفة بها مقتصرة على عدد قليل جداً من الاصدقاء سواء من السوريين أو بعض العرب

الذين كان ماهر يقدم لهم خدمات معينة خاصة، بملاحقة وضبط تجـار مخـدرات يتخذون من سوريا مقراً أو ممراً، ودائماً بمعرفة سلطاتها العليا التي كثيراً ما حمـت بعض هؤلاء التجار إذا ما تم ضبطهم من أجهزة مكافحـة المخـدرات الرسمـي، وتدخلت لإطلاقهم تحت حجج مختلفة أو كانت تطلب مـن أجهـزة المكافحـة تسليمهم إياها.

كان المؤلف سمع من رئيس وزراء لبناني، ان ماهر يستقيظ في الثانية عشـرة ليلاً ليبدأ عمله، حين يأوي شقيقه (الرئيس) بشار إلى الفراش، وعندما يبدأ بشـار عمله يذهب ماهر إلى النوم.

سيرة ابن الملك

في 1994/11/17 تخرج بشار الأسد كضابط قيادي برتبة نقيـب في الجـيش في سلاح المدرعات، اثر نجاحه في دورة دبابات، وحصوله على المركز الأول – طبعـاً – في دفعته، أي بعد عشرة أشهر فقط من ادخاله الكلية العسكرية في حمص، كان يمضي معظمها في القصر الجمهورية مع والده، يتلقى منه الدروس السياسية (أمضى باسل ستة أشهر في الكلية نفسها) وكان بشار يمضي أوقات فراغه بين منـزل والديـه وشـقته المفروشة في جبل قاسيون، وما تبقى له منه يقضيه في كليته العسكرية:

والعشرة أشهر هي الفترة الفاصلة بين مقتل باسل يوم 1994/1/21، وتخـرج بشار في الذكرى 24 لانقلاب والده على صلاح جديد (1970/11/16).

وبعد 42 يوماً من تخرجه نقيباً رفع بشار إلى رتبة رائد في الحرس الجمهـوري (المدة الطبيعية لترفيع أي ضابط آخر من عامة الناس هي 5 سنوات قطعها بشار في 42 يوماً).

سحب بشار معه إلى المركز الأول في الدورة ابن خاله عدنان مخلوف ليكون الثاني في الدورة نفسها!!

هكذا ورث بشار

سألنا عبد الحليم خدام، كيف تم توريث بشار فقال: كنت في بانياس، عندما مات حافظ ولم أكن أعلم بالأمر، عدت إلى منـزلي فوجدت اتصالاً من مقسـم

القصر الجمهوري يطلب مني فيه الحضور فوراً، فأدركت ان الرئيس في حالة مرض شديد.

توجهت إلى القصر الجمهوري فوجدت القيادة مجتمعة، وأخبروني ان الرئيس فارق الحياة، وتوجه لي الأمين العام المساعد للحزب عبدالله الاحمـر بـالقول ان القيادة اجتمعت في غيابك وقررت عقد اجتماع لتعـديل الدسـتور وانتخـاب د. بشار رئيساً.

في هذه اللحظة المأساوية والرجل مسجى وحوله رجاله لم أجد مـن اللياقـة مناقشة الأمر، وأنا نائب رئيس الجمهورية والدستور ينص على ان أتولى المسؤولية كرئيس لحين اتخاذ الاجراءات الدستورية، سواء في الحزب أو في مجلس الشعب أو في انتخاب الرئيس من الشعب بعد ترشيحه من المؤسستين الحزبية والتشريعية..

كنت سأرى نفسي وحيداً لو اعترضت وتحدثت عن هذه الاجراءات، ووضع البلد لم يكن يسمح، وحافظ رتب كل شيء في حياته لتولي نجله الرئاسة بعـده، وأعضاء القيادة مجتمعون مدركون ان بشار سيركب كرئيس وليس بينهم من يجرؤ على مخالفة ذلك، وهم عملوا على تنفيذ ما أراده حافظ فحكم وهو حي ثم حكم وهو ميت.

وقبل ان نتابع مع أبـي جمال سرده يحق لنا وللقارىء التساؤل: هل يعقل ان نائب حافظ الأسد، لا يعلم بوفاة رئيسه إلا بعد وصوله إلى القصر الجمهـوري؟ أليس في بانياس في منـزل نائب الرئيس مقسم ينقل له خبر الوفاة، ثم كيف تجتمع القيادة الحزبية بغياب نائب رئيس الجمهورية الذي أصبح حكماً رئيساً للجمهورية وفق الدستور بعد وفاة الرئيس؟ وكيف تعلم وزيرة خارجيـة أميركـا مـادلين أولبرايت في واشنطن بخبر وفاة رئيس سوريا قبل نائبه في بانياس؟ بل كيف يعلـم رئيس وزراء إسرائيل يهود باراك في الكيان الصهيوني بذلك قبل خدام. والطريف ان باراك حين اتصل بأولبرايت لينقل لها خبر وفاة حافظ سمع من الوزيرة الأميركية ان هناك في القصر الجمهوري في دمشق من أبلغها نبأ وفاة الأسد الأب بعد دقائق من قضاء الله.

هل هو تخلف تقني؟ هل هو تخلف في المؤسسات؟ هل هو درجة من النفـاق غير مسبوقة، أم هو الخوف غير المسبوق أيضاً؟ نسأل أبو جمال لماذا لم تسـافر إلى

بيروت وتطير بطائرة رفيق الحريري إلى أي مكان ولا توافق على تعديل الدستور؟ فرد خدام كيف سأسافر والرجل مسجى وقادة كثيرون في العالم قادمون للتعزية.. كان الأمر مستحيلاً.

ونسأل أبو جمال: هل يعقل ان ترافق حافظ الأسد لأكثر من 50 سنة، ولا تملك أن تسأله ان كان سيورث باسل أو سيورث بشار؟

فيجيب خدام: أبداً.. فهو كان يرتب الأمور مع الأمن والجيش والقيادة الحزبية، وهؤلاء كانوا جميعاً أوراقاً يتصرف بها كما يريد، ويضمن ان الجميع معه حياً وميتاً، وكتلة المصالح كانت تريد الاستمرار كما هي غارقة في مصالحها، وكان الجميع يخشى ان يأتي رجل من خارج أسرة الأسد، لأنها كانت تخشى أن تخسر النعيم الذي تعيش فيه، أو جاء بديل يأتي بجماعته ولا يعتمد على كتلة المصالح هذه.

نسأل أبو جمال: هل كان بشار شيئاً في ظل خطة الأسد لتوريث باسل فيجيب: لم يكن أحداً يراه، لكنه كان يبدي لي الكثير من الاحترام، رغم معرفته انني لم أكن مع توريثه.. فلم أزره طيلة حياة والده، وقبل تسلمه الرئاسة.

في إحدى المرات اشتكى بشار لخدام من أعضاء القيادة لديه، الذين لا يشعرون بأي مسؤولية ويرمون كل أمر على الرئيس، لا يناقشون ولا يتحدثون إلا إذا كان الكلام مناسباً لهوى بشار.. ليقول لأبي جمال: لا أحد عنده شعور بالمسؤولية في القيادة مثلك يا أبو جمال.. أنت الوحيد الذي تحترم نفسك أما الآخرون فضعفاء.

يتابع بشار: تصور يا أبو جمال ان نائب الرئيس السابق زهير مشارقة يريد تعيينه مستشاراً في القصر الجمهوري لسبب وحيد، وهي انه يريد أن يزيد راتبه.. وتقاعده!!

معلومات طلاس

وزير الدفاع الأسبق رفيق حافظ لعقود طويلة العماد أول مصطفى طلاس قال للأهرام المصرية (2000/7/15) بعد وفاة الأسد الأب وقبل تولية بشار بيومين.

كان أمامنا خياران وهما:

إما أن نسلم المسؤولية لنائب الرئيس عبد الحليم خدام، أو ان يتم تعيين طلاس نفسه. فكرنا بأن جميع أفراد الحرس القديم يقاربون السبعين عاماً، فإذا عينا أحدهم، فإن سوريا ستواجه تحدياً في رئاسة الجمهورية كل عدة سنوات وهذا ليس في صالح الاستقرار، لذا قررنا تعيين بشار وعدلنا الدستور لأجله خلال دقائق.

الاقتراع أم الرصاص

ورد في كتاب كارستين ويلاند في كتابه "الاقتراع أم الرصاص": ان طلاس ضغط على خدام كي يلزمه بالتوقيع على المستندات اللازمة، لتسهيل تسليم بشار السلطة بعد رحيل والده.

حكومة ظل

كان لبشار ما يشبه المكتب السري، وحكومة ظل اختار معظم أعضائها من ضباط الأمن والجيش، وهؤلاء كان يعينهم قبل تسلم السلطة، وهذا ما يفسر الانتقال السلس للسلطة بعد رحيل والده.. فقد كانت المؤسسة الأمنية والعسكرية في سوريا مضمونة الولاء للابن مثلما كانت للأب.. لأن بشار وبتكليف وترتيب من والده مهد له الطريق داخل قلعة النظام (جيش + أجهزة أمن + رجال أعمال خاصة في حلب ودمشق..).

يتحدث أحد الضباط السوريين القدامى ان أول درس تلقاه بشار من والده، ألا يقدم على أي أمر استراتيجي يخص سوريا (سلماً أو حرباً، معاهدات أو صراعات) إلا بعد ان يستشير القاعدة الصلبة التي كانت لوالده في الجيش والامن ومن أبرز ضباطها: علي دوبا، محمد الخولي، محمد ناصيف، شفيق فياض، ابراهيم صافي، توفيق جلول، علي اصلان، عدنان بدر حسن، علي المملوك، ابراهيم حويجي، الذي كان خلف الخولي في الاستخبارات الجوية، نادر مهنا الذي خلف اللواء علي حيدر في قيادة الوحدات الخاصة.

كانت الحكومة تعين من قبل بشار، وكبار الموظفين كانت تأتي تقارير بالموافقة أو برفض تعيينهم من قبل أجهزة الأمن التي تخضع السوريين كلهم لتوجهاتها.. ثم تحصي عليهم أنفاسهم وتكتب عنهم التقارير.

كان لبشار مكتب في كل مكان داخل المحافظات.. كان رجال الأمن الكبار يسرّون لبعض المقربين منهم من سياسيين ورجال أعمال ان فلاناً وفلاناً في هذه المحافظة وكان بينهم رجال أعمال وتجار ومثقفون وفنانون، هم من جماعة الدكتور. كان بشار يحضر ما يسمى بندوة الثلاثاء الاقتصادية يشارك فيها أساتذة اقتصاد وخبراء ورجال أعمال. ومن هؤلاء اختار بشار وزراءه ومستشاريه، وكذلك اختار من الجمعية المعلوماتية التي شكلها وكان يرأسها وزراء ومستشارين ورؤساء شركات.

كل هذا كان تمهيداً لتشكيل مجموعاته الحاكمة في كل مكان.. وحتى في الجيش وعندما كان يجري دورة عسكرية أقام علاقات تحت إشراف والده مع رفاق معينين منهم مناف مصطفى طلاس الذي عينه فيما بعد في القيادة القطرية لحزب البعث، كذلك عبدالله غليون من حمص (تم عزل مناف خلال الثورة لأنه اصبح غير موثوق به، خاصة بعد ان تبين دعم شقيقه فراس رجل الاعمال للثورة من خارج البلاد إلى ان أعلن انشقاقه في شهر تموز/يوليو 2012).

اذن

من رفاقه في المدرسة والجامعة، من دورته العسكرية من الجمعية المعلوماتية، من ندوة الثلاثاء، من أعضاء مكتبه الخاص في كل محافظة، من حكومة الظل التي شكلها، ثم من الفنانين الذين كان يلتقيهم ويعتبرونه صديقاً قبل ان يتحول إلى وحش كاسر.. وان كان ظل على الولاء له فنانون آخرون يعتبرهم كثيرون من السوريين خونة لقضيتهم، شركاء بشار في الاجرام.

من كل هؤلاء شكل بشار هيئة حكمه أو عيونه في كل المحافل والادارات والمؤسسات.

أكثر بشار من زيارته للمسارح وأقام علاقات مع فنانين اعتبروه صديقهم (كعلي فرزات ومي سكاف قبل الانحياز إلى الشعب السوري) ودريد لحام وسلاف فواخرجي ورغدة، وعباس النوري، الذين يعتبرهم الشعب السوري اعداءه بعد ان انحازوا إلى الوحش الكاسر وصار يعتبرهم شركاء في جرائمه.

وأكثر بشار من لقاءاته مع رجال الدين المسلمين والمسيحيين وأغدق عليهم الهدايا والاعطيات كي يستميلهم، وكان يطلب منهم تقديم طلباتهم ومطالبهم له شخصياً، وكان يحققها لهم دون المرور على أي مؤسسة أو إدارة.. سواء كانت مع القانون أو ضده، ضمن اللوائح أو خارجها.

كان بشار يدخل المطاعم دون حراسة ظاهرة، يحيي الزبائن ويعتذر عن ازعاجهم بسبب الاهتمام به..

كل هذه كانت مقدمات جدية قدمته بشكل إيجابي إلى السوريين الذين لم يكن معظمهم يعرف رئيساً غير والده حافظ، وكان والده أبعد ما يكون عن الناس، لا يرى إلا من يريد أن يراه، يخطب كل سنة مرة أو مرتين أمام مجلس الشعب، لا يرأس مجلس الوزراء إلا نادراً، لا يرأس الجبهة الوطنية التقدمية إلا حين يريد توجيه رسالة، لا يجرؤ على تنظيم موكب للتوجه إلى أي احتفال.

كان تحضير بشار يجري بكل الاتجاهات وعندما تسلم السلطة كانت الأمور طبيعية فكل شيء معد بإتقان.. فهل كان هو أهلاً لذلك؟

شخصية بشار

قبل الدخول في الاجابة نقرأ في شخصية بشار هذه الصفات:

وصفه عبد الحليم خدام بأنه ولد أجدب وقال هذا الكلام لرفيق الحريري مانعاً إياه من لقائه.

دفع علي حيدر ثمناً غالياً حين وصفه بأنه ولد قال عنه حكمت الشهابي انه ولد مغرور سيهدم كل ما بناه والده.

وصفه الرئيس الفرنسي جاك شيراك أمام الرئيس رفيق الحريري بأنه ولد مجلوق، مفسود، دلوع garcon gate.

إحدى الصفات الأساسية لبشار انه متردد، أحاط نفسه بجوقة من المنافقين الذين يطرب لمديحهم، ومعظمهم من زملائه في الدراسة الثانوية والجامعية، يعرفهم ويعرفونه جيداً.

دخل بشار عالم السياسة بالصدفة، بعد ان ذهب إلى بريطانيا للتدريب الطبي في تخصص العيون، وعاد بلا تدريب ونسي عيونه السياسية خارجاً.

بشار المريض

استطلع الكاتب عدداً من الذين عرفوا بشار الأسد عن قرب سواء عندما كان طالباً في الجامعة، أو سائحاً في أوروبا أو مبتدئاً في السياسة.. قبل ان يبدأ والده تأهيله ليرثه مضطراً بعد مقتل شقيقه الاكبر باسل.

خلاصة التقييم الشخصي لبشار انه رجل غير متزن وانه مريض نفسياً، عولج لفترة في باريس وفي أميركا لمساعدته على النطق الذي كثيراً ما كان يتأتىء به، خاصة عندما يكون محرجاً أو هو في نزاع مع الصدق.. يكذب فيتأتىء، أجريت له عملية جراحية في رأسه لتصحيح نطقه، وأخضع لعلاج فيزيائي physical therapie، وكان يرافقه في كل زياراته العلاجية للخارج طبيب سوري وأطباء أجانب.

يؤكد عارفوه الذين نحجم عن ذكر أي اسم منهم بسبب حساسية أوضاعهم الأمنية سواء من كان منهم في سوريا أو خارجها، ان حالة بشار كانت في جانب منها شبيهة بحالة شقيقه الأصغر مجد الذي توفي بسبب مرضه العصبي والنفسي، لكن حالة مجد كانت متقدمة كثيراً عن حالة بشار.

لكن هذا لا يمنع ان بشار الذي يظهر هادئاً بعض الاحيان ينفجر غضباً عندما يستفز، وهو الذي قاد حملات القتل في سوريا ضد المدنيين، وتعليماته واضحة لقادة الأمن والجيش الذين يتصل بهم مباشرة في كل منطقة وهي: اقمعوا أي تظاهرة حتى لو اضطررتم إلى هدم المدينة التي تجري فيها.. على أهلها.

عن دخول بشار الجيش

رأي مبارك

وصف الرئيس حسني مبارك كيفية توريث حافظ الأسد ابنه بشار السلطة بقوله:

حافظ ده ابن جنيّة، دخّل الولد الجيش وهو ما بيعرفش يضرب رصاصة واحدة، وعمره ما نشن من بندقية، ولا كان له في أي حاجة.. لكنه ضحك على الشعب وعلى الجيش.

كان رأي مبارك ان باسل كان عنده كاريزما وكان ذكياً جداً.. أما بشار ده فعبيط.. وبيستعبط..

بعد سقوط مبارك وخلال اشتعال ثورة الشعب السوري ضد بشار راجت نكتة عند المصريين تقول:

"ان بشار طبيب عيون فاشل، لأن العالم كله يرى المجازر التي يرتكبها جيشه ضد الشعب السوري.. إلا عيناه".

روى آخر رئيس تحرير لجريدة "الجمهورية" في عهد الرئيس حسني مبارك محمد علي ابراهيم مجموعة وقائع تحدث فيها مبارك مع الصحافيين المصريين المرافقين في جولات الرئيس الخارجية، وكلها في مجلسه في الطائرة الرئاسية.

اتصل بشار الأسد بالرئيس مبارك هاتفياً ليطلب منه استقبال نائبه فاروق الشرع، فإذا بالشرع ينقل رجاء من بشار إلى مبارك ان يتصل بصديقه الرئيس الفرنسي جاك شيراك، ليوسطه في التدخل لمنع إيراد أي اتهام لصهره آصف شوكت في جريمة قتل الرئيس رفيق الحريري.

شرح مبارك للصحافيين المصريين ان بشار ارتعد من إيراد المحقق الدولي ديتليف ميليس اسم شقيقه ماهر وصهرهما آصف كمتهمين في جريمة قتل الحريري، وان بشار اتصل بولي العهد السعودي يومها الأمير (الملك) عبدالله بن عبد العزيز لرفع اسم ماهر وآصف من التقرير الأول الذي قدمه ميليس في ديسمبر/ك1 2005، وان الأمير عبدالله أرسل وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل إلى نيويورك للعمل في الأمم المتحدة على شطب الاسمين السوريين المتهمين.

يتابع مبارك ان بشار أراد التأكد من شطب الاسمين نهائياً، لذا أرسل له نائبه الشرع لهذه الغاية.

يقول مبارك انه أجرى اللازم مع شيراك ثم اتصل ببشار هاتفياً ليقول له بالحرف: "اللي انت سألتني عنه.. ما تخافش عليه" وهذا يعني ان مبارك بعد ان اطمأن من شيراك بعدم إيراد اسمي ماهر وآصف طمأن بشار إلى هذه النتيجة.

ويروي مبارك ضاحكاً طرفة الغداء مع فاروق الشرع الذي جلس حول طاولة الأكل لا يتناول أي صنف من أصناف الطعام مكتفياً في كل مرة يدعونه فيه لتناول الطعام بشرب كوب من الماء.. فلفت الأمر نظر مبارك الذي قال للشرع..

كل يا فاروق احنا ما بنسمش حد ثم شجع فاروق على الأكل بأن تناول بملعقته بعضاً من الطعام في صحن الشرع..

ويستنتج مبارك ان بشار رئيس يحكمه الشرع، بينما يقول رئيس جهاز الاستخبارات المصرية السابق عمر سليمان انه في كل لقاءاته مع ملوك ورؤساء العرب والعالم كان يرى إلى جانب الحاكم الذي يقابله رجلاً أو اثنين.. أما بشار فكان حضور لقاءاته دائماً يتجاوز العشرة أحياناً، مستدلاً على ذلك بأن بشار كثير الثرثرة، كان يشكو من تعثر في النطق وهو صغير ويافع، فلما عولج راح يسترسل في الكلام، وينظّر في البديهيات، بما كان يجعله سخرية في القمم العربية والاسلامية، فضلاً عن الانزعاج الذي كان يبديه الكثيرون من محاولته تصنع دور الاستاذ في المحاضرات المملة التي كان يلقيها بأسلوب استعراضي.

كان حضور لقاءات بشار مع الرؤساء الملوك ومبعوثيهم ضرورياً لضبطه أحياناً – دون افتعال – عن الاسترسال ولمنعه من اعطاء وعود يعرفون انه لا يقصد تنفيذها، بل هي إظهار لقدرته على الاستعراض ولقوته وإمساكه بالقرار.. بعد ان وصله من جهات عديدة الاشفاق عليه بأنه لا يحكم وانه مجرد واجهة.

يقول الرئيس مبارك كان حافظ الأسد يختلف بنسبة 100% عن بشار، ففي العلاقات مع إيران تمكن حافظ من المحافظة على ندية معها وعلى علاقات جيدة مع العرب، أما بشار فإنه سريعاً ما خسر العرب.. وأصبح تابعاً لإيران.

وعندما شن بشار هجوماً على الملوك والرؤساء العرب مشبهاً بعضهم بأنهم أشباه رجال، (في خطاب سرقة حرب 2006 الاسرائيلية على لبنان) طلب صحافيون مصريون من الرئيس مبارك الرد عليه فكان جوابه "دا عيّل ما يتردش عليه.." لكنه قال للصحافيين خلي محمد وعبدالله يردوا عليه (يقصد رئيسي تحرير جريدة "الجمهورية" ومجلة "روز اليوسف" محمد علي ابراهيم وعبدالله كمال).

وفي قمة الكويت الاقتصادية عام 2009 عندما دعا الملك عبدالله بن عبد العزيز إلى المصالحة، لتجاوز الماضي وفتح صفحة جديدة مع بشار، قال مبارك للملك السعودي جلالة الملك، أرجو ان تكون المصالحة مصافحة وصورة فقط من غير أي كلام، علشان لو تكلمت فده حيسبب لك احراج كبير، وانا بحبك ومش عايز احرجك خصوصاً أدام الولد ده ويقصد بشار، انت قائد حكيم

للعرب، والشيخ صباح الاحمد هو صاحب الدعوة للقمة الاقتصادية.. فخليها صورة وبس. وقد عقدت جلسة مصافحة اعلامية حضرها إلى الملك السعودي والأمير الكويتي والرئيس المصري، بشار الأسد عن سوريا وحمد بن خليفة عن قطر.

وبعد إفشال بشار للمصالحة التي دعا إليها الملك عبدالله رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل، رغم قسم الأخير على الكعبة بإتمام المصالحة.. حمّل الملك عبدالله بشار مسؤولية عدم إتمام المصالحة، فلما التقى عبدالله مبارك قال له: "يا سيادة الرئيس كنت على حق، لم أعد أجد أي مبرر للثقة بهذا الولد".

كان مبارك يصف كل حاكم أو مسؤول في سوريا بأنه علوي وعندما سأله محمد علي ابراهيم ولماذا يا ريس تصفهم انهم علويون.. وهم ليسوا كلهم كذلك، رد عليه.. اسأل سليمان (عواد) وهو يقول لك.

شرح المتحدث بإسم الرئاسة المصرية سليمان عواد لرئيس تحرير "الجمهورية" ان الريّس لا يريد أن يقول عن أحد انه شيعي أو إيراني فيكتفي بالقول انه علوي.

رأي أمير عربي صديق لبشار

قبل عدة أيام من تظاهرات يوم السبت في 2012/2/18 في مدخل دمشق الجنوبي عند جادة المزّة الشهيرة التي شهدت خروج عشرات آلاف المواطنين السوريين.. (ثلثهم من النساء) وتحت الثلوج والامطار الغزيرة، تهتف بالحرية للشعب السوري اتصل أحد الامراء العرب الذي حافظ على صداقة طويلة مع بشار الأسد بالحاكم السوري ليسأله عن الوضع في بلاده، فرد بشار بأن كل شيء هادىء في سوريا، عدا تحرك عصابات مدعومة من الخارج في مناطق بعيدة.

قال بشار بالحرف للأمير العربي: لولا البرد الشديد لدعوتك للمجيء لنجلس على إحدى شرفات القصر لتطل على دمشق من قاسيون كما كنا نفعل سابقاً لترى الشوارع المكتظة بالسيارات والحياة العادية جداً.

قال الأمير العربي للمؤلف ان بشار كان يعيش حالة انكار حقيقية، مربوطة بحالة وهم أشبه بالفوبيا من وجود مؤامرة خارجية تستهدفه للتخلص منه ومن أسرته ومن طائفته.

يقول رئيس جهاز استخبارات الجيش اللبناني السابق السفير العقيد جوني عبده للكاتب:

بشار لديه عقد كبيرة، والاستخبارات السورية تنظم له التظاهرات في الشوارع السورية علاجاً له كلما هبطت معنوياته وكلما كان عليه أن يخرج للناس ليخطب، وهو يخاف ذلك فينظمون له تظاهرة وكل التظاهرات كانت خلال الثورة دون الخطابات عدا واحدة يتيمة.

وكان بشار يستمتع مع شلة الانس حوله بتلقي النكات منهم، ويطلب المزيد حتى تلك التي تتحدث عن والده، ويروي أحد كبار السياسيين اللبنانيين للكاتب ان حافظ الأسد روى له نكتة نقلها له ابنه بشار من أصدقائه صيف 1993، تقول النكتة:

ان رب العالمين أرسل عزرائيل لقبض روح حافظ الأسد، لكن الاستخبارات السورية اعتقلته وسألته عن سبب وجوده حول قصر الرئاسة فقال انه جاء لقبض نفس الأسد، فتم تعذيبه ثم إطلاقه تقديراً لمكانة مرسله أي الله، فجاء إلى جل جلاله ليروي له ما حدث فقال له الله (رب غفرانك) أوعى تكون قلت لهم من الذي بعثك؟

ضحك حافظ الأسد كثيراً على هذه النكتة، قائلاً للسياسي اللبناني الكبير: "بشار بيحب يسمع النكات، والظاهر هذه أقرب طريقة لقلبو".

لماذا قبل كبار الضباط العلويين بشار رئيساً؟

انقسم الضباط العلويون الكبار حول صعود رفعت الأسد السياسي استناداً إلى سرايا الدفاع التي كان يقودها (55 ألف ضابط وجندي) والنخبة الموازية لحزب البعث (جمعية خريجي الدراسات العليا) وكونه شقيق الرئيس المقرب.. وهذه كلها عناصر قوة لم تكن متوافرة لأي واحد منهم.

وإلى جانب الانقسام فإن بعضهم بدل مواقفه من رفعت بين مؤيد كان من أنصاره ثم انقلب عليه وتضامن مع الآخرين ضده.. إلى علي صالح وعلي

اصلان اللذين أيداه شكلاً وكانا ينتظران قرار حافظ الأسد لتحديد موقفيهما النهائيين.

أما مع بشار الأسد فقد اجمع الضباط الكبار على تأييده لقناعة منهم بأنه سيكون ألعوبة بين العلويين، فلم يكن بينهم من يقارن بينه وبين والده القائد الحاكم، وهم يجدون في بشار أداة يمكن تحريكها كما يشاؤون، ورأى كبار الضباط في بشار فرصة لتحقيق أمر آخر فهم سيضمنون بوجود ابن الأسد ان يظل العلويون متحدين.

وهذا الأمر – وحدة العلويين – هو كلمة السر في احتضان العسكريين الكبار لبشار، فقد كان تخيل خلافهم مع بعضهم ولو مجرد تصور، يقض مضاجعهم من انقلاب الحال ليفتح الطريق أمام غير العلويين لتسلم السلطة مكانهم، فقد تملكهم الرعب من تسلم الاكثرية السنية في سوريا السلطة، لأن حافظ الأسد بضباطه هؤلاء ارتكب من المجازر والخطايا وعمليات النهب والظلم وزج الآلاف في المعتقلات، وبالتالي فإن انقلاب الحال سيفتح الطريق أمام حساب عسير يتوقعه هؤلاء الضباط.. لأنهم يدركون أكثر من غيرهم ما ارتكبت أيديهم من جرائم.

كان الضباط العلويون مطمئنين إلى ان المسيحيين سيقفون إلى جانبهم، وربما أيضاً الدروز.. لكن الاسماعيليين الذين عاشوا عبر عصور طويلة تنافساً حاداً مع العلويين، وهم أي الاسماعيليون يعتبرون ان العلويين سرقوا السلطة منهم، ربما سيقفون مع أي جهة تخلع العلويين من السلطة.

أبقى حافظ الأسد رجاله حوله لعدة عقود رغم انتهاء صلاحيتهم العسكرية حكماً.. لقد تحولوا إلى رجال سلطة ومكاتب وقراءة تقارير، وجمع انصار حولهم، وبناء قصور وإنشاء مزارع، وحولهم مجموعات من رجال الأمن الذين كانوا يبالغون في إظهار الولاء وتشديد القبضة على الناس وإحصاء أنفاسهم لمنع إزعاج أسيادهم بمقال أو اجتماع أو نقد أو منشور سري، دون طموح تظاهرة طلابية أو عمالية.

كان حافظ الأسد يخشى صعود ضباط آخرين لم يعرفهم إلا في الصور أو في التقارير عنهم وكان رغم المناعة التي تتمتع بها الجيش والاجهزة الأمنية بغلبة كاسحة للعلويين، يخشى ان يأتي بعد رجاله كبار السن أصحاب الكروش ضباط صغار

أرشق حركة وأكثر طموحاً لا يدينون بولاء شخصي له، بل للطائفة، أو لمراجع أخرى أقرب منهم يستطيعون ان يروها ويقابلوها، وربما تفتح لهم الطريق إلى الأمام في مواجهة رجال الأسد كبار السن والرتب والمغانم الذين يسدون الطريق على طموح الشباب.

معظم الضباط العلويين البارزين الذين كانوا مع حافظ الأسد ظلوا في مراكزهم الرئيسية في القوات المسلحة والأمن والاستخبارات طيلة ربع قرن وبعضهم طيلة 30 سنة واستمر بعده إلى ان أحال معظمهم إلى التقاعد.

لم يكن حافظ يطلب منهم أكثر من الولاء المطلق له، وعندما توافر له هذا منهم، فإنه لم يشعر انه بحاجة أن يغير أحداً منهم، إلا ما ندر (في حالة ناجي جميل، وعلي حيدر، وشقيقه رفعت..).

ونموذج مصطفى طلاس وزيراً للدفاع طيلة أكثر من 30 سنة صارخ وغريب في بلد ما زال في حالة عداء وحروب مع كيان صهيوني يحتل أرضه وقد مرّ على وزارة الدفاع في هذا الكيان عشرات الوزراء يحفظ العرب أسماء الكثيرين منهم (موشي ديان، شمعون بيريس، اسحق رابين، اريل شارون، يهود باراك، عازر وايزمن، موشي ارينز، اسحق موردخاي رافائيل ايتان، شاوول موفاز، دايفيد اليعازر، امنون شاحاك..).

وهذه إشارة مباشرة إلى ان التفوق الاستراتيجي الأساسي لهذا الكيان الصهيوني الذي ظلت تسميته معتمدة لعشرات السنين بأنه دولة العصابات الصهيونية، كان أساسه اعتماد الكفاءة المتوافرة لدى أفراده وجماعاته ولإدارة مؤسساته، ولم يكن في أي مرحلة من المراحل حاجة، للبحث عن الولاء كما كان يبحث حافظ الأسد، وكثيراً ما كان يستدعي رجاله من التقاعد لتسلم مواقع جديدة، لأنه كان أيضاً قليل الثقة بالضباط الصغار الذين يقلون عنهم رتباً.

لذا

ظل رجال الأسد المعروفون في الجيش ولدى الناس والاعلام هم أنفسهم:

من السنّة: حكمت الشهابي (رئيس الاركان، مصطفى طلاس (وزير دفاع)، مصطفى طيارة (قائد القوى البحرية)، حسن التركماني (نائب رئيس اركان ثم رئيس أركان في عهد بشار)، من المسيحيين يوسف شكور (رئيس أركان

ثم سفيراً في باريس صبحي حداد قائداً للقوات الجوية قبل إحالته للتقاعد)، وفي عهد بشار عين ابنته لمى خلفاً للضابط حاتم..

من العلويين: علي دوبا (رئيس الاستخبارات العسكرية)، اللواء ابراهيم صافي (عين فيما بعد قائداً للفرقة الثالثة ثم القوات المسلحة المسيطرة على لبنان).

اللواء شفيق فياض قائد الفرقة الأولى في الجيش، اللواء عدنان بدر حسن قائد الفرقة التاسعة قبل نقله إلى إدارة الأمن السياسي وتسلم بعده غازي كنعان في عهد بشار الأسد.

نائب رئيس هيئة الاركان الجوي علي الصالح، ثم محمد الخولي عام 1994 الذي تسلم الاستخبارات الجوية أقوى أجهزة الأمن وأكثرها ثقة لدى حافظ وبشار، اللواء علي حيدر قائد القوات الخاصة (عزل عام 1994).

اللواء فؤاد عبسي رئيس الاستخبارات العامة (توفي).

اللواء علي ملاحفجي (أحيل للتقاعد عام 1994 وهو قائد قوات الدفاع الجوي والقوى الجوية).

قائد الجيش الشعبي اللواء محمد ابراهيم العلي.

فضلاً عن اللواء محمد ناصيف الذي ظل مع الأسد طيلة 40 سنة ثم ورثه بشار حتى تاريخه 2012 (رئيساً للاستخبارات المدنية ثم مسؤول أمن دمشق).

اللواء عدنان مخلوف (قريب زوج الأسد، قائداً للحرس الجمهوري)، مدير إدارة شؤون الضباط اللواء حكمت ابراهيم.

هكذا تخلص من علي حيدر

كان اللواء علي حيدر أحد أبطال حرب تشرين، وهو قائد القوات الخاصة التي أبلت بلاء حسناً في معركة تحرير جبل الشيخ في اليوم الأول من الحرب في 1973/10/6.

وعلي حيدر من الضباط الكبار الموالين له، وقد ترك ابن عشيرته صلاح جديد في الصراع معه عام 1970 وانحاز إلى حافظ الأسد.

لكن علي حيدر الرجل الشجاع لم يسكت عن مسعى حافظ لتوريث نجله بشار بعد مقتل باسل، ففي آب/أغسطس 1994 وبعد سبعة أشهر من مقتل باسل،

وأثناء تفقده إحدى قطعات القوات الخاصة، وبعد تناول طعام الغداء مع ضباطه ومع احتسائه كأس الشاي سأله أحد الضباط عما يتردد عن توريث الرئيس لبشار فقال حيدر بتهكم: الرئيس حافظ عم يغلط. يعني لما يجيب ابنه رئيس بعده فهو يرتكب خطيئة كبيرة، لماذا يريد تركيب هذا الولد.. وفي الحزب أشخاص كبار وقفوا معه وساندوه مثل أبو جمال (عبد الحليم خدام).

طبعاً وصل الأمر إلى حافظ، فطلب من قائد الاستخبارات العسكرية اللواء علي دوبا اعتقال زميله علي حيدر، فتم ذلك وأدخل علي حيدر السجن لمدة ستة أشهر، ولم يستطع أو لم يحاول أحد التحرك أو مجرد الدفاع عن اللواء المعتقل قائد القوات الخاصة الرجل القوي والشجاع ابن العشيرة الكبيرة.. طبعاً كان هناك من انزعج أو قلق لكن مشاعره ظلت داخله لم يجرؤ على تناول الموضوع علناً.

بعد ستة أشهر أخرج الأسد اللواء حيدر من السجن واستدعاه إلى القصر الجمهوري ليتناول الطعام معه، ثم قال له: يا ابو ياسر.. أنا عارف انك مريض، وأنا أرى انك تروح أميركا تتعالج.. الطب عندهم متقدم كثير..

أمر حافظ الأسد بسفر اللواء علي حيدر إلى أميركا للعلاج، وأمر بصرف مبلغ كبير له لينفقه على علاجه والاقامة واصطحاب من يشاء في رحلته.

وهكذا طويت صفحة واحد من أشجع رجال حافظ الأسد لأنه سخر من تعيين بشار.

وكم كان علي حيدر صادقاً حين قال مرة لصديق لبناني زاره في قريته وهو يتجول في مزرعته: شوف يا أبو فلان.. كل هذا الذي تراه أمامك يمكن أن ينتهي بهاتف واحد من السيد الرئيس، يقول لفلان اجلس في بيتك فيجلس، يقول له اذهب وتسلم القطعة العسكرية هنا، أو الارض هناك، أو المزرعة أو القصر، يذهب وينفذ ما يريده الرئيس.. المهم ان يقول كلمته، والجميع يضرب له تعظيم سلام وينفذ.

عندما انتقد اللواء علي حيدر سياسة حافظ الأسد في الصلح مع إسرائيل عام 1994، لم يحرك الأسد ساكناً رغم ان كلام حيدر كان أمام عشرات الضباط العلويين، حين قال للعماد حكمت الشهابي، الذي كان أجرى مفاوضات في أميركا مع رئيس أركان الجيش الصهيوني أمنون شاحاك، وتحدث مع كبار الضباط

عن إمكانية وضع سيناريو للأمن الاقليمي، فرد حيدر: نحن يجب أن يكون لنا رأي في عملية السلام نفسها، وليس بعد ان تتم الاتفاقيات مع العدو الصهيوني.

سكت الأسد على موقف علي حيدر السياسي الاستراتيجي لكن حيدر عندما انتقد سلوك الرئيس بتعيين نجله بشار خليفة له، تعرض للاعتقال والسجن والخروج من الجيش نهائياً.

وواقع الأمر ان أحداً لم يفكر بأي عمل ضد حافظ، فمن يكون مستفيداً إلى هذا القدر من وجوده مع حافظ الاسد الذي سمح لكل ضابط من الجيش أو من أجهزة الأمن أن يفعل ما يريد، أن يسرق وأن يشتري المزارع وأن يبني القصور وأن يقتني السيارات وأن ينعم برغد العيش، وأن يقتل وأن يسجن، لن ينظر إليه الأسد بأي عين إلا الرضا خاصة إذا كان بعيداً عن أي تفكير في الاقتراب من السلطة أو أخذها.

كان حافظ الأسد يسمح لضباطه أن يفعلوا ما يشاؤون والويل كل الويل لمن يضبطه يفكر مجرد التفكير في القفز على السلطة.. غير ان هذا لم يحدث.

وإذا تجرأ أحدهم ليسأل حافظ عما يتردد من سعيه لتوريث نجله.. كان يجيب هناك حزب وهناك دستور، وهو عملياً يهيىء باسل ليرثه.

كان يجلس معه بالساعات يحدثه في أمور السياسة والاستراتيجيات ويسلمه مفاتيح كل رجاله من مدنيين وعسكريين، حزبيين وسياسيين ويعطيه الاذن للتدخل في شؤون الدولة ليصل إلى تشكيل الحكومة. كان رئيس الوزراء محمود الزعبي (الذي انتحر بعد ذلك) يزور باسل في مكتبه فقد كان أبو مفلح مقتنعاً ان باسل هو الرئيس القادم، وربما لهذا السبب تمسك به الأسد لأكثر من 10 سنوات رئيساً.. (سأل المؤلف مرة أمين سر حزب البعث في لبنان عاصم قانصوه: ما سر تمسك الأسد بالزعبي رئيساً بالرغم مما يقال بأنه موظف سني، فرد أبو جاسم بهضامته المشهورة (الرئيس الأسد بحث عمن هو أسوأ من الزعبي.. فلم يجد لذا تركه).

كان لدى باسل حق التدخل في التشكيلات العسكرية التي ترسل إلى والده من لجنة عينها الأسد بنفسه، فكان باسل ينقل هذا ويبعد ذاك، يرقي هذا ويجمد ذاك.

انتشر في كل أوساط الحزب والجيش وأجهزة الأمن وبعدها في الشارع السوري، ان حافظ سيورث ابنه، فتراكض الانتهازيون في كل موقع وجهة ومسؤولية نحو باسل، حتى بات يعرف الجميع.. كانوا يرون ان رئيس الوزراء يأتيه لتلقي التعليمات منه، وكثيراً ما كان الزعبي يذهب إلى باسل ليوسطه في الطلب من والده أمراً مالياً أو خدماتياً أو سياسياً أو اقتصادياً.. وكان باسل يناقش أبو فلاح فإذا اقتنع هو يصبح الأمر قابلاً للتنفيذ حيث كان تأثير باسل على والده فعالاً كالسحر.

كان الضابط د. بهجت سليمان من أنصار رفعت الأسد، فلما برز باسل ترك بهجت الأسد الشقيق وتوجه إلى الأسد الابن، فلما مات باسل ورثه شقيقه بشار، حتى إذا تسلم بشار كانت أول حكومة في عهده برئاسة محمد مصطفى ميرو وهي من تشكيل بهجت سليمان.

وبالمناسبة كان اختيار ميرو محط سخرية أبناء حلب حين كان محافظها، وزار بشار المدينة التاريخية، فاستقبله الحلبيون بهتاف طريف هو "يا أبو حافظ خلصنا من هالمحافظ.." فاستجاب بشار لنداء الجماهير وعين المحافظ رئيساً للوزراء ليخلص الناس منه!! رغم انه كان طرد من القيادة القطرية.. وكله بتأثير بهجت.

قيل ان وفداً بريطانياً زار حلب واهتم به محافظها ميرو كثيراً فنقل أعضاء الوفد إعجابهم بالمحافظ إلى بشار فجاء به رئيساً للوزراء.

الزواج

حمص مدينة الثورة.. كان مشهوداً لها قبل ذلك انها مدينة النكتة، وحين تزوج بشار من فتاة حمصية من آل الاخرس، قيل ان الحماصنة سارعوا إلى قص ألسنتهم.

وخلال الثورة عمدت هذه الفتاة الحمصية نفسها التي أصبحت السيدة الأولى إلى تبادل النكات عن أهل مدينتها فقالت: وفق ما نقلته جريدة "الغارديان" البريطانية عن وثائق الموقع الالكتروني لبشار وعقيلته، انها كثيراً ما حرصت على الاستماع للنكات عن أهل حمص لترويها لبعلها الذي كان يقهقه بطريقة هستيرية لدى سماع نكات زوجه.

الزواج

توجه بشار إلى لندن للدراسة، عام 1992 وكانت هناك أوامر للسفارة السورية في بريطانيا ان تهتم بشؤون ابن الرئيس من جميع النواحي الجامعية والادارية وتحركاته وعلاقاته وسهراته واجتماعياته.

كانت سحر العطري زوج الطبيب فواز الاخرس تعمل كمستشارة في سفارة سوريا في لندن، وتم توكيلها بمتابعة أمور ابن الرئيس الذي جاء يعد رسالة دكتوراه في طب العيون في إحدى جامعات لندن.

كانت عائلة الاخرس (الأب والأم والبنت أسماء) أدمنت الحياة البريطانية وثقافتها وسلوكياتها وعاداتها وتقاليدها، ودخلت أسماء أرقى مدارس لندن الثانوية وكانت تحمل فيها اسم ايمي، ولولا انها كانت تصرح بهويتها السورية – العربية – الاسلامية لما كان أحد من زملائها (فتيات وشباب) عرف انها ليست انكليزية.

وضعت سحر العطري ابنتها في طريق بشار الذي كان يدين لسحر وابنتها أسماء بالتعرف على طرق وأساليب حياة لم يكن ليعيشها في وطنه، وبدا ان أسماء الذكية سيطرت على الشاب ابن الرئيس الذي دفعته الظروف المأساوية بمقتل أخيه باسل، لأن يختاره والده ليخلفه في حكم سوريا بعد عدة سنوات (2000).

لم تتح وفاة حافظ الأسد لبشار ان يرث والده في السلطة فحسب، بل أتاحت له أيضاً أن يتزوج من أسماء التي كان الأسد الأب يرفضها زوجاً لابنه الوريث، رغم اعتراض السيدة أنيسة على ذلك.

كانت أنيسة ترى ان زواج بشار من فتاة علوية تختارها له سيتيح لها ان تحتفظ بلقبها سيدة سوريا الأولى، أما مجيء هذه الفتاة الانكليزية إلى قصر تشرين زوجاً لرئيسه فهذا يعني ان أسماء ستصبح هي سيدة سوريا الأولى، فضلاً عن ان زواج بشار من أسماء الأخرس سيعني ان سيدة سوريا الأولى ستصبح فتاة سنية ذات تربية بريطانية.

بشار وأسماء في بيروت

ظل بشار وأسماء يلتقيان سراً في بيروت في منزل أحد أصدقاء الدكتور المقربين بعيداً عن أعين المراقبين، والمخبرين، وبطريقة لا تخطر على بال أحد.. طيلة

سنوات هي الفترة الطويلة الفاصلة بين تعرفه على اسماء في لنـدن عـام 1993 إلى حين زواجه منها عام 2002 بعد وفاة والده بسنتين، فلم يكن ممكناً ان يلتقيهـا في دمشق، ولم يكن متيسراً له ان يذهب إلى لندن دائماً ليلتقيها، فكانت بيروت التي هي إحدى مدن سوريا والاقرب إلى دمشق حيث يقيم من منـزل أهل أسمـاء في حمص، المكان المناسب الاكثر أمناً له كسوري، وأماناً له في منـزل الصديق، وكل من كان يرى سياراته عند مدخل عمارة الصديق كان يظن انه يزوره.

زواج بشار من أسماء كان له في الداخل السوري دلالات كثيرة، فهو وجـه رسائل عديدة من خلاله:

كان يريد القول للمجتمع السوري انه انسان منفتح على الطوائف الأخـرى وعلماني لا تهمه الطائفية وانه يسعى لتوحيد المجتمع السوري.

أظهر هذا التحدي حساسية لأبناء طائفته من هذا الـزواج، لأنهم كـانوا يريدون له ان يتزوج فتاة علوية، لتكريس الصبغة العلوية على النظام.

نجحت رسالة بشار في البداية واستمر نجاحها طويلاً خاصة مع شخصية أسماء.

ظل موضوع زواجه من أسماء فترة طويلة بين أخذ ورد في عهد الأب وبعـد رحيله.

كان بشار أبدى رغبته بالزواج منها.. ثم عندما تم صده من قبل الأب والأم، صرف النظر عنها لفترة.. وتوجه نحو حلب، حيث التقى فتاة حلبية هـي هيمـاء الازهري وكان بصدد الاقتران منها..

في الحالتين كانت المصاهرة سياسية.. حمص أو حلب وهو كان يركز كـثيراً على حلب، بتوجيه من والده..

لحساباته الخاصة لديه لم يتزوج بشار من ابنة الازهري في حلب، واختار ابنة الطبيب البريطاني من أصل سوري طامحاً للإفادة من شبكة علاقات في الغرب كان بشار يريد أن يطل من خلالها على الخارج ليفتح نافذة كانت دائماً مقفلـة مـن جانب والده كما من جانب ساسة الغرب، والاخرس هو طريقها وكان هذا سبباً مرجحاً لهذا الاختيار ليساعد الرئيس القادم بعد ذلك لو أراد.

قدم بشار نفسه بزواجه من ابنة حمص (أسماء) انه يريد عمل تـوازن داخـل السلطة بين العلويين وبين السنّة وهم أغلبية الشعب السوري.

وأسماء ساعدته بمظهرها وثقافتها، ورئاستها لجمعيات خيرية وإنسانية، لتلمع صورته أمام الناس. كان السوريون يتأثرون عاطفياً بهذه الصورة إيجابيـاً خاصـة عندما كانوا يرونه متواضعاً في ملابسه حين يظهر بينهم ويتحدث إلـيهم ويـزور مدنهم.

رغم علاقته بأسمـاء في عهـد والـده، فإنـه لم يتزوجهـا إلى ان رحـل والده.

كان حافظ ضعيفاً جداً أمام أولاده.. رغم شراسته مع السوريين وكل مـن تعامل معه..

ولعل صدمة حافظ برحيل باسل، جعلته يركز على بشار فتساهل مع مطالب ابنه الوريث.

تردد كثيراً ان عائلة الاخرس كانت تتجنب المصاهرة، وقيل أيضـاً عكـس ذلك، بأن عائلة الأسد لا تريدها.. فحصل شد وجذب حتى استقر الأمر بالزواج. نقل عن عائلة الاخرس انها رفضت بشار في البداية، خاصة الأب الذي نقل عنه انه لا يريد أن تنغمس ابنته في هذا المناخ السياسي.

وحاول إبعاد ابنته.. وربما يؤكد ذلك المدة الطويلة التي اسـتغرقتها قصـة الزواج بين مد وجزر، ولو كان الأمر عند اي عائلة أخرى وهي مقدمـة علـى الزواج من ابن رئيس (سيصبح رئيساً فيما بعد) لسارعت إلى الارتباط مهما كان الثمن.

الخوف من المستقبل، ومما يمكن ان يحصل مع بشار هو الـذي دفـع الأب الطبيب البريطاني للتحفظ والتردد.

اما ان يكون حافظ هو الرافض، فهذا مفهوم أول الأمر، لأنه يريد أن يحافظ على تماسك الطائفة معه ولا يريد أن يدخل في صدام معها، كـان يريـد علاقـة مستمرة وثيقة معها.

كان يرى ان المصاهرة العلوية تجعل السـلطة قويـة بالطائفـة والعكـس صحيح.

كان الأسد لصيق الاتصال بالطائفة ومشايخها عكس بشار الـذي اشـتكى مشايخ الطائفة من اهماله لهم، وقد تكلم مشايخ مع النائب عماد غليون، انه كـان

لا يمارس طقوساً معينة وكان لا يجتمع معهم، بينما كان حافظ (وباسل) يجتمع مع المشايخ ويمارس طقوس الطائفة الدينية والخاصة.

بعد زواجه كان توجه بشار الانفتاحي أكثر وضوحاً وهذا ما ساهم في إعطائه شعبيته في أوساط أخرى، مع السنّة ومع المسيحيين كان يبدو عليه البساطة والانفتاح والتواضع والمظهر الحضاري وانه ضد الطائفية.

لذا كان مفاجئاً خلال الثورة انه داس بوحشيته كل هذه القيم.. وربما ما زال بعض السوريين يراهنون على بشار وانه سيتجاوز هذه الأزمة وسيقيم إصلاحات وسينقل سوريا إلى بر الأمان؟!

سقطت كل هذه الاوهام بعد إيغاله في الهمجية والتوحش بإرتكابه مجازر متعمدة ضد المدنيين في كل سوريا.

انها الصورة نفسها التي كان ليبيون كثر يحفظونها عن سيف الاسلام القذافي، من انه مصلح وديموقراطي وسيعدل، وقد أحاط نفسه بمن صدقه بهذه الصورة، بأنه سيجري إصلاحات حقيقية، وسيخلص ليبيا من الظلم والعبودية والاذلال والقهر والقتل والفساد.. ومثلما كشفت ثورة الشعب الليبي حقيقة سيف الاسلام الزائفة.. عندما خرج عليهم بعد عدة أيام من انتفاضة الثوار يهددهم بالقتل والسبي، وانخرط في صراع مسلح كشف همجيته وانه ابن أبيه.

هكذا

الكنة والحماة
وبشرى السلفة

منذ مجيء أسماء الاخرس إلى منزل بشار الاسد زوجاً له، نشأت أزمة في بيت حافظ الأسد طالت أرملته أنيسة مخلوف وابنته الكبرى بشرى، صحيح ان أنيسة مخلوف كانت نسياً منسياً في عهد حافظ، ولم تكن حتى لتجرؤ على الاقتراب من مكتبه حين كان يعمل داخله، لكنها على الاقل كانت تمثل الأم الرؤوم لجميع أبنائها الذين كانوا يحترمونها ويقدرونها وكم استفزها ان تسرق منها زوج ابنها لقب السيدة الأولى مثلما خسرت ابنتها بشرى لقب المتسلطة الأولى أيضاً.

ولعل أهم خدمة قدمتها أنيسة مخلوف لعائلتها، هي نصرة آل مخلوف (أشقاؤها وأولادهم) على آل الأسد من رفعت إلى جميل (شقيقا حافظ عما بشار وأولادهم وجماعاتهم) في مصالح المال والصفقات والتعيينات والوكالات التجارية. وآخر مهمة لأنيسة قبل أن يطوي اسمها النسيان هي انها ضغطت على بشار كي يمتنع عن فرض عقوبة على ابن أختها عاطف نجيب بعد المجزرة التي ارتكبها في درعا والاساءات التي ألحقها برجالها وكان كثيرون حوله يرون ان يضحي به لكن أنيسة منعته.

بشرى الثانية

كانت بشرى هي البنت الكبرى لحافظ، ولدت في اكتوبر/ت1 1960 وجاءت بعد رحيل شقيقة لها حملت قبلها اسم بشرى، وقد توفيت هذه عندما كان والدها منقولاً إلى الاقليم الجنوبي في الجمهورية العربية المتحدة (مصر).

وبشرى الثانية كانت ذات دالة كبيرة على والدها حافظ. لم ينافسها فيها سوى ابنه الاكبر باسل قبل مصرعه في ك2/يناير 1994، حتى ان بشرى صارت تعين وزراء ومسؤولين في مواقع متقدمة في السلطة التنفيذية ومنهم وزير التربية والتعليم في آخر سنوات حافظ.

كثيرون علقوا على خيار بشرى هذا فقالوا: كانت التربية والتعليم في أدنى حالاتها قبل هذا الوزير، فأصبحت بعد توزيره في الحضيض.

كانت بشرى متسلطة ولديها رغبة في التحكم، وهي مثل أبيها لم تكن تلتقي بالناس. ومع نجاحات بشار في مطلع عهده، من حيث الانفتاح على الناس خاصة من الطبقات الغنية في دمشق وحلب وبعض حمص، وتوجهه (شكلاً) نحو الحريات وإطلاق سراح بعض المعتقلين، وتخفيض لبعض الاجراءات الأمنية، أملت منها الناس ان تكون بداية للخلاص من الحكم الأمني، مع أمل بانتقال سوريا إلى مجتمع ديموقراطي حقيقي، كما أمل مثقفون في مطلع عهده عندما أطلق ما سمي بربيع دمشق الذي لم يستمر سوى عدة أشهر (فصل خاص عن ربيع دمشق ضمن الكتاب) فإن بشرى كانت أصبحت خارج الصورة نهائياً.

لم يعرف الكثير عن أسماء الاخرس الأسد لأن الحديث عنها مـن المحرمـات فالاعلام السوري لا يقترب منها والاعلام العربـي يلحق الغرب في توصيفها، وما قدمه الاعلام الغربـي عنها، انها فتاة بريطانية من أصل سوري، وأنها كانت تحمل اسماً أجنبياً عندما كانت طالبة في لندن "ايمي" وانها أنيقة ذات وجه بشوش وجسد ممشوق.

تعاقدت مع مجلات موضة أجنبية كي تظهر فيها صورة الفتاة العربية الحديثة، في دعاية واضحة لنظام بلدها، بل لبعلها الشاب دفعـت مقابلـها مئـات آلاف الدولارات (وفق إحدى وثائق ويكيليكس).

أراد بشار من ظهورها توفير جانب من الدعاية الكبيرة له في الغرب الـذي حرص بشار على استمرار صورته المقدمة عنه فيه كمصلح اقتصادي وذي حضور شعبـي عفوي ومتواضع.

حرص بشار على اصطحابها في كل رحلاته إلى الخارج ولقاءاته مع رؤسـاء وملوك العالم.

صحيح انه لم يعرف عنها الادلاء بأحاديث سياسية، إلا ان ما تسـرب مـن نادر الكلام السياسي كان يؤشر إلى انها كانت تشجع بعلها على الانفتاح.

يقول الكاتب الفرنسي جون بول ماري في مجلـة "لونوفيـل اوبسـرفاتور" 2011/7/11 تحت عنوان الديكتاتور بشار.. ومستر أسد.

روى ملك اسبانيا خوان كارلوس في لقاء خاص، خلال رحلته إلى سـوريا كيف أصبح قوياً بعد انقلاب فاشل قاده أنصار الجنرال فرانكو المتشددون، وكيف استغل الملك الاسباني الفرصة للتخلص من التطرف واعتماد الانفتاح الحقيقـي في البلاد.

كان بشار يصغي بإهتمام لكلام الملك الاسباني وإلى جانبه أسماء تقـول لـه بحماس، هذا ما عليك ان تفعله.

كانت أسماء ترافق بشار في زياراته للمطاعم ويجلسان رأساً برأس حول طاولة صغيرة، يحييان الزبائن وهما داخلان، وكثيراً ما رافقته إلى المسارح والمتاحف.

وكتبت مجلة "نيوزويك" الاميركية في عدد 2000/6/15 نقلاً عن البروفيسور اوموندشوانبرغ الذي أشرف على تخصص بشار خلال عامين في مشفى بادنيفتون

ان بشار الطالب السوري بخلاف عشرات من أولاد المسؤولين الاجانب الوافـدين للدراسة في لندن فضل الاهتمام بـالفنون والمتـاحف علـى إضـاعة وقتـه في الكازينوهات.

لكن دخول أسماء حياة الأسرة قلب مقاييسها وعلاقاتها، فبشرى لم تعد ذات تأثير بوجود أسماء التي نجحت في السيطرة على بشار ليكون لها كلمـة حاسمـة في المنـزل الأسدي، وهذا ما انعكس على حالة أنيسة التي انكفأت عن أي مكانة لها حتى كأم، ومع مرور الزمن اصابها الوهن وانتقلت إلى القرداحة لتسكن قريتها التي اجتمعت فيها ذكرياتها مع راحلها.

وعانت أنيسة مثلما عانت بشرى بوجود أسماء، فبشرى التي كانت دلوعـة حافظ الأسد، بدأت تواجه صداً من أخيها وزوجه أسماء، حتى انها اضطرت ومـع تراجع دور بعلها آصف شوكت الذي أصبح في السنوات الأخيرة نائبـاً لـوزير الدفاع حتى يمكن ترفيعه لرتبة عماد ثم عماد أول كما هي اكذوبة حافظ الأسـد ليحتفظ برجاله في مناصبهم أطول وقت ممكن، للسفر احتجاجاً على اهمالها وإهمال بعلها إلى دبـي لتكون في ضيافة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ستة اشـهر ثم تعود دون أي دور لا في القصر الجمهوري ولا في الحكومة ولا في خدمـة بعلـها آصف الذي قتل في تفجير مكتب الأمن القومي يوم 2012/7/18. (وفيمـا بعـد كشفت مجلة "الشراع" ان بشرى تركت سوريا وهي تعيش في دولـة الامـارات مسجلة أولادها في مدارس فرنسية في أبو ظبـي)

ولم يكن حال أنيسة بأفضل حال فهي حرمت من لقاء ابنها وأحفادها مـن أسماء الاخرس، حتى انه لم يعد يراها أو يزورها في منـزلها الذي لا يفصله عن مقر إقامة بشار سوى حديقة مشتركة إلا مرة في الاسبوع لتناول طعام الغداء معهـا، هذا إذا كان بشار في سوريا أيام الجمع، وفي أحيان كثيرة كانت أسماء تعتذر بحجة الاصابة بوعكة أو لانشغالها فلا تزور حماتها.

لقد بدا ان بشار ينتقم من والدته لأنها كانت ترى ان ماهر أكثر أهلية منـه للقيادة. وجاءت أسماء لتحتل آخر مساحة كان بشار أبقاهـا في صـدره وعقلـه لوالدته بعد ان التقت مصلحة الزوجين في قهر الماضي وطمسه.

بشار يكره القرداحة؟

يقول أحد أصدقاء بشار المقربين ي. ح لمصدر التقاه المؤلف في القاهرة، ان بشار لم يكن يحب منطقة العلويين، وكان يتمنى في أحاديثه لو ان هناك جداراً يفصلها عن سوريا حتى إذا مر فيها لا يرى أحداً منها.

ويضيف حمود للمصدر نفسه، ان بشار لم يزر القرداحة خلال 12 سنة من حكمه إلا نادراً، وكان رافضاً لكثير من تقاليدها، حتى ان مشايخ كثيرين من العلويين كانوا يشكون انه لا يأبه لهم، ولا يلتقيهم كما كان يفعل والده وشقيقه باسل.

يقول حمود ان بشار كان علمانياً بحق، بينما كان أولاد خاله خاصة رامي وحافظ مخلوف متحفظين كثيراً، وكان رامي ممسكاً بالقرآن الكريم طوال الوقت، ولم يسمح رامي وحافظ لأي من زوجيهما أن يرتادا البحر بلباسه الغربي (مايوه) بل ان الزوجين كانا يجلسان عندالشاطىء بلباس محتشم بينما شقيقاهما اياد وايهاب كانا مثل بشار منفتحين دون أي تحفظ.

يقول حمود ان بشار كان ينوي زيارة درعا بعد ان أبلغه الأمن ان مشكلة حصلت فيها وقتل فيها عدد من الاطفال وان مسؤول الأمن السياسي هناك ابن خالته عاطف نجيب هو من ارتكب المجزرة والاهانات بحق الاطفال وأهاليهم، لكن أجهزة الأمن كلها نصحته بعدم القيام بهذه الزيارة بل وحذرته من نتائجها على أمنه وهيبة النظام، وانه يمكن حل المشكلة بلجنة تحقيق ترسل إلى درعا وتلتقي الأهالي لاستيعاب غضبهم، وإظهار ان السيد الرئيس لا يوافق على ما جرى فيها.

رضخ بشار لنصائح أجهزة الأمن، وكلف قاضيين أرسلا على عجل إلى درعا وقابلا مواطنين حدد الأمن أسماءهم ولقنهم ما يجب قوله، ثم كتب القاضيين تقريرهما الإيجابي إلى بشار فقرر صرف النظر عن أي تحرك، وخرج إلى مجلس الشعب بعد نحو اسبوعين (2011/3/30) ليتحدث عن مؤامرة تستهدف الوطن، وانه كان ملتزماً قرارات المؤتمر القطري عام 2005 لإجراء إصلاحات لكن الظروف العربية والدولية لم تسمح له بتحقيق هذه الاصلاحات.

يقول الناشط السياسي عضو الهيئة العامة للثورة الكاتب محمد خليفة: ان مشايخ من حمص قابلوا بشار في الاسابيع الأولى ضمن سلسلة لقاءات عقدها الأسد مع فعاليات من مختلف أنحاء سوريا وسمعوا منه انه كان محرجاً كثيراً عندما

علم ان ابن خالته عاطف نجيب، هو المسؤول عما حصل في درعا، وانه كان مستعداً لاتخاذ إجراء ضده، بعد ان استدعاه من درعا لمقابلته، لكن خالته فاطمة شقيقة والدته أنيسة تدخلت لديه لترجوه ألا يكسر شوكة ابن خالته القوي والمرهوب الجانب، لذا اكتفى بنقله من درعا لكنه عزز مكانته في الأمن السياسي.. وما زال.

في لقاء مع الفنان السوري زهير عبد الكريم في الرياض في نيسان/ابريل 2011 بعد شهر واحد من الثورة قال الفنان للكاتب: "لو ان الرئيس بشار كان حاسب عاطف نجيب باكراً لما تطورت الأمور إلى استمرار التظاهرات الاسبوعية من المساجد بعد صلاة كل جمعة".

خوف على قبر حافظ

بعد خطف المعارض اليساري عبد العزيز الخير على طريق مطار دمشق الدولي اثر عودته ضمن وفد هيئة التنسيق من زيارة للصين، حصل غليان في بعض مناطق العلويين ضد سياسة بشار، لأن الخير هو ان ابن إحدى أكبر وأهم العائلات العلوية التي تفوق عائلة الأسد مكانة اجتماعية خاصة في القرداحة، انفجر في بلدة الأسد التي لا يكن لها الود الكبير وأدى إلى وقوع اشتباكات مسلحة وقتلى وجرحى منهم محمد الأسد الملقب بشيخ الجبل وهو أحد شبيحة النظام (راجع فصلاً خاصاً عن الشبيحة في الكتاب) وشمل التوتر استنفاراً حول قبر حافظ الأسد خوفاً من نبشه ورمي عظامه.

بشار الأسد
وربيع دمشق الاسود

ربيع دمشق هي تسمية مستمدة.. من اسم ربيع براغ الذي أطلقه أمين عام الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ألكسندر دوبتشيك في ربيع 1968، قبل ان تدوسه دبابات الاتحاد السوفياتي، الذي كان يقود منظومة الدول الاشتراكية ومنها هذه البلاد، التي نهضت بعد الحرب العالمية الثانية، في شرق أوروبا بسيطرة الاحزاب الشيوعية على السلطات فيها بدعم من دولة الاتحاد السوفياتي (أي مجالس

العمال) وعاصمتها موسكو في أهم دوله روسيا الاتحادية.

ومثلما داست دبابات موسكو ربيع براغ كما وصفه الاعلام الغربي بقرارات دوبتشيك الاصلاحية بمقاييس ذلك الزمان وأجهضته إلى ان عاد إلى الازدهار في كل أوروبا بسقوط الاتحاد السوفياتي نفسه مطلع تسعينيات القرن الماضي، كذلك داست أجهزة أمن بشار الاسد ربيع دمشق الذي ارتبط بإسمه في مطلع عهده بعد ان تسلم السلطة في سوريا خلفاً لوالده حافظ الأسد الميت في 2000/6/11.

تحدث كثيرون عن ربيع دمشق الذي بدأ مع حكم بشار الأسد لكن وقائعه لم تزهر كما في أي ربيع بل تساقطت أوراقه.. قبل سقوط أوراق شجر كل خريف.

البداية دائماً من فم بشار، ففي خطاب توليته في 2000/7/10 دعا الرئيس الشاب للإصلاح الاقتصادي الجدي وتحديداً مضاعفة دور القطاع الخاص (وهذا ما أوصاه به والده ليظل محتفظاً بولاء البورجوازية السنية في دمشق وحلب تحديداً والذي استثمره كثيراً خلال الثورة الشعبية التي اندلعت ضده في 2011/3/15).

تحدث بشار عن الاصلاح الاقتصادي والاداري رافضاً الديموقراطية الغربية لأنها لا تناسب سوريا للتطور السياسي، متعهداً بالتزامه باسترداد سلمي لمرتفعات الجولان المحتلة.

وهكذا ولا كلمة واحدة عن ربيع دمشق.. إلا إشارات من أجهزة الأمن تتسلمها النخبة الثقافية – السياسية التي طال الحجر عليها، حتى خرج رياض الترك وهو أبرز وأشجع وأكفأ معارض سياسي في ظل حكم آل الأسد (1970 – 2012) ليكتب بعد 16 يوماً من خطاب التولي في مقالة نشرت خارج البلاد: ان سوريا لا يمكن ان تبقى مملكة الصمت، منتقداً توريث بشار منادياً بالديموقراطية في سوريا.

تتوالى المنتديات السياسية – الثقافية الناقدة في منازل النشطاء، ودائماً بحضور مخبرين يرسلهم الأمن لإحصاء الانفاس من صدور الكهول والشيّب وقليل من الشباب.

وينشر مفكرون سوريون بيان الـ 99 في جريدة "الحياة" السعودية، التي تصدر في لندن في 2000/7/27، مطالبين فيه بإنهاء حالة الطوارىء والعفو عن

السجناء السياسيين، وحكم القانون وحرية التعبير عن الرأي والصحافة وإيجاد جو أكثر تحرراً للحياة العامة والانفتاح في المشاركة السياسية، وبعد 5 أيام يقول المعارض السوري د. عارف دليلة الذي قيل ان بشار أعاد له حقه في موقعه الجامعي، حتى قيل ان بشار كان يستشيره في مسألة الاصلاح الاقتصادي، ان التطور الاقتصادي والاجتماعي في سوريا قد تجمد طيلة 20 عاماً.

في 2001/1/7 ينشر ألف مفكر وسياسي واعلامي وناشط وحقوقي وفنان سوري بياناً أطلق عليه اسم "بيان الألف" اعتبره كثيرون أكثر جذرية من بيان الـ 99، ويتم إنشاء لجان إحياء المجتمع المدني كهيئة تنسيقية للمنتديات السياسية الجديدة في كل أنحاء البلاد.

وقال الناشط اليساري السوري ميشال كيلو: ان الأسد الصغير (بشار) هو خطوة صغيرة على طريق التحول الكبير ثم يبدأ العد العكسي لربيع دمشق في شتاء 2001، حيث يتهم وزير الاعلام السوري عدنان عمران الذي أمضى سنوات عديدة أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية، لجان المجتمع المدني في سوريا بتلقي أموال من الحكومات الاجنبية.

خدام متهم

كثيرون اتهموا نائب الرئيس عبد الحليم خدام انه هو الذي أجهض التحول نحو ربيع دمشق، وانه تولى تحريض بشار بإقفال المنتديات لأن استمرارها سيؤدي إلى انفتاح إلزامي لا يستطيع النظام تحمله.

خدام يرد

يرد خدام في حواره مع المؤلف في باريس نافياً ويقول: "ان بشار لم يرد ان يسمى ربيع دمشق في أي لحظة، صحيح انه أعطى وعوداً بالانفتاح السياسي والاقتصادي والمصالحة مع الشعب السوري، وظن بعض أطراف المعارضة السورية ان الفرصة مؤاتية للحراك السياسي والثقافي في نسمة من حرية الرأي، فتشكلت المنتديات الثقافية والسياسية، لكن كل هذه المنتديات كانت تحت رقابة أجهزة الأمن.

كان عناصر الأمن المرسلة من أجهزها القابضة على عنق الـوطن والمـواطن واقتصاده ومثقفيه وانتاجهم.. يسبقون جميع حضور تلك المنتـديات إلى المقاعـد القليلة التي كانت في منازل المنتدين، يكتبون كل كلمة، بل ويزيدون في تقاريرهم ما لم يقل في المنتديات، ويعمد قادهم إلى زيادة ما يناسب أمزجتـهم وثقافتـهم الامنية، وما يناسب دغدغة عواطف وثقافة بشار ابن مؤسس الدولـة البوليسـية الستالينية في سوريا العظيمة..

لم يطرح في هذه المنتديات أكثر من دعوات للإصلاح، وكان هذا يعني مـن جهة المعارضين الذين تكلست عظامهم من طول أمد السجون التي رمـاهم فيهـا حافظ الأسد.. أو من طول الاقامة في المنازل أو المقاهي دون حراك من أي نوع، ان يصلح بشار نظام أبيه جذرياً، وبناء نظام جديد بتعددية سياسية وحزبية جدية وحريات في كل المجالات في الكتابة والرأي والتظاهر.

وكان كثيرون يمنون النفس ان ينفذ بشار وعوده.. حتى قيل ان عبد الحليم خدام عبر عن ذلك في ندوة عقدت في مدرج جامعة دمشق عام 2000 قال فيها:

"ان الانسان لا ينهض دون حرية، نحن بحاجة للحرية" كان الكلام عاماً دون تحديد، ودارت الاسئلة بعد الندوة حول مسائل عديدة، وأهمها حـول المنتـديات التي أشرنا إليها، فإذا بخدام يجيب:

لقد أخطأ أصحاب المنتديات، لأنهم يطالبون ان يجري بشار انقلاباً على نظام أبيه الذي ورثه، لقد أتى بشار بثوب والده، وهذا الطلب خاطىء، لذا فعلـى أصـحاب المنتديات بدل أن يطالبوا بشار بالانقلاب على أبيه بالاصلاح، أن يطالبوه بالحوار.

يقول خدام: انقلبت الدنيا عليّ.. وبدل أن أكون قد وضعت أساساً موضـوعياً للتصحيح في سوريا من خلال الحوار تلقيت التحريض علي من جانب جماعة بشـار وعلى رأسهم بهجت سليمان الذي جاء به بشار ليكون "زلمته" فعمد هذا إلى استدعاء جماعة الاستخبارات العسكرية في الحزب والاعلام أمثال علي جمالو وكان زلمة آصف شوكت، وأمثال ابراهيم حميدي مراسل جريدة "الحياة" اللندنية في دمشق.

جمع بهجت اعلاميين تابعين لأجهزة الأمن أمثال جمالو وحميـدي وغيرهمـا ليقول لهم ان أبا جمال أجرى محاضرة ممتازة، انه يطالب بالحرية ولكنه في الوقـت نفسه ينتقد المعارضة لأنها تطالب بالإصلاح.

كتب المخبرون عند آصف وبهجت ضد خدام، وقرأ المعارضون في المنتديات في كلام الاعلام هذا تحريضاً ضدهم من أبـي جمال فراحوا في حملة في منتـدياتهم وفي محافلهم وجلساتهم ضد خدام، وانه أعطى الأوامر بوقف هذه المنتديات، وأنـا أعلم ان الذي أعطى الأمر بوقف الحراك السياسي - الثقافي في سوريا هو بشـار نفسه نتيجة تقارير أجهزة الامن وقادها.

فالأمن كتب لبشار ان المنتديات تحولت إلى حفلات شتائم وهجمات ضده، وقرأ في الحملة الاعلامية إياها ضدي فرصة ليضعها في ظهري.

يقول خدام ان بعض المثقفين المستنيرين فهم من كلامي ان بشار خارج ثوب والده لا يساوي فرنكين..

ومع هذا

يقول خدام ان كلامه ترك أثراً في البعثيين الذين اكتظ بهم مـدرج جامعـة دمشق كما طلاب الجامعة المستقلين التواقين إلى كلام سياسي خارج إطار التعليب الذي تعيشه مؤسسات وعناصر الحزب منذ عشرات السنين.

تفاعل الحزب مع خدام، بما يظهر تعطشاً داخل الحزب لمثـل هـذا الحـوار والكلام، وبدا انني كنت أقول كلاماً لم يسمعوه من قبل.. ولكنهم أحبوا سماعـه عن الحرية ودورها في التقدم معتمداً شعارات الحزب في الحرية، ودوره في حـراك الخمسينيات الذي حول الحياة السياسية مع غيره من القوى إلى ميدان جهاد ونقاش وتفاعل أغنى سوريا كلها.

نسأل خدام

وهل كنت أنت مقتنعاً بالإصلاح؟ وهل كان لك برنامج للإصلاح؟

يرد خدام: بعد خطاب القسم الذي أدلى به بشار بأسبوع قدمت له مـذكرة بالإصلاح السياسي يعتمد قيمة الحرية أساساً للتقدم وفي بنود المـذكرة اعتمـاد للديموقراطية والتعددية السياسية، واعلام حر، وطرح للفكر العلمـي في مواجهـة الفكر المتخلف (سواء من الجماعات الدينية أو الاحزاب المتكلسة) كذلك طـرح موقف من الدين بالمصالحة معه دون تزلف.

قرأ بشار المذكرة، وقال لأبـي جمال: عظيم فلنناقشها في القيادة.. وبالفعـل بدأنا النقاش داخل القيادة بعد يومين من تسليمها وقراءتها.

في اجتماع القيادة بدأ بشار المماطلة حيث قال ان مذكرة أبو جمال عظيمة، ولكنني اعتقد انه قبل الاصلاح السياسي يجب أن يكون هناك إصلاح إداري، لأن المذكرة تتحدث عن تعددية وديموقراطية وحرية تشكيل أحزاب، وهذا يعني ان هناك قوى جديدة ستدخل حياتنا السياسية، وقد تكون معارضة، وإذا جاءت هذه ونحن في حالة الترهل الاداري والمؤسساتي التي ترونها، فإننا نعطيها فرصة لمهاجمة النظام والدولة بسبب الفساد الذي ترونه.. إذن دعونا نبدأ بالإصلاح الإداري.. دعونا نصلح الادارة، ثم نعطيهم إصلاحاً سياسياً.

طرح بشار الأمر على التصويت فرفع الحضور في القيادة أيديهم مؤيدين.

يتابع خدام:

قلنا فلنذهب إلى الاصلاح الاداري، ذهبت إلى فرنسا وقابلت الرئيس جاك شيراك الذي سألني لماذا لم تفعلوا شيئاً حتى الآن، أجبته ان إدارتنا خربة تحتاج إلى خبراء من فرنسا في الادارة لوضع أسس إصلاحها، فخبراؤنا كلهم دارسون في الدول الاشتراكية، والتي كان خراب إدارتها صورة عن خرابها أو جمودها السياسي الذي انعكس على الاقتصاد الذي كان فاشلاً إلى حد كبير.

أرسل لنا شيراك خبراء فرنسيين في الادارة على حساب الدولة الفرنسية وبعد ستة أشهر كتبوا تقريراً موضوعياً عن كيفية إصلاح الادارة، نام في أدراج بشار وعندما سألته قال نحتاج إلى إصلاح اقتصادي.

شكلنا لجنة من خبراء الاقتصاد كنت أعرفهم منذ كنت وزيراً للاقتصاد مطلع السبعينيات، وكنت أشرف على جلساتهم ونقاشاتهم، في كل المجالات في الزراعة والصناعة والتجارة، وفي مجال المال والمصارف، كنت صاحب الانفتاح الاقتصادي والمصرفي وكنت أدرك ان احتياجات البلاد والدولة للنمو ليست متوافرة، والنمو متوقف والناس تزداد، ومقدرات الدولة تتراجع.

يتابع خدام كنت كتبت ان يساهم الناس في التنمية لأنها يجب أن تشارك في إعادة بناء الاقتصاد السوري بمزيد من الحرية في جميع المجالات.

استغرق اعداد التقرير الاقتصادي شهراً.. وناقشناه في القيادة في شهر ونصف ليخلص بشار إلى ان يضع هذا كله في أدراج مكتبه.

سألت رئيس الوزراء في يومها وكان محمد مصطفى ميرو في القيادة أين التقرير الاقتصادي فرد بشار انه عندي، وأنا محتار كيف نبدأ بالإصلاح السياسي أو الاصلاح الاداري أو الاصلاح الاقتصادي؟

ظل بشار محتاراً ولم يبدأ أي نوع من أنواع الاصلاحات بل انقض على المنتديات ليجهض ما يسمى بربيع دمشق الذي تحول إلى ربيع أسود.

ماذا فعل الحزب يا أبو جمال؟

يقول خدام للكاتب: كانت الأمور تزداد سوءاً لا إصلاح في أي مجال، لا حريات فقررت الخروج من المسؤولية نهاية 2002، لم اراجع أحداً، لم أناقش الأمر مع أي من أفراد أسرتي أو اصدقائي أو رفاقي، ولا حتى حكمت الشهابي ولا رفيق الحريري، فأنا لا أريد أن أحرج أحداً، وأنا أعرف ان كثيرين كانوا سيرفضون قرار الخروج.

دون أن ننسى حسابات خدام بأن تسريب خبر استقالته قبل أوانه كان سيحمل له المشاكل وهو وحده الأقدر على معرفة طبيعتها، ثم انها إذا شاعت ستفقد بريقها، لذا انتظر حتى انعقاد المؤتمر القطري للحزب ليخاطبه قائلاً:

أيها البعثيون إذا أردتم أن تغيروا، فيجب أن تتغيروا، وكنت قدمت مطالعة في التغيير لمجابهة تقرير القيادة القطرية الذي طرح على التصويت فلم يحصل سوى على 25 صوتاً من اصل 600 صوت، فقط تقرير القيادة الذي لم يؤيده سوى الامنيين والعسكريين من جماعة آصف شوكت.

طلب المؤتمر من القيادة اعداد تقرير جديد، وهذا لم يحصل أبداً.

كان الحزبيون المخلصون يدركون ان هناك خطراً قادماً على النظام نتيجة جموده، بل وتراجعه، وقد بدأ هذا الادراك بعد انهيار المعسكر الاشتراكي منذ عشرين سنة.

كنت أدخل - يقول خدام - مقر القيادة قبل الاجتماع لأرى الرفاق يجلسون في غرف المقر جماعات من 4 أو 5 أفراد يناقشون ويعترفون بالتراجع والجمود وضرورة التغيير لكن ما ان يدخلوا إلى الاجتماع برئاسة بشار حتى يتحولوا إلى ببغاءات يرددون ما يقوله بشار.

كان بشار تجاوز في غروره غرور والده، فقد كان هناك دائماً من يوهمه انه على حق دائماً، وان سوريا كلها معه، وانه الزعيم الملهم والقائد الشاب الذي يستقطب قلوب الملايين.

يقول خدام

ان حسين العدوات ونظمي فلوح وهما بعثيان تحولا إلى اليسار فصلا من الحزب بسبب ذلك وكتب فيهما عضو القيادة القطرية محمد جابر بجبوج تقريراً حاربهما فيه وظل خلفهما حتى فصلا من الحزب.

الاثنان جاءا إليّ عام 2002، طالبين مني ان أخاطب الرئيس بأن الأمور غير ماشية وانه يجب أن يغير فقلت لهما والكلام لخدام:

هذا نظام صنعه حافظ الأسد وله خارطة طريق لتغييره وضعها حافظ في صندوق اقفله ورمى مفتاحه في البحر.

هكذا انتهى ربيع دمشق.

ويلخص الكاتب الأميركي ديفيد ليش رؤية وحالة بشار حول هذه المسألة بالكتابة:

يعتقد بشار انه إذا ما تحولت سوريا إلى كوريا شمالية أخرى لـ 10 سنوات.. فلا ضير في ذلك.

ويروي ليش للكاتب في "الواشنطن بوست" مارك فيشر انه تلقى دعوة من بشار لإجراء حوار معه، ولدى وصوله إلى مطار دمشق اعتقل واستجوب لمدة ثلاث ساعات، من قبل ضابط كان يضع مسدسه حول اصبعه!

وانه عندما التقى ليش بالأسد وأبلغه بما حصل معه، عبر الرئيس عن فزعه!! مبرراً عدم قدرته على فعل أي شيء إزاء سوء المعاملة هذه، بأنه لا يسيطر تماماً على أجهزة الأمن.. فهو بحاجة إليها لإنجاز مهمات أخرى في سوريا، وان هذا ما يجب ان تكون عليه الاوضاع في سوريا.

سأل المؤلف أحد المقربين السابقين من بشار حول قضية اعتقال ليش في مطار دمشق، فرد ساخراً:

"كبر عقلك يا أبو علي" بشار بيكون هو اللي أوعز للأمن بهذا التدبير ضد ليش، لأنه سمع انو كاتب مشاغب وشرس بالحوار، وأراد أن يروضه قبل أن يقابله حتى لا يحرجه ويتمادى معه.

أما حكاية ان بشار فزع من إيقاف ليش في المطار فهذه كذبة كبيرة، لأنه عرف بالتوقيف منذ اللحظة الأولى، وكان بمقدوره أن يأمر جهاز أمن المطار، أو جهاز الأمن الذي أوقف الكاتب الأميركي ان يتركه فوراً.

يتابع الصديق الذي كان مقرباً من بشار قوله: هذه الواقعة تدل على حجم الكذب الذي يعيش فيه بشار ويتعامل فيه كالماء والهواء والأكل والشرب فهو يتنفس كذباً.. وهو يصدق كذبه ويعتقد ان على الآخرين أن يصدقوه وإذا كذّبه الآخرون انتابته حالة عصبية فيظهر نزقه ويزداد غضبه.

وذروة الاسقاط

دائماً من طلاس

في 2001/4/11 يقول وزير الدفاع مصطفى طلاس لقناة أبو ظبي الفضائية ان لديه الدليل الذي يثبت ان المفكرين الذين وقعوا بيان الألف هم عملاء للاستخبارات الأميركية، وان عدم ذكر الصراع العربي - الصهيوني في بيان الألف يثبت ان العدو قد دفع لهؤلاء الموقعين.

وفي 2001/8/9 يتم اعتقال النائب المستقل في مجلس الشعب السوري مأمون الحمصي بتهمة تحدي أوامر الدولة وإهانة الحكومة والتهرب من الضرائب وكلها تهم سخيفة لا تنطبق على المعارض الوطني، الذي كان دخل في إضراب عن الطعام، احتجاجاً على التهم الموجهة إليه بسبب أحاديثه ضد الاحكام العرفية وغياب حرية التعبير السياسي والاحتكارات الاقتصادية من جانب أصحاب النفوذ في النظام وأولادهم.

وبعد عدة أسابيع أي في 2001/9/2 يعتقل رياض الترك بسبب مداخلة في فضائية الجزيرة وصف فيها حافظ الأسد بأنه ديكتاتور.. وكان الترك أمضى في سجون حافظ 17 سنة دون أية تهمة.. فقط لكونه معارضاً وطنياً يطالب بالحريات في سوريا.

شهادة الرئيس علي ناصر محمد

يقول الرئيس علي ناصر محمد للمؤلف انه عام 2001 سأل نائب الأسد الأب والابن عبد الحليم خدام، لماذا وقف ضد ربيع دمشق، الذي كان بدأه بشار في الاشهر الأولى من حكمه بعد وراثته السلطة من والده في 2000/7/11 فرد خدام:

ان معارضي النظام لم يتحدثوا في كل منتدياهم كلمة واحدة عن إسرائيل، والجولان المحتل بينما كانت كل أحاديثهم عن الاصلاح في سوريا، وعن حرية تكوين الاحزاب وإطلاق الحريات والاعلام.

قال خدام لعلي ناصر، لقد كنت شريكاً لحافظ في السلطة طيلة 30 سنة، فكيف أسمح بالهجوم الذي طال الرئيس من هذه المنتديات، ان هذا يعني انني أنا متهم في نظرهم أيضاً.

قال الرئيس اليمني السابق للمؤلف، سألت خدام ولماذا لم تقف مع بشار مثلما وقفت مع والده، فرد: كيف تريدني أن اقف مع هذا الولد الذي كنت أضعه على ركبتي عندما كان صغيراً، وهو ما كان يستحق أن يحكم أبداً.

بشار سينشىء دولة علوية

وبعد مرور أكثر من ستة عشر شهراً على اندلاع ثورة الشعب السوري ضد حكم آل الأسد، قال الشهابي لصديقه النائب اللبناني:

بشار هذا واحد مجنون، ذاهب إلى التقسيم، مشروعه مشروع دولة علوية، فهو بعد ان يدمر الجيش والمجتمع وكل بنى الوطن التي ذرف عليها السوريون الدم والدموع والعرق وهم يبنونها، سيعلن هذا دولة علوية.

والخطورة - يتابع الشهابي وفق رؤية النائب اللبناني للكاتب: ان إسرائيل لا تمانع في قيام هذه الدولة لأنها ستستدرج قيام دويلات أخرى في كل من سوريا وفي لبنان، وسيشجع على قيام الوطن البديل الفلسطيني في الاردن، حلم إسرائيل الدائم، وسيتمدد التقسيم والتفتيت إلى العراق الذي زرع الاحتلال العراقي له عام 2003 بذوراً تينع يوماً بعد يوم.

ويقول الشهابي ان أميركا غير مبالية بما يحصل في سوريا لا الآن ولا في المستقبل، أما الروس فهم لن يمانعوا في التقسيم.

خدام لا يوافق الشهابي

نسأل نائب الرئيس عبد الحليم خدام عن اعتقاد العماد حكمت الشهابي، فيؤكد ان بشار لن يتمكن من إقامة دولة علوية في منطقة الساحل، لأن العلويين

سيرفضون قيام هذه الدولة أولاً، ثم ان الثوار السوريين لن يبقوا على بشار بعد هروبه من دمشق إلى منطقته، وهم سيلاحقونه كما لوحق معمر القذافي في ليبيا من قبل ثوارها، حتى إذا هرب العقيد إلى سرت معقله القبائلي والاسري، فإن الليبيين انتزعوه من المجاري لقتله، وسينال بشار المصير نفسه.

نسأل خدام.. لكنك كنت أول من تحدث عن نقل بشار الاسلحة الثقيلة والنوعية إلى منطقة الساحل في الاشهر الأولى من الثورة، تمهيداً للتمركز والتحصن فيها، فيجيب نائب الرئيس السابق: نعم.. ليس معنى نقل الأسلحة ان بشار سيتمكن من إقامة دولة علوية.

الفصل التاسع

الحريري الأب

الأسد الابن

- مقدمة
- الحريري – بشار كراهية متبادلة
- دور خدام
- غارسونييرة بشار
- المشنوق يختصر القول
- هل قتل بشار الحريري
- التمديد للحود
- خدام والحريري
- الحريري: سلوك بشار في لبنان قوة احتلال
- مروان حماده يروي قصة القرار 1559
- الحريري وعون
- خاتمة الفصل

الحريري وبشار

أحد معالم الايادي البيضاء لرفيق الحريري على عائلة الأسد وبشار تحديداً.. انه أرسل طائرة خاصة يملكها على وجه السرعة إلى لندن يوم الجمعة في 1994/1/21 لحمل الابن الثاني لحافظ الأسد من العاصمة البريطانية.. بشار ليشارك في تشييع جثمان أخيه باسل الذي كان قتل في فجر اليوم نفسه في حادث سير عند دوار المطار، أثناء توجهه مع ابن خاله حافظ مخلوف لركوب طائرة كانت ستقله إلى فيينا.

الحريري وبشار

كراهية متبادلة

قلت للحريري صباح الاثنين الذي تلا انتهاء الزيارة التاريخية للبابا بولس السادس إلى لبنان يومي السبت والأحد في 10 - 11 أيار/مايو 1996 ظهر الاثنين وكان تبلغ نبأ دعوته إلى تناول طعام الغداء على مائدة غازي كنعان بحضور بشار الأسد.

دولة الرئيس.. كيف يأتي بشار الأسد إلى لبنان للقاء الياس الهراوي، ويتناول الغداء عند سليمان فرنجية ويستقبل طلال ارسلان، ويزور نبيه بري ولا يكلف نفسه الاتصال بك أو زيارتك؟

نظر الحريري إليّ وفي عينيه حسرة ورجاء بوقف طرح التساؤلات وأنا أتابع دون اعتبار لمشاعره المكبوتة.

دولة الرئيس لقد كنت أنت الحدث خلال الزيارة التاريخية للبابا إلى لبنان.. كان كأنه يزورك وكأنه يلبي دعوتك وحدك رغم محاولات كثيرين قبلك إقناعه بالزيارة دون أن يلبيها.

كنت يا دولة الرئيس العريس الحقيقي في هذا الحفل الذي شاهده العالم طيلة يومي السبت والأحد واليوم يطلبون منك التوجه إلى عنجر لتناول طعام الغداء مع بشار، أليس واجباً عليه أن يأتي ليهنئك، لا أن يستدعيك إلى الغداء.

تنهد الحريري وهو يسرح بنظره نحو حديقة قصره المنيف.. صار في مشكلة مع بشار..ومن يومها بيكرهني.. وقبل أن أسأله شرحها نظر إليّ بحسم.. مش راح قولها لحدا!

دور خدام

جاء رفيق الحريري إلى عبد الحليم خدام ليقول له ان هناك في بيروت من ينصحه بلقاء بشار الأسد الذي كان والده رئيس الجمهورية حافظ الأسد بدأ بتسليمه الملف اللبناني، فقال له خدام: ما شأنك ببشار أنا لم أره حتى الآن ولست على استعداد لأن أراه، فبدا ان الحريري اقتنع ولم يكرر أمر طلب زيارة بشار.

بعد فترة زار الحريري خدام ليقول له انه قادم الآن من عند بشار، فاستغرب خدام ذلك، وسأل الحريري وكيف وجدته، رد الحريري ليتني لم أزره.. فقد "كبسني" وأهانني.. وكان الأمر كريهاً لأنه تم بحضور سليمان فرنجية لكأن بشار أراد إهانتي أمام فرنجية، أو كأن النائب اللبناني كان يبخ عليّ أمام بشار (إهانة الحريري أمام الآخرين كررها بشار حين التقاه بحضور غازي كنعان، رستم غزالة، محمد مخلوف قبل أسابيع من اغتياله).

غارسونييرة بشار

كان الحريري زار بشار في "غارسونييرة" في جبل قاسيون أي شقة مفروشة فيها مكتب خاص به يستقبل فيه من يريد من زواره الخاصين، كما يستقبل فيها ليلاً الفتيات اللواتي أقام معهن بشار علاقات قبل زواجه من أسماء الاخرس.

يقول محسن دلول ان حافظ الأسد كان طلب من رفيق الحريري أن يهتم ببشار، وان الحريري سأل أبا جمال وأبا حازم في هذا الأمر فنصحه الاثنان بعدم لقاء بشار.

يقول المستشار السياسي الأبرز للحريري نهاد المشنوق ان الأسد طلب من الحريري مرتين أن يلتقي بشار مرة بطريقة مباشرة وأخرى بطريقة غير مباشرة لكن أبو جمال يقول انه هو الذي نصح الحريري بعدم لقائه.

يقول المشنوق للكاتب انه نصح الحريري ان يلبي طلب الأسد الأب قائلاً له: لماذا تقحم نفسك في ترتيب الأسد توريث السلطة لابنه بشار؟ هل تدخل أحد معك حين سلمت "الاوجيه" لابنك سعد؟

ويبرر خدام للكاتب رفضه لقاء الحريري لبشار فيقول انه خاف ان يزور الحريري بشار فيطلب هذا الأخير من رئيس وزراء لبنان أن يوزّر ميشال سماحة، وهو يراه مخبراً صغيراً لدى رستم غزالة وليس لدى غازي كنعان، أو ان يوزر طلال ارسلان رغم إرادة وليد جنبلاط فيخلق أزمة معه، أو ان ينفذ طلبات سليمان فرنجية الولد المدلل عند آل الأسد فيساعده على امتطاء ظهر الحكومة وأي وزارة يتسلمها ليحقق طموحاته الشخصية.

لذا كانت المفاجأة بزيارة الحريري لبشار، لكن النتيجة ان الحريري تلقى تلقيحاً ضد بشار بهذه الزيارة.

في الداخل السوري كانت مجموعة محمد ناصيف الذي يكن عداء مذهبياً للحريري هو مرجع مجموعة من السياسيين والحزبيين اللبنانيين الذين حاولوا أن يعتاشوا من كراهية الحريري رغم ان الحريري لم يقصر معهم مادياً.. أبداً.

كان أبو وائل (محمد ناصيف) يستمع في مكتبه في دمشق إلى هؤلاء يبخّون أخباراً ملفقة عن الحريري ليثيروا عصبيته العلوية المذهبية، من منطلق تأثير الحريري في إثارة العصبية السنية في لبنان وسوريا ضد النظام العلوي في سوريا.

قال القيادي الوطني، مسؤول الشؤون العربية لسنوات طويلة في الحزب التقدمي الاشتراكي (مع كمال ووليد جنبلاط) توفيق سلطان، انه نصح رفيق الحريري بإقامة علاقة وطيدة مع بشار الأسد فرد الحريري قائلاً:

لدينا أصدقاء في لبنان، ولدينا أعداء، ولدينا في سوريا أصدقاء ولدينا أعداء.

نهاد المشنوق يختصر القول

عندما استقال حكمت الشهابي عام 1998 قلق رفيق الحريري، حيث كان أبو جمال ينقل لأبي بهاء اننا خسرنا داخل سوريا بقرار حافظ تسليم بشار السلطة من بعده.

سألت الحريري قائلاً وانت ما دخلك، لماذا تنزعج إذا أراد حافظ تسليم ابنه. (كلام نهاد المشنوق لرفيق الحريري).

عندما سلمت ابنك "الأوجيه" أرسلت كل الكبار إلى لبنان نزيه الحريري إلى "الاوجيه"، وسمير الجسر مجلس الانماء والاعمار.. ولم يتدخل أحد معك.

نحن لا نستطيع أن نحتمل ان تكون جزءاً من هذا الصراع.

كان رأي نهاد ان الحريري يجب ألا يتدخل ولا مصلحة له ولا قدرة في مسألة بشار.

شعرت بتوتر شديد لخضوع الحريري لضغوط خدام بعدم اللقاء مع بشار رغم ان الأسد طلب ذلك مرتين تلميحاً ومباشرة للقاء بشار.

يقول النائب اللبناني الحالي نهاد المشنوق (هو محلل وكاتب سياسي مرموق وكان مستشاراً لسنوات للرئيس رفيق الحريري) ان رئيس الوزراء الراحل أدخل أولاد كبار المسؤولين السوريين السنّة في حصص شركتي الخلوي في لبنان كي يبعدهم عن أي محاولة لمد أيديهم إلى مشاريع الدولة اللبنانية في عهده.

وان ولدي أحد المسؤولين الكبار السنّة في سوريا حصلا على نسبة الثلث في شركة "سيليس" بينما حصل ولدا مسؤول سني كبير آخر على الثلث في "ليبانسيل" وطبعاً مجاناً.

وبينما باع الأولان باكراً حصتهما في إحدى شركتي الخلوي بمبلغ يعتبر زهيداً 18 مليون دولار، فإن الآخرين حصلا على مئات ملايين الدولارات، بعد ان وصلت أسعار حصصهم إلى رقم ضخم.

وينسب المشنوق إلى نجل الرئيس الحريري سعد الحريري قوله: لقد أثرتم حساسية داخل سوريا ضدكم، فطالما أنتم اشتريتم أولاد هؤلاء المسؤولين السنّة، فلماذا لم تشتروا ذمم ومواقف مسؤولي علويين كبار وكان يقصد بشار وماهر الأسد ورامي وحافظ مخلوف، وأولاد شاليش، أي أولاد الرئيس وأقارب زوجه من الذكور ومن الإناث.

يقول المشنوق للكاتب انه كان دائماً مع انفتاح الرئيس الحريري على ابن الأسد بشار، بعد ان تأكدت نيته بتوريثه السلطة، وبعد ان استمع الحريري لنصائح خدام والشهابي ضد اجتماعه مع بشار.

هنا يتهم المشنوق عبد الحليم خدام انه وغازي كنعان كانا خلف إبعاده وترتيب تهمة اللقاء مع صهاينة في باريس له.

يقول المشنوق ان خدام أراد استخدام الحريري في صراعه الداخلي السوري.

ورغم ان الأسد قسم سوريا إلى قسمين في التعامل مع رفيق الحريري حين جاء به رئيساً للحكومة عام 1992 الاغلبية تعاونت مع الحريري (خدام، الشهابي، دوبا، كنعان) والاقلية ضده (ناصيف، بشار..).

فإن الأسد لم يكن ليثق بالحريري أبداً، ولم يأخذ أي نقاش بينهما يوماً طابع الحميمية، وهنا ينسب المشنوق إلى رفيق الحريري قوله: ان حافظ الأسد كان يرسل له عبد الحليم خدام إذا كان ما يحمله له خدام قابلاً للنقاش، أما ما كان يحمله الشهابي للحريري فلم يكن قابلاً للنقاش.

وبالمقابل كان الحريري وبحسن نية يرسل إلى سوريا النائب الشيعي في كتلته باسم السبع (صحافي مرموق ومحلل سياسي مميز) كمندوب شيعي للحديث أحياناً بإسمه، وكان هذا يفتح باباً واسعاً للتعليق عند القيادات العلوية الأمنية المعادية للحريري، ليقولوا بين بعضهم أو يتهكموا في حديثهم مع خدام: انظروا رفيق الحريري يريد أن يتشاطر علينا ويرسل لنا شيعياً في كتلته وهو يظن انه يستطيع أن يقلدنا أو هو يظن نفسه يوازينا أو ان في لبنان دولة بحجم دولة سوريا، رفيق الحريري يريد أن يبيع الماء في حارة السبيل (المياه).

هل قتل بشار الحريري؟

لا يجزم خدام بالأمر لأنه بين أيدي القضاء الدولي وهو ينتظر حكمه، لكنه يتساءل هل يمكن لهذه الحملة التي شنتها جماعة بشار ضد الحريري في لبنان، ان تنطلق بهذا الشكل المتناغم المضبوط بالتوقيت دون علم أو إذن بشار؟

من حكاية توزيع الزيت على الفقراء واعتقال الشباب الذين قاموا بالأمر، إلى الذي اتهم الحريري من جامع المنصوري في طرابلس (الرئيس عمر كرامي) بأنه عميل صهيوني - أميركي، إلى الذي وصف الحريري بأنه "بركيل قريطم" (طلال ارسلان).

هؤلاء لا ينطقون حرفاً إذا لم تأتهم التعليمات من بشار عن طريق زلمته في لبنان رستم غزالة، وأحياناً من هو أصغر منه.

وقبل أن نتحدث عن التمديد للحود والقرار 1559، نقول ان بشار استقبل الحريري يوم 2004/9/21 أي بعد 19 يوماً من التمديد القسري و18 يوماً من صدور القرار الدولي، ليطلب منه تشكيل حكومة لبنان، واعداً إياه انه سيساعده كثيراً، قبل الحريري وبدأ مشاوراته ليكتشف ان لحود يعرقل له التشكيل ليعتذر.. وقد حصل.

لقد أبلغ بشار من جماعته في لبنان وبينهم ميشال سماحة وجميل السيد ان رفيق الحريري ومروان حماده وغسان سلامة كانوا وراء القرار الدولي الرقم 1559 الذي أعلن بشار الأسد يوم السبت في 2005/3/5 الانسحاب من لبنان بمقتضاه.

جرت محاولة لاغتيال مروان حماده يوم 2004/10/1، اغتيل رفيق الحريري في 2005/2/14.

التمديد للحود

يروي عبد الحليم خدام انه قبل سفره إلى باريس في 2004/8/18، التقى بشار الأسد وسأله عن التمديد، فرد بشار بأنه لا تمديد للحود، لأن هذا التوجه يواجه معارضة شديدة في الداخل وفي الخارج، لا اللبنانيين بأكثريتهم يريدونه، ولا العرب ولا أوروبا، ولا أميركا.. وختم انه غير موافق على التمديد.

سافر خدام، وبعد ثمانية أيام بالضبط استقبل بشار الأسد رفيق الحريري لمدة 12 دقيقة كانت عاصفة بدءاً من قول بشار في تحد وتكبر للحريري وعليه: "انت معي أو مع إسرائيل، أنا مع لحود وأنت مع من؟ لم يرد بشار ان يسمع وهو لو يلاحظ المشاهدون أي لقاء اعلامي سياسي لبشار مع أي من زواره يحتل مساحة الحديث كله حتى الذي يكون تحت عدسات التصوير.

بعد عودته يلتقي خدام بشار ليقول له: كانت سوريا في دائرة الخطر، أنت دفعتها إلى قلب الخطر نفسه ماذا فعلت؟ هل يستحق لحود كل هذا؟

رد بشار ان هناك مؤامرة أميركية - إسرائيلية - فرنسية ضد سوريا وان الحريري ينفذها وانه تقاضى 300 مليون دولار لينفذ هذه المؤامرة.

يضحك خدام: "عال والله كانت الناس تتهم الحريري بأنه يشتري السياسيين والاعلاميين المحليين والعرب وحتى الدوليين.. أصبح الآن يحتاج مالاً يتقاضى رشوة من أميركا لينفذ مؤامرة ضدك؟".

يا دكتور يتابع خدام.. في أميركا مؤسسات، وصرف أي دولار يحتاج إلى قرار من الكونغرس الأميركي، وهذا يعني أن يصبح هذا الأمر مكشوفاً لـ 500 عضو كونغرس وكل وسائل اعلام أميركا والعالم.. ما هذا الذي تقوله؟

لم أتوقف عند هذا الكلام غير المعقول، يتابع خدام، لكنني تقدمت باقتراح يقضي بأن يستقيل إميل لحود بعد ان مدد له، وان تسمح دمشق للبنانيين باختيار رئيس جديد للجمهورية انتخاباً، وان ننسق الأمر مع الرئيس نبيه بري لاختيار رئيس جديد، لن يكون في أي حال من الاحوال إلا مقرباً من سوريا.

قال خدام لبشار حتى رفيق الحريري سيختار مسيحياً ترضى عنه أنت وترضى عنه سوريا وتعرفه جيداً.

هنا نسترجع واقعة لقاء عقده الحريري مع أحد أصدقاء الرئيس نبيه بري في داره في قريطم مساء الخميس في 2005/2/10 أي قبل أربعة أيام من اغتياله.

كانت العلاقة بين الحريري وبري تمر بمرحلة جفاء وأراد الحريري طمأنة بري ومن ورائه بشار، فقال لصديق بري قل لأبي مصطفى يبلغ بشار، لو انني حصلت في الانتخابات النيابية المقبلة (ربيع 2005) على مئة مقعد نيابي فإنني لن أشكل حكومة في لبنان إذا لم يرض عنها الرئيس بشار، وصلت الرسالة إلى بشار، فجن جنونه وراح يشتم الحريري لاعناً إياه: من هو هذا الـ.. حتى يشاركني في السلطة في لبنان؟ من قال لهذا الأخو.. انني سأكلفه بتشكيل الحكومة، من يظن نفسه هذا الـ.. حتى يضمن من الآن انه سيحصل على أغلبية في مجلس النواب..

الآن

ما الذي حصل بين 18 آب عندما سافر خدام إلى باريس مطمئناً إلى عدم حصول التمديد وبين 26 من الشهر نفسه حين استفز بشار الحريري قائلاً: لحود أنا وأنا لحود، انت معي أو مع إسرائيل وأميركا؟

يقول الرئيس سعد الحريري للمؤلف مساء السبت 19 آب 2010 ان بشار أبلغه بعدما التقاه عدة مرات قبل وبعد تشكيل حكومته التي اختاره نواب الاغلبية لتأليفها اثر انتخابات حزيران/يونيو 2009، انه أكد للرئيس رفيق الحريري انه لن يمدد للحود، وان عليكم أن تتفقوا مع الرئيس نبيه بري لانتخاب رئيس جديد، وان الحريري جاء إلى أمين عام حزب الله حسن نصرالله ليبلغه الأمر مما دفع نصرالله ليتوجه إلى دمشق لإقناع بشار بالتمديد للحود الذي يقف مع المقاومة كلياً، ولن تجد مسيحياً مثله يدعمنا؟

رويت هذه الواقعة لخدام فلم يستبعدها وهو يعرف شخصية بشار المستمع الجيد لآخر من يحدثه في أمر ما ثم روى الرواية السورية شبه الرسمية كما يعرفها فيقول:

ان بشار الأسد بعد لقائه الحريري في 2010/8/18 استدعى فاروق الشرع (كان ما زال وزيراً للخارجية) ليطلب منه عقد لقاء عاجل مع وزير خارجية اسبانيا المكلف بمتابعة الشأن اللبناني من دول الاتحاد الأوروبي ميخائيل موراتينوس ليبلغه ان سوريا ستطلب من الرئيس نبيه بري تأخير إجراء الانتخابات الرئاسية في لبنان، حتى لا يصدر القرار 1559.

موراتينوس أبلغ رئيس وزرائه لويس رودريغيز ثاباتيرو بالأمر فطلب الرئيس الاسباني ان يكلمه بشار الأسد بالأمر شخصياً.

الأسد تحدث هاتفياً إلى ثاباتيرو طالباً منه برجاء ان يعمل لمنع صدور القرار الدولي 1559، لأنه ينص على سحب القوات السورية من لبنان. واعداً بالعمل على وقف التمديد للحود.

ثاباتيرو التزم بالعمل على وقف صدور القرار المذكور وراح يخاطب رؤساء أميركا (بوش) فرنسا (شيراك) بريطانيا (بلير) ألمانيا (ميركل) لعدم عقد جلسة مجلس الأمن إلى ان ينتخب اللبنانيون رئيساً جديداً.

نفذ الاسبان وعدهم، وتحدث موراتينوس إلى الشرع ليطلب من الرئيس بري وقف عقد جلسة مجلس النواب للتمديد للحود، فرد الشرع على موراتينوس بقول هو الاعجب: لبنان دولة ذات سيادة وهي التي تقرر ما الذي يجب أن تفعله، وإذا أردتم التدخل في هذا الأمر فعليكم التحدث مع نبيه بري.

رد موراتينوس ساخراً الآن أصبح لبنان دولة مستقلة؟ الآن تريدونني أن أتحدث مع بري ومعلمك تحدث مع الرئيس ثاباتيرو بأنه سيطلب من بري تأجيل جلسة مجلس النواب لحين الاتفاق على رئيس جديد غير لحود؟

ومع هذا اتصل موراتينوس ببري ليطلب تأجيل عقد جلسة التمديد للحود فرد رئيس مجلس النواب اللبناني: نحن دولة مستقلة ولا أحد يتدخل في شؤوننا!!

يقول خدام: ان بشار يستسهل الكذب، ونظامه كله مبني على كذبة كبيرة انه يمثل الشعب السوري.

مدد لحود لبشار وصدر القرار الدولي 1559 الذي قال عنه فاروق الشرع لحظة صدوره انه قرار تافهّ، وتابع انه لا يعني سوريا لا من قريب ولا من بعيد، لكنه بعد عدة أشهر سمع معلمه يقول انني أعلن سحب الجيش السوري من لبنان بمقتضى القرار الدولي 1559.

نسأل خدام.. هل كان بشار يعرف مخاطر هذا القرار فرد حاسماً: لو كان يعرف هذا الأمر لباع 50 إميل لحود، لكن فاروق الشرع أقنعه بأن القرار لن يصدر لأنه لن يحصل على أكثرية الثلثين في مجلس الأمن (أي 10 من أصل 15 وكان يقول انه لن يحصل على أكثر من 7 أو 8 أصوات وانه لن يمر).

"الشرع خدع بشار، وبشار خدع نفسه والاثنان يتمتعان بعبقرية مشهودة".

يقول خدام انه سأل الشرع بعد قوله ان لا علاقة لسوريا به عن هذا القول العجيب فرد الشرع: ابو جمال انت تعرف ان هذا ما كان الرئيس يحب سماعه؟ يقول خدام: لقد شكل هذا القرار حجراً على سوريا..

خدام والحريري

نسأل خدام.. عندما صدر كل هذا كنت في فرنسا، ألم يطلب منك الحريري العودة إلى سوريا لتخفيف العبء، وهو الذي كان أخبرك بتهديد بشار لـه بأنـه سيكسر لبنان كله فوق رأسه ورأس وليد جنبلاط ورأس شيراك.. رد خدام، بـل سألني رحمه الله ما هي نصيحتك أبو جمال؟

رد خدام سألت الحريري ماذا قال لك وليد جنبلاط فرد قائلاً: نصحني يا أبو بهاء ان تركب طائرتك وتطير إلى فرنسا أما أنا والقول لوليـد، فسـأقف ضـد التمديد.. ومع هذا بقي الحريري وأيد التمديد وقتلوه كان يقول انه يكسر يده ولا يوقع للتمديد للحود، كسرت يده ووقع!!

كأنه كان كميناً له، وهم سيقتلونه على أي حال بما كان يمثله. قلت لـه - والقول لخدام - معلوماتنا انهم يريدون قتلك سافر يا أخي، فرد أمامي انتخابـات لن أتركها، ويمكن ان أسافر بعد ان أخوضها وأكسبها.

قبل اغتياله بعدة أيام كان خدام أرسل للحريري رسالة مع والد صهره محسن دلول يطلب فيها منه الخروج من لبنان لأن هناك قراراً بقتله، فلم يمتثل.

جاء خدام إلى بيروت، لإجراء فحوصات ومر على الحريري وتناول الغـداء معه، فسألني عن رسالتي مع دلول فقلت له: "في اجتماع القيادة سمعت من بشـار كلاماً عنيفاً ضدك بأنك تنفذ مخططاً صهيونياً أميركيا ضد سوريا، وانك كتلـت طائفتك في لبنان ضد سوريا، وهذا ما لا نتحمله، وانك خطر على سوريا ونظامها ودورها وهذا يعني بلغة النظام انك يجب أن تزاح من الدرب. رد الحريري علـى خدام بالقول:

كان عوني الكعكي (صاحب ورئيس تحرير جريدة "الشرق" البيروتية) عندي، ونقل لي ان ماهر الأسد يحبك ويودك ويريد متابعة التعاون معـك، قلـت لـه - والكلام لخدام - هذه رسالة لطمأنتك حتى تبقى.. ليقتلوك.. اجمـع حاجياتـك واخرج من البلد.

لم يقتنع الحريري، قال لي بعد الانتخابات فرد خدام الله يلعن أبو الانتخابات شو فايدتها إذا قتلوك؟

كان حافظ الأسد يطمئن من يريد قتله، هكذا فعل مع كمـال جنـبلاط، وجورج حاوي وما بينهما ما فعله غازي كنعان مع نسيب الخطيب وهكذا فعـل بشار مع رفيق الحريري.

عندما وصف الحريري
سلوك بشار في لبنان كقوة احتلال

آخر مقابلة للحريري في صحيفة ايرلندية

نشرت صحيفة "ذي ايرش تايمز" (The Irish Times) الايرلنديـة مقابلـة أجرتها مراسلتها في باريس لارا مارلوي ربما تكون الأخيرة مـع الـرئيس رفيـق الحريري، باح خلالها بكل مكنوناته وما يعتمل في نفسه من رؤية لخطه السياسـي ومستقبل لبنان. لكنه اشترط عدم نشرها.. لكن النشر تم طبعاً بعد قتل الرجل.

"قال لي الرئيس رفيق الحريري: أنا أثق بك لارا، لا تغدري بـي. التقيتـه خلال زياراته الدورية للعاصمة الفرنسية في المنـزل القائم عند المرتفع المطل علـى برج إيفل. المنـزل الذي بناه غوستاف ايفل (مهندس برج ايفل) واشتراه الحريري لنفسه. كانت تلك المرة الأخيرة التي رأيته فيها قبل ستة أسابيع، وهنـاك أيضـاً تقبلت أرملته نازك التعازي من صديق الحريري الحميم الرئيس جاك شيراك.

عندما التقيت الحريري بدا لي ممتلئاً حماسة ضد السوريين الذين أصبحوا في ورطة كبيرة في لبنان ومنذ أحداث 11 أيلول 2001 أصبحت دمشق تحت ضغط واشنطن التي تتهمها بالإرهاب. يعتقد بعض اللبنانيين ان الحريري كـان وراء قرار مجلس الأمن 1559 المدعوم من الولايات المتحدة وفرنسا والذي يدعو إلى إنهاء الوصاية السورية على لبنان. لقد كان الرئيس الحريري حذراً وترك الأمور للزعيم وليد جنبلاط لإعلان المواقف المعارضة للسياسة السورية في لبنان، وبعد استقالته من رئاسة الوزراء بدأ يسير مع تيار "المستقبل" المؤيـد لـه في اتجـاه معارضة سوريا.

قال لي: "لدى المعارضة ما يقارب ثلث البرلمان وإذا تمكنا فقط مـن الفـوز بـ 46 في المئة من المقاعد في الانتخابات النيابية، فأنا متأكد ان أربعة في المئة على

الأقل سينضمون إلى جانبنا وسنحظى بالأكثرية، ولن يتمكن السوريون من تزوير النتائج والاعلام العالمي سيمارس رقابة دقيقة".

لم يعلن أبداً انه سينضم إلى المعارضة لكنه قال لي: "سأكون في المعارضة من دون أدنى شك وأنا ألعبها على الطريقة اللبنانية ولدينا نائبان من كتلتي يحضران اجتماعات اللقاء الديموقراطي (يقصد البريستول) ووسائل الاعلام التي أملكها تفرد حيزاً واسعاً للمعارضين والأرض تتزحزح والقوة السورية تتزعزع. أريد أن أعطي السوريين فرصة أخيرة، لقد أبلغ الأميركيون السوريين انهم يتحملون مسؤولية أي عنف يحصل في لبنان وأعلن السفير الأميركي ان على السوريين المغادرة بهدوء وبطريقة منظمة، انه حلم ولكنه سيتحقق".

وأضاف: "سوريا تتصرف أكثر فأكثر كقوة احتلال لأنهم يشعرون بالتهديد ويشددون قبضتهم على بلادنا، والرئيس السوري الحالي بشار الأسد ليس ماهراً مثل والده. قبل عام قال لي بشار: أنا الوحيد الذي أملك الحق في اختيار رئيس لبنان وليس لأي شخص آخر هذا الحق سورياً كان أم لبنانياً".

سألت الحريري: هل كان السوريون وراء تفجير سيارة مروان حماده؟

أجابني: "على أدنى تقدير سمحوا بحدوثها وعلى أقصى تقدير أعطوا الأوامر بتنفيذها (..) ان اللوبي اللبناني في واشنطن يزداد قوة وأفراده يستطيعون الوصول إلى الرئيس جورج بوش. لقد حلم الفرنسيون والأميركيون بقرار مثل 1559 وبشار الأسد وفر لهم القضية والذريعة. هذه هي المرة الاولى منذ 30 عاماً أي منذ دخول السوريين لبنان، يقرر فيها المجتمع الدولي ان عليهم الرحيل. لقد حذر الأميركيون والفرنسيون من إعادة تعيين لحود وأنا حذرتهم ولكن إذا أرادوا الانتحار فدعهم".

مروان حماده والقرار 1559

يؤكد النائب حماده ان صدامه مع الاجهزة السورية الحاكمة في لبنان بدأ باكراً جداً، وقبل نحو 8 سنوات من محاولة اغتياله، في 2004/10/1.

عام 1996 أخبره وليد جنبلاط ان السوريين وضعوا على اسمه فيتو لمنع إدخاله وزارة الحريري، بسبب حديث له عن ضرورة إعادة التموضع العسكري السوري في لبنان تنفيذاً لاتفاقية الطائف التي تنص على إعادة انتشار الجيش السوري في

لبنان ليصل إلى البقاع بعد مرور سنتين على انتخاب رئيس للبنان واستكمال بناء المؤسسات الدستورية.

قال جنبلاط لمروان.. لقد طلبوا مني شطب اسمك من لائحة الشوف في الانتخابات التي جرت صيف العام نفسه لكنني لم أرد عليهم، وقد أعطتك الناس أعلى الاصوات ربما لشعورها انك لست على علاقة جيدة بالسوريين. ولكنني لم أستطع فرضك وزيراً مع صديقنا أبي بهاء.

والطريف ان مروان حماده قال للحريري في باريس بحضور المؤلف في شهر آب/أغسطس 1990 انه كان التقى أبو جمال (خدام) في دمشق وقال له يا ابو جمال بدأ العد العكسي لإعادة انتشار الجيش السوري في البقاع بناء على اتفاقية الطائف..

فسأل خدام حماده وكم تبقى لجيشنا حتى يعيد انتشاره إلى البقاع؟ فقال حماده: باقي تقريباً 100 يوم، فرد أبو جمال ضاحكاً عال غداً يتبقى لنا 101 وبعده 102 وبعده 103.. لينفجر الاثنان ضحكاً وكذلك فعل الحريري وهو يستمع إلى رواية حماده.

ويؤكد حماده انه لم يكن له أي علاقة بالقرار الدولي 1559 الذي اتهم بالمشاركة بوضعه واتخذ قرار بقتله استناداً إلى هذا الاتهام، وانه كان مشاركاً في مؤتمر في الاونيسكو بحضور 36 شخصية من العالم حين صدر القرار.

لكن حماده يروي الاهم وهو انه في شباط/فبراير 2004 علم بمقدمات هذا القرار.. كيف؟

كنت في رحلة مع إميل لحود إلى البرازيل، وكنت وزيراً للخارجية بالوكالة (الأصيل كان جان عبيد) وقد طلب مني صديقي وزميلي عبيد ان أحضر مكانه الاجتماع الوزاري اللبناني - الأوروبي في بروكسل بمشاركة 15 دولة وهو الاجتماع المخصص للبحث السياسي مع لبنان، وكنت حضرت الاجتماع المخصص للبحث الاقتصادي قبل ذلك بنحو شهرين في بروكسل التي توجهت إليها بعد تركي لحود في البرازيل، دافعت عن حق لبنان بأن يتمسك بدستوره وألا يكون الدستور اللبناني عرضة للتلاعب، وشرحت مواقف كانت دول الاتحاد الأوروبي تأخذها على لبنان في مسألة حقوق الانسان، وأحكام الاعدام، فقلت صحيح ان لدينا قانون عقوبات يسمح بالإعدام.. لكننا لا ننفذ هذه الاحكام، ونحن نسعى لتحسين أوضاع السجون..

بعد ان انتهيت انتهى الاجتماع وعند خروجنا أمسك رئيس المؤتمر (هولندي) بيدي ليشكرني على مرافعتي وعلى الاسلوب الرشيق كما قال في طرح الملفات اللبنانية الصعبة، ثم ليقول لي ما فاجأني:

سيدي الوزير: إذا كنت ستظل معنا هنا في العام المقبل، فهناك نقطة واحدة على جدول الاعمال اللبناني – الأوروبي المشترك وهي إخراج القوات السورية من لبنان.

لقد سمعت – يتابع حماده – في بروكسل وفي غيرها ان بشار الأسد لن يجدد للحود في الرئاسة، وان رئيساً ليبرالياً سيأتي إلى الحكم بعده عام 2004، ولضمان إجراء انتخابات نيابية حرة عام 2005 فيجب أن يخرج السوري من لبنان.

كانت هذه هي مقدمات القرار 1559، وقد توصلوا إلى هذه القناعة كاملة في حزيران/يونيو عام 2004 أثناء مؤتمر نورماندي بمناسبة مرور 60 عاماً على الانزال الأميركي البحري في أوروبا الذي كان بداية نهاية الحرب العالمية الثانية وتحرير أوروبا من نازية هتلر ونهايته.

ومع هذا

فإن مقدمات القرار الموضوعية بدأت في لبنان نفسه، بعد ان قرر بشار الاسد ان يلغي عن اللبنانيين سياسيين وأمنيين، عسكريين وقضاة، رجال أعمال وعلم من المحسوبين عليه صفة الصداقة، ليتعامل مع الجميع كعملاء.

تكرس هذا المفهوم بمجيء إميل لحود للرئاسة وجميل السيد للأمن العام، وعرقلة مجيء رفيق الحريري رئيساً للحكومة واختراع ايلي الفرزلي بطلب من غازي كنعان بدعة الاستشارات النيابية غير الملزمة، وتفسير المادة 53 من الدستور وفق جهبذة فرزلي اللحودية.

خلال فترة السنتين الأوليين من حكم لحود 1998 – 2000 زرع هذا أضخم شجرة وارفة لرفيق الحريري في لبنان تظلل أبو بهاء بها كي يأتي على حصان أبيض في انتخابات 2000 في بيروت التي أسقطت حليفه السياسي الأول في لبنان رئيس حكومته المفضل سليم الحص في درس كان فيه الحريري طريفاً ولئيماً حين جعل سيدة من آل جلول منافسة لرئيس الحكومة، لتسقطه بأصوات البيارتة الناقمين على الاثنين معاً لحود والحص. انتقاماً من الكيدية التي اعتمدتها حكومة الحص بدعم من

لحود ضد نخبة من رجال الحريري، الذين لم يستطع القضاء اللبناني رغم خضوعه لأوامر جهاز الأمن السوري وتابعه اللبناني ان يثبت أية تهمة ضد أي منهم (مهيب عيتاني، عبد المنعم يوسف، نقولا سابا وفؤاد السنيورة).

في شهر تموز/يوليو 1999 أعلن مرشح حزب العمل الصهيوني يهود باراك في برنامجه الانتخابي انه سيسحب قواته من جنوبي لبنان والبقاع الغربي خلال عام واحد إذا جاء رئيساً للحكومة وفي 24 أيار/مايو 2000 أي بعد عشرة أشهر نفذ باراك وعده وسحب قواته من الاراضي اللبنانية المحتلة.

لسخرية القدر ان وزير خارجية بشار الأسد فاروق الشرع هاجم هذا الانسحاب واصفاً إياه بالمناورة والمؤامرة كما أعلن بعد ذلك ان القرار الدولي 1559 هو أمر تافه لا يستحق الرد.

كرست انتخابات 2000 النيابية في كل لبنان الغلبة لدعاة الاستقلال والسيادة في لبنان رغم إرادة بشار وأجهزته الحاكمة في لبنان وأتباعها اللبنانيين.

عام 2001 حصلت تفجيرات نيويورك التي تبنتها القاعدة وهللت لها جماعات الاسلام السياسي والاصولية من مقراتها المتعددة.. ومنها دمشق نفسها.

عام 2003 غزت القوات الأميركية العراق يوم 3/20 واصفر وجه بشار ومن معه خوفاً على مصير مشابه لما حصل للجزء العراقي من البعث.

أرسل رئيس جمهورية إيران السيد محمد خاتمي رسالة إلى الأميركان ليعقد تسوية معهم تمهد لصداقة تستفيد منها الشعوب الايرانية والاميركية.

جاء وزير خارجية أميركا كولن باول إلى دمشق ليبلغ بشار ان عليه ان يوقف دعمه للإرهاب في العراق وان يوقف تدخله السافر في الشؤون اللبنانية، وان يترك اللبنانيين يقرروا مصيرهم بأنفسهم.

بدأت سُحب الاوكسجين بالهواء النظيف تطل على لبنان، طاردة غاز الكاربونيك السوري وطبعاً لم يستسلم بشار فالمصالح في لبنان أعظم من تخيل تركها للحظة.. فبدأ الهجوم المضاد ضد لبنان وشعبه من جديد.

مدد بشار للحود لاحساً كل وعوده بعكس ذلك، حاول النظام الأمني السوري وتابعه اللبناني وأدوات الاثنين من أحزاب ومخبرين وقتلة اغتيال مروان حماده في 2004/10/1.

يقول مروان للمؤلف: انني استهدفت في الوقت الذي فقد فيه وزير الاقتصاد والمال السوري د. غسان الرفاعي منصبه وهو خارج بلاده، وكان جيء بـه مـن البنك الدولي في وقت ظن فيه كثيرون وهماً ان بشار يريد اصلاحاً.

كان مروان وغسان من الساعين لإدخال سوريا ولبنان الاتحاد الأوروبـي والشراكة الأوروبية.

وفي حين ان نظام بشار حاول اغتيال مروان في بيروت فإن النظام نفسه أبلغ غسان إقالته حين كان في نيويورك يحضر اجتماعاً لصندوق النقد الدولي.. انه يوم 2004/10/1.

ودائماً

منع بشار الأسد إدخال لبنان منظمة التجارة الدولية رغـم ان دولـة مثـل السودان دخلت وكذلك الصين، فهذا الرجل كان ينفذ قرار أبيه، بإبعاد لبنان عن أي حضور دولي اقتصادي ليظل في منطقة نفوذه الاقتصادي حتى إذا دخلت سوريا المنظمة أدخلت لبنان كذيل لها كما في كل المحافل العربية والدولية.

كان وزير خارجية لبنان محمود حمود أو أي من الذين جاء بهم السـوري إلى الخارجية، يجلس في مقعده في أي اجتماع عربـي أو دولي وعيناه علـى الـوزير السوري (فاروق الشرع في أغلب الاحيان) ليسأله بالنظرات أو بالاشارات عـن القرار الذي يجب أن يوافق عليه أو يعترض برفضه.. ملتزماً دائماً بما يقرره الـوزير السوري في أي حالة كانت.

الحريري وعون

حاول الرئيس رفيق الحريري إعادة قائد الجيش اللبناني السـابق المنفـي إلى باريس ميشال عون إلى لبنان، كطريق لا بد من السير فيه لتحقيق مصـالحة بـين اللبنانيين.

صحيح ان الحريري لم يجرؤ على التفكير في طلب إخراج قائـد "القـوات اللبنانية" سمير جعجع من السجن، وصحيح انه كان عقد اجتماعاً يتيماً للمصـالحة بين سمير جعجع وإيلي حبيقة في داره في قريطم بعد تشكيله أول حكومـة لـه في العام 1992.

إلا ان الحملة التي شنت على الحريري من عملاء من الاستخبارات السـورية لمحاولته إعادة عون إلى لبنان ألزمته الصمت وعدم المحاولة ثانية.

وفيما بعد وعندما احتاج نظام الأسد الابن إلى عون أرسل ابن الرئيس يومها إميل إميل لحود وكريم بقرادوني إلى باريس لإعادة قائد الجيش السابق إلى بيروت، رغم ان وزير العدل - مدعي عام التمييز يومها عدنان عضوم كان صرح ان على عون إذا عاد إلى لبنان أن يمثل أمام المحاكم لمحاكمته بتهمة الاستيلاء علـى أمـوال الدولة.. لكن عون كان تبلغ من بقرادوني وإميل لحود الصغير ان كل القضايا ضده ستسحب إذا عاد إلى لبنان على الحصان السوري.

عاد عون لاستخدامه ضد ثورة الأرز التي بلغت ذروتها في التظاهرة المليونيـة الحاشدة يوم 2005/3/14 بعد مرور شهر واحد على اغتيال الرئيس رفيق الحريري.

ورغم ان ابن إميل لحود البكر هو الذي عقد صفقة إعادة عون إلى لبنـان إلا ان هذا الأخير رفض زيارة العماد إميل لحود في القصر الجمهوري، كما رفض ضم إميل الصغير صاحب الصفقة في لائحته الانتخابية في معقل لحود في المتن الشمالي، وكذلك رفض ضم أبرز المروجين لنظام الأسد الأب والابـن في لبنـان ميشـال سماحة.

ولم يعد غريباً بعد ذلك ان تكافأ قضية اغتيال الحريري من عون بهذا القـدر من الجحود ونكران الجميل.

خاتمة الفصل

كان للحريري أصدقاؤه في سوريا (عبد الحليم خدام، حكمت الشهابـي، غازي كنعان الذي كان له ضربة على الحافر وضربة على المسمار في علاقته مـع الحريري).

وهؤلاء كان بشار يكرههم، فقد نقل غازي من لبنان حيث كان حاكمـه الفعلي، وله من هذا الحكم نفوذ واسع لدى عدد كبير من ضباط الجيش السوري، يرسل لهم مساعدات مالية مجزية كي يتحدثوا عنه إيجاباً أمام حافظ وابنه - ثم شن حملة شعواء على حكمت الشهابـي وأولاده متهماً إياهم بالفساد، ولم ينج خدام وأولاده من حملة ضده سواء داخل الحزب أو عبر الاعلام.. ومـا زال كـثيرون

يذكرون حديث سليمان فرنجية ضد خدام، وقد تداولته وسائل الاعلام اللبنانيـــة كثيراً.

وإذا أقام الحريري علاقات مع بشار فإنه فضلاً عن ان بشار لن يصدقه وهـــو يكرهه بكراهية محمد ناصيف له، كونه سنياً قوياً من لبنان بات له محبون كثـــر في سوريا خاصة لدى أهل السنة، فإن الحريري يغامر بصداقة أصدقائه السوريين.

قال المحامي اللبناني فؤاد شبقلو لعبد الحليم خدام: يا أبـــو جمـــال علاقتـــك بالحريري تضرك.. وتضره.

الفصل العاشر

الأب والابن

ثنائي الخبيث – ثنائي الطيب

- **مقدمة**
- **جنبلاط وصف بشار بأنه مولدن**
- **محاولة اغتيال مروان**
- **جنبلاط واغتيال الحريري**
- **الحريري وعمر كرامي**
- **حزب الله يأخذ جنبلاط إلى بشار**
- **جنبلاط بعد ثورة السوريين**
- **لماذا وصف جنبلاط بشار بالقرد؟**

الأب والابن ثنائي الخبيث ثنائي الطيب

بشار الأسد هو ابن الرجل الذي قتل والد وليد جنبلاط، وهو شقيق الضابط الذي ظل يلاحق جنبلاط الابن لقتله معتبراً إياه رجلاً ميتاً Dead man.

ووليد جنبلاط هو ابن الرجل الذي احتضن جميل لحود والد الرجل الذي كان جنبلاط واثقاً بكراهيته له حتى الموت.

لم يتراجع كمال جنبلاط ونجله عن مصيريهما في التصدي لإرهاب آل الأسد الأب والابن، حتى لو اختلفا في التعامل مع آل لحود الأب والابن.

جنبلاط وصف بشار بأنه مولدن

في اول انطباع خرج به وليد جنبلاط بعد اجتماعه ببشار الأسد للمرة الأولى قال الزعيم اللبناني لمرافقيه:

انه ولد، متولدن، وهناك فرق كبير بينه وبين والده.

لم تجمع الكيمياء أيضاً بين جنبلاط وبشار الأسد، والزعيم اللبناني كان يعرف تماماً ان هناك في لبنان من يوغر صدر هذا الولد الحاكم في سوريا ضد جنبلاط وغيره، ومن هؤلاء اميل لحود، سليمان فرنجية، ميشال سماحة وجميل السيد وآخرون.

لم يستمع بشار الأسد إلى أحقاد هؤلاء ضد جنبلاط فقط، بل كان هناك في سوريا فريق توغر الكراهية صدور أعضائه ضد الفريق اللبناني الذي يمثل جنبلاط أحد أضلعه.. أما ضلعاه الآخران فهما نبيه بري ورفيق الحريري، بسبب صلته السياسية الاساسية مع نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام، ورئيس الاركان السوري حكمت الشهابي وممثل الرئيس السوري في لبنان غازي كنعان.

كانت كراهية المجموعة التي تدير بشار الأسد وتصنع عقله للفريق اللبناني تعبيراً عن صراع داخلي في قلب السلطة السورية نفسها.

ففي مواجهة خدام – الشهابي – كنعان، كان هناك محمد ناصيف – بهجت سليمان وآخرون لا يكنون أي ود للمجموعة الأولى المتهمة بأنها تحضن السنّة في لبنان وعلى رأسهم رفيق الحريري.

لم يحاول جنبلاط أبداً (ولا حاول الحريري وبري) الانخراط في هذا الصراع، وكثيراً ما حاول الثلاثة الاقتراب من المجموعة الكارهة لهم، لكن الكراهية كانت تملك قوة دفع ضد أي مصالحة أقوى بكثير من محاولات التقارب الخجولة أو المعمولة لرفع العتب.

كان جنبلاط يزور محمد ناصيف في دمشق وكان الأخير ودوداً جداً في الشكل مع الزعيم الاشتراكي اللبناني وعندما كان جنبلاط يسأل عن علاقته مع أبي وائل كان يرد بأن سفرته طيبة أي ان طعامه فقط كريم وسخي، أما غير ذلك فإن أبا وائل كان حاضناً لكل خصوم المثلث بري، الحريري، جنبلاط ومن معهم.

كان أبو وائل بصفته مسؤول الملف الشيعي مكلفاً من حافظ الأسد، صديقاً لكل خصوم بري السياسيين وعلى رأسهم رئيس مجلس النواب السابق السيد حسين الحسيني، والبعثي السابق الاشتراكي اللاحق، المرشح النيابي غير الناجح رياض رعد.

بل ان أبا وائل بات حضناً والبعض يراه محرضاً ضد نبيه بري داخل حركة "أمل" نفسها وبعض أطرها المعروفة مثل: حسن هاشم، محمود أبو حمدان، ومحمد عبيد وقيل أيضاً د. محمد بيضون.. وكان حضناً لبعض المخبرين الشيعة العاملين في مجالات مختلفة كانوا يتولون البخ اليومي والاسبوعي ضد بري وسياسته.

ولم ينج جنبلاط من احتضان أبي وائل لخصومه من الدروز تحديداً وقد بدا لفترة ان أبا وائل مكلف من حافظ الأسد بأن يحضن حكومات الظل التي نشأت في لبنان ضد حكومات رفيق الحريري الخمس خلال الفترة من 1992 حتى 2004 (حكومة واحدة برئاسة صديق أبو وائل واميل لحود السني سليم الحص 1998 – 2000).

ومن وزراء حكومات الظل كان طلال ارسلان وريث الزعامة الارسلانية التي تشكل ثنائية الدروز في التاريخ السياسي الحديث (جنبلاطية – ارسلانية).

كان أبو وائل حريصاً على اصطحاب نجل حافظ الأسد ووريثه الذي لم يرث باسل إلى حفل زفاف طلال في داره في خلدة، في رسالة تكريس لدعم الجناح الآخر في هذه الثنائية المنافسة لجنبلاط.

وكم حاول ناصيف فرض ارسلان وزيراً في حكومات الحريري نكاية بجنبلاط، وكم حاول فرضه في لوائح جنبلاط الانتخابية في عاليه، وكثيراً ما كان جنبلاط يرفض ذلك، حتى إذا اضطر تحت إلحاح حافظ الأسد، كان يترك مكاناً درزياً شاغراً في لائحة عاليه، ثم يعلق بعد نجاح ارسلان بسبب انعدام المنافسة ضده انه ترك المقعد شاغراً في عاليه، يجيء طلال نائباً لكن المقعد يظل فارغاً وقد كرس جنبلاط الأمر نفسه مع أحد يتامى أبي وائل في لبنان زاهر الخطيب في اقليم الخروب، فكان يعاند في قبول الخطيب في لائحته الانتخابية، حتى يطلب منه حافظ الأسد ذلك شخصياً فيرضى على مضض وجود زاهر في لائحته.. ثم يرفض ذلك نهائياً في آخر أيام حافظ الأسد.. وما زال.

وعندما ذهب جنبلاط للتعزية بوفاة حافظ الأسد كان اللقاء مع بشار جافاً وكان وجه بشار على ما يقال ناشفاً واستمرت العلاقات فاترة بين الاثنين إلى ان كان موضوع التمديد لإميل لحود عام 2004.

كان جنبلاط رافضاً علناً اي تمديد للرجل الذي لم يجمع الود بينهما طيلة سنوات، فجنبلاط كان ضد التمديد لإميل لحود في قيادة الجيش، وجنبلاط كان ضد انتخاب إميل لحود رئيساً ولم يقترع معه، وطبيعي أن يكون أيضاً ضد التمديد له لفترة ثانية.

ومن اللافت للنظر ان والد جنبلاط كمال جنبلاط كان صديقاً شخصياً بل وحاضناً سياسياً لوالد إميل لحود جميل لحود صاحب التاريخ الناصع عسكرياً وسياسياً ووطنياً، وكان جنبلاط الابن مقدراً لتاريخ اللواء لحود، لكنه أبداً لم يقترب من إميل لحود.

جنبلاط كان ضد تولي العسكر أية مسؤولية سياسية في لبنان، وقد قالها لحافظ الأسد عندما حاول الأخير إقناعه بميشال عون، وكان طبعاً ضد انتخاب إميل لحود رغم ان حافظ الأسد طلب منه ذلك شخصياً، لكنه حضر جلسة الانتخاب مكرهاً وتلبية لطلب الاسد لكنه لم يقترع للحود.

لم يكن موقف جنبلاط خافياً على بشار، وكان الأخير يراوغ ويكذب على كل المتصلين به محلياً وعربياً ودولياً إلى ان حسم الأمر وأرسل وزير الخارجية يومها فاروق الشرع يزف الخبر المشؤوم للبنانيين.

ولإخراج الأمر كأنه طلب لبناني، استدعى بشار عدداً من السياسيين اللبنانيين ليستصرحوا تأييداً للتمديد للحود، سعى السوريون بداية لترتيب الأمر بين إميل لحود ووليد جنبلاط، بدعوة الأخير إلى عشاء على مائدة الأول في القصر الجمهوري، فوافق جنبلاط على تلبية الدعوة.

وجاء رستم غزالة إلى وليد جنبلاط ليرتب له موعد الزيارة إلى دمشق لمقابلة الأسد.

طلب رستم من جنبلاط ان يعرف ما الذي سيقوله لبشار، فرد جنبلاط، هذا أمر سأقوله مباشرة للرئيس.

ألح رستم وأصر جنبلاط رفضاً، لذا ألغى القصر الجمهوري دعوة العشاء وألغى رستم دعوة جنبلاط للقاء بشار الذي أصر على أن علاقته بالسياسيين اللبنانيين تمر من خلال رستم غزالة فكان جواب جنبلاط اعلامياً رفضه ان تمر علاقته بسوريا عن طريق ضابط أمن.

كانت علاقة جنبلاط مع سوريا سياسية، ولم يكن ليلتقي أياً من ضباط الأمن إلا مصادفة أو على دعوة غداء أو عشاء عند أبي وائل، أما الاستخبارات الجوية التي اتهم أحد قادتها ابراهيم حويجي بقتل والده، فلم يفكر للحظة ان يلتقي أحداً منها.

ورغم التهديد الذي نقله رفيق الحريري من بشار الأسد ضده وضد وليد جنبلاط في الاجتماع الأخير بينهما الذي تم يوم 2004/8/26، والذي قال فيه الأسد انه سيكسر لبنان فوق رأسه ورأس وليد جنبلاط، فإن الزعيم الاشتراكي قال للحريري:

أبو بهاء أنت اذهب واقترع للتمديد للحود، لأنك أنت لا تستطيع تحمل مجابهة بشار، فهو يكرهك، وأنت لك بُعد سني يخيف الأسد وجماعته ويؤذيهم.

وكان جنبلاط سمع من المبعوث الدولي لتنفيذ القرار 1559 تيري رود لارسن انه سمع كلاماً قاسياً جداً من السوريين ضده والحريري قائلاً لـه: حـذرك يا وليد فهم إما سيقتلونك أو يقتلون الحريري.

ولم ينس جنبلاط حواراً ارتدى عباءة القدر مع الحريري، فالرجل سمع من رئيس حكومة لبنان بأن السوريين سيقتلون واحداً منا إما أنت وإما أنا، ولم يغرب عن أذهان المقربين من جنبلاط قول الرجل الذي كان كثير السخرية من لحود، وهو لم ينتخبه فكيف يمدد له؟ للحريري دع السوريين "فأنا معتاد على الكباش معهم" اذهب وصوت للتمديد.

محاولة اغتيال مروان حماده

في 2004/10/1 بدأت سلسلة الاغتيالات ومحاولتها ضد الوزير والنائب مروان حماده، الذي كان الاعلى صوتاً في نقد النظام الأمني السوري وتابعه اللبناني، واتهمه مخبرو الأسد في لبنان بأنه ورفيق الحريري وغسان سلامة كانوا وراء القرار 1559 (رواية كاملة عن الموضوع على لسان حماده في مكان آخر من هذا الكتاب).

فشلت محاولة الاغتيال ونقل حماده إلى مستشفى الجامعة الأميركية للعلاج وجاءه نائب الأسد عبد الحليم الذي استقبل على باب المستشفى بهتافات معادية تتهم نظام الأسد بمحاولة قتل حماده (كان خدام اتصل هاتفياً من دمشق بأكرم شهيب للاطمئنان على حالة مروان).

لاقاه جنبلاط ليدخله للقاء مع متفقدي حالة حماده من النواب والوزراء، وما ان شاهد النائبان أكرم شهيب وباسم السبع حتى بادرهما خدام بالقول وهو ينظر لجنبلاط.. كنا نتوقع أن يكون باسم أو أكرم المستهدفين..

خدام قال أمام الملأ في المستشفى انه مكلف من بشار الأسد للإطمئنان عن صحة مروان، وفي لقاء خاص مع جنبلاط ونوابه يعترف أبو جمال انه زار بيروت بمبادرة منه دون إذن من بشار ودون علمه.

يقول أكرم شهيب للكاتب في لقاء معه في عاليه ان أمين عام حزب الله حسن نصرالله كرر اعتقاد خدام في لقاء مع "اللقاء الديموقراطي" برئاسة جنبلاط حيث نظر إلى شهيب والسبع ليرجوهما ان يخففا قليلاً من تصريحاتهما الناقدة للنظام الأمني السوري وتابعه اللبناني.

جنبلاط واغتيال الحريري

نقل كثيرون انطباعات عن قدرية جنبلاط التي جعلت البعض يجزم ان الرجل مؤمن بأنه لن يعيش أكثر من 60 سنة فجده مات في الستين ووالده قتل في الستين من عمره.. وهو سيلقى المصير نفسه حين يبلغ الستين (2009) أما رفيق الحريري فعندما حذره أصدقاء مقربون من رؤساء دول ومسؤولين عرب ومحليين من خطة يدبرها بشار لقتله رد شبه متهكم: إذا حاولوا ذلك سيكونوا مجانين.. ومع هذا كان حذراً جداً.

إلى ان جاء القدر الذي لا يعترف بالحذر يوم 2005/2/14 كان يوماً طافحاً بالأمل لرفيق الحريري، فقد دخل مجلس النواب أثناء مناقشة بعض لجانه قانون الانتخابات النيابية، وجلس إلى جانب النائب باسم السبع في مقعده وراح يمازحه.. ثم خرج إلى مقهى ومطعم "Letoile" في مبنى مقابل لمجلس النواب، وراح يداعب صحافيين كانوا داخله وجمع بينهم رغم تباين مواقفهم السياسية ليجلسوا جميعاً حوله، وما ان غادر المقهى وقبل أن يستقل سيارته المصفحة التي يقودها بنفسه حتى جاءه ضابط الحراسة ليعطيه كلمة السر في أي طريق يسلك في العودة إلى منزله، فسمع الحارس كلمة واحدة: بحري أي الطريق البحري.

هنا يؤكد كثيرون ان ثلاث سيارات مفخخة أعدت لتفجير موكب الحريري.. وكلها على طريق إلزامي يؤدي إلى داره.

يروي النائب أكرم شهيب للكاتب انه كان داخل مجلس النواب يتابع نقاشاً للجنة اعداد قانون الانتخاب بحضور ميشال المر، سليمان فرنجية وكان وزيراً للداخلية، وعدنان عضوم وكان وزيراً للعدل.

حصل الانفجار فسارع عضوم للقول: انها خرق لجدار الصوت قامت به إسرائيل، فرد شهيب دون أن يعلم ما الذي جرى: يبدو انها من المتفجرات التي ترسلونها فغضب عضوم قائلاً: ما بسمح لك تتولدن معي، فرد شهيب بتهذيب: أنا مش عم بتولدن معك.

وقف سليمان فرنجية وقد ابيض وجهه وظهر عليه الارتباك الشديد، حتى انه خرج من اجتماع اللجنة عدة مرات ليعود بعدها دائماً دون أي كلمة سوى انه لم ينزل جهاز الهاتف الخلوي عن اذنه.

وحده نائب المستقبل عن إقليم الخروب وفي كتلة جنبلاط محمد الحجار أظهر خوفاً وقلقاً شديدين حتى انه حين حاول عدة مرات الاتصال خلوياً و لم يحصل على رد فراح يبكي بصوت مرتفع خاصة بعد ان نجح بالاتصال بمنزل الحريري سائلاً عنه فقيل له انه لم يصل.

في هذه اللحظة تلقى شهيب اتصالاً من النائب والوزير غازي العريضي يسأله عن الحريري فرد شهيب لقد غادر المجلس منذ نصف ساعة.. ثم سأل غازي وأين أنت فرد العريضي أنا في منزل وليد بيك فاطمأن شهيب على جنبلاط.

توجه شهيب إلى منزل جنبلاط فوجده يغير ملابسه ليتوجه إلى مستشفى الجامعة الأميركية.. وهناك أدركوا ان الرجل الكبير رحل.. بعد أن أبلغهم مروان حماده الخبر.

جاء الابن الأكبر للحريري بهاء وهو يبكي ويصرخ أين أبي، أريد أن أراه، حضن جنبلاط بهاء ثم اصطحبه محاولاً تهدئته إلى سيارته ليجلس معه في المقعد الأمامي في سيارة يقودها الزعيم الاشتراكي وخلفه جلس الثلاثة أكرم شهيب، غازي العريضي ومروان حماده.

في الطريق إلى منزل الحريري قال جنبلاط لبهاء وباللغة الانكليزية I have no good news أي أنا لا أملك أخباراً جيدة.. لقد شربت يا بهاء من الكأس المرة نفسها ثم انخرط الجميع في بكاء.. وكانت الدموع تملأ مقلتي جنبلاط وهو يقول يا صديقي يجب أن تكون على قدر المسؤولية الكبيرة التي تركها أبو بهاء لنا جميعاً.

في الطريق الطويل الطويل إلى منزل رفيق الحريري يقول بهاء لجنبلاط بعد ان تماسك قليلاً: لقد أوصانا والدنا بأنه إذا أصابه مكروه فليس لكم إلا وليد ثم نظر إلى جنبلاط قائلاً: "فأنت الأخ والأب والصديق.." بكى جنبلاط ثانية وهو يربت بيده اليمنى على كتف بهاء الأيسر.

في دار الحريري جاء سليم دياب ومعه خاتم الرجل الكبير، ثم جاء عدنان البابا بربطة عنقه التي اختارها له صباح اليوم قبل خروجه إلى المجلس.

وسط البكاء والنحيب والوجوم طلب جنبلاط من بهاء أن يخاطب الرئيس الفرنسي جاك شيراك ليعلمه بالخبر ويسأله النصيحة.

ثم هاتف جنبلاط البطريرك الماروني مار نصرالله بطرس صفير لينقل له الخبر الحزين قائلاً له: يا سيدنا السوري قتل الحريري ثم يرسل له سمير فرنجية وفارس سعيد، وفي المساء يرسل له البطريرك مطران بيروت بولس مطر.

اتصل جنبلاط بسفير مصر في بيروت محمد حسين ضرار ليبلغه الخبر طالباً منه سرعة التحرك وتحمل المسؤولية.

كان الجميع في حالة ارتباك وغضب سواء كان منهم السياسيون أو الجمهور المندفع كالشلال نحو دار الحريري.

وعندما وصل مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني إلى مدخل منزل الحريري لينضم إلى المجتمعين سمع هتافات معادية له أظهرت انه غير مرحب به أبداً فانسحب والغضب يلاحقه والبعض يذكره صارخاً: نسيت انك سرت في تظاهرات مبايعة بشار (وكثير من الكلام القاسي).

وحده جنبلاط وقف شامخاً كالطود يقول بحسم يجب إصدار بيان يتهم النظام الأمني السوري وتابعه اللبناني بالجريمة، وكلف مروان حماده وباسم السبع اعداده.

ثم التفت إلى الأهم حين دعا جنبلاط للزحف الشعبي إلى قصر بعبدا لخلع ساكنه (إميل لحود) لأنه رأى ان التمديد له حمل تداعيات على البلد أدت إلى جريمة اغتيال الحريري.

وفي حين اعترض النائبان أمين الجميل وبطرس حرب والراحل الزميل جبران تويني حتى لا تكسر رمزية رئاسة الجمهورية، واقترح الجميل الاتصال بالبطريرك صفير الذي لم يوافق على هذه الفكرة.

فإن الجميع وافق جنبلاط على أن يتم دفن الرئيس الحريري في مأتم شعبي، رافضاً أي حضور رسمي وتحديداً أي مندوب لإميل لحود.

كان تعليق إميل لحود على اغتيال الحريري انه رذالة.

وكان الاجتماع الذي تم في القصر الجمهوري بحضور عدد من الوزراء ومدير عام الأمن العام يومها جميل السيد قد شهد ما هو أنكى من ذلك حين قال السيد للحضور وبعضه خائف: آخر جنازة شعبية كبيرة حصلت في بيروت كانت لجمال عبد الناصر.. ولم يشهد لبنان مثلها بعد ذلك ثم راهن البعض واثقاً ان المسلمين سيحدون على الحريري ثلاثة أيام ثم يعود كل شيء إلى حاله.

أما ما جرى على الأرض بعد ذلك فيبدأ بزلزال الغضب الشعبي الذي تفجر في ساحة الشهداء أمام ضريح أقيم على عجل لدفن الحريري فيه حين هتفت مئات الألوف: أي ويلا بشار يطلع بره.

قاد أنصار الحزب التقدمي الاشتراكي والجماعة الاسلامية هذه الهتافات، وشارك فيها ربما لآخر مرة مؤيدو ميشال عون الذين نافسوا الجميع بحجم الاعلام التي حملوها بإسم "التيار الوطني الحر".

وتجلت الوحدة الوطنية العفوية في تلك المرحلة في أعظم صورها حين قالت امرأة مسيحية: كان صوت الأذان يزعجني لكنني صرت بعد دفن الحريري أتوق إلى سماعه حزينة متأثرة.

الحريري وعمر كرامي

يروي النائب أكرم شهيب آخر حوار بينه وبين رفيق الحريري داخل مجلس النواب قبل مغادرته إلى مصيره للكاتب: ما ان شاهدت الرئيس الحريري منشرحاً في ذلك اليوم حتى سألته بصوت منخفض وما هي حكاية الهمبرغر والنبيذ دولة الرئيس، فوجم الحريري قائلاً أنا لا أشرب النبيذ اسأل وليد بيك.

يقول شهيب انه سأل وليد جنبلاط عن حكاية الهمبرغر والنبيذ فرواها جنبلاط ضاحكاً: كنت في زيارة تعزية والتقيت رئيس الحكومة يومها عمر كرامي، وسألته هل يجوز هذا الذي جرى في مسألة توزيع الزيت التي قام بها أنصار الحريري ثم اعتقالهم، فرد كرامي: ما معي خبر ثم سأل جنبلاط وأنتم ماذا تفعلون الآن يقصد الحريري وجنبلاط، فرد الأخير نحن نأكل الهمبرغر ونشرب النبيذ.

فهم كرامي الطرفة وهو ابن النكتة، فالنبيذ الفرنسي والهمبرغر الأميركي هما رمزية القرار الدولي 1559 الذي عملت باريس وواشنطن على اصداره وكان الرئيسان جاك شيراك وجورج بوش اتفقا عليه في احتفالات نزول الحلفاء في نورماندي 1944.

فلما سأل جنبلاط كرامي وأنت ماذا تفعل رد رئيس الوزراء يومها: عم بتصيد سمك ببحر طرابلس، في اليوم التالي تلقى كرامي من جنبلاط والحريري

عشرين قطعة همبرغر، وزجاجتي نبيذ فرنسي وتنكة زيت من تلك التي صـــادرتها استخبارات الأسد من أنصار الحريري.

جنبلاط الأكثر عنفاً في النقد

كانت جماهير الاستقلال في لبنان وهي تحتشد للاحتفال بـذكرى مظلوميـة رفيق الحريري في 14 شباط/فبراير أو اندلاع ثورة الأرز في 14 آذار/مارس من كل عام تنتظر كلمة وليد جنبلاط بفارغ الصبر، فهي الاقسى نقداً والاكثر تعبيراً عما في صدور الملايين كارهاً وصاية آل الأسد على وطنهم.

وبلغ جنبلاط الذروة في وصف بشار في أحد خطاباته بالقرد ولهذا الخطـاب الأكثر عنفاً لجنبلاط ضد بشار قصة نرويها:

حزب الله يأخذ جنبلاط إلى بشار

رغم كل ما حدث وانعدام المودة بين جنبلاط وبشار فإن حزب الله بثقافتـه الايرانية في الدهاء والذبح بالقطنة حرص على سحب جنـبلاط مـن فريـق 14 آذار/مارس.

كان هناك شبه قرار داخل مجلس شورى الحزب المـذكور علـى اللعـب السياسي العلني لإيصال جنبلاط إلى دمشق وبعد موقـف الأخـير في 2009/8/2، الذي أعلن فيه الانسحاب من فريق 14 آذار/مارس، أصبح الباب مفتوحاً لتوجـه جنبلاط للقاء بشار الأسد.

كانت رغبة جنبلاط ان يتوجه بإرادته ووحيداً إلى هذا اللقاء، لكن حزب الله أقحم الاعتبارات الأمنية في هذه الزيارة ليقحم نفسه جزءاً منها.

كان اللقاء ودوداً من جانب بشار عام 2009 بعكس لقاء التعزيـة بحـافظ الأسد عام 2005 وكان جنبلاط محتاجاً إلى فسحة من التقاط الانفـاس وتخفيـف التوتر لأنه كان محشوراً جداً بعد اغتيال الحريري.

لم يتحدث جنبلاط كثيراً في هذه الجلسة، كان مستمعاً أكثـر ممـا هـو متحدث وهو كان يعرف تماماً ان بشار شبق إلى الكلام في أي لقـاء ومـع أي كان.

جنبلاط بعد ثورة السوريين

سمح مد خط للقاء بين بشار وجنبلاط ان يذهب الأخير إلى ســوريا بعـد اندلاع ثورة الشعب السوري ضد بشار ناصحاً، فإذا به يرى الباب موصداً.

تحدث جنبلاط مع بشار عن ضرورة الاصلاحات الجدية والاسـراع فيهـا، وتحدث عن ضرورة محاسبة عاطف نجيب الذي كان سلوكه العنيف ضد أبناء درعا سبباً لانفجار ثورتها المؤذنة بالثورة الشعبية الشاملة، فإذا ببشار الأسد يرد رداً غريباً زاعماً انه التقى وفداً كبيراً من أبناء درعا وانهم تحدثوا بصراحة معه و لم يطلب أحد منهم معاقبة عاطف نجيب، فكيف أعاقبه.

زعم بشار انه استقبل عائلة الطفل حمزة الخطيب الذي قتله أمن بشار ومثـل في جثته وهو ابن الـ 12 ربيعاً وانهم مؤيدون له، وقد أكرمهم وعادوا من عنـده مسرورين!!

خرج جنبلاط من لقاء بشار مصدوماً أرسل بعد عودته غازي العريضي للقاء محمد ناصيف ليستمع منه إلى كلام معقول بأنه لا بـد مـن إصـلاح ومعاقبـة المخطئين.. لكن محمد ناصيف غير رأيه بعد عدة أسابيع ليقرأ ان مـا يحصـل في سوريا هو مؤامرة خارجية تستهدفها ولا بد من مواجهتها.. فأدرك جنـبلاط ان هناك لخبطة أمنية في البداية، ثم اتفاق على ان أجهزة الأمن حسمت أمرها بأنـه لا بد من القتال.. فراح يصعد في دعمه للثورة الشعبية في سوريا داعيـاً إلى تأييـدها للخلاص من النظام الإرهابـي المتوحش، وفي إحدى مقالاته في جريدة "الانبـاء" الاسبوعية دعا جنبلاط الدروز إلى المشاركة في الثورة ورفـض أي مشـاركة في قمعها مستذكراً مذكراً بمواقف قائد الثورة السورية ضـد الاسـتعمار الفرنسـي سلطان باشا الاطرش.

محذراً من اي فتنة سنية – درزية بعد أحداث مؤسـفة حصـلت في درعـا والسويداء.

انه موقف خاتمة المطاف ليثبت الابن الطيب للأب الطيب ولاءه ووفاءه، بينما يثبت الابن الخبيث مواقف وجرائم والده الخبيث، وفي اعتقاده انه الدواء لشـفائه من أمراض التردد والجبن والغباء والتفاهة.

لماذا وصف جنبلاط بشار الأسد بالقرد؟

لماذا تحدث وليد جنبلاط بقساوة بالغة في خطاب 14 شباط 2007 واصفاً بشار الأسد بالقرد؟

قبل عدة أيام من إلقاء هذه الكلمة بمناسبة الذكرى الثانية لاغتيال صديقه رئيس وزراء لبنان السابق رفيق الحريري يوم 2005/2/14، تبلغ جنبلاط من السفير الروسي في لبنان، ان موسكو التي قامت بوساطة مع سوريا لترتيب العلاقات مع جنبلاط التي تدهورت بعد فرض التمديد لإميل لحود ثم صدور القرار الدولي 1559 القاضي بسحب القوات السورية من لبنان ثم اغتيال رفيق الحريري، أبلغ جنبلاط ان وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف سمع من بشار كلاماً خطيراً يستدعي ان يتخذ جنبلاط أقصى درجات الحيطة والحذر.

ماذا قال الأسد لوزير الخارجية الروسي رداً على وساطة موسكو لترتيب العلاقة مع جنبلاط.

قال الأسد: يحتاج هذا الأمر إلى مرور بعض الوقت، وعندما يحين أوانه فإن سوريا ستتعامل بشكل جيد مع تيمور جنبلاط (ابن وليد جنبلاط).

اعتبر الزعيم الاشتراكي ان سوريا ترفض الوساطة الروسية وان قرار قتله لا رجوع عنه، وان دمشق ستتعامل مع تيمور نجله افتراضاً ان جنبلاط يجب أن يزيح من درب أي عمل سياسي أو من الحياة نفسها.

ماذا قال جنبلاط في ذكرى اغتيال المظلوم الرئيس الحريري.

ألقى رئيس "اللقاء الديموقراطي" النائب وليد جنبلاط كلمة في احتفال ساحة الشهداء قال فيها:

"اشتقنالك يا دولة الرئيس، اشتقنا لك يا ابو بهاء طولت علينا الغياب. جئنا إليك اليوم على الموعد، جئنا لنقول لك وللشهداء الاحياء منهم والأموات اننا سنبقى على الموعد. إليك يا غازي أبو كروم، إليك يا مروان حماده، إليك يا أبو طارق يحيى العرب، إليك يا طلال ناصر، إليك يا عمر المصري، إليك يا زياد طراف، إليك يا محمد درويش، إليك يا مازن الذهبي، إليك يا محمد غلاييني، إليك يا جوزف عون، إليك يا ريما بزي، إليك يا صبحي الخضر، إليك يا محمد

الخلف، إليك يا زاهي أبو رجيلي، إليك يا عبده فرح، إليك يا محمد الأحمد، إليك يا عبد الحميد غلاييني، إليك يا باسل فليحان، إليك يا سمير قصير، إليك يا أبو أنيس يا جورج حاوي، إليك يا الياس المر، إليك يا مي شدياق، إليك يا جبران تويني إلى "نمار" الاحرار، إليك يا نقولا فلوطي، إليك يا اندريه مراد، إلى الابرياء من اللبنانيين وأجانب، إليك يا بيار الجميل، إليك يا سمير الشرتوني، إلى شهداء وجرحى الأمس في المتن في عين علق، وتحية إلى شهداء العدوان الإسرائيلي في الجنوب وغير الجنوب".

أضاف: "جئنا لنقول لك، يا أشرف الرجال يا رفيق الحريري، جئنا لنقول انه لن يخيفنا لا تهديد ولا وعيد، ولن ترهبنا الصواريخ أو المدافع من "فجر" و"نجم" و"زلزال" و"برق" و"رعد" وشتاء وغيوم وسحاب. جئنا لنقول مع الرجال الرجال، اننا لن نستسلم للإرهاب، للعبوات القاتلة، للأحزاب الشمولية، سورية أم غير سورية، أفضل بكثير يا سيد ان تعطي الصواريخ والمدافع إلى الجيش اللبناني، أفضل بكثير، أما التبن والشعير فأعطهما لحلفائك".

وتابع: "جئنا إليك لنجدد العهد، عهد الوفاء، عهد المحبة، عهد الاخلاص، عهد السلام، عهد التلاقي، عهد المصالحة، عهد الحوار، عهد البناء، عهد الاعمار، عهد التنوع، عهد الديموقراطية والتوافقية، عهد الطائف، عهد الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، عهد السيد علي الأمين وآخرين، عهد الحوار، عهد سلطة الدولة وفقط الدولة، ولا سلاح إلا بإمرة الدولة، عهد القرارات الدولية، كل القرارات الدولية، عهد النقاط السبع، عهد فؤاد السنيورة، عهد القمة الاسلامية، عهد البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، عهد لبنان، كل لبنان".

وأردف: "جئنا إلى ساحة الحرية، لنقول لك يا طاغية دمشق، يا قرداً لم تعرفه الطبيعة، يا أفعى هربت منها الأفاعي، يا حوتاً لفظته البحار، يا وحشاً من وحوش البراري، يا مخلوقاً من أنصاف الرجال، يا منتجاً إسرائيلياً على أشلاء الجنوب وأهل الجنوب، يا كذاباً وحجاجاً في العراق، ومجرماً وسفاحاً في سوريا ولبنان".

وقال: "جئنا لنقول ان صح فيك قول الشاعر نزار قباني، في كل عشرين سنة يأتي رجل مسلح ليذبح الوحدة في سريرها ويجهض الاحلام، في كل عشرين

سنة يأتي إلينا حاكم بأمره ليحبس السماء في قارورة ويأخذ الشمس إلى منصة الاعدام. في كل عشرين سنة يأتي إلينا نرجسي عاشق لذاته ليدعي بأنه المهدي والمنقذ والتقي والنقي والقوي والواحد والخالد والحكيم والعليم والقديس والإمام. في كل عشرين سنة يأتي رجل مقامر، ليرهن البلاد والعباد والتراث، والشروق والغروب والاشجار والثمار، والذكور والاناث، والامواج والبحار على منبر الاحزان. في كل عشرين سنة يأتي إلينا رجل معقد يحمل في جيوبه أصابع الالغام لكن في هذه السنة والقول لنا، لـ "14 آذار" وكل اللبنانيين، في هذه السنة ستأتي المحكمة ومعها القصاص والعدل وحكم الاعدام".

الفصل الحادي عشر

الشبيحة

- **أصل الكلمة**
- **أم علاء نموذجاً**
- **دائماً آل الأسد**
- **أمير الأسد ابن شقيق حافظ**
- **سليخ الجبل محمد الاسد**
- **الشبيحة العائلية**
- **مضر رفعت الأسد شبيح البر والبحر**
- **رستم غزالة شبيح لبنان الأول**
- **عرس اسطوري بالنفاق اللبناني**
- **مطعم نصر - صندوق المهجرين - بنك المدينة**

الشبيحة

أصل الكلمة

كان هناك تفسيران لمعنى كلمة الشبيحة:

الأول سياسي وقد أطلقته قوى معارضة في جلساتها المغلقة المغرقة في السرية تدليلاً على ضعف شخصية بشار الأسد، وان هناك أشباحاً أو شبيحة يحكمون سوريا وان بشار هو خيالها المتعدد الاشكال، لأنه يتبنى رأي كل واحد منهم حول أي قضية تعرض أمامه في الحال ثم يغيره بعد ان يستمع إلى رأي آخر معارض.

حين كان المعارضون يتداولون هذه التسمية في السر، وهم يقصدون ضعف شخصية بشار الأسد، كانت شقيقته بشرى التي يقول كثيرون انها مسيسة أكثر منه، وان زواجها من آصف شوكت جعلها أكثر اهتماماً بالسياسة، وهي تجهد دائماً لمستقبل واعد لبعلها تردد: ان شقيقها بشار متردد، وتستدل على ذلك بما تعتقده تخبطاً في سياسته بعد اغتيال رفيق الحريري في لبنان في 2005/2/14 واتهام بشار بهذه الجريمة، ثم قراره سحب قواته من لبنان الذي شكل للنظام كارثة على حد وصف آصف شوكت.

يقول أحد المقربين اللبنانيين من أسرة الأسد للكاتب ان بشرى ساهمت في رسم هذا الانطباع عن شقيقها وتعتمد قياساً له ارتباكه في مسألة الانسحاب من لبنان، فقد تركته في إحدى الليالي مصمماً على البقاء في لبنان مهما كلفه الثمن، لكنه فجأة خرج يوم 2005/3/5 ليعلن سحب الجيش السوري منه بمقتضى القرار الدولي 1559.

التفسير الثاني لكلمة شبيحة هو التفسير الواقعي، حيث انطلق عملياً من القرداحة بلدة حافظ، من أولاد آل الأسد رفعت وجميل وهارون وشيخ الجبل محمد من أمثال فواز وعلي ومضر وفراس وحافظ منذر وكمال وحسن وحسين ولدي توفيق وأحمد وأسامة وعتاب (وعصابتها) وغيرهم من الاصهار (رامي منصور وأيمن جابر..).

هؤلاء بدأوا الشهرة بركوبهم سيارات مرسيدس كان الناس يطلقون عليها اسم الشبح لسرعتها، وكثير منها كان يسرق من لبنان، أو يأتي أولاد الأسد هدايا منها من المنافقين وأصحاب المصالح الذين يريدون المحافظة عليها أو زيادتها في لبنان، سواء من رجال أعمال أو سياسيين أو قادة أحزاب وأثرياء حرب ومحدثي نعمة.. أو مرشحي انتخابات على مختلف درجاتها.

ومن لم يسرق الشبح كان يركبها من مال مجهول المصدر، فبات هؤلاء يحملون اسم الشبيحة نسبة للشبح، علماً بأن اللبنانيين هم أول من استخدم هذه التسمية ليطلقوها على اللصوص الذين يشبّحون على الناس أي يحتالون عليهم ويبتزون منهم المال أو الطعام أو الملابس.. أو الهدايا بغير إرادة أصحابها، فيقال ان فلاناً شبّح على فلان، أو انه أخذ ما لا يملكه تشبيحاً، وهو يحمل صفة واحدة هي الشبّيح.

تطور الأمر في سوريا مع آل الأسد من اقتناء سيارات المرسيدس الشبح، التي كشفت ثراء عاجلاً نتيجة تهريب كل البضائع والسلع المفقودة في سوريا نتيجة عدم الاستيراد لعجز في العملات الاجنبية، من لبنان وقبرص وتركيا والعراق والاردن.. وتحت حماية الاجهزة الأمنية التي يسيطر عليها آل الأسد أنفسهم، إلى الاستعانة بأعداد كبيرة من العاطلين عن العمل ومن اصحاب السوابق، واللصوص والهاربين من أحكام قضائية أو خدمة عسكرية أو مرتكبي جرائم ليشكل هؤلاء فرقاً تكبر يوماً بعد يوم حتى تصبح جيشاً حقيقياً.. لقد بات كل واحد من أولاد الأسد طامحاً بالتباهي بما يملك من قوة أمام أسدي آخر، ولإخافة الناس للسيطرة عليها.. فكان الشبيحة يتكاثرون.

أصبح المهربون وأصحاب السوابق هم الشبيحة بعد ان حملوا السلاح، وركب اسيادهم المرسيدس، ومع حمل السلاح باتت لهم مهمات وسلوكيات تحدث عنها أول الأمر أهل الساحل السوري وتحديداً في عروسه اللاذقية، حيث الاغلبية السنية وأقلية كبيرة مسيحية، ومعظم الشبيحة من العلويين ومن ابناء القرى من القرداحة إلى كل قرى الجبل العلوي.

كان الشبيح يملك السلاح ويقود السيارة ويقتني المال، وينزل المدينة يحوم في الاسواق وحول مدارس البنات الثانوية، يلاحق الفتيات ويتمادى في مضايقتهن

وعرفت اللاذقية ظاهرة خطف فتيات من أمام مدارسهن، حتى امتنعت عائلات كثيرة عن إرسال بناتها إلى الثانويات (وبدأ هذا في عهد حافظ الأسد واستفحل في عهد بشار).

كان أسيادهم يحتاجون إليهم، لذا كان من المستحيل محاسبتهم على أعمالهم، فهم أيديهم المقاتلة وهم بلا عقول أو ضمائر، وقلوبهم ميتة، يهربون الحديد وأخلاقهم أقسى منها، وهم يتمتعون بمساحة كاملة من السماح نتيجة الأموال التي يجنيها أسيادهم من ورائهم، ومن القوة والرهبة التي يوفرونها لهم.. وهي عدّة السيطرة والوجاهة والثراء.

رددت وسائل اعلام النظام في سوريا وأتباعه في لبنان ان مواجهات حصلت بين القوى الرسمية، وهؤلاء الشبيحة، لكن الناس تعرف ان هذه المواجهات كانت صورية وغير حقيقية، فلم يقتل أحد، لم يعتقل أحد، وكل ما سرب عن اقفال مرفأ غير شرعي فتح قبالته مرفأين غير شرعيين، وان كانوا يتنافسون بالقتال من أجل مصلحة أو مال أو سيارة أو تهريبة.

أراد النظام تصوير الأمر انه استجابة لاستغاثات الناس من جرائم الشبيحة، وهي أحياناً ضبط الأمور من الفلتان المؤذي. وأحياناً كان إقفال مرافىء غير شرعية رسالة سياسية من بشار إلى عمه رفعت وأولاده خاصة حين يدلي رفعت بتصريح لا يعجب ابن أخيه، أو يقوم بتحرك يقلق الطبيب المتوتر.

كبرت مؤسسة شبيحة آل الاسد، وآل الأسد ما عادوا مهتمين بعد ان أصبحت أموالهم بالمليارات، فتركوا هذه المهمة لضباط آخرين يشغلون هؤلاء الشبيحة معهم، وتسلمتهم الاستخبارات الجوية وشكلت لهم إدارة خاصة لتشغيلهم في التهريب خلال السلم، أما حين انطلقت الثورة الشعبية، فنزل هؤلاء إلى مهمة قتل المواطنين السوريين في الشوارع..

أما كيف انتقل الأمر من التشبيح بالسيارات ثم بالمسروقات والتهريب إلى مستوى القتل في الشارع السوري ضد المواطنين الابرياء فإن هذا حصل مع انفجار الثورة الشعبية ضد بشار الأسد. وبعد ان اصبحت الشبيحة مؤسسة أمنية كبيرة، على وزن "بلاك ووتر" بحصولها على احدث الاسلحة والتنظيم والادارة وتقوم بالتهريب والتشبيح من الدول المجاورة براً وبحراً (لبنان، العراق، قبرص).

عندما بدأت الثورة ظهر هذا الجيش الرديف لآل الأسد الذين يعتمدون كثيراً على الاستخبارات الجوية وهذه المؤسسة الشبيحة جزء من هذه الاستخبارات بل قوتها الضاربة بلا عقل، بلا أخلاق بل همجية ووحشية وارتزاق.

يقول المفتش الأول في وزارة الدفاع السورية محمود سليمان الحج محمد الذي انشق عن نظام بشار خلال الثورة ضده للمؤلف في لقاء معه في القاهرة ان اعداد الشبيحة لا يقل عن خمسين ألفاً من أصحاب السوابق والمهربين. واعتمدوا بعد الثورة على أبناء القرى العلوية لاستنهاضهم بحجة الدفاع عن الطائفة، وهي في خطر، وكانوا يدفعون لهم المال، حتى إذا قتل أي شبيح كان أهله يمنعون من إقامة أي جنازة لأي منهم في قريته، كما حصل في قرية الصفصافة، في طرطوس، في صافيتا، حيث تظاهر أهالي بعض الشبيحة يسألون عن أولادهم الذين أخذوا ولم يعودوا.. وهذا ما رواه أحد المتطوعين في الجيش السوري.. حيث قتل شبيحة وسمع أهاليهم عنهم وراحوا يسألون عن مصير أولادهم ان كانوا قتلى أو ما زالوا يقتلون المدنيين السوريين.

هل هذا يعني ان الاهالي يعلمون ان أولادهم شبيحة وكذلك أهل القرية يعلمون انهم شبيحة.. اي لهم صفة عسكرية؟

- نعم أخذوهم بحجة ضبط الأمن وتأدية واجب الدفاع عن الطائفة العلوية المهددة.. كل الامور باتت الآن واضحة - لا شيء سرياً أو غامضاً.

أم علاء

ولعل نسيبة الأسد (أم علاء) هي أشهر شبيحات نظام الاسد الأب والابن.. ولم ترد أحداً من أصحاب الحاجات، أو تخيب ظنه، فطالما دفع المال المعلوم مقابل الخدمة التي يطلبها، فإن طلبه يجاب مهما كان حجمه مربوطاً بحجم مدفوع من المال أو الذهب أو التنازل عن عقار أو شقة فخمة أو سيارة أفخم.

أم علاء كانت توحي لطالبي الخدمة أو الواسطة انها تتحدث مباشرة مع بشار الأسد فهي تمون عليه لأنها ابنة عم والده حافظ، وكان حافظ الأسد متسامحاً إلى حد بعيد مع والواسطات كما مع التهريب والفساد والرشوة..

طالما ان أصحاب هذه السلوكيات الوضيعة يدينون بالولاء له، وكلهم يسبح بحمده، فهذا يقيم تمثالاً لباسل وآخر لحافظ وثالث يطبع مائة ألف صورة بالألوان له ولباسل وللثلاثي حافظ وباسل وبشار ويوزعها في كل أرجاء سوريا ولبنان.

ونسيبة الأسد ككل شبيحة الأسد بنت لها ولبعلها أبو علاء قصراً منيفاً في القرداحة، مسقط رأسها ورأس ابن عمها حافظ، وأحاطت نفسها بحرس خاص لم يسلم الناس العاديون من شرورهم ككل حرس الشبيحة.

عندما قتل ابنها علاء أحد زملائه المهربين لخلاف بينهما على صفقة، لجأت أم علاء إلى بشار طالبة منه أن يأمر باعتقال ابنها لحمايته من عملية ثأر قررتها عائلة القتيل، فهي ايضاً ذات عزوة وشبيحة وحرس واسلحة ومال.. وهذا ما فعله بشار لنسيبة.

دائماً آل الأسد

ينسب إلى جميل الأسد انه أول من شكل مجموعات للشبيحة في سوريا، ودائماً من منطقة الساحل، واختار عناصرها من علويي القرى المحيطة بمدينة اللاذقية ذات الاغلبية السنية مع أقلية كبيرة مسيحية وأقلية علوية نشأت من القرويين اللاجئين إليها بحثاً عن العمل خلال عقود القرن العشرين.

صعدت مجموعات الشبيحة ذات الطابع شبه المدني بقيادة شقيق حافظ الأسد، مع تصعيد سرايا الدفاع الموازية للجيش السوري بقيادة الشقيق الاصغر لحافظ، رفعت الأسد.

فيما بعد حاول جميل إعطاء طابع حزبي - مذهبي اجتماعي لجماعته هؤلاء، فوسع دائرة عمله ليشكل ما يسمى بجمعية المرتضى (إحدى صفات الإمام علي عند الشيعة) وأشهرها قانونياً، وجعل مقرها في شارع 8 آذار/مارس قرب مركز البريد في اللاذقية، قبل أن يحلها شقيقه حافظ مقابل إطلاق أيادي انجال جميل خاصة فواز ومنذر للسيطرة على أحد المرافئ غير الشرعية في اللاذقية، في منطقة صنوبر جبلة، لاستيراد البضائع المحظور استيرادها في سوريا، من لبنان وتركيا وقبرص.. خاصة التبغ.

أمير ابن شقيق حافظ الأسد

أمير الأسد هو ابن شقيق حافظ الأسد الكبير، كان يتزعم عصابة في اللاذقية لسرقة السيارات من لبنان، كان مقرها شارع 8 آذار/مارس في هذه المدينة الساحلية السورية المعروفة، حيث كان يجلس في مقهى البستان يستقبل السيارات المسروقة التي ترسلها إليه قيادات جماعة الفرسان الحمر في لبنان بقيادة النائب العلوي السابق في لبنان علي عيد، وهو من أبرز جماعات رفعت الأسد في شمالي لبنان، ويترأس نجله رفعت عيد جماعته في محلة بعل محسن في طرابلس لبنان.

إلى جانب الفرسان الحمر، الذين عرفوا بهذا الاسم بسبب لون بدلهم العسكرية المرقطة بالأحمر، وهم القوة العسكرية للحزب العربي الديموقراطي الذي ضم عدداً من أتباع الاستخبارات الخاصة برفعت وسرايا الدفاع خاصة، كانت هناك عصابات لسرقة السيارات في لبنان منتشرة في بيروت (شارع الحمرا) قرب مخفر حبيش، وتحت أرض سينما ستراند، وفي برج المر فضلاً عن بعض القرى البقاعية التي دوت شهرتها في الآفاق بهذه الاعمال غير الشرعية كقرية بريتال في بعلبك، كانت كلها تتولى توريد المسروق من أفخم السيارات إلى أمير الأسد، والبعض من المسروقات كان يحتفظ به سارقو بعض المسروقات لمقايضة أصحابها بها تحت سمع وبصر وحماية قوات الأسد في لبنان.

كان أمير يبيع هذه السيارات لضباط سوريين داخل بلادهم، معتمداً بلدة عمه حافظ الأسد – القرداحة مركزاً للبيع وكذلك بلدة البودي التي تبعد عن بلدة الأسد عدة كلمترات.

شيخ الجبل

محمد الأسد

وكان شريك الشقيقين فواز ومنذر هو محمد الأسد الملقب بشيخ الجبل من أشرس آل الأسد في التشبيح والتعديات، وفي إحدى وقائع شراسته محاولته خطف فتاة في وضح النهار في منطقة مارتقلا في اللاذقية، وهي منطقة راقية تضم سكاناً مسيحيين وسنّة وعلويين.

تصدت الفتاة لمحمد وشتمته وصفعته فما كان منه إلا أن أطلق عليها النار فقتلها، ثار أهلها العلويون ونظموا تظاهرة في منطقة الرمل العالي الشمالي تطالب بمعاقبته فلجأ إلى حافظ الأسد الذي نفاه إلى باريس، ليعيش فيها عدة أشهر، إلى ان رتب وضعه بدفع دية لأهل الفتاة، ثم حُمّل سائق شيخ الجبل التهمة فسجن بدلاً منه ليعود شيخ الجبل إلى مهماته القذرة.. خلال الثورة السورية، وفي بلدته القرداحة، اختلف عدد من عائلة الخير وعثمان وديوب مع آل الأسد بسبب اختطاف استخبارات الأسد، لأحد أبناء البلدة من الشخصيات اليسارية عبد العزيز الخير، بعد عودته مباشرة من الصين ضمن وفد هيئة التنسيق الوطني (المعارضة المستأنسة)، ودار نقاش ساخن في أحد مقاهي البلدة، حمل فيه أبناء العائلات الكبيرة آل الأسد وتحديداً بشار مسؤولية الجرائم التي تحصل في سوريا، داعين إلى رحيله لإنهاء الحرب في البلد، فتصدى لهم محمد الأسد (شيخ الجبل) وقيل انه رمى قنبلة يدوية انفجرت بين الحضور فأصاب عدداً منهم، لكنه تلقى رصاصات أصابته إصابات بليغة أقعدته في وضع حرج.

الشبيحة العائلية

أوقح الاشتباكات بين الشبيحة هي تلك التي جرت في نهاية ثمانينيات القرن الماضي حين كان حافظ الأسد بكامل قوته وكان ابنه باسل يتهيأ يوماً بعد يوم لتولي السلطة خلفاً لوالده.

وقعت هذه الاشتباكات بين أولاد جميل الأسد وأبناء محمد مخلوف، أي بين أبناء شقيق الرئيس وأبناء شقيق زوج الرئيس.

وقعت الاشتباكات على خلفية السيطرة على مرافىء تهريب التبغ التي كانت تجني أرباحاً طائلة، وبدأت في منطقة مارتقلا قرب القصر البلدي للاذقية، واستمرت ثلاثة أيام أخليت خلالها المدينة الساحلية، بعد ان انتشر شبيحة أولاد شقيق الرئيس وأولاد شقيق أنيسة مخلوف واستخدموا خلال المواجهات كل أنواع الاسلحة الخفيفة والمتوسطة، حتى جاء حافظ الأسد بنفسه إلى اللاذقية وأنذر المسلحين بالإنسحاب من الشوارع إلا فإنه سيلجأ إلى استخدام القوات الخاصة بقيادة اللواء علي حيدر.

توقفت الاشتباكات وعقدت اجتماعات بين الاقرباء تحت رقابة أجهزة الأمن التي رسمت حدوداً لعمل كل فريق من الشبيحة العائلية. استولى آل مخلوف بموجب هذه الحدود الجديدة على مرافئ الساحل السوري خاصة مرفأ صنوبر جبلة غير الشرعي طبعاً، وتولى أبناء جميل منذر وفواز الحدود البرية مع لبنان خاصة.

مضر رفعت الأسد

شبيح البر والبحر

مضر الأسد.. البعض أطلق عليه صفة مضرّ الأسد، لكثرة الاساءات والأذى الذي سببه للناس.

والبعض فسر سلوكه السيىء وراثة من سلوك والده رفعت الأسد شقيق حافظ.

والبعض قال ان مضر يسلك طريق السوء، انتقاماً من والده الذي قرب اخوته غير الاشقاء منه (دريد، سومر، رئبال..) من زيجات أخرى لمؤسس سرايا الدفاع إحدى العصابات الكبيرة التي حكم بها حافظ الأسد شعب سوريا طيلة سنين ولم يعر اهتماماً بمضر، لا في التربية ولا في الغنائم ولا في الرعاية..

مضر الأسد الذي استوطن بيروت الغربية في أهم شوارعها (رشيد كرامي الذي ما زال يحمل اسمه القديم فردان) أحاط نفسه بحفنة من الاشقياء مثل مهند موسى بعل ابنة اللواء عزت زيدان، والمدعو محيي الدين شتوت (أبو وائل).. وغيرهما) فكان رائداً في التشبيح، خاصة في مجال السيارات الحديثة والدراجات الاحدث وصرعاتها في شوارع بيروت..

فكان يرسل من حوله لشراء السيارة أو الدراجة بأبخس الأسعار، أو تعجبه سيارة تمر أمامه فيرسل من يسرقها، أو يتوجه إلى معرض سيارات فيشتري السيارة بالسعر الذي يناسبه ويدفع قسطاً أو اثنين من ثمنها كما حال الدراجات ثم يطنش وويل لمن يطالب.

وقد أتقن مضر ومن معه تجارة السيارات.. إنما على طريقتهم، أي ان يشتروا سيارة من اي معرض في المنطقة الشرقية لبيروت، بسعر يحددونه هم، ثم يبيعونها لمعرض آخر في الغربية.. ودائماً بسعر يحددونه هم.

أما السيارات التي كانوا يشبحون عليها من البيروتين الشرقية والغربية فكانت تحمّل وبسرعة لوحات الجيش السوري.. فمن يجرؤ عندها على الكلام..

من البر انتقل مضر إلى البحر فسرق زوارق.. وJet ski جت سكي، وكانت كلها ترسل إلى اللاذقية.. للتباهي والتجارة والمجاملة والمبادلة..

كان مضر كريماً مع المقربين منه، خاصة إذا كان صاحب مزاج كجورج وسوف (مغنٍ) مدمن مخدرات عمل مضر جهده لتوفيرها له ساعة يشاء وفي أي مكان من لبنان.. وسوريا.

ولم يكن مضر ليدفع قرشاً من جيبه فكله من أموال الاصدقاء والمتبرعين من أمثال طه قليلات وس. أبو درويش وسليم الدادا.

كان معظم هؤلاء وغيرهم هم رفاق سهرات مضر العامرة في ملهى الـ Options في المعاملتين.. وكل سهراته مجانية حتى دفع صاحب الملهى إلى اعلان إفلاسه رسمياً.

لم يكتف حافظ الأسد بإحاطة نفسه بعصبية علوية عسكرية قوامها حوالى مائة ضابط. ينبثق منهم 12 ضابطاً من أخلص الناس حوله (رفعت الأسد، عدنان مخلوف، علي دوبا، محمد الخولي، محمد ناصيف، علي حيدر، شفيق فياض، ابراهيم الصافي، علي أصلان والضباط السنة حكمت الشهابي، مصطفى طلاس..).

بل انه جعل لهؤلاء عصبية مالية – اقتصادية أدت دورها في توفير الحياة المترفة لهم بتأمين كل ما يحتاجونه مالاً وعقارات وأرصدة ومزارع، وبإعطائهم القدرة على توظيف عشرات آلاف العلويين أولاً في مصالح أنشئت للسيطرة على قطاعات أساسية في المجال الاقتصادي والخدماتي على رأسها مثلاً مؤسسة الاسكان، التي كان فرعها العسكري هو الأهم والأرسخ والأغنى والتي سقطت من أيدي علوية إلى أخرى حتى استقرت عند أولاد خالته آل شاليش.. وكان من إنجازاتها المكلفة إنشاء مطار دمشق الدولي، وفندق "ميريديان" ومكتبة الأسد وعشرات المؤسسات الضخمة يتولى العمل فيها أكثر من 70 ألفاً والبعض يقول بضعفي هذا الرقم.

وشيئاً فشيئاً تحول اقتصاد الحرب الذي أنشأه حافظ الأسد إلى اقتصاد عسكري، أي ان ضباط الجيش هؤلاء وعبر مؤسسة الاسكان العسكري وغيرها،

انخرطوا في كل مشاريع البناء وشراء المعدات والتجهيزات التي تحتاجها، فأصبحوا هم المستوردين وهم الوكلاء.

رستم غزالة شبيح لبنان الأول

(هذه المعلومات كلها وردت على لسان يونس اليوسف في حديث مع الكاتب في القاهرة)

عندما كان رستم غزالة في منطقة الرملة البيضاء كان حوله شلة من الاتباع منهم علي مظلوم، محمد صالح، عباس طليس، ابراهيم شرارة، يونس اليوسف.. وغيرهم.

كان يطلب من يونس اليوسف أن يجري دراسة عن متمول لديه ثروة ليرتبوا خطة لأخذ المال منه، كما يبدأ الأمن السوري دوره، فنتيجة لاعتقال ابن هذا الثري وطلب الفدية منه، يتوجه الثري نحو يونس الذي يرتبط بصلة مع الثري مسبقاً، فيبدأ الابتزاز: إذا أردت أن تعرف أين ابنك فعليك أن تدفع 50 ألف دولار.. ويخبره يونس بعد عدة أيام ان الولد المخطوف في عنجر (بينما يكون مسجوناً في قبو رستم في الرملة البيضاء)..

وإذا أردت أن تستلمه فعليك أن تدفع 200 ألف دولار قبل إرساله إلى سوريا، فيرضخ الثري ويدفع المبلغ المطلوب، يضع الخاطفون الولد في سيارة مغمض العينين بعصبة سوداء وتدور به في مناطق مختلفة في الجبل والساحل، حتى يبدو انه في مكان بعيد خارج بيروت، إلى ان تمر ساعة أو أكثر ثم يعودون به إلى بيروت ويتم تسليمه إلى والده بعد ان يحصل رستم على المبلغ المطلوب.

تهريب السيارات: كانت هناك غرفة خاصة لسرقة السيارات الفخمة مكونة من مخبرين لدى رستم (علي الشبح، بلال عساف، عبدالله العفي..).

يأتي السارقون بسياراتهم إلى شلة رستم، ليبلغوها ان السيارات التي بحوزتهم هي بين مرسيدس 500، 600، وبي أم، ورانج روفر وسعر السيارة المسروقة لا يزيد عن 3500 دولار.. فهل لهم مصلحة فيها، فينتظر السارقون رد الشلة التي تسأل رستم شخصياً.. ان كان لديه هناك ضباط يريدون سيارة مرسيدس "شبح" أو "بي أم" أو "رانج" فيتولى غسان (سوري) (كان مع رستم ثم مع علي دياب)

فإذا أبلغهم رستم بأن هناك ضباطاً في دمشق يريدون سيارات لوحاتها جاهزة، ويكون سعر اللوحة عادة ألف دولار تدفع لغسان، ويحضرها من مكتب رستم وهي لوحات أمنية سورية، يتم تزويدها بمهمة أمنية عبر رسالة رسمية، لترسل إلى سوريا ويتم هناك تسليمها للضابط بسعر يتراوح بين 6000 أو 7000 دولار.. إضافة إلى 1000 دولار ثمن اللوحة التي يحتفظ رستم بأعداد كبيرة منها في مكتبه.

كازينو لبنان: كانت شلة رستم تتوجه إلى كازينو لبنان ومعها كاتب عدل من منطقة الغبيري عند مستشفى الساحل، ويتوزع أفرادها حول لاعبي القمار، وقبل نهاية السهرة وعند خسارة لاعبي القمار يبحث هؤلاء عمن يشتري كل ما يملكون من ساعات ذهب (رولكس) وسلاسل، وقداحات ثمينة وأقلام ذهب، أو سيارة، كان عنصر شلة رستم يعرض شراء الساعات أو سلاسل الذهب أو السيارات بأرخص الأسعار ويتم تسجيل البيع عند كاتب العدل، على أن يدفع عند استردادها سعرها الحقيقي.

كانت الشلة تحصل على القسم الأعظم من المال، ولأن الشلة تحتاج إلى تدخل رستم لإعادة السيارة إلى صاحبها فإن صاحب السيارة يدفع إلى رستم المال مقابل عدم توقيع الوكالة.

في اليوم التالي يتصل صاحب السيارة بأحد أفراد الشلة ليسأله إعادة سيارته التي رهنها مقابل مبلغ من المال يبدي استعداده لدفعه، فيقال له ان السيارة ليست ملكه وانما نقلت ملكيتها إلى اسم آخر، وهنا يتم الاستعانة برستم كي يوعز إلى من يهتم في النافعة (مصلحة تسجل السيارات) بتسجيل السيارة لواحد من الشلة على ان يكون لبنانياً الذي يبيعها سواء لصاحب السيارة الأصلي أو لغيره.. ويتراوح سعر البيع عادة وفق حالتها ونوعها وحداثتها بين 10 و15 ألف دولار.

الواسطات: كان مندوب الوساطة مع رستم رجل أمن سورياً، يرتبط بعلاقة مباشرة مع النواب والوزراء والضباط والقضاة والطامحين للقفز إلى مجلس النواب والوزراء والترقية في وظائفهم.

كانت الانتخابات النيابية في لبنان فرصة لشلة رستم كي يلتقطوا الاغبياء الاثرياء الطامحين للحصول على مقعد نيابي في أي دائرة في لبنان حتى لو لم يكن أي منهم يملك من المؤهلات إلا المال والطموح.

كان اسامة المساعد ضابط الصف السوري وناصر قنديل الذي ركبه غازي كنعان نائباً عن بيروت، مع شخص ثالث مكلفين من رستم بالبحث عمن يريد أن يترشح للنيابة لحمله إلى رستم شرط أن يكون مليئاً مالياً، بعد ان يتأكد هؤلاء (اسامة، ناصر) من ذلك.

كان رستم زير نساء يلاحقهن ويستغلهن في مكتبه، ومن الفتيات المعروفات (مروى قرانوح) أصبحت ممثلة في مصر ومغنية، وهو اشترى لها أول سيارة مرسيدس سوداء 320، وأنتج لها شريطاً غنائياً حمل عنوان "احترس".

تركت مروى بعلها الذي كان يعمل في الكويت وحصلت منه على الطلاق وتركت أولادها منه لتتفرغ للفن بعد احتضان رستم لها.

كان و. ك يدبر النساء لرستم من ملهاه الليلي الذي كان يملكه في منطقة الروشة.

وكان طه قليلات وشقيقه وسليم الدادا يشكلون واحدة من الشلل المحيطة برستم، وكانوا يوفرون له المال.. وفضائح رستم غزالة وأشقائه في بنك المدينة وصلت أنوف العالم كله.

عرس اسطوري بالنفاق اللبناني

وتدليلاً على فساد رستم غزالة.. فإن أهل قريته يتحدثون عن العرس الاسطوري الذي أقامه لابنته فيها، والتكلفة الهائلة التي دفعها مادياً كي يعد حفلاً فيه الطعام والشراب والاقامة لعدد من المدعوين المميزين عنده ضمن آلاف اللبنانيين الذين تسابقوا لحمل الهدايا المختلفة، لابنة المعلم علّ هدية كل واحد من الآلاف تفتح الطريق أمامه كي يحقق آماله في لبنان، منصباً، ترقية، صفقة تسهيلاً لتجارة مخدرات، أو عقد العمر..

يقول أحد السياسيين اللبنانيين، انه وزملاءه أجهدوا أنفسهم طيلة أيام، لتقدير ثمن الهدايا التي وصلت إلى رستم في تلك الليلة، فتوصلوا إلى رقم مالي حده الأدنى هو مئة مليون دولار.

وعندما كانت والدة رستم تنزل إلى بيروت لتتبضع كان يكلف أحد زبانيته ليرافقها، إلى محلات بيع الذهب الذي كان عشق رستم وعائلته، حتى انه

كان في كل بيات له في قريته السورية يحمل من بيروت سبائك الذهب التي يحول أمواله إليها، والكثير منه يرسله إلى دبي حيث يعمل عدد من أشقائه فيها.

وكانت ربى قليلات وسيطرتها على بنك المدينة الذي أخضع لسلطة مصرف لبنان، بعد نهب أكثر من 2 مليار دولار منه، هي أحد مصادر تعزيز ثروة رستم، وأمام القضاء اللبناني ملف كامل يظهر بعض الصكوك التي تسلمها رستم من البنك بأسماء أشقائه.

كانت ربى قليلات تحمل لرستم أفخم وأحدث السيارات من دبي عبر طائرات شركة الامارات، ليبيعها في أسواق بيروت عند معارض سيارات معروفة، كافأ أصحابها فيما بعد بمناصب رسمية.. كل على قدر حجمه وطموحه، وكان ابراهيم شرارة أحد وسطائه المعروفين في هذه المهمة.

مطعم نصر

وكثير من اللبنانيين يعرفون ان مطعم نصر لصاحبه نصر خنيصر أفلس من ضغوطات وأطماع ومآدب الضباط السوريين الذين هالهم أن يكون هذا المطعم اللبناني، ناجحاً بكل المقاييس فنهبوه طعاماً وشراباً كان ابو الياس يرسل الطعام والشراب إلى عنجر وإلى مطار بيروت الدولي، ومن الروشة إلى الرملة البيضاء حيث مقر رستم لسنوات.

كان شرارة هذا يجول على الطامحين بمناصب مختلفة في كل المؤسسات اللبنانية، ليذكرهم بعيد ميلاد المعلم (رستم) لتنهال الهدايا من هؤلاء مالاً وسيارات ومجوهرات وساعات، وبعض هذه المجوهرات والساعات كان يجد طريقه للبيع في محل ابن اخت ابراهيم، قاسم علوش.

ولم يقتصر سماسرة رستم على المدنيين، فبعض الضباط كانوا نجحوا في دور السماسرة، حتى ان أحدهم وكان عميداً في الشرطة القضائية. تلقى خمسين ألف دولار هدية مقابل خدمة أداها لأحد المتمولين.. فأرسل عشرة آلاف دولار منها إلى رستم، بزعم ان الهدية هي 20 ألفاً أرسل نصفها إلى رستم لكن هذا الأخير كان أخبر بالمبلغ، فاستدعى الضابط ليحضر معه الخمسين ألف دولار كلها، ويسلمها إلى رستم.

صندوق المهجرين

نبع المال الذي غرف منه رستم عشرات ملايين الدولارات تخصص مرافقه الكردي عثمان وشقيقه في تقديم أوراق مزورة ليحصل منها على تعويضات مجزية.. وكان رستم فرض تعيين ابراهيم شرارة في الصندوق ليتمكن هذا بعد ذلك من بناء قصر منيف في قريته في اللويزة – قضاء جزين.

رامي مخلوف

السيد 5%

- عملاء الاستخبارات ورامي مخلوف
- مقالة ميشال كيلو عن رامي مخلوف

رامي مخلوف: السيد 5 في المئة

لم تكن الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها العديد من المدن السورية منذ آذار 2011 الماضي سوى محطة من محطات وضع اليد على الجرح الاقتصادي السوري الذي ارتبط بإسم أحد أنسباء الأسرة الحاكمة، بما هو رمز للفساد والمحسوبيات، ونتيجة واضحة لوثيقة زواج بين الأمن والثروة. رامي محمد مخلوف، ابن خال الرئيس السوري بشار الأسد، رجل الاعمال المعروف بأنه ظل النظام المالي، وصورته الاقتصادية التي لا يمر اي مشروع في البلاد إلا من خلالها وبعد موافقتها أو مشاركتها. هو الشاب الأربعيني الذي أعلن بعد انفجار الثورة انه سيترك العمل في التجارة ليشارك في الاعمال الخيرية، بعد استفحال المواجهات بين النظام والشعب على خلفية صدور لائحة مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية أصبحت محاكمة مخلوف على رأسها.

أول الغيث كان بقرار خارجي حين أدرجت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مخلوف على قائمة العقوبات التي تشمل تجميد الأصول والمنع من السفر.

وأصبح مخلوف المتهم الأول بعد النظام بإفقار السوريين ونهب ثرواتهم والسبب في هجرة العديد من المستثمرين الذي ضاقوا ذرعاً بتدخلاته ومحاولاته

المشاركة أو وضع اليد على أي وكالة لماركة عالمية أو مشروع اقتصادي يدخل إلى سوريا، لكن الاقتصادي الشاب رد بعصبية على مطالبات الشعب بمحاسبته على أعماله، محذراً إسرائيل والغرب بقوله (لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا).

لكن تطور المواجهات وسقوط المزيد من الضحايا على مذبح انتهاكاته لثروات السوريين، جعلت الرجل يبحث عن وسيلة للتنفيس بدلاً من الاثارة التي ارتدت سلباً عليه بتصريحه السابق، فأعلن انه لن يدخل في أي مشاريع جديدة تدر عليه ربحاً شخصياً، وانه سيطرح جزءاً مما يملكه من أسهم في شركة الاتصالات السورية قريباً لذوي الدخل المحدود للاكتتاب العام. وفي ما يبدو انه استجابة لنقد قد يكون وجهه إليه الرئيس بشار الأسد، قال مخلوف (لن أسمح بأن أكون عبئاً على سوريا ولا على شعبها ورئيسها بعد اليوم).

وفي تقرير عن رامي مخلوف أعدته صحيفة "نيويورك تايمز" في الأيام الأخيرة تحت عنوان (رجل الاعمال السوري يصبح مغناطيساً للغاضبين والمنشقين)، وصف مخلوف بأنه مصرفي أسرة الأسد والسيد 5 في المئة، في إشارة إلى العمولات التي يحصل عليها من كل مشروع يدخل البلاد.

المفارقة ان الرجل في أعين مؤيديه هو محل مديح وثناء لما يقوم به من استثمارات ومشاريع توظيف للشباب، بثت محطة "العربية" شريطاً مصوراً يظهر المغني جورج وسوف راكعاً على رجليه ليقبل حذاء رامي مخلوف، كما دافعت الممثلة سلاف فواخرجي عن رامي واصفة إياه بأبي الاقتصاد السوري، أما الممثلة رغدة فقد أنشدت شعراً في مهرجان في قلعة حلب دفاعاً عن بشار وولي نعمتها رامي مخلوف، لكنه بنظر معارضيه هو لص ناهب لثروات سوريا ومحتكر لقطاعاتها الاقتصادية. لذلك كان من الطبيعي أن يرفع المواطنون في درعا وغيرها من المدن "رامي مخلوف يسرقنا".

لم تتوان "نيويورك تايمز" عن وصفه بأنه النسخة السورية عن أحمد عز في مصر أو ليلى طرابلسي في تونس. لقد أصبح اسمه مرتبطاً بالمطالب الاصلاحية بعدما "حوّل الاقتصاد السوري من الاشتراكية إلى الرأسمالية، ما جعل الفقراء أكثر فقراً والاغنياء أكثر ثراء وبنحو خيالي"، على حد وصف الصحيفة الأميركية.

وتنقل "نيويورك تايمز" عن محلل سياسي سوري لم تذكر اسمه قوله ان رامي مخلوف "هو رمز للنظام في الجانب الاقتصادي.. انهم يكرهون رامي مخلوف".

عملاء الاستخبارات ورامي مخلوف

ويبدو ان مخلوف لم يتوقف عمله على الشأن الاقتصادي، فقد استخدم نفوذه المتولد من قرابته لآل الأسد ومن قوته الاقتصادية التي لا تقدر، من أجل "التلاعب بالنظام القضائي، واستخدام الاستخبارات السورية لترهيب منافسيه"، بحسب ما جاء في مسوغ قرار للعقوبات بحقه صدر عن الحكومة الأميركية عام 2008. وذلك بعد اتهامه بالعمل على رفع الحصانة عن النائب رياض سيف وسجنه لمدة سبع سنوات لمجرد انه تجرأ وسأل عن مخالفات شركة "سيرياتيل" التي يمتلك مخلوف 40% من أسهمها.

نفوذ ابن خال بشار الأسد، الذي أعلنت وزارة الخزانة الأميركية إدراج عدد من شركاته على لائحة الإرهاب، هو نتيجة علاقة عميقة وتاريخية بين والده محمد مخلوف والرئيس الراحل حافظ الأسد، الذي أفسح أمام "أبو رامي" المجال لـ "الاستفادة" بدعم من الأسد شخصياً، حيث تسلم مخلوف الأب إدارة "الريجي" ثم المصرف العقاري.

لكن مخلوف الابن كان "محظوظاً" أكثر، إذ تولى حصرياً تجارة السجائر، من لبنان إلى سوريا، عبر معبر الجديدة، وأنشأ لاحقاً شركة "غوتا" التي تولت التفاوض مع شركات السجائر والمشروبات الكحولية الاجنبية لترتيب الوكالات لها في السوق الحرة التي سيطر عليها بدعم من النظام.

وفي سنة 1998 طرحت وزارة المواصلات السورية مناقصة "صورية" لتشغيل قطاع الهاتف الخلوي، ظهر فيها رامي مخلوف شريكاً لشركة "أوراسكوم" المصرية لصاحبها المليونير نجيب ساويروس، لكن مخلوف ما لبث ان اختلف مع ساويروس فصودرت أموال الشركة المصرية في سوريا، ووضع عليها حارسان قضائيان هما إيهاب مخلوف (شقيق رامي)، ونادر قلعي (مدير أعمال رامي). لكن التهديد باللجوء إلى التحكيم الدولي دفع إلى الاعلان عن "حل ودي" للخلاف في تموز

2003، بحيث باتت شركة "سيرياتل" التي يمتلكها مخلوف، إحدى شركتين تشغلان الهاتف المحمول في سوريا.

وتسيطر "سيرياتل" حالياً على 55 في المئة من السوق المحلية، ولديها مليون ونصف مليون مشترك، بينما تركت الحصة الباقية لشركة "أريبا" ويملك مخلوف أيضاً شركة "راماك" التي تعمل في المجال العقاري، وتلتزم مشاريع كبرى بمناقصات وهمية، وأخيراً أسس في سوريا شركة "شام القابضة"، بالشراكة مع عماد غريواتي، وهي شركة تعمل في الاستثمار السياحي لكن غريواتي هذا هرب بعد عدة أشهر من الثورة وهو الآن في دبي ويقول مقربون من رامي ان غريواتي يدعم الثوار ضد الأسد. ولمخلوف استثمارات في قطاع الإسمنت والغاز والنفط. وله أكثر من نصف أسهم مصرف المشرق الاستثماري، وشركة "الكورنيش السياحية" لإقامة المشاريع التجارية والخدمية.

حاول مخلوف السيطرة على قطاع تجارة السيارات، لكنه اصطدم بشركة أبناء عمر سنقر، الوكيل الحصري لسيارات مرسيدس الألمانية، وقد وقفت "مرسيدس" إلى جانب سنقر، ما دفع الحكومة السورية إلى إلغاء الوكالات الحصرية، وفرض عقوبات على "مرسيدس". كذلك استولى مخلوف على وكالة BMW وصارت وزارة الدفاع "ملزمة" بشراء السيارات للضباط المسرّحين والمتقاعدين برتبة لواء وعميد منه. وأسس مخلوف شركة خاصة لمراقبة تطابق السيارات المستوردة مع المواصفات الحكومية، بالشراكة مع نجل الرئيس اللبناني السابق، إميل إميل لحود.

وكانت أعماله المشبوهة مثل تبييض الأموال، سبباً في منعه من الاستثمار في أوكرانيا. لكنه استطاع الفوز باستثمار كبير في مجال الاتصالات في اليمن، وقد يكون الاستثمار الخارجي الأهم لمخلوف قد بدأ مع اغتيال رئيس الحكومة اللبناني رفيق الحريري، حيث حول الأول قسماً من أمواله إلى دبي، واشترى برجين، سجّل أحدهما باسم زوجه والآخر باسم أولاده.

ويقال إن مالك صحيفة "الوطن" ضالع بفضيحة بنك "المدينة" اللبناني الشهيرة. وقيل عنه انه وضع يده على آثار سورية نادرة وكنوز لا تقدر بثمن، عُثر عليها إلى جانب باب توما في دمشق، حيث أسس رامي سلسلة مطاعم وفنادق

ذات طابع قديم وبيعت في الخارج بمبالغ طائلة. ويكشف العارفون بشؤون البيت السوري ان من لا يشارك مخلوف بأعماله التجارية الكبرى يُصب عليه سيل من الاتهامات وتسلط عليه جميع أنواع الابتزاز من وزارة تموين وجمارك ومفتشين وغيره حتى يضطر إلى مشاركته أو تصفية أعماله والهروب خارج سوريا.

لعل آخر ألعاب مخلوف الخطيرة، التي تبين حجم قوته المؤثرة في صنع القرار في دمشق، ما فعله في شهر نيسان/ابريل الماضي في رد فعل على الاحتجاجات التي شهدتها سوريا. فقد كشف مصدر مصرفي لبناني عن "لعبة" أقدم عليها مخلوف في 2011/4/30، حين عمد إلى سحب عشرات الملايين من الدولارات من السوق السورية دفعة واحدة، وخلال بضع ساعات فقط، من خلال شرائها بالليرة السورية وتحويلها إلى لبنان ودبي. لكنه عاد لضخ كمية أكبر من الدولارات المسحوبة عصر اليوم نفسه، في السوق السورية مرة أخرى. وهو ما أدى إلى إصابة سوق الصرف السوري خلال اليوم المذكور بحالة ذعر لا سابق لها منذ عقود، وإلى خسارة الليرة نحو 13 في المئة من قيمتها خلال بضع ساعات.

الشاب الثري الذي لا يظهر حرجاً في التعبير عن رغبته في بدء الاصلاح رغم انه الهدف الأول لهذه العملية، لم يجد في صفحاته الكثيرة أي نقطة سوداء ينتقد من خلالها ولو بعضاً من ممارساته، ففي حديث صحافي عن هدف الولايات المتحدة من وضعه على لائحة العقوبات عام 2008، اكتفى مخلوف بالإجابة "لأن الرئيس هو ابن عمتي، أو لأنني ابن خال الرئيس".

وعندما سئل بشار الأسد من "نيويورك تايمز" نفسها عام 2008 عن دور ابن خاله رامي المسيطر على الاقتصاد السوري وعن فساده وإخضاعه كل المشاريع لموافقته بالحصول على نسبة منها رد الأسد متفاخراً: ان رامي مخلوف هو رجل أعمال سوري وتدين له الحركة الاقتصادية في سوريا بنشاطه الكبير!

امبراطور المال المنهوب في سوريا، والمشرف على تشغيله لمصلحة الشقيقين بشار وماهر بدءاً من أموال العراق التي سرقها والده محمد ساهم في تهريب أموال العائلة إلى مصارف رومانية اعتماداً على حميه (والد زوجه) وليد عثمان السفير السوري في بوخارست.. ومنها إلى مصارف عدة في أوروبا وآسيا (أوكرانيا، روسيا البيضاء.. دبي..).

شكل رامي مخلوف شبكة مصالح اقتصادية واسعة في سوريا شملت المصارف، الاتصالات، الاسواق الحرة، الاسمنت، العقارات، السياحة، الانتاج الفني..

ووفق ما أوردته صحيفة "نيويورك تايمز" في حوارها مع بشار الأسد عام 2008، ان رامي كان شريك كل مستثمر عربي أو أجنبي جاء إلى سوريا.. وقد دافع بشار في هذا الحوار عن ابن خاله قائلاً ان نشاطه الاقتصادي هو العامل الأول في الحركة الاقتصادية في سوريا! حتى ان أرقام سيطرته على النشاط الاقتصادي السوري يتجاوز الـ 60% في القطاع الخاص خلال ثورة الشعب السوري على ابن عمته بشار.

بات أهل الساحل السوري يعرفون نشاط رامي الاجتماعي من خلال جمعية "البستان الخيرية" التي أنشأها ستاراً ليجند عبرها شبيحة المنطقة لممارسة القمع والارهاب ضد التظاهرات التي اندلعت ضد نظام الأسد.

واسم الجمعية اختاره رامي نسبة لإسم قرية والده بستان الباشا مسقط رأس والدة بشار أنيسة.

كتب المعارض السوري ميشال كيلو مقالاً عن انجازات رامي مخلوف ووالده محمد شقيق أرملة حافظ الأسد أنيسة. نشره في جريدة "الشرق الأوسط" الاثنين في 2012/10/15.

يستحق اعتماده كأحد مصادر المعلومات المهمة بكيفية نهب ثروات السوريين ودور آل مخلوف في توظيف المسروقات هذه لمصلحة آل الأسد أولاد عمة رامي.

المقالة

أعلن الاستاذ رامي مخلوف انه قرر تكريس ثروته للفقراء، والتخلي عما جمعه كرجل أعمال من مال وعقارات.

وكان السوريون قد ضحكوا كثيراً عندما سمعوا نكتة مماثلة أطلقها الاستاذ رامي، عندما قال انه سيبيع حصته من أسهم شركة "سيرياتل" التي تبلغ 40 في المائة منها، فتبين لهم ان الاسهم ليست ملكه، وانه ملزم بردها إلى الدولة أوائل عام 2013 دون أي مقابل أو تعويض، فقرر إذن بيع ما ليس ملكه، والاحتيال على المواطنين ببيعهم أسهماً تملكها الدولة، ضارباً بذلك عصفورين بحجر واحد:

تشليح الناس مبالغ هائلة من أموالهم، وزجهم في مشكلات مع الدولة التي ستلاحقهم حتماً لأنهم اشتروا ممتلكات تخصها وعليهم بالتالي اعادتها إليها.

وكان السيد مخلوف قد استولى على أموال الدولة طيلة ما يزيد على خمسة عشر عاماً، عندما امتنع عن تنفيذ العقد الذي وقعه معها، وينص على تحويل أرباح شركة "سيرياتل" الصافية إلى خزينتها، فإذا بالمحسن الكبير يقدم موازنات تبين ان الشركة لم تربح غير خمسة ملايين ليرة سورية، أي مائة ألف دولار أميركي سنوياً، أو تؤكد انها خاسرة، وان على الدولة تقديم الدعم لها، أي لجيبه الخاص.

وكان الدكتور عارف دليلة قد عقد مقارنة بين شركتي الجوال السورية واللبنانية، وقال ان لدى الاولى ثمانية ملايين مشترك، ولدى الثانية مليونان، وان الاخيرة تربح ملياري دولار سنوياً، في حين تربح شركة مخلوف مائة ألف دولار فقط لا غير، طبقاً لحسابات مالية موثقة يفبركها له محاسبون ماليون والمسدس على رؤوسهم، بالنظر إلى ان السيد مخلوف يملك في مقره الرئيسي في حي المزة سجناً تحت أرضي يديره عميد متقاعد اسمه علي جابر، يتولى إدارة "الحوارات" المالية والاقتصادية الديموقراطية مع من يريد رامي مخلوف ابتزازهم أو تشليحهم أموالهم وممتلكاتهم.

لا عجب ان أي سوري يستطيع حكاية عشرات قصص الاحتيال على الناس وابتزاز الدولة، التي قام بها رامي وأبوه محمد مخلوف، حتى ان السوريين رووا نكاتاً عنهما تقول احداها: "الانسان في سوريا إما مخلوف أو مخالف".. بمعنى ان من ليس من أسرة مخلوف فهو مخالف ويلاحق من قبل أجهزة مخلوف القمعية المتداخلة مع أجهزة الدولة تداخله هو مع أولاد عمته آل الأسد، الذين يقال انه ليس غير خادم عندهم يدير أعمالهم وأموالهم مقابل عمولة، وانه ليس غير السطح الخارجي لجبل الجليد اللصوصي الذي يخفي تحته جبالاً من الاموال، يهربها إلى خارج البلاد ان اراد هؤلاء، ويعيدها وينقلها من مكان لآخر ان أمروه، ويوظفها بأسماء سرية أو وهمية في مصارف متخصصة في تبييض الأموال، تتركز غالباً في ما يسمونه الجنات الضريبية في جزر المحيطين الهادي والاطلسي.

وكان المحسن قد أسس جمعية خيرية سماها "البستان" لعبت دوراً كبيراً في تجنيد الشبيحة خلال الازمة الأخيرة، وابتكرت طريقة انسانية جداً لتقديم العون

للمحتاجين، فقد ساعدت شباناً صغاراً ويافعين على التخلص من حياتهم، عندما وقعت معهم "عقوداً تمنحهم مائتين وخمسين دولاراً في الشهر مقابل العمل لديها في اي وقت من أوقات الليل والنهار، وفي أي منطقة يختارها المحسن، والالتزام بتنفيذ أي أمر يصدره إليهم. هكذا سقط شباب كثيرون قتلى بعد ان زج بهم في قتال ضد مواطنين سوريين مثلهم، مع انهم لا يعرفونهم وليسوا غالباً من مناطقهم وليست لديهم مشكلات أو خلافات معهم، علماً بأن المعونة كانت تنقطع عن الأهل بمجرد موت أولادهم، الذين استغل المحسن جوعهم وفقرهم واشترى حياتهم بأبخس ثمن، وأرسلهم إلى الموت بدم بارد دفاعاً عن نظام لم يرحمهم يوماً أو يعمل على حل أي مشكلة من مشكلاتهم، لكنه أفاد من بؤسهم الذي يتحمل هو مسؤوليته الرئيسية كي يجبرهم على التضحية بأنفسهم، من أجل حمايتهم!

قبل عشرين عاماً لم يكن يوجد بين رجال الاعمال شخص اسمه محمد مخلوف، والد السيد رامي مخلوف، الذي كان مدير شركة حصر التبغ والتنباك، صانعة السجائر السورية وبائعتها داخل سوريا وخارجها، كيف صار محمد مخلوف مليونيراً؟ كانت سجائر الحمراء السورية تباع في الاسواق العربية بنصف ليرة سورية للعلبة الواحدة، لكنه لم يكن يصدر السجائر المزعومة، بل كان يزور سجلات تثبت انه صدرها، بينما كان يبقيها في السوق السورية، وتحقق كل علبة ربحاً صافياً يذهب إلى جيب المدير النشيط قدره أربع ليرات ونصف الليرة، أو ما يعادل تسعة أضعاف سعرها في السوق الخارجية.

بهذه الطريقة، حول الأب مؤسسة حكومية إلى ملكية خاصة، وسخر مئات آلاف الفلاحين للعمل في خدمته، فكان يحصل على تبوغهم بأبخس الاثمان ويبيعها في السوق الاوروبية بأضعاف ثمنها الداخلي، ويضع عوائد السجائر التي يصنعها منها في جيبه وجيوب آل الأسد.

ما ان ورث رامي مواهب أبيه وتلقى تكليف أسرة خاله (حافظ الأسد) بأن يصير "رجل أعمال"، حتى انقض على الاقتصاد الوطني نهباً وسلباً، ولعل أفظع الفضائح التي تقترن بإسمه تتجلى في قيام بشار الأسد بالموافقة على بيعه 569 كيلومتراً مربعاً بين قرية عدرا ومطار دمشق الدولي بسعر 19 ليرة سورية للمتر

الواحد. بعد شهر واحد من الاعلان عن العقد، باع "رجل الاعمال" المتر "المنظم" بـ 2900 ليرة سورية. وكان قد حاول قبل ذلك شراء جزيرة "ارواد" لتحويلها إلى مكان "للراحة والاستجمام" وحين قيل له انها محمية ثقافية دولية طلب من محافظ طرطوس، الذي نقل إليها مكافأة له على اطلاق النار في القامشلي عام 2004 وقتل أربعة مواطنين كرد سوريين، إجبار سكانها على اخلائها، كي يشتريها منهم مباشرة، ويقوم بهدمها وإعادة بنائها، ضارباً عرض الحائط بطابعها التاريخي المميز: هذا على صعيد الخدمات الاقتصادية التي قدمها رامي لوطنه.

أما خدماته السياسية فأبرزها اعترافه في مقابلة مع جريدة "نيويورك تايمز" رتبها له القصر الجمهوري الممانع، بعد أربعة أشهر من نشوب الثورة السورية، بأن "أمن النظام من أمن إسرائيل، وأمن إسرائيل من أمن النظام"، فكان اعترافه اقراراً صريحاً بما كانت المعارضة تردده بأن النظام كلف نفسه بحماية أمن إسرائيل في مقابل حمايته ومساعدته على البقاء في الحكم!

أعلن رامي مخلوف انه قرر التبرع بماله للشعب، أيها السوريون، ضعوا أيديكم على جيوبكم وداخلها، كي لا يشملها رامي مخلوف بإحسانه ويسلبكم القليل الذي بقي لكم ولم يتمكن في الماضي من سلبكم إياه!

جماعة رستم غزالة

علي الحاج نموذجاً من المنافقين

عندما كان رستم غزالة يتقبل التهاني من اللبنانيين بمناسبة تعيينه قائداً لجهاز الأمن والاستطلاع لقوات الأسد في لبنان خلفاً للواء غازي كنعان في مقر قيادته في عنجر (سهل البقاع) كان قائد منطقة البقاع في قوى الأمن الداخلي اللبناني العميد علي الحاج (قبل أن يرقى إلى رتبة لواء) يتولى تقديم الضيافة لمهنئي رستم من وزراء ونواب وفعاليات لبنانية مختلفة.

أثار منظر ابن برجا الضابط الكبير وهو يقوم بما يمكن لنادل في مقهى أن يتولاه، اشمئزاز أبناء بلدته المعروفة بالشهامة والكبرياء خاصة أبناء عائلته الكبيرة وتندروا فيما بينهم بهذا التدني في مستوى النفاق.

وعندما عين رستم علي الحاج قائداً لقوى الأمن الداخلي قادت زوج الأخير سمر شلق الحاج تظاهرة في شتورة هتفت فيها بإسم بشار الأسد قائدنا إلى الأبد وشربت نخبه أمام الجميع ونخب رستم غزالة.

كان رستم يجمع علي الحاج وحلقة الوصل مع رئيس الحكومة يومها عمر كرامي طارق فخرالدين لوضع تشكيلات قوى الأمن الداخلي، لفرضها على مجلس القيادة المغيب عن أي مشاركة أو أي رأي.

وطارق فخرالدين هذا هو صاحب مشروع بالما السياحي عند مداخل طرابلس البحرية، وهو مليء بالمخالفات التي تمت تغطيتها بحماية من رستم غزالة نفسه.

ومن مآثر رستم على علي الحاج وعائلته إلزام مجلس الوزراء اللبناني في عهد عمر كرامي كرئيس للحكومة وعبد الرحيم مراد وزيراً للدفاع نقل الطالب في المدرسة الحربية كمتطوع في الجيش إلى ملاك قوى الأمن الداخلي بشكل مخالفة صريحة للقانون.

عرض الأمر على مجلس الوزراء وراح الوزراء السذج يلتفتون إلى بعضهم يتساءلون ويتغامزون إلى ان أوضح أحدهم ان الأمر هو من رستم غزالة فوافق الوزراء بالإجماع كرمى لعيون أبي عبدو.

لم يخاصم علي الحاج ضابطاً في سلكه قدر خصومته العلنية والمؤذية مع وسام الحسن.

تسلم الحسن مديرية التشريفات في رئاسة الوزراء في عهد الرئيس رفيق الحريري الذي قربه كثيراً ووثق به حتى أصبح مستشاره للأمن القومي، وباتت مسؤوليات الحسن أعلى من مسؤوليات الحاج رغم ان الأخير أرفع رتبة، وتوقف الحسن عن تأدية التحية للحاج فإذا رستم غزالة يتصل بالحسن مهدداً متوعداً لأنه يتحداه ولا يحترم زملته علي الحاج داعياً إياه إلى الالتزام بما يقوله الحاج له.

أما لماذا أبعد الحريري علي الحاج الشهير بشاربيه من حوله فهو وفق أقوال كثيرين إيصاله كل ما كان يستمع إليه في مجلس الحريري إلى معلمه رستم غزالة.

كان الحريري يتحدث على سجيته في أي أمر، بحضور علي الحاج وآخرين.. وما ان ينفض المجلس ويصبح الحريري وحيداً في مكتبه، أو في منزله

أو في سيارته حتى يأتيه اتصال من رستم معاتباً ناقلاً كل كلمة وردت على لسان الحريري.

أخضع الحريري علي الحاج لعدة اختبارات بعد شكه فيه فإذا المخبر هو المرافق المعروف بشاربيه الشهيرين فطلب نقله إلى مديرية قوى الأمن عقاباً.. لكن رستم عاقب الحريري فيما بعد بهذا النقل ليعينه لواء وقائداً لقوى الأمن الداخلي تمهيداً لتعيينه وزيراً للداخلية.. وربما رئيساً للحكومة.. لو..

كان غزالة يتصل بالحريري مهدداً أحياناً وغائباً أحياناً ناقلاً إليه أخباراً ووقائع تجري بحضور الحريري ودائماً علي الحاج.

وعندما اغتيل الحريري يوم 2005/2/14، سارع علي الحاج إلى إزالة آثار الجريمة في مخالفة للقانون، وتغييباً لشواهد يمكن أن توصل إلى كشف المجرمين.

عندما خضع الحاج للتحقيق حول دوره في التغطية على الجريمة اتهم قائد الحرس الجمهوري العميد مصطفى حمدان بأنه هو الذي أعطاه أوامر إزالة أجسام الجريمة.. ليعترف حمدان في التحقيق نفسه انه تلقى أمراً من رئيسه إميل لحود.

الفصل الثاني عشر

السوريون القوميون

يرثون البعث

- **مقدمة**
- **بأمر من آل مخلوف**
- **البديل**
- **حافظ – أنيسة انتصار الحب على الحزب**
- **مخلوف: العائلة القومية**

السوريون القوميون يرثون البعث

وعندما خاطب بشار الأسد الأمين العام القومي والقطري لحزب البعث العربي الاشتراكي جيشه في الذكرى الـ 67 لتأسيسه (1 – 8 – 2012) فإنه استخدم العبارة نفسها التي يعتنقها القوميون السوريون ويتنادون بها وهي الأمة السورية.

وثقافة بشار الجديدة هي التزام ثقافي سياسي بقراره اجتثاث حزب البعث في سوريا.. بل قل عروبة سوريا وهو يحفر قبرها بمعول الالتحاق بالنظام الفاشي الشعوبي المعادي للعروبة في طهران، ويدفنه برفش القومية السورية التي كان أتباعها في لبنان أدوات القتل والتفجيرات عودة إلى الاسلوب الذي ربما كان بدأ بقتل رمز البعث العروبي النظيف قبل السلطة العقيد عدنان المالكي على مدرج النادي الرياضي عام 1955.

الأمر من آل مخلوف

كان كثيرون داخل وخارج سوريا يتحدثون عن ان أحد المطالب الرئيسية للثورة السورية، هي إلغاء المادة الثامنة من الدستور التي تنص على ان حزب البعث هو الحزب القائد للدولة والمجتمع، خاصة ان رئيس الجمهورية هو أمينه القطري، وان قيادته القطرية هي التي ترشح رئيس الوزراء وقد يكون عضواً فيها، وترشح المحافظين والوزراء والنواب والسفراء ورؤساء تحرير الصحف ورؤساء مجالس إدارة شركات القطاع العام، والسلطة القضائية..

تمسك الثوار بهذا المطلب، وطالب وسطاء وأصدقاء وخصوم للنظام من الخارج (رؤساء دول، ملوك، أمراء، رؤساء وزراء) من بشار الأسد الاستجابة لهذا المطلب، ووعد بشار كثيراً بتنفيذه ثم نفذه بعد إراقة دماء آلاف السوريين وتدمير مدنهم وقراهم واعتقال عشرات الآلاف منهم بوضع دستور جديد للبلاد، ألغى فيها هذه المادة، ومن يظن ان بشار قدم تنازلاً بهذا الإلغاء غابت

عنه طبيعة وحقيقة وضع حزب البعث في سوريا سواء في عهد حافظ أو بشار.

فلم يكن لحزب البعث كحزب ومؤسسات وأعضاء أي دور في أي قرار داخل سوريا، لأن القرارات كلها تصدر من الرئيس وتنفذها الاجهزة الأمنية، وليس للحزب إلا الموافقة ومن مفارقات الأمور ان هذه الموافقات تأتي من أصحاب القرار أنفسهم، أي ان يكون قادة الاجهزة الأمنية هم أعضاء في قيادات الحزب، بل ان يكون كل أعضاء القيادة القطرية معينين من أجهزة الأمن وهم تابعون لها.

ولم يعد لأمناء فروع الحزب في المحافظات الذين هم عملياً حكام المحافظات الحزبيون أي دور بوجود محافظ تابع لجهاز أمني، والجميع أمناء الفروع واعضاؤها والمحافظون معينون من قادة الاجهزة الأمنية.

كان من صلاحيات أمناء سر الفروع ترشيح وتعيين مدراء المؤسسات لتوكيد الولاء للحزب، وعندما جاء المحافظون بتعليمات من بشار رفض هؤلاء الرد على قرارات أمناء الفروع.

ولوقت طويل حافظ النظام على الشكل في ان يتبع المحافظ أمين الحزب في محافظته، ثم ينفذ ما يريد لأن القرار يأتي من جهاز أمني لفرع الحزب بأن ينفذ أمر المحافظ فيصدروا قراراتهم الحزبية وفق هوى المحافظ بناء على أوامر الاجهزة الأمنية.

بات محافظ دمشق ينفذ قراراته دون العودة إلى أمين فرع دمشق، وبات محافظ حمص أقوى من رئيس الوزراء ومن أمين سر القيادة القطرية محمد سعيد بخيتان فالمحافظ محمد اياد غزال اعتمد تنفيذ مشروع حلم حمص بهدم وسطها التجاري لمصلحة شركة "الديار" القطرية رغم ثورة التجار والاهالي ومجيء بخيتان إلى حمص.

قال لهم غزال أنتم قولوا ما تريدون وأنا سأفعل ما أريد وعندما طلب بخيتان البدء بالمشروع في مكان آخر من المدينة رفض غزال ونفذ ما أراد. (فصل خاص عن هذا المحافظ في مكان آخر من هذا الكتاب).

الوزراء في وزاراتهم يتلقون التعليمات من الاجهزة الأمنية وينفذونها، لأن الوزير يعلم انه أتى ويبقى في وزارته برضا الاجهزة الأمنية عنه، كذلك النواب والقضاة ورؤساء الجامعات والاعلاميون ورؤساء الاتحادات والنقابات ونقباء المهن.. كلها.

حتى هذا الشكل قضى عليه بشار، فبات مثلاً كل محافظ في محافظته مرتبطاً مباشرة به أو بجهاز أمني يعينه له ولا يتبع لفرع حزب البعث في المحافظة.

لم يعد للبعثيين أي دور في الحياة السياسية والحزبية في سوريا غير الحضور إلى مكاتبهم وشرب القهوة أو الشاي وقراءة الصحف ثم العودة إلى منازلهم للأكل والنوم والخروج بعد الظهر إلى المقهى أو أي سهرة خارجية أو منزلية.

نعم

على الجميع أن يكتب تقريراً عن كل شيء يراه، يسمعه، يقرأه حتى عن أمه وأبيه وأخيه ورفيقه وجاره، وهذه هي صلته الاساسية بالحزب.

خلال المواجهات بين النظام وجماعة الاخوان المسلمين طيلة أعوام 79 – 80 – 81 – 1982، شهد حزب البعث رواجاً باعتماد النظام على شباب البعث لحمل السلاح وتشكيل الكتائب والميليشيات ومواجهة الاخوان.

كانت المواجهة في جانب منها يومها بين السنّة والسنّة بقيادة الاجهزة الأمنية والجيش العلويين كلهم.

أما خلال الثورة السورية ضد بشار فإن حزب البعث اكتفى بإصدار عدة بيانات حزبية بطلب من أجهزة الامن دون أن يكون للحزب دور آخر رغم مضي أكثر من سنة على الانتفاضة الشعبية الشاملة، اضمحل دور الحزب إلى الحد الأدنى.. ثم صار الحزب خلال الثورة عبئاً.. بل في الطرف الآخر في الصراع من أجل البقاء.. الحياة أو الموت.

كان البعثيون الشباب في كثير من مواقع الثورة السورية هم في المقدمة، خاضوا المواجهات ضد أجهزة بشار وجيشه وعصاباته نظموا تظاهرات، تواصلوا عبر الوسائل التقنية المتقدمة للاتصالات، كتبوا لافتات، نظموا تنسيقيات، قتل منهم المئات، اعتقل الآلاف ومات كثيرون منهم تحت التعذيب.

كيف يثق النظام بحزبه بعد ان ظهر ان حزب البعث بقواعده في كل مدن وقرى البلاد بات جزءاً من الثورة؟

لذا

جاء قرار إلغاء المادة الثامنة من الدستور لمصلحة نظام عائلة الأسد على حساب حزب البعث.

كان النظام قبل الثورة يدفع نواباً في مجلس الشعب ممن يطلقون على أنفسهم صفة مستقلين للهجوم على حزب البعث، مطالبين بإلغاء سيطرته على الحياة السياسية، وكان الجميع يعرف صلة هؤلاء النواب بأجهزة الأمن الحاكمة (محمد حبش نائب اسلامي عن دمشق، أحمد منير فهد عن ريف حلب، عبد الكريم السيد - حلب وغيرهم).

كانت هذه المطالبة تلقى هوى في نفوس قادة أجهزة الأمن العلويين بمعظمهم.. ان لم تكن أساساً جزءاً من توجيهاتهم لهؤلاء النواب.

وترافق مع هذا كله ان الأمين العام القطري بشار الأسد، لم يعد يدعو إلى اجتماع للقيادة القطرية، ثم توقفت التحضيرات لعقد مؤتمر قطري رغم مرور سنتين على الموعد المفترض، أي ان مؤتمر الحزب لم يعقد قبل الثورة بسنة كاملة (كان يجب أن يعقد عام 2010).

وليس في الأمر غرابة، فقرارات المؤتمر القطري العاشر 2005 قضت بعدم تدخل الحزب في عمل السلطة التنفيذية..

لذا

قبل صدور قرار الإلغاء كان كثير من البعثيين يرددون في مجالسهم الخاصة نحن ذاهبون.. وهناك قادم جديد.

غير ان إلغاء المادة الثامنة من الدستور وفق دستور بشار جاء لمصلحة النظام، وفي الوقت نفسه لمصلحة الناس! كيف؟

1- بعد نصف قرن من تسلمه السلطة في سوريا، ارتبطت بالحزب كل موبقات العقود الخمسة السابقة: الظلم، والرشوة والمحسوبية والفساد، والافقار.. وغنى طبقات وفئات، تمييز مذهبي، رعب وإرعاب ومعتقلات وسجون واغتيالات، وكذب ومزايدات، سقوط جزء من الوطن تحت الاحتلال، حروب النظام ضد العرب في لبنان وفلسطين والعراق..

2- سقط حزب البعث في العراق، فإرتبط في أذهان الناس ان بعث سوريا جاء إلى السلطة في البلد، بعد شهر واحد من مجيء بعث العراق إلى السلطة في بلده (1963/3/8 - 1963/2/8) شعر بعثيو سوريا ان دورهم قادم بعد سقوط بعث صدام، خاصة ان ذهاب حكم البعث في العراق تبعه قانون اجتثاث

البعث، وهو مؤشر إلى طبيعة التعامل مع البعث السوري بعد سقوط نظام الأسد.

3- شعر البعثيون أنفسهم ان حزبهم بات حزباً سورياً، بعد إلغاء القيادة القومية للحزب التي كانت شكلية في عهد حافظ، لكنه أبقى عليها ليحتفظ هو بلقب الأمين العام القومي، بينما كان بشار محتفظاً بصفة الأمين العام القطري اثر إلغاء الصفة القومية، ترافق ذلك مع غياب أي مؤتمر قومي للبعث الباقي في سوريا، وبات كل فرع خارج سوريا وهم في الأصل شلل تحكمها النفعية والولاء لاستخبارات دمشق وتنفيذ أوامرها بالإرهاب واللصوصية، يعمل بصفة مستقلة عن الآخر تحت اسم البعث أو غيره.

وكان من المضحك ان يظل عبدالله الاحمر أميناً عاماً قومياً مساعداً (لمن؟) وان يكون بشار أدنى منه رتبة أي أميناً قطرياً يساعده محمد سعيد بخيتان (الاحمر وبخيتان سنّة) والمضحك أيضاً ان مؤتمرات فروع الحزب في كل سوريا كانت توقفت عن الانعقاد ودخل الحزب مرحلة الانحلال الذاتي..

4- (كما أوردنا) مشاركة بعثيين من الطبقات الفقيرة والمتوسطة في الثورة ضد بشار وهم من الذين مروا بمؤسسات الفتوة وطلائع البعث، وشبيبة الثورة والاتحاد الوطني لطلبة سوريا.

وبلغ انعدام الثقة من السلطة بحزب البعث، ان قطع السلاح التي وزعتها أجهزة الأمن على البعثيين لم تكن لأسباب حزبية، بل جاءت لاعتبارات مذهبية (العلويون من البعث دون السنّة والمسيحيون دون السنّة) أو الولاء المصلحي لبعثيين سنّة، ارتبطت مصالحهم بتجارات تخضع لقادة أجهزة أمنية أو مصالح مادية مباشرة..

وفي البداية والنهاية فإن الميليشيات التي حملت السلاح هي ميليشيات علوية، والشبيحة هم شبيحة علويون من قرى ومدن الساحل (في الكتاب فصل خاص عن الشبيحة).

5- جرت مراجعة شاملة للمنطلقات النظرية للحزب في الوحدة والحرية والاشتراكية، وأعدت دراسات تلغي التسميات الثلاث، أو على الاقل تعدلها،

وفق المفاهيم الانفتاحية لبشار بعد بيع القطاع العام لمصلحة ثروات العائلة وأقاربها.

وحتى هذه المنطلقات الجديدة لم يتح لها الظهور بسبب تغيب انعقاد مؤتمر الحزب.. ودائماً قبل الثورة.

البديل

إذن

بعد تهميش حزب البعث وإبعاده عن الحياة السياسية والسلطة التنفيذية الحقيقية، وكل قرار سياسي من هو البديل؟

انه الحزب السوري القومي الاجتماعي لمؤسسه اللبناني انطون سعادة.

يقول بعثيون متحسرون على مصير حزبهم، اننا راحلون بأسوأ سمعة وأحطّ مكانة، انهم يدفنوننا وسط كراهية الناس لنا، ونحن مظلومون، والمستفيدون منا هم قلة.. والطريق أصبح مفتوحاً للقوميين السوريين.

عام 2006 ضم بشار الأسد الحزب السوري القومي للجبهة الوطنية التقدمية، رغم تعارض مبادئه الفلسفية والعقائدية مع عقيدة حزب البعث.

البعث يعتبر ان سوريا هي جزء من الأمة العربية، والقوميون السوريون يرون ان سوريا هي جزء من الأمة السورية.. بل هي الأمة السورية.

وفر بشار الغطاء الشرعي للحزب السوري القومي، وباتت حركتهم علنية في المنابر والساحات والاحتفالات بذكرى انطون سعادة وهتافاتهم تحيا سوريا ونظمهم واستعراضاتهم التي توازي الهتلرية في فاشيتها وعنصريتها.. رغم حديثهم الدائم عن العلمانية.. وضد الطائفية.

واللافت للنظر ان غالبية البعثيين كانت من السنّة بحكم التركيبة السكانية لسوريا، لكن أغلبية القوميين السوريين (نسبياً) في سوريا هي من المسيحيين والعلويين مع نسبة قليلة من السنّة، هم أحفاد وأولاد القوميين السابقين في بعض المدن السورية السنية (من آل فرحات، سحلول، ومن آل الزهراوي، الذين انتسبوا تاريخياً للحزب السوري القومي).

في قرية "مرمريتا" المسيحية نظم القوميون السوريون مهرجاناً خطابياً خاصاً بهم داخل كنيسة البلدة في مخالفة لقوانين البلاد التي تنص على العلمانية، ومنع استخدام الأماكن الدينية في نشاطات سياسية.

بل ان النظام كثيراً ما تباهى بهذا الابتعاد عن إظهار الهوية الدينية (الاسلامية تحديداً) لأي عمل سياسي وكثيراً ما كان يقصف أي مسجد يتم فيه نشاط سياسي يعتبره معادياً له، حدث هذا اعوام 1964، 1979، 80، 81، 82، 2011 و2012، بل انه حاول إلصاق تهمة استغلال المساجد للثوار لمجرد خروجهم بتظاهرات بعد صلاة الجمعة في طول سوريا وعرضها حتى لو كان بعض المشاركين فيها من المسيحيين أو من العلويين، أو كما وصفهم شيخ النظام محمد سعيد البوطي بأنهم لا يصلّون ولا يعرفون الصلاة!!

حافظ – أنيسة

انتصار الحب على الحزب؟

عندما كان د. نور الدين الاتاسي وزيراً للداخلية قبل حركة 23 شباط/فبراير 1966، فتح الباب لإعادة ضباط الحزب السوري القومي الذين كانوا لوحقوا بعد اغتيالهم العقيد عدنان المالكي عام 1955، إلى الجيش بتبرير بالحاجة إليهم، اثر إحالة عدد كبير من الضباط وضباط الصف العلويين إلى التقاعد لكبر السن، فاختير الضباط السوريون القوميون من العلويين ليحلوا مكانهم، خاصة في مجال العمل في الارشاد البحري في ميناء بانياس، الاتاسي ضغط على شركة نفط العراق (...) للاستغناء عن المرشدين الاجانب، ليحل القوميون السوريون العلويون مكانهم.

أما الأكثر إثارة فهو ان أمين الحافظ بصفته رئيساً لمجلس قيادة الثورة (رئيساً للجمهورية) بعد إطاحة لؤي الاتاسي استجاب لضغط الضباط العلويين في اللجنة العسكرية، فأصدر قراراً بالعفو عن المدانين بقتل عدنان المالكي، وهم مجموعة من ضباط الصف بينهم الرقيب محمد مخلوف شقيق أنيسة التي تزوجها حافظ الأسد وأنجب منها أولاده الخمسة ومنهم بشار الذي ورث السلطة عن والده عام 2000، وها هم أولاد محمد مخلوف أي أولاد خال بشار رامي

وحافظ ونضال وايهاب.. يسيطرون على السلطة والثروة والسلاح بمشاركة ولدي عمتهم بشار وماهر.

كانت الخطوة الأهم في "شرعية" الحزب هي السماح له بالنشاط وضمه إلى أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية في نيسان/ابريل 2005 أي بعد شهرين من اغتيال رفيق الحريري في 2005/2/14، وبعد نحو 100 يوم على محاولة اغتيال الوزير مروان حماده في 2004/10/1 الذي اتهم البعض فيها ضمناً رئيس الحزب السوري في لبنان أسعد حردان، فهل جاء تصريح الشرعية مكافأة من آل الأسد للحزب السوري القومي؟

ويحق لكثير من البعثيين ضمن كثير من السياسيين التساؤل هل كان زواج حافظ الأسد من أنيسة مخلوف من قرية بستان الباشا معقل القوميين السوريين، وهي كانت كأشقائها وأبناء عمومتها ضمن عناصر الحزب السوري القومي.. مصادفة؟ ولماذا رفض عم أنيسة الذي رباها وشقيقها محمد وشقيقتها فاطمة بعد موت والدهم زواج ابنة أخيه من حافظ الأسد، ثم عاد ووافق على تزويجها منه؟ هل سيطرت هنا مصلحة الحزب السوري القومي على مصلحة العائلة الطبقية؟ وإذا وافقنا انتصار الحب على الحزب في قضية زواج حافظ وأنيسة، فهل نوافق في سرية انتماء عشرات الضباط في كل فرق الجيش السوري إلى الحزب القومي السوري، تحت سمع وبصر أجهزة حافظ الأسد الأمنية التي تفلّي النملة؟

وأخيراً وليس آخراً

هل جسد زواج حافظ البعثي من أنيسة القومية السورية الحلف الذي نشأ بعد ذلك بين البعثيين الذين يمثلهم حافظ الأسد والسوريين القوميين الذين يمثلهم آل مخلوف؟ لماذا وافق عم أنيسة الذي تولى تربيتها مع شقيقها الوحيد محمد وشقيقتها فاطمة على زواجها من حافظ بعد ان كان رفض هذا الزواج بسبب الفوارق الاجتماعية بين العائلتين؟

وهل يؤدي السوريون القوميون واجباتهم في هذا الحلف، من خلال خوض معارك آل الأسد ضد الشعب السوري كما خاضها السوريون القوميون في لبنان ضد قيادات الشعب اللبناني التي يعاديها آل الأسد؟

مخلوف
العائلة القومية

يردد بعثيون سابقون طلبوا عدم نشر اسمائهم للمؤلف، ان استعادة الحزب السوري لمكانته في الحياة الحزبية السورية هو قرار تم في منزل آل الأسد، وشريكته أنيسة مخلوف.

فهذه السيدة التي تنتمي إلى اسرة التزم أفرادها بالحزب السوري القومي، خاصة شقيقها محمد، كانت وراء إعادة الاعتبار للحزب الذي تم حظره في سوريا سابقاً وألغيت شرعيته وتمت ملاحقته بعد جريمة قتل نفذها عزت جديد ضد العقيد البعثي عدنان المالكي عام 1955، بتكليف من خليفة سعادة جورج عبد المسيح.

يؤكد البعثيون ان أنيسة نفسها كانت قومية سورية، فقريتها بستان الباشا في الجبل العلوي كانت معقلاً للقوميين السوريين.. وقد تزوجها حافظ وقبلت به رغم ان وضعها الاجتماعي والعائلي كان أرقى كثيراً من وضع عائلة الأسد الفقيرة.

صحيح ان أخاها محمد "تبعثن" كما كثيرون فيما بعد في عهد حافظ الأسد، إلا ان هذا لا ينفي ان الحزب السوري اعتمد في نهضته على الاقليات في سوريا.. وفي لبنان (مسيحيين وعلويين في سوريا، مسيحيين وشيعة ودروزاً في لبنان من حيث الاغلبية ودائماً مع قلة من السنّة)، مع الاشارة إلى ان السنّة الذين التحقوا به كان معظمهم يرى الالتحاق بحزب قومي من رؤية وحدوية شاملة ليست وقفاً على سوريا، بل ان سوريا الكبرى الواحدة في نظرهم كانت جزءاً من أمة عربية واحدة، وليست سوريا التي تحدث عنها سعادة، والدليل ان قسماً كبيراً من القوميين السوريين السنّة تخلوا عن الحزب عندما طرح جمال عبد الناصر مسألة القومية العربية التي اكتسحت الوطن العربي، وباتت دمشق في عهده قلب العروبة النابض، وهي عاصمة سوريا (في لبنان زكي النقاش، ومعروف سعد..).

جاء الدعم من العائلة، وبات ابن محمد رامي المتمول الأكبر وأمين مال العائلة الحاكمة هو الممول الأكبر للحزب السوري القومي.

كان الناس في سوريا وحتى البعثيون يلاحظون حجم المصروفات التي ينفقها القوميون في مناسباتهم من ناحية تكاليف الاعلام الضخمة، وعلى أعلى السواري

المكلفة، وعبر الملصقات الضخمة، وجلب المؤيدين والحزبيين من مختلف المنـاطق (من لبنان ومحافظات حلب والساحل إلى دمشق) بأغلى الحافلات والتقديمات مـن وجبات الطعام والمشروبات وبقية التسهيلات..

يتولى رامي مخلوف الصرف على القوميين، كما يتولى مغتربون مسيحيون من عائلات قومية خاصة في بعض دول أميركا اللاتينية الصـرف أيضـاً والمسـاعدة وعندما افتتحت النائبة القومية السابقة بشرى مسوح مكتبتها القومية.. تلقـت 4 ملايين ل. سورية خلال 24 ساعة من متمول سوري قومي في الارجنتين.

وبشرى هي مسؤولة منفذية الحزب في منطقة الحصن، وهي تضم مناطق من لبنان وفق تقسيمات سوريا الطبيعية وليست سوريا الدولة الحالية.

ومنفذية الحصن هي أكبر من منفذية حمص نفسها كمدينة رغـم ان مدينـة الحصن هي منطقة صغيرة في محافظة حمص، لكن لأن أغلبية سكان وأهالي حمـص هم من السنّة، وأغلبية منطقة الحصن هم من المسيحيين باتت منفذية الحصن هـي الأكبر حزبياً من حمص ثالث مدن سوريا من حيث عدد السكان والاهمية.

هكذا

تتحالف الاقليات خاصة المسيحية والعلوية في إطار الحزب السوري القـومي ليكون حزب العائلة.. حزب الدولة بعد ان تم إسقاط حزب البعـث العربـي الاكثري، تماماً كما أسقط الحضور الأكثري العروبـي السني للشعب السوري.. وأسقطت آخر أشكاله النظرية حزب البعث العربـي الاشتراكي.

خاتمة الفصل

ألقى حرس الحدود السورية القبض على امرأة تهرب دولارات على ظهر حمار قرب الحدود السورية - اللبنانية فاتصلوا بالأسد ليتصرفوا، فقال لهم الرئيس سلموا المال للبنك المركزي الفارغ، وإذا كانت المرأة حلوة سلموها لماهر الأسـد، ولمـا سألوه وماذا يفعلون بالحمار قال لهم ان عليهم تسليم الحمار لرفاقـه في القيـادة القطرية لحزب البعث الحاكم!!

الفصل الثالث عشر

مجلس الشعب في عهد بشار

- محمد فائق ينصح بشار
- مجلس الشعب أضحوكة الأسد
- سميرة مسالمة نموذجاً
- واقعة محمد حبش
- المحافظ زلمة الرئيس

محمد فائق ينصح بشار

في فترة كان فيها بشار الأسد مستعداً لاستقبال قيادات سياسية عربية، ذات تاريخ ناصع وأكف نظيفة وعقل مستنير، وجه دعوة لوزير إعلام عبد الناصر محمد فائق للقائه.

محمد فائق انصرف بعد خروجه من سجن أنور السادات الذي افترى على رجال عبد الناصر ولفق لهم اسقاطات مضحكة في قضية ساخرة اسمها مراكز القوى، للعمل الحقوقي الانساني، فكان من أبرز مؤسسي المنظمة العربية لحقوق الانسان التي كانت من بواكير المنظمات العربية في هذا المجال، وانتشرت بعد ذلك في معظم البلاد العربية.

لذا

كان اهتمام فائق في لقائه مع الأسد، منصباً حول هذه المسألة، في وقت بدا فيه له ان الأسد الابن يمكن أن يستمع لمن يصارحه بإيلاء حقوق الانسان المهدورة في سوريا منذ عهد والده بل ومنذ جاء البعث إلى السلطة عام 1963 بعض الرعاية، بعد ان ساد الرعب كل أواصر المجتمع السوري، المثقفين كما الموظفين، الناصريين كما اليساريين والاسلاميين، طلاب الجامعات كما الاساتذة والاطباء والمهندسين والمحامين، والعمال وسائقي الاجرة الذين فرض الأمن عليهم التعامل معه مجاناً في تقارير إلزامية يومية مثلما فرض على بوابي العمارات وبائعي الكعك والخضار في عرباتهم، وانتشر الأمن في كل سوريا في الشارع والجامعة والسينما والمسرح والحقل والمصنع والادارة والسفارة وشركات الطيران ومواقف السيارات وعاملي المصاعد.

لم يخضع مجتمع لعدد أجهزة الأمن المتصارعة حول كل شيء المتفقة على أمر واحد هو حماية النظام بل العائلة التي تحكمه، كما خضع المجتمع السوري..

قال فائق للأسد ان هناك تقارير دولية وعربية ومحلية تتحدث عن انتهاكات لا حدود لها لحقوق الانسان في سوريا في كل المجالات، فالمواطن السوري محروم

من أبسط حقوقه في حرية الرأي والتعبير والتظاهر والكتابة والقراءة كما من حق إنشاء أحزاب أو اعلام حر أو جمعيات أو أندية أو نقابات إلا إذا كانت هذه كلها مرسومة من أجهزة الأمن المختلفة التي تخضعها لرقابة خارجية واختراق داخلي، وويل لمن يخالف أمراً لهذه الاجهزة، فمصيره وعائلته السجن والتعذيب القاتل، وفي أبسط الحالات التهجير القسري والحرمان من الوظيفة أو الدراسة.

نفى بشار الأسد أي تعرض لأي مواطن في سوريا، لأي إهانة أو انتهاك حقوق أو حرمان حريات.. مردداً لغة والده الخشبية وعمادها ان بعض التجاوزات التي تحصل من أجهزة الأمن سببها الاخطار التي تهدد الأمن القومي في سوريا.

لم ييأس فائق من لامنطق بشار، فأعطاه درساً في ارتباط الأمن القومي العربي والوطني بمسألة حقوق الانسان قائلاً له:

سيادة الرئيس: لم تعد الانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان شأناً داخلياً، لأن سمة العصر الحالي هي سيادة الحريات في كل مجتمعات العالم، ومن صمم على ممارسة سياساته السابقة يضع نفسه تحت أنظار المجتمع الدولي، الذي يظهر تصميماً متزايداً ومتصاعداً على حماية حقوق الانسان، وهو يوسع اهتماماته لتشمل العقاب على كل انتهاك، مستحدثاً له القوانين، منشئاً لها المحاكم لتطبيقها تحت عناوين جرائم الحرب، والجرائم ضد الانسانية، التعذيب الشديد والمستمر، الاختفاءات.

صحيح ان هناك انتقائية في النظام الدولي، واعتماد معايير مزدوجة أحياناً كما في حال أبناء فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني وكما في العدوان على العراق الذي شنت عليه الولايات المتحدة ما اعتبرته حرباً استباقية، كما العدوان الصهيوني على لبنان..

لكن هذا لا يمنع، بل يحفز نزع الذرائع التي تخلقها انتهاكات حقوق الانسان، في أي مجتمع لأنها تبعد الاهتمام بالقضايا القومية والوطنية المحقة، خاصة تلك التي مضى على قيامها عشرات السنين لمصلحة قضايا حديثة تثير اهتمام الناس والاعلام يومياً، وسط ثورة الاتصالات التي جعلت العالم كله كأن أبناءه في حي واحد أو حتى شارع واحد.

ان سوريا في وضع تسهل فيه الضغوط السياسية عليها بسبب أهميتها جغرافياً وسياسياً على حدود فلسطين والاحتلال الصهيوني لها، وأنت بحاجة إلى مساندة

شعبية لك تبدأ بالمشاركة السياسية الحقيقية، كمجالس نواب منتخبة تساندك وتبرر لك قراراتك.

وأعطى فائق لبشار الأسد نموذجاً في تركيا عندما أرادت أميركا استخدام قاعدة انجرليك الأميركية الجوية الضخمة على أراضيها، لشن هجمات ضد العراق في عهد الرئيس صدام حسين وقد عرض رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان الأمر على مجلس النواب الذي رفض السماح لأميركا بهذا الاستخدام رغم ان تركيا هي أبرز عضو عسكري في الحلف الأطلسي الموسوم بخضوعه للسياسة الأميركية.

لم تستطع الولايات المتحدة الضغط على أردوغان لأن مشكلتها أصبحت مع ممثلي الأمة التركية في مجلس نواب منتخب يمثل الشعب التركي بحرية كاملة فراحت إلى الكويت لإطلاق العملية البرية التي بدأت يوم 2003/3/20، وانتهت بسقوط النظام العراقي، ووقوع العراق تحت احتلالين مباشرين أميركي وإيراني.

يقول فائق لمؤلف الكتاب انه سأل بشار الأسد هل هناك دولة عربية يمكن أن يقول رئيسها لأميركا أو غيرها سوف ألجأ إلى مجلس النواب أو أسأله أمراً إذا أرادت هي أو غيرها قراراً لمصلحتها؟ فرد الأسد: لا، لا يوجد.. لأن أحداً لن يصدقه (وضحك الأسد كثيراً على رده).

يتابع فائق درسه لبشار فيقول:

ان احترام حقوق الانسان في مجتمع عربي هو الذي يحفظ الوحدة الوطنية، أولاً بوجود حق المواطنة وحق وشعور كل مواطن يتمتع بها، حماية للمجتمع من التفسخ لشعور أكثرية الناس ان هناك أقلية حزبية أو طائفية أو سياسية بأنها تملك كل شيء، بما يخلق غبناً وحرماناً سيولد مع كثرة ضغط الاقلية لحماية مصالحها وأمنها، انفجارات غير محسوبة وان كانت تظل متوقعة، لذا فالأهم ان تكون حقوق الانسان في هذه البلدان والمجتمعات عنواناً أساسياً لحفظ وحدة الاوطان والمجتمعات وهي العنصر الحاسم في حماية الأمن القومي الوطني والعربي.

انتهى لقاء ونصائح فائق لبشار بأن أظهر الرئيس السوري اقتناعاً كاملاً بما قاله السياسي الحقوقي المصري.. ولم تمض عدة أيام على عودة فائق إلى القاهرة وأثناء عقده اجتماعاً للمنظمة العربية لحقوق الانسان في العاصمة المصرية، حتى

توالت البيانات عن اعتقالات جديدة في سوريا على يد أجهزة بشار، والحديث عن عمليات تعذيب، تختلط مع أنباء تظاهرات ينظمها حزب البعث السوري مبايعة للسيد الرئيس القائد الدكتور..

مجلس الشعب

أضحوكة آل الأسد

يقول النائب السوري الحر عماد غليون: ان وجودنا في مجلس الشعب السوري كان يهدف إلى إيصال صوت الناس إلى السلطة التنفيذية من خلال السلطة التشريعية، لكن لم يكن أحد يسمعنا حتى لو كان لمصلحة السلطة الحاكمة.

في الخفاء (كواليس) كنا نجتمع مجموعات أو ثنائيات لنتحدث عما يجري في البلاد وضرورة الاصلاح.. كان الجميع يتألم، وحتى الوزراء كانوا يتألمون من الوضع.. كانوا يعترضون على كل شيء، كان بعضهم يطالب بأن تسير البلاد بطريقة أفضل عن طريق الاصلاح والتطوير والسير نحو الديموقراطية.. حتى الأطر الحزبية البعثية على مستوى عال كانت تتألم وتشكو لكن بصمت.

كان بعثيون يشكون من تدخل الاجهزة الأمنية، ويقول غليون أنا أعرف أمين فرع حزب سابق وكان لديه لجنة من القيادة القطرية تزور مكتبه واثناء عقدها اجتماعاً داخلياً خرج عضو من الاجتماع بناء على اتصال من عنصر أمن لأنه يريد رؤيته.

المسؤول الحزبي أي أمين الفرع كان منزعجاً جداً لأنه يعرف ان العنصر الأمني الذي استدعى عضو قيادة الفرع لم يكن يريد منه أمراً مهماً، بل ربما كان يريد دعوته إلى الغداء.

خلال الثورة لم تخف قيادات حزبية قلقها وغضبها من ممارسات أجهزة الأمن ضد الناس، لكن هذا كله كان يجري في السر.. أما في العلن فإن بعضهم لا يكتفي بالصمت بل انه يروح يناقض كل كلامه ويدافع عن الاجهزة ويتهم الشعب الثائر انه عبارة عن جماعات إرهابية متبنياً إسقاطات النظام.

انه الرعب والانتهازية.. بل الفجور والتسابق لتسجيل مواقف انتهازية على حساب الآخرين.

يروي غليون ان أحد زملائه في مجلس الشعب جاءه مرة مستبشراً قائلاً له: نحن خلال 4 سنوات استطعنا تغيير كلمة واحدة، وهذه الكلمة وردت في قانون العمل "على رب العمل أن يؤمن العمال على نفقته".

في القانون كان النص على أن يكون التأمين ذهاباً.. والتعديل الجديد الذي اعتبر إنجازاً تحقق خلال دورة انتخابية لمجلس الشعب أي 4 سنوات هي إضافة كلمة وإياباً.

موازنة مجلس الشعب خلال 4 سنوات تجاوزت 2 مليار ليرة سورية من أجل كلمة إياباً صرفنا 40 مليون دولار.. ألم يكن من الأولى أن ندفعها للعمال ضماناً ذهاباً وإياباً دون نقاش، ودون إضاعة 4 سنوات من أجل كلمة.. وربما كنا وفرنا نحو مليار ليرة من تكلفة انعقاد المجلس نفسه!

معظم النواب كان يائساً من أي تغيير فكان لامبالياً بما يجري في المجلس، فكانوا يتغيبون وربما لا يحضر أحدهم إلا جلستين أو ثلاثة طيلة السنة، وكثيرون منهم كانوا ينامون في القاعة أو خارجها.

كان القرار يأتي من فوق، وكان علينا أن نوافق، وإذا طلب منا أن نوافق على الشيء ونقيضه.. كنا نفعل.

عن سميرة مسالمة

يروي غليون للكاتب الواقعة التالية تدليلاً على ما أورده أعلاه:

نشرت جريدة "تشرين" الحكومية مقالاً لمحمد خير الوادي ان مجلس الشعب شطب بجرة قلم تشابكات مالية بقيمة 1، 500 مليار ليرة سورية ديون جهات رسمية على بعضها، كجهات خاسرة.

صُدق القانون وأقر بلمح البصر، وخسرت الدولة ضعفي الموازنة السورية التي لا تتجاوز الـ 650 مليار ليرة سورية.

انزعج رئيس المجلس محمود الابرش، وأوعز لأحد أعضاء المجلس بالكلام - وهذه طريقة معروفة حيث تأتي تعليمات الأمن لرئيس المجلس ان يثير قضية ما في القاعة - واعترض على ما نشر في "تشرين"، فهناك من يهاجم مجلس الشعب ودوره.

شكل مجلس الشعب لجنة استدعت رئيسة التحرير يومها سميرة مسالمة للمساءلة أمام اللجنة.

قالت سميرة: إذا كنتم تعتبرون هذا المقال انتقاصاً من مجلس الشعب فنحن نقدم اعتذاراً عنه. فرفعت اللجنة تقريراً بذلك للمجلس، لكن الابرش رفض التقرير والاعتذار وأصر أن يطلب المجلس من الحكومة إقالة سميرة مسالمة لأنها تجاوزت على مجلس الشعب.. فضج المجلس بالتصفيق وأقر اقتراح الابرش بالأغلبية الكاسحة..

والتفت المجلس لمناقشة بنود جدول أعماله.. وفجأة وصلت رسالة إلى رئيس المجلس من الخارج أدخلها الحاجب.

قرأ الأبرش فإذا بوجهه يتغير وراح صوته يتهدج وهو يقول: لقد اتخذ مجلسكم الكريم قراراً بحق السيدة سميرة مسالمة، ويبدو اننا تسرعنا وكان يجب التمهل ويجب إعادة درس المسألة من جديد.. وطلب التصويت على إلغاء القرار السابق.. في الجلسة نفسها فتم له ما اراد ومن الاعضاء أنفسهم الذين صوتوا معه.

أحد النواب الذي كان ممتنعاً عن التدخين منذ فترة عاد إليه بعد هذه الجلسة.

كانت سميرة محسوبة على رامي مخلوف، وقد عملت سابقاً في جريدته "الوطن"، ومنها هو الذي نقلها إلى "تشرين" ثم عندما طردت بسبب تأثرها مما جرى في درعا مع بداية الثورة ضد بشار كان القرار أيضاً لمخلوف. بكت مسالمة في بداية الثورة من درعا بعد ان تبلغت ان 7 من اسرتها كانوا بين القتلى الذين أودى بهم النظام الذي تخدمه.

كانت الشعبة الحزبية في المجلس تجتمع وتعطي التعليمات لأعضاء مجلس الشعب من البعثيين، وكذلك كان نواب الجبهة يتلقون التعليمات من جهاز أمن يرتبط به هؤلاء طبعاً في الحالات التي تكون فيها الأمور واضحة وتحتاج إلى قرار يلتزم به الجميع.

كان رئيس المجلس يقول في الجلسة انه من الأفضل أن نعتمد هذا الاتجاه أو ذاك، فيفهم البعثيون ان عليهم أن يلتزموا بما يريده الأبرش، حتى لو كان هناك معترضون فإنهم يفهمون الشيفرة.

الأبرش يأتي بالتعليمات من جهاز خاص بأمن المجلس يرأسه ضابط كبير يرتبط بالرئاسة.

وكانت جلسات المجلس تبث مباشرة إلى القصر، كان حافظ وبشار يشاهدان الجلسات.. وكانا يوجهان رئيس مجلس الشعب أياً يكن اسمه ليصوت في الاتجاه الذي يريده الرئيس.

في جلسة أخرى كان الحديث حول مشاركة سوريا في اجتماعات مجلس الشعب في البرلمان العربي الذي كان سيعقد في العراق، وتحديداً في اربيل عاصمة اقليم كردستان العراق.

كان للقيادة رغبة في المشاركة فأحالت الأمر إلى مجلس الشعب ليشارك، وربما لم تكن القيادة تريد اتخاذ قرار، وكانت تريد تحميله للمجلس.

بداية الجلسة تحدث رئيسه الابرش وكان واضحاً انه علينا المشاركة لأن هذا رأي القيادة، وهذا أفضل لنا، رغم وجود عوائق.. أعطى الشيفرة.

وافتتح الجلسة، وسأل من كان مع المشاركة.. اعترض البعض بسبب ما قيل عن علم كردي، ووجود إسرائيلي، كان غليون مع المشاركة.. وأيده عضوان.

بعد ذلك اعترض على المشاركة جميع من في المجلس لكن رئيس المجلس أيد المشاركة.. ومع هذا فإن البعثيين رفضوا المشاركة.

السيناريو نفسه تكرر في هذه الجلسة.. حيث طرح التصويت ثلاث مرات ولم يصدر القرار.. رفعت الجلسة لليوم التالي، وفي جلسة الغد اقترع النواب الذين كانوا ضد المشاركة مع الذهاب إلى اربيل.. لقد أتت التعليمات من الشعبة الحزبية ومن أجهزة الأمن.

واقعة عن محمد حبش

خلال الثورة تقدم أحد قدامى أعضاء مجلس الشعب بمبادرة لمناقشة ما يحصل في البلاد وتقديم حلول للأزمة.. وهو سليمان حداد الذي كان يردد دائماً انه صاحب البيان الذي ألقي في بداية الثورة (8 آذار 1963) والبعض ينعش له ذاكرته بل بيان 23 شباط 1966.

كان حداد معاوناً لوزير الخارجية، ودبلوماسياً سابقاً، وأطلق الابرش على مبادرته اسم مبادرة سليمان حداد.. وشكل لجنة لمناقشتها وصياغتها وفق البنود التالية:

1- وقف جميع التظاهرات.

2- إطلاق سراح جميع المعتقلين ممن لم تكن يداه ملطختين بالدماء.

3- إطلاق الحوار مع كافة الاطراف بما فيها المعارضة.

كانت مبادرة تجاوزها الزمن وغير ناضجة ومع هذا كان النقاش يتم حينها في المجلس فالتقط الدور النائب الإسلامي محمد حبش قائلاً دائماً يتم الحديث عن الثورة الشعبية وأنها عبارة عن مؤامرة خارجية، فشرح ان الاسباب الخارجية ليست سوى 20% بينما الـ 80% لأسباب الثورة هي داخلية وتعود لانتهاك حقوق الانسان، مطالباً بتشكيل مجلس أعلى لحقوق الانسان وفق ما ورد في إحدى توصيات اللقاء التشاوري الذي عقد في بداية الثورة برئاسة نائب بشار فاروق الشرع.

كان توصيف حبش لتظاهرات الشعب السوري انها ثورة، صاعق تفجير ضده في المجلس لأن توصيفه يناقض ما جاء على لسان بشار بأنها جماعات إرهابية، فثار النواب البعثيون والتابعون معهم لأجهزة الأمن ضد النائب المسكين الذي ظل لسنوات أحد الصور الاسلامية التي يهتم النظام بالمحافظة عليها لإظهار مرونته واحتضانه للإسلاميين في وجه التيارات الاسلامية السنية التي تعارضه. راح النواب يشتمونه، ويهددونه، ويرفضون كل كلمة عن حقوق الانسان وان ما يجري في سوريا هو عمل عصابات مسلحة.

أصيب حبش بالوجوم وظل صامتاً لدقائق دون أية كلمة، ورئيس المجلس يتفرج على هذه المهزلة..

تمتم حبش بكلمات قليلة ثم خرج من الجلسة.. كان يريد الرد على نقاط نظام، ولم يعطه الابرش هذا الحق. (يعيش حبش الآن في دولة الامارات تاركاً سوريا بعد ان خشي على نفسه من انتقام الاجهزة الصديقة.. سابقاً).

نائب آخر في المجلس هو عبد العزيز المعقالي (من النبك) قال ان في بنود مبادرة حداد ما يدعو إلى الحوار مع المعارضة، فهل نحن اعترفنا بالمعارضة حتى نتحاور معها؟

كلمة واحدة فقط أثارت النواب ضده.. قائلاً يجب أن نعترف بالمعارضة حتى نتحاور معها فنزلت الطامة الكبرى على المعقالي، فإنهالت الشتائم على

المسكين في إرهاب فكري معروف في سلوك النظام وأجهزته ومنها حزب البعث.

كان مسموحاً في المجلس ان يقول النواب جميعاً - أو أحدهم - ان هناك تقصيراً في موضوع المياه أو الغاز أو انقطاع الكهرباء أو زفت الطرقات.. وكان هذا كله مسموحاً.

لكن كل كلمة في السياسة كانت من المحرمات إلا إذا كانت مزايدة على موقف النظام وبصماً كاملاً على توجهاته.. مرت عقود ولم يتحدث نائب في السياسة.. أبداً.

يقول غليون، انه حين ناقش رئيس الوزراء ناجي العطري، في إحدى المرات النادرة التي كان فيها رئيس الحكومة يزور مجلس الشعب، حول لماذا لا تناقش الخطة الخمسية العاشرة، ورد وقبل الثورة بشهر، وأجبته حول بيانه عن الخطة وان مجلس الشعب لا يتحدث مع الحكومة ويطلب منها أن تفعل هذا أو ذاك.

قاطعته قائلاً نحن لا نراك أساساً حتى نناقشك.. كان منزعجاً من كلامي، وحين تحدث عن تقييم كنت طلبته عن الخطة الخمسية العاشرة، قائلاً لماذا لا تناقشونا حول هذه الخطة، قاطعته أيضاً وقلت له أنا الذي طلبت النقاش حول هذه المسألة وطويلاً طالبت بتقييم للخطة هذه ولم يقدم لنا.

قال رئيس الحكومة العطري ان عماد غليون قال له في حمص ان حكومة ناتنياهو في إسرائيل أفضل من حكومة العطري.. ولم يكن هذا صحيحاً فلا هو زار حمص ولا أنا قلت هذا الكلام.. كان الهدف هو التحريض ضدي ذهبت إلى الابرش أشكو له الافتراء ضدي فرد عليّ عيفو (أي اتركه) فهو لن يبقى طويلاً رئيساً للحكومة طالباً مني فرصة للكلام.. لكنني لم أنتظر ففي 2011/2/15 طلبت استجواب رئيس الوزراء لأن عضو مجلس الشعب لا يحاسب على أقواله جزائياً أو مدنياً. تحدثت عن تهديده لي باعتباره اعتداء علي وطالبت بإقالته من الحكومة قبل شهر من بدء الثورة بسبب اخفاقاته الشاملة في كل أعماله واستجوابه قبل ذلك.

المحافظ محمد اياد غزال نموذجاً للفساد الأسدي

يروي النائب السوري الحر عماد غليون للكاتب حكاية محافظ حمص محمد اياد غزال كنموذج للفساد الأسدي فيقول عندما أتى هذا المحافظ محمد اياد غزال أراد إنشاء مملكة له، كان يتصرف خارج القانون، كان يقدم التسهيلات المخالفة للقانون لرجال أعمال يعرفهم ويتعامل معهم ويشاركهم مشاريعهم.

أنشأ في مبنى المحافظة مكتباً لخدماتهم، كان يأخذ معاملاتهم ويعتمدها حتى لو كان فيها مخالفات ويزعم انهم يقدمون تبرعات للمحافظة.

ثم أتى بمشروع حلم حمص، عن طريق شركة قطرية هي "الديار" ووقع بروتوكولاً خاصاً بينه وبين سفير قطر في مخالفة بروتوكولية.

عندما تحدثنا مع رئيس الوزراء العطري بهذه المخالفة، أرسل له رئيس الحكومة رسالة بأن هناك مخالفة في هذا البروتوكول ويجب إيقاف العمل به، ولم يأبه غزال لذلك، وقد تحدثنا مرات مع وزير الادارة المحلية دون جدوى.

كان غزال يريد إزالة مركز المدينة الذي يعتاش من جانبه ومصالحه آلاف الأسر الحمصية، لإقامة أبراج سكنية ومراكز تجارية فخمة (مولات) ومراكز سياحية: فنادق، مطاعم، مقاهي..

علماً بأن بعض المباني التي يريد إزالتها هي مبانٍ حديثة جداً وبعضها قيد الانشاء.

أحد لم يتمكن من إيقاف المشروع، وعندما حدث اجتماع في مقر قيادة حزب البعث في المدينة لمناقشة الأمر قال غزال ان أحداً لن يستطيع إيقاف المشروع علماً بأنه عضو في قيادة حزب البعث في المحافظة..

كان يفرض قراراته على الجميع: على رئيس الوزراء والوزير وقيادة الحزب في المحافظة رغم انه ليس سوى عضو فيها.

أكان مسنوداً من الرئيس مباشرة، من ماهر، من رامي مخلوف؟

- ربما من الجميع، الجهات الأمنية ذكرت في اجتماعات حزبية انها لا تملك تأثيراً على المحافظ، وهي تتكلم عن مخالفاته.

محمد اياد غزال هو من الدائرة الضيقة حول بشار الأسد لذا لم نستطع تحديد هوية ارتباطاته.

في إحدى المرات كنت عند رئيس الوزراء، وكان غزال يطرح مشروع طريق صغير في تدمر يكلف 500 مليون ليرة سورية ولم يكن أخذ موافقة الجهات المختصة عليه.

قال لي رئيس الوزراء: هل سمعت بهذا المشروع قلت له: نعم وقد أعلن عن بدئه في الصحف. فقال العطري: هذا المشروع سيؤدي إلى تخريب الآثار في تدمر، ولا أدري لماذا يصمم عليه المحافظ؟

سألته وماذا ستفعل؟ فرد: سأعمل على وقفه.. قلت لكن الاعلان نشر في الصحف الرسمية عن مناقصة حول المشروع.

هناك مشاريع أخرى كان يقدم عليها دون أن يرد على أحد، فالمهرجانات الكثيرة في حمص كانت كلها تتم عن طريق التراضي مخالفاً القوانين والانظمة، كان يأتي بالمتعهد الذي يرضى عنه ويشاركه ويلزمه عقد هذه المهرجانات بتكلفة معينة، دون مراعاة الاصول والقوانين.

في إحدى الساحات عند جامع عمر بن الخطاب في الملعب البلدي، تقدم تاجر لإقامة ساحة تجميلية لهذا الدوار على حسابه.. عصام أمبوبة شريك رامي مخلوف انشأ الدوار، وعندما نزع الستار فوجئنا بأن النصب التذكاري هو نسخة عن نصب الهولوكوست الذي أقامه اليهود في برلين للحديث عن المحرقة اليهودية في عهد هتلر، وقد شرح لنا صديق سوري يعيش في ألمانيا هذا النصب قطعة قطعة، فهو عبارة عن كتل اسمنتية تشبه القبور التي لها أشكال منحنية ومتعرجة تشبه المياه وتشبه المتاهة تشبه التيه اليهودي والموجة لها مدلول واضح كانت مفاجأة لنا.. فكتبت في الصحف وفي المواقع وفي النت.

أطلق عليه أهل حمص اسم دوار اليهود، وإحدى الصحافيات سعاد جروس تندرت وسألت ان كان أصل هتلر هو من حمص حتى يعملوا له هذا النصب.

حاولنا وقفه أو إزالته مع المسؤولين لكننا لم نحصل على جواب من أي مسؤول سواء في مجلس المدينة أو الوزراء..

كان الرد ان مهندس الساحة من حلب قال ان الأمر لا يعدو توارد خواطر، وهي ليست كذلك لأن النظام الذي يدعي الممانعة يرسل رسالة ود نحو إسرائيل. ولو كان توارد الخواطر يناقض القيم الوطنية والقومية فيجب إلغاؤها.

عملنا كثيراً لمحاربة هذا الرمز السيىء، إلى ان وصلنا إلى حل وهو وضع دلاتين فوق الكتل الاسمنتية كما قالت رئيسة مجلس المدينة، وتمرير المياه داخلها.

قلنا هذا اعتراف بالخطأ فأزيلوه..

والاطرف من ذلك عندما تم سحب المحافظ غزال، أزيلت الساحة والنصب ولم نعرف كيف لأن الأمر تم في ليلة ظلماء.

هذا دليل ان هذا المحافظ هو الذي كان يحمي هذا النصب.

في ألمانيا جاهد اليهود طويلاً للحصول على هذا النصب وضغطوا وابتزوا حتى وافقت الحكومة الألمانية على إقامته.. في حمص أمر المحافظ به وأقيم وأزيل بعد نقله.

قبل أن يغادر غزال فرض على الناس دفع أجور إيقاف سياراتهم أمام البيوت، فكل المواقف باتت مأجورة.. ولا يستطيع أي إنسان دفع الإيجار.. فأجرة ساعة إيقاف للسيارة 25 ليرة.

والاطرف انه عندما جاء المحافظ الجديد قال كلمة مختصرة كل قرارات المحافظ السابق.. ملغية.. أين هي المؤسسات إذا كان الحكم الاستمرار؟

تصور ان غزال كان يفرض نحو 60 ألف ليرة على أي شاحنة ذات حمولة زائدة، وإذا عجز صاحبها عن الدفع تحجز الشاحنة لمدة 6 أشهر.

كان محمياً يفعل ما يريد دون حساب أو رقيب. أحد المشاريع التي دفع إليها.. هو فندق تجاوز فيه القوانين بإقامته على حرم ساقية الري، التي تروي الاراضي بين حمص وحماه فضلاً عن مخالفات في البناء بزيادة آلاف الامتار وهذا المشروع أوقف أيضاً على الهيكل بعد ذهاب غزال سألنا وزير الزراعة عن هذا العدوان لكنه اشتكى لي أن المحافظ لا يرد عليه.

لاحق الفقراء والفلاحين في بساتين حمص، كان يريد مصادرتها لإنشاء ملعب غولف، ومنع تربية الابقار علماً بأنها تحافظ على توازن البيئة، لمجرد انه اشتم رائحة لم تعجبه منها.. وأزال كذلك بساتين حي الوعر في حمص.

الفصل الرابع عشر

الشيطان وتليمذه

الأسد وعرفات
الشيطان وتلميذه

كتب نائب رئيس جمهورية أسبق ثم وزير ثقافة وارشاد أسبق أيضاً في إيران سيد عطا الله مهاجراني في جريدة "الشرق الأوسط": الاثنين في 2012/3/5:

كنت في الهند لحضور جنازة راجيف غاندي، حينما التقيت بياسر عرفات، وأقمنا في فندق قصر تاج محل، سألني عرفات عن رأيي فيه.. كان هذا سؤالاً عويصاً بالنسبة لي.. وبالرجوع إلى تلك الأيام، نجد ان عرفات كان يدعم صدام.. فأجبته كأخ أصغر في رأيي انه أذكى تلميذ للشيطان!.. ضحك عرفات ضحكة مجلجلة، خاطبني قائلاً "اتريدني أن أعرفك على معلم الشيطان؟ انه حافظ الأسد، صديقك".

الأسد أخرج عرفات من السجن 1965
وأخرجه من سوريا 1983

أفضل توصيف لعلاقة حافظ الأسد وياسر عرفات هو ان أبا عمار كان حريصاً على استمرار مواجهته مع الأسد، وان حافظ كان لا يثق بعرفات أبداً.. لأنه كان عاجزاً عن الامساك بأي موقف من مواقفه.

كان عرفات ضد ان يعمل أي صلح مع الأسد وهو كان يحب أن يظل ضحية لآل الأسد.. وكانت هذه الحالة تجلب لعرفات عطفاً شعبياً فلسطينياً وعربياً، حيث لم يكن نظام الأسد يتمتع بأي عطف عربي خاصة إذا كان الصراع قائماً مع الفلسطينيين وكان عرفات يصرف كل هذا دعماً مالياً وسياسياً من بعث العراق خصم نظام البعث السوري ومن دول الخليج وكثيراً من الدعم المصري السياسي والاعلامي نكاية بالأسد.

كان عرفات بطل شعار القرار الوطني الفلسطيني المستقل، وكان حافظ الأسد حساساً جداً تجاه استقلالية القرار في فلسطين ولبنان والاردن.

فشل الأسد في التأثير في الاردن طيلة حياته وحكمه، بل ان عمان كان لها قدرة على التوازن مع دمشق فلسطينياً.. والاهم أمنياً، وعندما كان الأسد يرسل عناصر فلسطينية للتخريب في الاردن كان الملك حسين يفتح معسكراته لتدريب مئات عناصر الاخوان المسلمين في عز الصراع بين الأسد والجماعة السورية.

وإذا أرسل أمن الأسد سيارة مفخخة لتنفجر في قلب سوق تجاري في عمان، كان أمن الملك حسين يرسل سيارة أخرى بالمقابل.. فقام توازن الرعب بين الاثنين.. ونشأ بين النظامين أمر واقع قائم على التعايش كيفما كانت طبيعته. أما لبنان فإن له في نفس الاسد حسابات طالما اشتهى حكام دمشق قبله ان يحققوها.. لكن ديموقراطية الحكم في سوريا بعد الاستقلال وطيلة عهد الاحزاب والشخصيات المستقلة الوطنية، وسيادة أبناء المدن على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية الأمنية في سوريا ولبنان، انشأت بين البلدين تجانساً وتعاوناً وتنسيقاً ظهر في المصاهرات التي كثرت في تلك المرحلة من الزمان بين العائلات السياسية الكبيرة في البلدين (رياض الصلح، صائب سلام، تقي الدين الصلح.. ثلاثة رؤساء وزراء لبنانيون تزوجوا من سيدات سوريات من كبرى عائلات دمشق وحلب وحمص..).

وعندما حارب حافظ الأسد العائلات السياسية في سوريا، أكمل حربه بالضرورة ضد العائلات السياسية في لبنان (سنقرأ تفصيلاً حول هذا الموضوع في مكان آخر من هذا الكتاب).

أما فلسطين أو تمثيلها السياسي الوطني المجسد في منظمة التحرير الفلسطينية، فلم تغب لحظة عن سياسة الأسد طيلة حياته وحكمه.

عاند عرفات كل تطلع للأسد نحو "فلسطينه" أو منظمته، وعندما أدرك ان الأسد يريد دخول لبنان للإمساك به ورقة إضافية يعوض فيها عجزه عن استمرار الصراع المسلح ضد إسرائيل، رفع عرفات في وجهه شعار القرار الوطني الفلسطيني المستقل.. وكان هذا مقتل أي علاقة بين الأسد وعرفات.

بدأت العلاقة بين الأسد وعرفات في السجن الدمشقي عام 1965، وانتهت العلاقة بين الرجلين وكل منهما لا يطيق للآخر ذكراً.

اعتقلت قوات الأمن السورية مؤسس حركة فتح ياسر عرفات في دمشق عام 1965، بسبب قتله ضابطاً فلسطينياً بعثياً وأحيل إلى محكمة عسكرية. و لم يخرجه

من السجن إلا حافظ الأسد وكان يومها وزيراً للدفاع في سوريا، ويروي عبد الحليم خدام ان فاروق القدومي البعثي الفلسطيني هو الذي توسط له عند الأسد، وكان أبو اللطف عضواً في قيادة حركة فتح.

وعام 1983 أخرج حافظ الأسد ياسر عرفات من كل سوريا متهماً إياه بأنه ذهب إلى شقيقه رفعت ليؤلبه ضد أخيه حافظ، وكان رفعت يجهز نفسه لخلافة أخيه عبر تعزيز قواته سرايا الدفاع، لمواجهة قوات ضباط أخيه: علي حيدر، علي دوبا، علي اصلان، شفيق فياض، ابراهيم الصافي.. وهو الأمر الذي حصل عكسه تماماً.. وانتهى بترحيل رفعت وضباط حافظ، ليظل رفعت في موسكو ولفترة قبل ان يغادر إلى أوروبا حيث ما زال يعيش حتى اليوم بينما عاد ضباط الأسد إلى مواقعهم يومها.

كان عرفات يسر لمن حوله ان حافظ الأسد سمح لنفسه ان يشق حركة فتح ويؤسس ما يسمى فتح الانتفاضة برئاسة العقيد أبو موسى وأبو صالح في أيار/مايو 1983، وأنا من حقي ان أشق النظام السوري نفسه، ولم يكتف عرفات بلقاء رفعت، بل خرج ليدلي بتصريح لإذاعة "مونت كارلو" العربية منتقداً فيه الوضع في سوريا شامتاً بالصراع الداخلي فيها.

لكن حافظ الأسد نجح في شق فتح فعلاً.. كما نجح عرفات في شق معظم التنظيمات الفلسطينية المسلحة، وحاول أن يشجع رفعت على الانشقاق على أخيه، حتى جاءه ضابط سوري من الأمن العسكري برتبة رائد يبلغه ان عليه أن يغادر دمشق فوراً لأنك خرجت عن قواعد الضيافة. فحملته سيارة إلى مطار دمشق الدولي ليغادرها مطروداً بعد ان حملته قبلها باخرة يونانية خارج لبنان في نهاية الاجتياح الصهيوني لبيروت ولبنان صيف 1982.

يروي رئيس اليمن الجنوبي السابق علي ناصر محمد للمؤلف ان حافظ الأسد طلب منه التدخل مع ياسر عرفات لمنعه من إمداد شقيقه رفعت بالمال لأن رفعت يعمل ضد مصلحة أخيه.

قال الأسد لعلي ناصر ان دولة في الخليج العربي (السعودية) أرسلت لرفعت مبلغ 10 ملايين دولار مع عرفات، وان هذا معناه سعي دول الخليج العربي وتحديداً الرياض لفتنة داخلية في سوريا.

اتصل علي ناصر بعرفات ليسأله هل صحيح انه يريد مساعدة رفعت ضد أخيه حافظ، فضحك أبو عمار قائلاً لعلي ناصر: الله أنا لسه ما ابتدتش، أنا لسه في أول الطريق.

ويتابع علي ناصر قائلاً للمؤلف ان أبا عمار عاد إلى الجدية الكاملة في حديثه ليقول له: امال اسمح لحافظ انو يلعب معايا داخل فتح، (يشير عرفات إلى انقلاب جماعة أبو موسى وابو صالح وخالد العملة في حركة فتح ضد رئيسها عرفات في أيار/مايو 1983 في البقاع اللبناني بتدبير من استخبارات الأسد.. ثم قتل القائد الفلسطيني المؤيد للشرعية سعد صايل أبو الوليد في البقاع أيضاً).

تحريض طائفي

يروي أبو أياد انه بعد طول خصام بين عرفات والأسد، وهو ما تكرر كثيراً – وجه حافظ الدعوة إلى ياسر لحضور عرض عسكري جوي في إحدى القواعد العسكرية السورية.

وفي حين جلس عرفات إلى جانب الأسد، جلس أبو أياد إلى جانب رفعت شقيقه.. وخلال انهماك الرئيسين في متابعة العرض الجوي، من بعيد، سأل رفعت الرجل الثاني في حركة فتح: ألا ترى ان أوضاعنا متشابهة في لبنان: انظر كيف يكرهنا اللبنانيون ويتعاملون مع العلويين في طرابلس والشمال تعامل السيد مع العبد.. واللبنانيون هؤلاء تعاملوا ويتعاملون مع الفلسطينيين بالطريقة نفسها.. ليختم رفعت قوله لأبي أياد.. هذا الوضع يستدعي منا أن نتعاون نحن الاثنين لمواجهة اللبنانيين..

وعندما أخبر أبو اياد عرفات بإقتراح رفعت، لمعت عينا عرفات وهو يقول لزميله.. لقد كنت طوال الفترة بين تلقينا الدعوة لحضور العرض العسكري الجوي وجلوسي مع حافظ أسأل نفسي.. ترى ماذا وراء هذه الدعوة.. الآن أجبتني على ما دار في ذهني.

كان عرفات يرى ان حافظ الأسد لا يرضى في العلاقة مع أي من مسؤولي لبنان وفلسطين (والاردن قبل توازن الرعب بينهما) ان يكون في منزلة بين المنزلتين، فهو إما تابع له منفذ لأوامره، أو هو عدو وفي أحسن الحالات خصم لا يمكن التعاون معه.

كانت تهمة الانتماء إلى حركة فتح تعادل تهمة التعامل مع إسرائيل، وكذلك تهمة الانتماء أو التعاون مع العراق أو مع البعث العراقي.
لذا

اختار عرفات أن يكون خصماً للأسد، وهذا أكسب له من جميع النواحي، وكثيراً ما استفزت الختيار عبارة كان الأسد يتمسك بالحديث فيها وهي ان فلسطين هي جنوب سوريا وكان عرفات يردد ان فلسطين هي عاصمة العرب.

وعندما تحدث الأسد عن منطقة الحمّة انها سورية رد عرفات ولمرة واحدة ان الحمة فلسطينية.. كما شبعا لبنانية والاثنتان احتلتهما إسرائيل من تحت القبضة السورية وفي عهد حافظ الأسد عندما كان وزيراً للدفاع خلال عدوان 5 حزيران/يونيو 1967.

محاولة فاشلة للحريري

تدخل كثيرون لرأب الصدع بين حافظ وياسر، دون جدوى حتى رفيق الحريري حاول قبل أن يصبح رئيساً للوزراء في لبنان ان يتوسط بين الرجلين، وقصد عرفات إلى فندق "الكريّون" في باريس في الزيارة التاريخية التي قام بها أبو عمار إلى فرنسا.

عرف عرفات بموضوع وساطة الحريري وكان الأخير صديقاً لحسيب الصباغ وهو متمول فلسطيني معروف وصديق لأبي عمار ويلتقي حافظ الأسد.
حاول الصباغ تسهيل مهمة الحريري، لكن عرفات تعمد ان يبقى الحريري في صالون الفندق التاريخي لفترة طويلة بحجة انه مشغول باستقبال وفود دولية وتلقي مكالمات مهمة.

لم يكن عرفات كذلك، لكنه أراد إيصال رسالة إلى الحريري انه صديق الأسد.. أو انه مكلف بمهمة خاصة من الأسد وانه يريد أن يبيّض وجهه معه.. وهو لن يكون جسر عبور لأحد.

خلال لقاء الحريري وعرفات لم يحصل الرجل الذي سيصبح واحداً من أهم رؤساء الوزراء في لبنان على اي كلمة أو وعد أو نقاش جدي، مما دفع الحريري

للخروج غاضباً، محمّر الوجه ليضرب بكتفه مسؤولاً فلسطينياً هو رياض الهيجا.. دون قصده ثم يعتذر منه.

حاول حسيب الصباغ ثانية مع عرفات.. إنما هذه المرة مع صديقيه باسل عقل وسعيد خوري وتوجه الثلاثة إلى تونس حيث مقر عرفات بعد إخراجه من لبنان مرتين 1982 على يد إسرائيل، 1983 على يد حافظ الأسد.

قال الثلاثة لعرفات ان هناك مؤشرات إيجابية على استعداد الأسد لتسوية الأمور معه، ووافقهم على هذا الرأي عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الشاعر محمود درويش، وكان من حضور اللقاء مندوب المنظمة في تونس الحكم بلعاوي.

كان رأي الاكثرية ان يوافق عرفات على فتح صفحة جديدة مع حافظ الأسد، قالوا له قل انك موافق ونحن سنأتي بالصلح من دمشق.

رد عرفات بطريقته: أنا أعرف ان حافظ لن يعطيكم شيئاً.. ومع هذا اذهبوا وجربوا وأنا في انتظاركم.

ذهب الثلاثي الفلسطيني إلى دمشق وقابلوا حافظ الأسد، وعادوا بعد اسبوع وهم يحملون رسالة من القيادة السورية كما قالوا.. تحمل 15 سؤالاً على عرفات أن يجيب عليها.

كلمة سؤال استفزت عرفات وكاد يمزق الاوراق التي تحمل هذه الاسئلة، لكنه تحت إلحاح ورجاء المجتمعين قبل ان يستمع إلى الاسئلة.. وقد تولى محمود درويش قراءتها وكان أولها:

– ما هو رأي القيادة الفلسطينية والأخ ياسر عرفات بالاتصال بالعدو الصهيوني، علماً بأن القانون السوري يعاقب بالاعدام كل من يثبت تعامله مع العدو الصهيوني..؟

– كيف تنظرون إلى العلاقات السورية الفلسطينية علماً بأن سوريا تقف على خط النار مع إسرائيل، بينما لم تعد منظمة التحرير على جبهة الحرب المباشرة مع إسرائيل؟

– ما هو موقفكم من المنظمات الفلسطينية التي تلتزم الموقف المبدئي لسوريا في استمرار الصراع المسلح مع العدو الصهيوني..؟

وقبل أن يكمل درويش قراءة الرسالة قاطعه عرفات وهو يصرخ: أنا مش قلتلكم.. ده مش عايز مصالحة ده عاملي محاكمة وكمان شوي يقول تعال سلم نفسك علشان حاعدمك.

انفعل عرفات ووقف وهمّ بمغادرة القاعة المقامة تحت الارض والتي كان عرفات يعقد فيها اجتماعاته عندما يكون في تونس.. لولا مسارعة الجميع لثنيه عن ذلك ورغم انقسام المجتمعين حول القبول بمبدأ الرسالة والرد عليها، وبين إهمالها وعدم الرد أبداً استجاب عرفات أخيراً لإلحاح الثلاثي الذي كان يشكل صندوق الدعم الدائم للمنظمة مالياً، وهو في الوقت نفسه رسول دائم له في كثير من المحافل العربية خاصة الخليجية والدولية (أميركا وأوروبا) ورضخ للرد برسالة توضح الموقف الفلسطيني.

لم يكن عرفات بحنكته وخبرته ليرفض الرد على رسالة حافظ الأسد حتى لو كانت ملأى بالإهانات وبالتخوين وبالتهديد المباشر (وفق القانون السوري) وكلف لجنة لإعداد وكتابة الرسالة – الرد.

وبعد ان أكمل محمود درويش كتابة الرسالة التي أعدتها لجنة مشكلة من الحضور.. بدأ قراءتها.. وكانت البداية بحد ذاتها مدخلاً لكشف موقف عرفات الحقيقي.

قرأ محمود درويش مطلع الرسالة وهو يقول:

سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية

يسعدنا..

وما ان نطق محمود درويش كلمة يسعدنا، حتى انفعل الختيار صارخاً: ايه ايه.. يسعدنا.. بتقول ايه يسعدنا.. اسمعوا يا جماعة دا بيقول يسعدنا.. احبط الشاعر محمود درويش واحمرّت أذناه ووقف لا يلوي على أمر.. لا موقف.. لا رد، بل صدمة صراخ عرفات وهو يكرر يسعدنا.. أنا كنت محضر رسالة من أمهات الأدب لتصحيح العلاقة مع حافظ.. والأخ محمود بيقول لي يسعدنا.

وبعد ان تماسك محمود درويش رد بسخرية كانت كفيلة بإضحاك الجميع وقلب الجلسة وهو يقول يا أخ أبو عمار سأبدأ رسالتي لحافظ الأسد بالقول: يؤسفنا..

انفجر الجميع ضحكاً، وكان أغلب الضحك مصدره ان أمراً لن يتغير بين عرفات والأسد لتطوى صفحة وساطة أخرى فاشلة.

عرفات – الأسد

بين

يوري اندروبوف ويوري افنيري

وبعد مجيء رئيس الاستخبارات السوفياتية (الكـي، جـي، بـي) في موسكو يوري اندروبوف أميناً عاماً للحزب الشيوعي السوفياتي حاكماً أول في هذه الدولة السابقة.. استقبل حافظ الأسد ياسر عرفات في دمشق لبحث الاوضاع في المنطقة على ضوء المتغيرات التي فرضها الاحتلال الصهيوني للبنان عام 1982.

قال الأسد موجهاً كلامه لعرفات.. في موسكو يا أبو عمار أمين عام للحزب الشيوعي يهودي ويكره الصهيونية، ويعتبر ان الصهاينة يعملون على تدمير الاتحاد السوفياتي من الداخل.. وأنت ما زلت تستقبل صهاينة في لبنان وفي تونس وترسل لهم مبعوثين إلى أوروبا..

استمع عرفات إلى كلام الاسد إلى نهايته وهو يتمزق من الغيظ ليقول له متباهياً.. أنا يا سيادة الرئيس اخترقت المجتمع الصهيوني كله، وعندي يوري افنيري مشكلاً طابوراً خامساً داخل إسرائيل..

كتم الأسد غيظه كالعادة، وهو يدرك ألا أمل في أي تسوية أو مصالحة مع سياسي تبدو حركته عصية كالزئبق عن الامساك.

ومع نفي قيادات سورية حول حافظ الأسد (عبد الحليم خدام مثلاً) ان تكون خلفية أو الانتماء القديم لياسر عرفات إلى جماعة الاخوان المسلمين في مصر، أحد أسباب الصراع بين الرئيسين السوري والفلسطيني، إلا ان الوقائع التي توالت منذ التقى الرجلان عام 1965 تؤكد ان هذا الانتماء كان حاضراً في الصراع بين حافظ وعرفات حتى غاب الاثنان عن الحياة.

ينفي خدام وقائع عديدة معروفة ومتداولة عن علاقات الاثنين:

منها ان عرفات أخذ على الأسد انه امتنع عن توفير الغطاء الجوي للدبابات السورية التي دخلت الاردن خلال أحداث أيلول/سبتمبر 1970 لنجدة المنظمات الفلسطينية في حربها مع الجيش الاردني.

وينفي خدام ما أورده باتريك سيل كاتب سيرة حافظ الأسد في كتابه: "حافظ الأسد – الصراع على الشرق الأوسط" من أن حافظ الأسد امتنع كوزير للدفاع عن تأمين الغطاء الجوي للدبابات السورية التي اندفعت داخل الأراضي الاردنية للدفاع عن المنظمات الفلسطينية التي كانت تخوض حرب حياة أو موت في الاردن في مواجهة الجيش الأردني بلغت ذروتها في أيلول/سبتمبر 1970.

يقول خدام ان حافظ الأسد كان اتخذ مقر القيادة كوزير للدفاع في مدينة درعا على الحدود الأردنية – الفلسطينية المحتلة حين كانت الدبابات السورية تدخل مدناً أردنية (اربد) لتوفير حماية للمنظمات الفلسطينية بالضغط على الملك حسين لوقف قصف دبابات الجيش الاردني لمواقع المنظمات الفلسطينية التي كانت انتشرت في أجزاء كبيرة في عمان داخل وخارج المخيمات الفلسطينية.

يقول خدام ان قرار الدخول إلى الاردن اتخذته القيادة القطرية لحزب البعث الحاكمة في دمشق.. وكذلك قرار الخروج من الاردن.

هنا يكشف خدام ان حافظ الأسد كان ضد إنشاء منظمة الصاعقة – قوات طلائع الحرب الشعبية كمنظمة بعثية فلسطينية تشارك في العمل الفدائي ضد إسرائيل بعد 67 وكان يرى ان الجيش هو الذي يجب ان يحارب إسرائيل وليس المنظمات الشعبية العسكرية. وكان هوس الحرب الشعبية طريقاً لتحرير فلسطين قد سيطر على أفكار جماعة صلاح جديد حين وقف رئيس الحكومة يوسف زعيّن وقال اننا سنزرع سوريا بالاشجار لنحولها إلى غابات لممارسة حرب التحرير الشعبية ضد إسرائيل مثلما كان ثوار فييتنام يحاربون القوات الأميركية في الأدغال.

ويبرر خدام في حديث مطول مع الكاتب قرار الخروج من الاردن بما يلي:

1- اتصال من جمال عبد الناصر برئيس الجمهورية السورية نور الدين الأتاسي يقول له فيه ان الأميركان اتصلوا بنا عدة مرات يهددون، بأنه إذا لم تنسحب القوات السورية من الاردن فإن إسرائيل ستضرب داخل سوريا.. وان عبد الناصر لم يشف بعد من جراح العدوان الصهيوني على البلاد العربية عام 1967، حين حشد جمال جيشه في سيناء لرفع الضغط عن الحدود السورية بعد ورود أنباء عن حشود صهيونية عليها.

2- ان القادة السوفيات اتصلوا نحو 10 مرات بالقيادة السورية تطلب منهم الانسحاب فوراً من الاردن وإلا فإن إسرائيل ستتدخل ونحن – الكلام لموسكو – لن نستطيع أن نفعل شيئاً.

وينفي خدام ما تردد ان حافظ الأسد استخدم فشل القيادة القطرية بقيادة نورالدين الاتاسي وصلاح جديد ويوسف زعيّن في أيلول/سبتمبر 1970 للقيام بإنقلابه في ت2/نوفمبر من العام نفسه، ويؤكد ألا علاقة بين الأمرين، بل ان انقلاب الأسد في 1970/11/16 جاء لأسباب داخلية بحتة (يرد ذكرها في الكتاب).

رغم نفي خدام لكل هذه الوقائع ليدلي برؤيته التي تكتسب صدقية من مكانته وموقعه وشخصيته، إلا ان الصراع الذي دار بين النظام والاخوان المسلمين في سوريا طيلة الفترة من 1978 حتى 1982، لم يغب عنه يوماً ذكر دور جماعات في حركة فتح تعاطفت مع الاخوان خاصة حين راح نظام الأسد يرتكب المجازر الواحدة تلو الأخرى، حتى كانت أضخمها حين دبر مجزرة حماه عام 1982 التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين السوريين بينهم المئات من جماعة الاخوان أنفسهم.

كان حافظ الأسد أصدر عام 1971 بعد ان أصبح رئيساً للجمهورية قراراً وزعه على كل القطاعات العسكرية على الجبهة، بأن أي فدائي يحاول التسلل عبر الجولان إلى إسرائيل يطلق عليه النار فوراً، أو إذا اعتقل يحول إلى المحكمة بتهمة الجاسوسية.

قال أبو عمار للعقيد السوري مجاهد السمعان ان آخر معركة حصلت في جرش في الاردن، وسقط فيها جرحى كثيرون من الفدائيين الفلسطينيين، وكان هؤلاء بحاجة إلى أسلحة وذخائر ونقل الجرحى.

اتصل عرفات بالأسد في دمشق طالباً منه إرسال سيارات إسعاف، فرد الأسد: بيصير خير.

ثم أرسل الأسد رئيس الاستخبارات العسكرية يومها العقيد حكمت الشهابي إلى الحدود لمنع إدخال أي سيارة إسعاف من الاردن إلى سوريا التي كانت تحمل جرحى المعارك مع الجيش الأردني.

وعندما تسلل المئات من الفدائيين الفلسطينيين هاربين من المواجهات مع الجيش الأردني أوقفتهم استخبارات الأسد واعتقلتهم وجمعتهم في شاحنات حملتهم مباشرة إلى الحدود اللبنانية وتركتهم داخل لبنان.. رغماً عن أي موقف لبناني.

قال لهم الأسد: ابقوا في لبنان ونحن سنسلحكم!

طرد كل المنظمات الفلسطينية، والوحيدون الذين قبلهم هم جماعة أحمد جبريل وقد فتح لهم معسكرات في الغوطة واعتبرهم جزءاً من القوات السورية.

ولن ينسى عرفات أيضاً، بالرغم من كل أقوال عبد الحليم خدام، ان صلاح جديد غامر بسلطته في سوريا لإرسال قوات مدرعة عبرت الحدود إلى الأردن لنجدة المنظمات الفلسطينية في حربها الشرسة مع الجيش الأردني.

وعندما تعرضت الدبابات والمدرعات السورية لضربات عسكرية من الجيش الأردني، ورفض حافظ الأسد توفير غطاء جوي لها، مما أدى إلى انسحاب القوات السورية، فإن عرفات بدا انه الخاسر الأكبر من مجيء الأسد رئيساً للجمهورية في سوريا (1971) بعد انقلابه على صلاح جديد (1970/11/16) وهو ما سيرى نتائجه المأساوية عندما يحتل الأسد لبنان بدءاً من العام 1976 ليشارك إسرائيل حربها ضد منظمة التحرير الفلسطينية التي سترغم على الخروج من لبنان بعد الاجتياح الصهيوني له صيف 1982.

(فصل خاص في الكتاب عن صراع حافظ الأسد مع كمال جنبلاط تحت عنوان القرار اللبناني الوطني المستقل ومشاركة جنبلاط بالثورة الفلسطينية التي قاتلها الأسد في لبنان).

من يصدق
الأسد يستلطف عرفات

يتحدث كثيرون عن ان لقاءات حافظ الأسد وياسر عرفات كانت تبدأ دائماً في جلسات الصفاء، بطرائف كان الرئيس السوري يطلب سماعها من الزعيم الفلسطيني ليلقيها عرفات بطريقته التي تثير إعجاب وضحك مستمعيه.. حتى لو كانت عادية.

كان أبو اياد قد أبلغ خدام مرة ان عرفات كان ومنذ كان طالباً في مصر يدبر المقالب التي تثير الدهشة لطرافتها. وقد رواها خدام للأسد، فإنتهز الأخير فرصة لقائه مع أبي عمار ليسأله عنها فضحك عرفات ورواها كما يلي:

كان الطالب ياسر عرفات في كلية هندسة القاهرة رئيساً لإتحاد الطلبة الفلسطينيين، وقد تكتل ضده طلبة كثيرون لإسقاطه في الانتخابات المقبلة، مما دفع ياسر عرفات للتفكير بطريقة يؤجل فيها هذه الانتخابات، فتوجه إلى ضابط في مباحث أمن الدولة المصري مشرفاً على الحركات الطلابية، ليطلب منه تأجيل الانتخابات بناء على طلب الطلاب فرد عليه الضابط المصري بأن هذا الأمر لا تتدخل فيه الاستخبارات المصرية، وعليه أن يدبر أموره بنفسه.

وكان عرفات سحب ورقة رسمية من أوراق مكتب الضابط المصري بحجة انه سيكتب فوقها ما يحتاجه من السلطات المصرية، ثم احتفظ بها وحملها إلى مقر الاتحاد حيث كتب على الآلة الطابعة قراراً أمنياً مصرياً اختلقه يأمر بتأجيل الانتخابات الطلابية ورفع عملة معدنية من قرش صاغ واحد وملأها بالحبر ثم ختم بها الأمر، حتى بدت رسمية لأن العملة المصرية المعدنية كانت تحمل علامة النسر.

عقد عرفات اجتماعاً عاجلاً للطلاب في مقر اتحاد طلبة فلسطين، ليقرأ عليهم أمر المباحث المصرية المزعوم، ليتهدج صوته وهو يظهر حزناً على الأمر المصري، فيندفع الطلاب إلى تأييد التأجيل دون تردد.

بعد انصراف الطلبة استدعى عرفات زميله صلاح خلف (ابو اياد) ليروي له ما حصل وهو يقهقه.. مثلما الأسد حينما رواها عرفات.

لكن الكراهية كانت طاغية

يقول عبد الحليم خدام ان كراهية حافظ الأسد لياسر عرفات بدأت فعلاً عام 1973، حين كانت دمشق تحضر جيشها لحرب تشرين/اكتوبر 1973، وكان الأسد ووفد سياسي وعسكري كبير معه في زيارة سرية لموسكو للبحث في شراء أسلحة جديدة تحتاجها سوريا في حربها ضد إسرائيل لاسترجاع الجولان المحتل عام 1967.

والوفد السوري في موسكو، تبلغ الاسد ان هناك أزمة نشأت بين الجيش اللبناني في عهد قائده اسكندر غانم ورئيس الجمهورية يومها سليمان فرنجية، وبين المنظمات الفلسطينية، وان الطيران الحربي اللبناني قصف المخيمات الفلسطينية في بيروت (كان القصف يستهدف التلال الرملية حول مخيم برج البراجنة) بعد ان خرجت عناصر من هذه المنظمات عدة مرات لقطع طريق مطار بيروت الدولي يومها.

عاد الأسد من موسكو وكلف خدام التوجه إلى بيروت للاجتماع بعرفات وفرنجية لوقف النزاع، فجاء أبو جمال إلى لبنان ليبلغ الزعيمين ان يوقفا حربهما لأن الحرب قادمة لا محالة بين سوريا (ومصر) وبين إسرائيل وكل صراع داخلي اليوم يصب في خدمة إسرائيل.

أظهرت سوريا يومها العين الحمراء للبنان الرسمي حين أقفلت الحدود بين البلدين، واستمر الاقفال من أيار/مايو حتى آب/أغسطس من ذلك العام ولم ترفع الخشبة التي استخدمها خالد العظم كرئيس لوزراء سوريا من قبل عام 1951، إلا بعد ان حصل الأسد على مجموعة امتيازات كان أهمها تسوية أوضاع 400 ألف عامل سوري يشتغلون في لبنان. توجه سليمان فرنجية إلى دمشق ليضع الطاعة عند حافظ الأسد لإزالة أزمة كان من شأنها ان تضر كثيراً بالاقتصاد الزراعي والسياحي والاجتماعي اللبناني.

وحين اندلعت حرب تشرين بعد عدة أسابيع، أمر سليمان فرنجية بفتح مرفأي بيروت لاستقبال حاجات الجيش السوري التي كانت مرسلة من الاتحاد السوفياتي إلى مرفأي طرطوس واللاذقية وقد تعذر ذلك لتفرغ حمولتها في مرفأ بيروت ليتم حملها في شاحنات ضخمة إلى سوريا.

كانت دمشق تحصي على عرفات أنفاسه وكلماته ومواقفه.. حتى إذا خرج سفير له في الصين بتصريح قال فيه ان النظام السوري يتآمر على الفلسطينيين، اهتاج الأمن السوري ليرفع الأمر إلى الرئيس الأسد سائلاً إياه موقفاً من أبي عمار، وتتوالى الاجراءات السورية.. بدءاً من الاتصال بالقيادات الفلسطينية التي تقيم في دمشق مثل أبو مازن، أبو ماهر وغيرهما.. ليطلبوا منهم اتخاذ موقف من هذا الكلام.. فيبدأ المونولوغ الفتحاوي، حيث ينهال أبو مازن وأبو ماهر على

أبي عمار بالشتائم والاتهامات ثم يتم الاتصال به ليطلبوا منه سرعة إصدار موقف ضد هذا السفير بطرده أو تجميده أو استدعائه، والادلاء بتصريح من رئيس المنظمة ياسر عرفات يؤكد متانة العلاقات الاستراتيجية بين دمشق قلب العروبة النابض والشعب الفلسطيني وقيادته.

ولا يعرف بعد كل هذا، هل كان تصريح سفير المنظمة في الصين خطأ شخصياً؟ هل كان تصريحه رسالة من عرفات إلى حافظ الأسد؟ وهل كانت شتائم أبو مازن وأبو ماهر تحت ضغط الوجود في سوريا؟ أم هو جزء من سياق اجراءات متفق عليها بين القيادات حول ياسر عرفات لقول ما يريدون.. ثم لاستيعاب اثاره السياسية في أدهى عملية توزيع أدوار اتقنها وانشأ لها عرفات مدرسة دخل فيها كثيرون من السياسيين العرب بعدها؟!

عرفات عبد الناصر والأسد

في صنعاء قابلت ياسر عرفات في شهر رمضان عام 1987 بحضور زميلي الصديق بسام عفيفي وكان يومها مدير العلاقات الخارجية في "الشراع".

عند السحور اصطحبني عرفات ممسكاً بيدي لنقطع عشرات الامتار في شبه دهاليز حتى وصلنا إلى قاعة الطعام وقد مدت بها طاولة طويلة مستطيلة عليها أصناف الطعام المناسب للسحور.

أثناء تناول الطعام.. كنت أنا وبسام منشغلين بالأكل وكان رحمه الله يجامل ويساير ثم يمنحني سبقاً صحفياً جديداً يضاف إلى سبق إيران - غيت الذي كنت نشرته في 1986/11/3، في العدد 242.

أسرّ لي أبو عمار ان الامام الخميني في طهران شكل لجنة لمعالجة قضية الرهائن الغربيين الذين كانت الاستخبارات الإيرانية - السورية قد خطفتهم في لبنان بواسطة حزب الله، وأخفتهم في أقبية زنازين استحدثها الحزب لإخفاء ضحاياه.. وان اللجنة مشكلة من علي خامنئي، وهاشمي رفسنجاني وعلي ولايتي للتفاوض مع الغرب بشأنهم بعد كشف قضية فضيحة إيران غيت.

قال لي عرفات: "ما هو أنت يا ابو علي بوظت الدنيا عليهم كانوا معتبرين ان الرهائن دول زي فرخة بتبيض لهم الذهب وكانوا حصلوا على أسلحة مهمة

من أميركا، صواريخ وقطع غيار طيارات أميركية.. مقابل إطلاق الرهائن.. لكن نشر الحكاية بتاعتك في "الشراع" أوقف الصفقة.. فلفوا عليها بحكاية الرهائن والإيرانيين هم اللي عايزين دلوقت يفاوضوا الأميركان علشان المزيد من الاسلحة".

قال لي وهو يرتشف الشاي وشفتاه ترتعشان وعيناه تلمعان شوف يا بو علي أنا عارف انك بتحب عبد الناصر قوي.. وأنا والله بحبه دا كان زعيمنا كلنا ده كان زعيم العرب والمسلمين الله يرحمه شوف.. عبد الناصر أنقذ لي حياتي، وبعث لي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية الفريق محمد أحمد صادق لما كنت محاصراً في عمان سنة 70 وقعد يدور عليّ، وطلب من الملك حسين ان يلتقيني فثار الملك غاضباً.. لن نجده نحن نبحث عنه في كل مكان.. ولما عجز عن إيجادي وجه لي الفريق صادق نداء عبر إذاعة عمان للقاء.. وحصل اللقاء.

قال لي صادق: عبد الناصر بيسلم عليك وأوصاني ان أهم شيء عندي الآن هو ان يخرج ياسر عرفات حياً من هذا الحصار.. فهو رمز المقاومة الفلسطينية.. وانت عارف الحكاية.. ألبسوني عقال أحد أعضاء الوفد الكويتي الذي رافق اللجنة العربية لاصطحابي من عمان إلى القاهرة وكان فيها جعفر نميري وحسين الشافعي والباهي الادغم والشيخ سعد العبدالله الصباح.. ثم وضعوني في عربة مصرية مصفحة وفيها سيدات مصريات من عوائل موظفي السفارة المصرية في عمان.

يضحك أبو عمار رحمه الله وهو يقول عندما أوصلوني إلى السفارة المصرية بعد اللقاء الأول وتركت مخبئي الذي تعرض للقصف في منطقة اللبيدة، فاجأني الفريق صادق قائلاً يا أخ ياسر عليك ان تحلق ذقنك.. وعندما نظرت إليه معاتباً كأنني أقول له وده وقته.. قال لي ستأتي معي إلى القاهرة.. صرخت دلوقت مش معقول.. وأسيب اخواني لمين لا مش ممكن.. فوجدت صادق يقول لي بحسم يا أخ أبو عمار هذه تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر وأنا أنفذها.

وسمعت صادق يردد أمر عبد الناصر ان أحضرك إلى القاهرة لأنه يعتبر ان وجودك حياً خارج عمان هو حفاظ على الثورة الفلسطينية.. وبعد محاولة مني للمماطلة خضعت لأمر عبد الناصر..

يردد أبو عمار: الله ده جمال عايز ينقذ حياتي علشان أنا رمز الثورة يـا بـو علي.

وبينما كنت أحاول أن أشيد بعبد الناصر، قاطعني عرفات وكنا وصـلنا إلى الكأس الثالث من الشاي المحلى قال اسمع.. عبد الناصر كان يريدني حياً، وصاحبك حافظ الأسد.. قالها ضاحكاً وأنا مرتبك لهذا التوصيف.. خبى عليّ حكاية الغـزو الصهيوني للبنان سنة 1982.

كل الدنيا قالت لي يا أبو عمار يا عرفات يا أخ ياسـر سـيدي الـرئيس، يا اختيار.. اسرائيل ستغزو لبنان لإخراجك.. وكنت اقابل حـافظ الأسـد ولا يقوليش.. كان عايزني أفطس في لبنان، كان عايز يموتني.. الله يرحمك يا جمال الله يرحمك يا جمال..

وسهى عرفات

كانت سهى الطويل هي المراسلة التي اعتمدتها والدتها الصحافية ريموندا الطويل للتواصل بينها وبين الرئيس ياسر عرفات، بعد ان اتخذ من تونس مقراً لمنظمة التحرير الفلسطينية ومكتبه الرئيسي، وكانت ريموندا في باريس بعد ان خرجت من الضفة المحتلة بسبب التضييق الصهيوني عليها، ولأنها تسـتطيع ان تمد عرفات بما يقع بين أيديها من معلومات عن إسرائيل ورأت ان ابنتها سهى التي كانت تحضر رسالة الماجستير في جامعة السوربون هي أفضـل مرسـال بينهما.

ترددت سهى على عرفات كثيراً، وبعد ان كان أبو عمار أعلن أكثر من مرة انه لن يتزوج لأنه متزوج من القضية، عاد إلى "حقه الشـرعي" بتعـدد الازواج واقترن بسهى بعد ان أشهرت إسلامها، وظل زواجهما سراً لعدة سنوات.

سهى كشفت في حديث مع جريدة "الشرق الأوسط" السعودية في عـددها الصادر في 2011/11/20، انها تزوجت من عرفات عام 1989 ولم يعلن هذا الزواج إلا عام 1992 بعد نجاة أبو عمار من الموت في سقوط طائرته في الصحراء الليبيـة حيث زارته مهنئة له بالنجاة، ولتقول له ان الاشاعات عن علاقات سرية بينـهما تنهش سمعتها فاعترف بها زوجاً له لمن حوله وأعلن ذلك في العام نفسه.

خلال هذا الفترة كان مصطفى طلاس يتردد إلى باريس وكان يلتقي عـدداً من النخبة الاعلامية في العاصمة الفرنسية، وأحيانـاً منـدوب منظمـة التحريـر الفلسطينية ابراهيم الصوص صديق والدة سهى ريموندا.

أعجب طلاس بسهى وحاول كثيراً التودد إليها، وكان يرسل لهـا الهـدايا النفيسة للتقرب منها، كان يحملها إليها دبلوماسي سوري في سـفارة بـلاده في باريس ليعترف هذا الدبلوماسي السوري للكاتب ان طلاس ربما أراد الحصول من سهى على معلومات عن تحركات وعلاقات عرفات رغم ان علاقة سهى بياسـر كانت سراً ولكن يبدو ان الأسد كان على علم بالأمر لكن سهى لم تفسح مجـالاً أبداً لطلاس، صحيح انها كانت تتقبل هداياه لكنها لم تخرج معه أبداً.. بل كانـت ترسل له مع الدبلوماسي ما يفيد انها على علاقة مع صديق وانها ستتزوج منه قريباً.

بعد ما سمعه طلاس من المرسال الدبلوماسي توقف عن إرسـال الهـدايا.. أو السؤال عنها.

ليس لدى الفلسطينيين سر

في إحدى مبادرات ياسر عرفات بعد 1982 للوصول إلى تسـوية للصـراع الفلسطيني – الإسرائيلي، طلب أبو عمار من الرئيس اليمني الجنوبـي السابق علي ناصر محمد ان يجمعه بأميني عام الجبهتين الشعبية والديموقراطية لتحريـر فلسـطين جورج حبش ونايف حواتمة، اللذين كانا رفيقين لعلي ناصر في حركة القـوميين العرب قبل أن تتمركس بعد نكسة 1967.

قال عرفات أريد الاجتماع بهما بحضورك كي أعرض لهما ان يأخذا بيـدهما لتحرك أعتزم القيام به نحو كندا وايطاليا والنمسا كي أحصل على تأييد هذه الدول لمشروع التسوية، وهؤلاء لهم تأثير كبير على دول أوروبا الغربية.

اشترط عرفات ان يظل اللقاء والحوارات سرية وطلب أبو عمـار ان يوقـع الجميع على محضر الاجتماع السري وان يكتب عليه بالأحمر العريض سري جـداً حتى لا يشتمه حبش وحواتمة بعد إجرائه هذه المباحثات!!

(يقول علي ناصر ان مسؤولين سوفيات قالوا له ان كل كلمة يقولها فلسطيني ويريد أن تكون سرية جداً يعني ان علينا ان ننشرها للعالم كله).

يتابع علي ناصر انه اعتقد ان هذا الاجتماع ومحضره ظل سرياً، إلى ان التقى حافظ الأسد في دمشق فسأله الرئيس السوري عن هذا الاجتماع وما جرى فيه.

اعترف علي ناصر بحصول الاجتماع، لكنه لم يتحدث عما جرى فيه لأنه كان خارج الموضوع وانه ظل سراً بين الثلاثة.

ضحك الأسد وكبس على زر استدعاء لأحد مساعديه، فجاءه هذا ليطلب منه المحضر السري، فقرأه المساعد والأسد يتبسم، حتى نهايته ليقول الرئيس السوري هذا الاجتماع الذي فوض عرفات الذهاب إلى كندا فتح له الطريق للوصول إلى تل أبيب.

المهم في الأمر ان حافظ كان مخترقاً للمنظمات الفلسطينية كلها، ولم يكن أحمد جبريل أحد أدواته المعروفة فحسب.. بل كانت له عيون داخل مكاتب كل المنظمات الفلسطينية.. تحديداً داخل فتح نفسها، ومنظمة التحرير ومكاتبها وسفرائها..

لم ينفذ حافظ الأسد وعده لصلاح خلف أبو اياد بإطلاق سراح عدد من الفلسطينيين، أمام وفد فلسطيني زاره للمشاركة في دفن جثمان خليل الوزير أبو جهاد.

ومثله، وكما الأب كذلك الابن، فإن بشار لم ينفذ وعده بإعادة منزل أهل محمود عباس أبو مازن الذي كان الأمن السوري احتله خلال صراع الأسد - عرفات وما زال بيت الرئيس الفلسطيني محتلاً في دمشق.

انه حديث الصراع والاحقاد بين آل الأسد وكل الفلسطينيين. بين الشيطان وتلميذه.

أبو نضال في قبضة الأسد

انشق أبو نضال فعلياً عن حركة فتح أواخر عام 1974 حين كان مندوبها في بغداد، منذ ذلك التاريخ بدأت لمجموعته علاقة مع سفارة سوريا في العراق وسفيرها عبد العزيز الرفاعي المقرب من وزير الخارجية يومها عبد الحليم خدام.

تكثفت هذه العلاقة مع السفارة ثم بدأت تنقل رسائل من الجماعة بتكليف من أبي نضال إلى المسؤولين السوريين، وكان صاحب الصلة هو منصور حمدان

(الذي أصبح نائباً لأبي نضال وحينما كان عاطف أبو بكر مسؤولاً للدائرة السياسية كان منصور نائباً له 1989).

كان أبو نضال يتصل بمن يستطيع من السفارات (سوريا، كوريا، بولندا). بدعم من بغداد حتى حصل انشقاقه دون أن يكون لدمشق أي دور فيه فكيف سمح له العراق بالعلاقة مع سوريا؟

لم يكن للعراقيين اعتراض يومها ان يقوم أبو نضال بالاتصال بأي كان، لكن أبا نضال كان يحب أن يقيم خيوطاً مع أي جهة فربما تفيده في أي وقت.

العلاقة بين أبي نضال وسوريا حكمها الجانب العدائي بحكم موقف بغداد العدائي من دمشق كما أبو نضال سابقاً.

فأبو نضال والعراق كانا يعتبران ان الأسد عام 1974 كان أقرب إلى أبو عمار.. وكانت عمليات أبي نضال الأولى توجه ضد السعودية، ضد سوريا وضد منظمة التحرير.

من العام 1974 - حتى 79، كل العمليات كانت مركزة ضد سوريا حتى قبل الاحتلال السوري للبنان، وكان يزعم انه ضرب السوريين لأنهم تدخلوا في لبنان.

كان أبو نضال قد ضرب سفارتي سوريا في روما وباكستان وأخذ رهائن فيهما، واحتجز نزلاء فندق سميراميس في دمشق (90 نزيلاً احتجزوا، وهاجمتهم القوات الخاصة السورية وقتل أحد الخاطفين وأعدم في اليوم التالي 3 من المهاجمين)

ومعظم هذه العمليات حصلت احتجاجاً على الاحتلال السوري للبنان كنوع من الانسجام مع العراق، وتنغيصاً لعلاقة أبي عمار مع سوريا.

كان أبو نضال يعتقد ان أقصر الطرق للعلاقات هي ان تقوم بأشكال من الضغط والعنف ثم المساومة.

لكن بغداد أمسكت برقبة أبي نضال فعندما وقعت سوريا والعراق الميثاق القومي 1979 توقفت عملياته ضد سوريا.

وفي 1980 بدأت الحرب العراقية - الإيرانية، وأصبح العراقيون في موقع صعب، هم يريدون تهدئة مع المنطقة المحيطة، وأشير لأبي نضال ان بلدان الخليج

العربي كلها حليفة، لذا شملت التهدئة كل المنطقة فضلاً عن ان ما يفعله أبو نضال يجب أن يتوقف، والغرب كان يدعم العراق، ولا يريد العراق خسارة هذا الدعم.

وضع أبو نضال في الثلاجة، وهو لا يريد ذلك لذا أراد أن يستثمر العلاقة مع سوريا عبر السفارة والخارجية. خاصة ان العراق كان مشغولاً بمعركة كبيرة، وليس بحاجة لخدماته ولا ان يشوش على علاقته مع الاخوة في الخليج ومع الغرب.

ثم ان أحمد حسن البكر كان انتهى، وحلّ صدام مكانه، وكان البكر معجباً بأبي نضال ومن أبرز داعميه مع الاستخبارات العراقية، ولم يكن لأبي نضال علاقة لا مع صدام ولا مع طارق عزيز.

انتهى البكر وطاقمه الاستخباراتي وتهمش وضع أبي نضال مع الحرب العراقية – الإيرانية، فبدأ يشعر ان ساعته اقتربت في العراق. لذا حرص بدءاً من العام 1980 على أن ينسج علاقات اقتصادية مع بولندا وفي أوج الحرب ترك العراق مع أسرته وأقام في بولندا، وكان يزور العراق لماماً.

1981 طرق الباب السوري ليلعب على التناقض السوري – العراقي باحثاً عن ساحة بديلة في حال انتهى في العراق لذا أوجد ساحة بديلة له ولأسرته في بولندا.

أرسل إلى السوريين عبر سفارتهم في بغداد هذه الرغبة في إقامة علاقة معهم وكانوا على خصومة مع ياسر عرفات بعد 1971، لذا كان السوريون على استعداد ان يقبلوا بوجود من يمكن ان ينغص على عرفات عيشه وقد أدركوا انهم إذا استقبلوا أبا نضال عام 1981 فهو سيكون عوناً لهم استعداداً عندما دبروا ما سمي بالانتفاضة عام 1983، التي قام بها أبو موسى وأبو صالح وابو خالد العملة، وسابقاً كان الأسد يحقن جبهة الرفض الفلسطينية ضد أبي عمار.. هذا أولاً.

2- ثم ان العراق كان يدعم جماعة الاخوان المسلمين ضد النظام وكانت استخبارات صدام تدرب عناصرهم في معسكر هيت في الرمادي.

3- العلاقة مع أبي نضال يمكن ان توفر لهم معلومات واسعة عن المعارضة السورية في العراق.

4- كانت ضربات المعارضة السورية تهز دمشق والنظام السوري ارتكب مجازر في حماه، وابو نضال يخدمهم.

الخوف الأساسي لحافظ الأسد في هذه الفترة التي بدأت فيها امكانية اقتراب الفلسطينيين من التسوية، ثم مع التقارب الأردني – الفلسطيني، خسارة أوراقه التي تثبت مكانته في الموضوع الفلسطيني وهو أي الأسد كان ينظر إلى هذه الدول كأنها أوراق بين يديه ليصبح هو الاقوى، وكان يطرحها أمام العرب تحت عنوان وحدة المسارات.

كان يرى ان الاردن وعرفات يتجهان إلى منحى مخالف للنهج السوري، وتوجا ذلك بعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في عمان عام 1984 الذي قاطعته دمشق.

الخطر الرئيسي عند حافظ الأسد كان الاردن.. وهو يرى ان الورقة الفلسطينية أُضعفت بعد الضربات التي تلقاها عرفات في لبنان بالاجتياح الصهيوني لهذا البلد عام 1982 ثم بالانتفاضة التي دبرتها الاستخبارات السورية في حركة فتح عام 1983، ثم بإخراج عرفات مرة ثانية من طرابلس في شمالي لبنان بعد إخراجه من دمشق.

كل هذه العوامل مهدت للأسد ان يلعب ورقة أبي نضال ضد الاردن، وكان أبو نضال نفسه يشبك هذه العلاقة مع الأسد.

صحيح ان الأسد كان لديه أدوات فلسطينية وسورية ولبنانية تنفذ له ما يريد من عمليات إرهابية، لكنه كان يحتاج أداة أكثر دموية فكان أبو نضال.

كان أول وفد استقبلته دمشق من جماعة أبي نضال عام 1981 برئاسة مصطفى مراد (أبو نزار) وعبد الرحمان عيسى كان مسؤولاً في الاستخبارات عند أبي نضال، ومنصور حمدان كان مسؤول العمل السياسي.

التقى الوفد في مقر الاستخبارات الجوية مع عبد الحليم خدام، محمد الخولي، وعلي دوبا، وتدارس الطرفان امكانية إقامة علاقة وتصفية الماضي بكل ما فيه من مرارات تحت عنوان المصالحة والمصارحة.

تحدثوا عن الماضي عام 1977 حين أطلقت جماعة أبي نضال النار على عبد الحليم خدام في مطار أبو ظبي فقتل الوزير الاماراتي سيف بن غباش.

لماذا خدام؟

لأنه كان وجه النظام السوري السياسي، وهو متحرك يتنقل بين العواصم وهو صيد سهل.

كان أبو نضال ورقة في ملف الاستخبارات العراقية وكان قتل خدام يسجل على جهة فلسطينية، وسيسجل على انه عقاب على التدخل السوري في لبنان وهذا بحد ذاته يتم لمصلحة العراق الذي كان يريد الانتقام من عمليات استخباراتية سورية ضد العراق وجماعته في لبنان.

ماذا جرى في هذا اللقاء في الاستخبارات الجوية السورية؟ بين شهري 2 و1981/5 تمت خمس زيارات لهذا الوفد إلى سوريا.

الوفد الأخير أضيف له علي حسين البطمة، سمير درويش ليصبح المجتمعون 5 وقدمت في هذا الاجتماع ورقة عمل على صفحة ونصف بالخطوط العامة.

1- سوريا تفتح أبوابها لوجود جماعة أبي نضال.
2- تتحرك هذه الجماعة تحت غطاء اعلامي سياسي.
3- تفتح عدداً محدوداً من المقرات، واشترى أبو نضال مقراً من 5 طوابق في منطقة الشعلان، ومقراً فرعياً في درعا القريبة من الاردن، بما يشير إلى ان عمان هي المستهدفة.

كان السوريون يتحدثون تلميحاً وليس تصريحاً عكس العراقيين المباشرين وسقفهم كان دائماً عالياً، وكان أبو نضال يستشعر ما يريده السوريون.

كان العراق فاتحاً معسكرات لأبي نضال، واستخباراته تنقل الاسلحة بالحقائب الدبلوماسية في أي بلد فيه سفارة عراقية في العالم.

دمشق كانت تتصرف بحرص شديد وتحاول دائماً ان تورط آخرين دون أن يظهر لها أي دور في أي عملية إرهابية.

كل الفصائل الفلسطينية كانت مربوطة بتعليمات العميد يومها علي دوبا، بينما تم ربط أبي نضال مع محمد الخولي الذي هو على أذن الاسد يومياً.

سمح لأبي نضال بالانتقال إلى البقاع اللبناني مع أوراق ترخيص لـ 12 سيارة، وكان تحركهم بهويات دون اسم أو صورة، والبطاقة الواحدة كان يمكن لـ 100 شخص استخدامها.

بينما كان مفروضاً على عناصر المنظمات الفلسطينية الاخرى ان يكون لديهم بطاقات بالصورة والاسم الحركي أو الصحيح، ويكون لدى الاستخبارات السورية الاسم الصحيح والحركي لكل عنصر، وسمح لهم ان يوجدوا رؤوس

جسور في منطقة البقاع، رغم ان السيطرة في تلك الفترة كانت لجماعة فتح عرفات، لذا سمح لأبو نضال ان يتحرك بإسم حزب العمل الاشتراكي العربي الذي كان يقوده هاشم علي محسن (ابو عدنان) بفرعه اللبناني وظل هذا قائماً حتى عام 1983 تاريخ انتفاضة فتح عند عرفات.

بعيد هذا التاريخ، أصبح التواجد علنياً ومكثفاً كما بقية الفصائل بل زادت عن بقية الفصائل، وانتشرت في بقية مناطق لبنان بعد انهيار جدار عرفات.

هذا الاندفاع والمكاتب والمراكز في مناطق النفوذ السوري طبعاً أرادت دمشق عبره توجيه أبي نضال ضد الاردن لأن الأسد كان يريد مباشرة وبالتورية منع النظام الأردني من الانفراد بتسوية مع إسرائيل، أو منع الانفراد الاردني - الفلسطيني بعيداً عن إرادته.

أرادت سوريا الضغط على النظام الاردني بمساعدة أبي نضال ليحارب الاردن بمزاعم النظام البعثي.

ومن قواعد أبي نضال في درعا كان يتم تهريب الاسلحة إلى الاردن بدعم مباشر من محمد الخولي المكلف من حافظ الأسد.

الأسد يرعب علاقة أبي نضال بإيران

بعد طرد أبي نضال أول مرة عام 1983، أرسل إلى النظام الإيراني كل ما يملك من معلومات عن العراق، خلال حرب هذا البلد مع إيران (1980 - 1988) بهدف عقد صفقة مع النظام الإيراني، وكان قائد الاستخبارات الجورية السورية رجل حافظ الأسد عدو صدام الأول محمد الخولي هو راعيها بتكليف من معلمه، المنحاز بشكل شرس إلى جانب نظام إيران في حربه ضد شقيقه العربي.

كان معن أدهم يسلم السفارة الايرانية في دمشق المعلومات التي كان يرسلها إليه أبو نضال، بناء على طلب الخولي نفسه، بعد ان يحصل الخولي على نسخة منها.

وكان أدهم على صلة بالحرس الثوري الإيراني، وهو مقيم حتى اعداد هذا الكتاب في بغداد، بعد ان سلم نفسه للاحتلال الأميركي لبغداد (2003/4/9) الذي تركه بعد تحقيقات بسيطة معه، رغم كشف نفسه انه من جماعة أبي نضال،

ويقول أبو فرح ان أدهم يتعاون مع الاستخبارات العراقية، التي تحرص على معرفة تحركات من تبقى من الفلسطينيين في العراق.

الاسلوب الخسيس لحافظ الأسد

كان حافظ الأسد يوجه رسائل عبر أبـي نضال نحو خصومه وحتى نحو أصدقائه.

طلب محمد الخولي من أبـي نضال زرع أسلحة في الاراضي السعودية على الحدود مع الاردن ثم اتصل الخولي بالسلطات السعودية ليطلعها على شبكة عدوة زرعت أسلحة في أراضي المملكة في المكان الفلاني، "لتكتشفها" الرياض وتشكر حافظ الأسد على جميله.

تكررت هذه العملية عدة مرات، الزرع والكشف والشكر..

كانت الورقة المكتوبة بين محمد الخولي وأبـي نضال عبارة عن 50 سطراً.. لكن ما تحت الطاولة كان سجلاً ضخماً.

كانت شروط الأسد على أبـي نضال ألا يمس أحد داخل سوريا.. اعملوا ما تريدون خارجاً، وليس عندنا لأنها تحرجنا..

استدرج حافظ الاسد رئيس أميركا جيمي كارتر عام 1987 بواسطة أبو نضال.

قتل 22 أميركياً في طائرة كراتشي.

في ترانزيت مطاري روما وفيينا أربعة مسلحين هنا و3 هناك فتحوا النار وقتلوا 5 أميركيين في روما، و15 من جنسيات أخرى.

زعم حافظ الأسد في مؤتمر صحفي مع كارتر ان أبا نضال ليس لديه سوى عدة مكاتب للعمل الاعلامي فقط، لكن السفير الأميركي في دمشق قدم لرئيس بلده صور المكاتب في كل أنحاء سوريا وهي بالعشرات.

أحرج الأسد، وكان المضحك ان السفير الأميركي الذي قدم الصور لرئيسه كان اشتراها من مخبرين سوريين قبضوا ثمناً غالياً لها.

كان المقر الأهم لأبـي نضال في منطقة الشعلان في قلب دمشق التجاري، كان مبنى من عدة طبقات (4) و لم يكن حراسه ليظهروا علناً، لكنه كان مزوداً

بآلات تصوير من كل الزوايا، والاخطر ان قبوه كان مقراً لغرفة عمليات تزوير كل ما يحتاجه أبو نضال من أوراق وجوازات سفر ووثائق وأختام.

إلى جانب هذه الغرفة كان هناك مشنقة تقتل اعداء ومن يريد أبو نضال قتلهم. وكان داخل القبو أيضاً سجن يضرب فيه المعتقلون ومن يقتل يوضع في تابوت ينقل إلى لبنان ليتم تشييعه كشهيد للثورة الفلسطينية المجلس الثوري، سقط في مواجهة إسرائيل.

كان أبو نضال ينقلهم إلى بيروت ضمن التوابيت كذخيرة، يساعده على ذلك ان البطاقات التي كانت لدى أبو نضال مفتوحة.

كانت المواجهة مفتوحة بين الأسد والأميركان بعد تفجير مقر المارينز الأميركي في بيروت في ت1/اكتوبر 1983، ثم بعد المعارك بين حاملة الطائرات الأميركية نيوجيرسي والقوات الوطنية اللبنانية في سوق الغرب، ثم إسقاط الطائرات السورية وضرب منصات الصواريخ السورية في لبنان والرد السوري من خلال عمليات أخرى في بيروت (6 شباط 1984) إسقاط اتفاق 17 أيار 1983.

بين 85 و1987 قام أبو نضال بعمليات فاقعة في الخارج، مثل الهجوم على مطاري روما وفيينا وكان مقرراً الهجوم على مطار ثالث في فرانكفورت، لكنه أجهض لأن ليبيا كانت تريد أن تترك هذه العملية لجماعة أحمد جبريل كتنويع لطلب الخدمات.

ك2/ديسمبر 87 خطف أبو نضال طائرة مصرية من أثينا إلى ليبيا كما كان مفترضاً ان تهبط، همس في اذن القذافي ان في ليبيا ستكون أنت المتهم فأمر بإنزالها في مطار مالطة والسلاح سلم للخاطفين في مطار أثينا من دبلوماسيين ليبيين.

السلطات المصرية أرسلت فرقاً فدائية إلى مطار مالطة اقتحمت الطائرة المصرية الجاثمة في مطار فاليتا وحررت الرهائن لكن قتل منهم 66 إنساناً بمن فيهم الخاطفون في مجزرة مشهورة.

في 1986/9/5

كل العمليات بدأت من مطار دمشق، والاحزمة الناسفة رتبت وجهزت في الشعلان والاربعة الذين اعتقلوا بأحزمتهم الناسفة خرجوا من مطار دمشق.

كان هناك تنسيق مفترض بين استخبارات الأسد والقذافي للرد على عدوان أميركا على طرابلس في 1986/4/15 أي قبل خمسة أشهر من هذه العملية، وكانت نقطة التنسيق تبدأ من عند أبي نضال.

قال الأسد للأميركان أنا منعت جماعة أبي نضال من التحرك العسكري، وأنا رفضت استقبال أبي نضال، وهو لا يجيء إلينا أبدا؟ ثم اني أمرت مؤخراً بإخراجهم من سوريا.

جاءت طائرات عسكرية ليبية برفقة مندوب القذافي العميد يوسف الدبري ونقلت جماعة أبي نضال إلى ليبيا، ثم سهلت خروج الآخرين إلى البقاع وبيروت وتضخم التواجد للجماعة في لبنان دون أي تقييد.

قال الأسد للأميركان انه أقفل مكاتب أبي نضال بالشمع الأحمر تحت أنظار الاعلام.. وقال هذا ما قدمته للغرب لكنه في الوقت نفسه تركهم يذهبون إلى ليبيا ولبنان.

في ليبيا أصبح أبو نضال تحت امرة أمن الجماهيرية. في لبنان أصبح تحت امرة غازي كنعان وتواجد جماعته ملاصق لكل تواجد أمني أو عسكري سوري في البلد.

صاروا يتنقلون في معظم الحالات بهويات منظمة الصاعقة ومنظمة حزب البعث، وأطراف أخرى مرتبطة بالاستخبارات السورية.

لم يتغير شيء بالنسبة لأبي نضال.. كل ما تغير هو انتقال تبعيتهم من محمد الخولي إلى غازي كنعان، وصاروا أكثر حرية واحراجهم لسوريا أقل.

باتوا قادرين على الخطف كما حصل مع سويسريين وبلجيك عامي 1988 - 1989، للحصول على أموال لأبي نضال جمدت في سويسرا وقدرها 18 مليون دولار (وبالنسبة إلى بلجيكا سنتعرض لهذه المسألة في مكان آخر من هذا الكتاب).

خطف أبو نضال 3 عاملين في الصليب الأحمر الدولي لتحرير أمواله المحجوزة في مصارف سويسرا.

مع بلجيكا كان أحد عناصره سليمان عربيات (ناصر السعيد) معتقلاً بعد ان ألقى قنبلة على مدرسة أطفال يهودية اغودات إسرائيل في بلجيكا.

عندما تضرب مدرسة مدنية فيها أطفال وفي أوروبا، فأنت تؤذي أطفالاً وأوروبيين وليس هدفاً عسكرياً صهيونياً.

كل عمليات أبي نضال ضد المدارس أو المطاعم أو الكنس أو أي مدني كلها نجحت، أما اي عمل ضد أي مؤسسة عسكرية صهيونية أو أمنية سواء في فلسطين أو في الخارج لم تتم.. وإذا تمت لم تنجح.

الخروج من سوريا كان مكسباً لدمشق والأسد.. بقوا تحت يده في لبنان، لم تضرب المنظمة.. كان يحركهم كما يشاء.. حتى انه جعله نقطة التقاطع بين ما يريد فعله وما يجمح إليه القذافي فأي عملية نفذها أبو نضال للقذافي لم تكن لتغضب دمشق بسبب التنسيق بين الأسد ومعمر.

في 1986/4/5 وضعت قنبلة في حقيبة نسائية في ملهى لابيال في برلين قتلت أميركياً وجرحت 160، لأن الملهى كان مقصداً للجنود الأميركيين. الذي نفذ هذا العمل يعمل مع أبي نضال لكنه كان موظفاً إدارياً يعمل في السفارة الليبية في برلين اسمه ياسر الشريدي من مخيم برج البراجنة، ودخل إلى برلين الغربية بسيارة دبلوماسية ليبية ووضع المتفجرة في حقيبة فتاة بولندية صديقة ياسر تركتها وخرجت لتنفجر مقابل 900 دولار.

هذا الغباء المكشوف ان تستخدم سيارة دبلوماسية وشخصاً يعمل في السفارة الليبية، هو توريط يعرفه الليبيون رسمياً وأقدموا عليه، وهو أي أبو نضال ورطهم وهو عندهم ولم يقدموا على أي موقف ضده.

كان الاشتباك الليبي - البريطاني - الأميركي، ثم بعد قتل الشرطية آن موروفي على باب سفارة بلدهم في لندن، الأميركان جمدوا الأموال الليبية في أميركا بسبب هذه الحادثة وتورط ليبيا في الارهاب.

القذافي دعا إلى ضرب القواعد البريطانية وطردها من قبرص، وكان وما زال لبريطانيا قاعدة عسكرية مهمة هي اكروتيري.

ونفذ أبو نضال عملية أخرى بإسم منظمة ناصرية مزعومة بسلاح من زورق ألقي من البحر، ومن سفينة ليبية بكمية كبيرة من السلاح، وكان هناك إطار أساسي من جماعة أبي نضال هو ابراهيم العايدة، اسمه غازي أبو محمد (ما زال موجوداً في ليبيا) وهو نائب مسؤول جهاز العمليات الخارجية، كان هناك هجوم

غربـــي على الليبيين، وهم يستخدمون غيرهم فهم بلا خبرة، ولا يعرفون استخدام ناسهم، فكانوا يعملون بالقطعة.

الفصل الخامس عشر

صدام

- مقدمة
- انعدام الكيمياء بين صدام وحافظ
- بعثيو سوريا يحرضون صدام على الأسد
- الجذور الأولى
- عفلق يرفض انقلاب بعث العراق
- صدام في بيروت سراً
- حرب تشرين
- السادات في إسرائيل
- خطة صدام الاستراتيجية للتخلص من الأسد
- في الحرب العراقية - الإيرانية
- صدام ورفعت
- أمين الجميل في العراق
- الملك حسين يجمع الرأسين
- لبنان دائماً
- عفلق يختار دين الاكثرية فيستفز الأسد
- عفلق يقارن بين البكر وصدام
- أما مع حافظ الأسد
- عفلق أحب أمين الحافظ
- عفلق يقدر صدام
- عفلق بين حافظ وصدام

- شخصية ميشال عفلق
- اسلام ميشال عفلق
- الضوء
- حافظ يمهد الطريق أمام بشار
- كيف ترجم بشار سياسة حافظ
- كيف تعامل مع العراق المحتل: بشار يسلم عدي وقصي للقتل
- السر الاخطر عزت الدوري هرب من سوريا إلى لبنان

مقدمة

وفي النهاية عندما أُعدم صدام حسين ليلة رأس سنة 2007، لم يكن ممكناً دفنه في بغداد عاصمة البلد الذي حكمه نحو 30 سنة، بل حُمل جثمانه إلى تكريت ليدفن في مقبرة تحت حماية عشيرته، وكان أمر تسليم الجثمان إلى أبناء عائلته يحتاج إلى تدخل قوات الاحتلال الأميركي حتى لا يصل انتقام عشيرة غريمته إيران، لتوزيع دمه بين الشعوبيات الحزبية التي انشأها الحرس الثوري الإيراني المسيطر على العراق.

وعندما مات حافظ الأسد في حزيران 2000، تنبأت عشيرته، بأن دفنه في دمشق عاصمة البلد الذي حكمه ثلاثين سنة وأورثه لابنه 12 سنة، سيكون محفوفاً بالمخاطر، فحُمل جثمانه ليدفن في القرداحة، بناء على وصيته فهناك على الأقل لن يمكن نبش قبره كما تنبأ الذين تجنبوا دفنه في عاصمة الامويين.

حكم البعثيان المدن بمنطق القرية فجرى تريف المدن ليس بالضواحي البائسة فقط بل حتى داخل القصور الرئاسية المترفة كرهاً بالمدن وأهلها، ولم يثقا إلا بأهل القرى، ويبدو ان أعماق كل منهما كانت تحمل قدراً هائلاً من الخوف ان أحداً لن يتقبل وجودهما ميتين في مدينة كانت لعقود عاصمة للعباسيين، وأخرى عاصمة للأمويين، بينما لن يتخلى عنهما أبناء العشيرة التي ينتمي كل منهما إليها.

غير ان هذا كان، قبل أن تنتقل شرارات الثورة السورية إلى القرداحة نفسها، ويعزز بشار الأسد الحراسة حول قبر والده حافظ، خوفاً من أن ينبش علويو القرداحة قبره، وينثروا عظامه.

انعدام الكيمياء

بين صدام حسين وحافظ الأسد

لم تجمع الكيمياء يوماً بين الرفيقين اللدودين في قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي حافظ الأسد وصدام حسين.

والجغرافيا أيضاً كانت في أساس فرقتهما في بلدين عميقين في التاريخ، عدوين في السياسة.

يقول عارفون للاثنين، ان حافظ الأسد سياسي ماهر يخفي ما يريد، بمساعدة من ثقافة تجمع بين السماء والأرض، فهو طيار يحتاج إلى تركيز شديد قبل وخلال المعركة، وهو ابن بيئة علوية تحتضن الباطنية، وتعيش في داخله وفي سلوكه، وهذا ما يفرض عليه حذراً يصبح مع الزمن دليل حيطة ومرشداً لها وكثيرون يقيسون مستوى النباهة بالحذر والتنبه.. أليس هذا هو الذكاء أو الخبث أو المهارة؟

أما صدام حسين الاكثر صدقية فهو الأكثر صراحة وهو إذن الاكثر عرضة للأخطاء حتى الخطايا.

لا تفسير لإيغالهما في الاجرام الشخصي والجماعي الوطني أي على عموم الوطن والمواطنين، إلا بنية النظامين اللذين أقاماهما في بلديهما، التي شدت نسيج الوطن حتى التمزق بما لم يترك سبيلاً للتقييم النهائي إلا القتل الجسدي أو قتل الوطن.. ونظاما البعث في سوريا والعراق سارا ويسيران نحو الاثنين معاً.

نعم

كان صدام وريث فكرة سياسية، تجعل سوريا ساحة طبيعية لطموح ساسة العراق، في وقت خرج فيها حافظ بسوريا من منظور الساحة، ليرمي طموحه بتحويل البلاد العربية حوله اي سوريا الطبيعية إلى ساحات لعب لجموحه وممارساته، فكان الصدام حتمياً بين حافظ وصدام. انه عنوان صراع آخر بين الرجلين – النظامين.

غير انه عندما حصل انقلاب 23 شباط/فبراير 1966 في سوريا بقيادة صلاح جديد وحافظ الأسد، فر بعثيو القيادة القومية التي كانت في حضن أمين الحافظ إلى العراق بعد شتات جمعه انقلاب البعث العراقي في 17 – 1968/7/30.

وفي حين ان بعثيي سوريا الهاربين أرادوا اعتماد بغداد منطلقاً للقفز على دمشق، فإن أمراً فاجأ الجميع في بعث صدام الذي كان بدأ يأخذ دوره داخل القطر العراقي بتصاعد دموي ليس مدهشاً لمن يعرف العراق وصدام، لكنه مع ذلك لم يكن ليخفي أو يخجل من الدم الاحمر الذي كان طريقه للصعود الصاروخي.

حمل صدام نظرية عرضها على أحمد حسن البكر الذي كان رئيسه تقول ان العراق يجب ان يكون موسكو العرب، كما موسكو الاتحاد السوفياتي الاشتراكية في عهد ستالين.

كان صدام يريد 10 سنوات يبني فيها العراق ليصبح تجربة اشتراكية عربية نموذجية قوية يطل بها ومنها على العرب من خلال فلسطين، وبهذا النموذج القوي المدعوم بالمال والشعب والحزب والقيادة والقضية (فلسطين) يجرف أمامه كل من يقف في طريقه، أو قد يشكل عقبة أمام طموحه.. ولم يكن يقصد إلا حافظ الاسد في الغرب (ألم يكن هذا هو مشروع الإمام الخميني الذي يطبقه منذ سنوات نظام خامنئي بدءاً بخصمه في الغرب صدام حسين عام 1980 – 1988).

غير انه اتجه شرقاً نحو إيران وجنوباً نحو الكويت 1990 حتى النهاية وفي حين ان الاولى أعطته قيمة قومية عربية في مواجهة الخطر الفارسي الشعوبي – المذهبي الذي تدفع أمة العرب كلها ثمناً له، فإن الثانية كانت بداية نهايته ونهاية المشروع القومي العربي بل والفكر الذي استند له.

وفي الحالتين كان حافظ الأسد ضد صدام، ضد العراق، فدعم إيران في حربها ضد عروبة المنطقة، ودعم أميركا في مشروع إخراج الجيش العراقي من الكويت عام 1991.

قدم حافظ الأسد نفسه كعنوان للمقاومة والممانعة ليورث هذه الصورة الزائفة لابنه بشار، رغم ان قوات الأسد واستخباراته وعملائه من الفلسطينيين في المنظمات الفلسطينية قتلت من الفلسطينيين (واللبنانيين والسوريين) أضعاف ما قتلت إسرائيل منهم خلال 64 سنة، ونظامه صاحب أطول هدنة مع العدو في تاريخ الصراع العربي – الصهيوني.

أما صدام حسين، فإن مشروعه الستاليني، منعه من الالتفات العملي للشأن الفلسطيني إلا من خلال جبهة التحرير العربية وعلاقات غير مستقيمة مع منظمة التحرير تراوحت بين العداء والاغتيالات، وبين احتضان ياسر عرفات ليستفيد من شرعيته وشعبيته واغراء القضية التي يحملها.

وعندما كان حافظ يتباهى في نظام أرسل قواته إلى الاردن لحماية المنظمات الفلسطينية التي راحت في صدام عجيب مع النظام الاردني عام 1970، فإن بعثيين عراقيين (وعرباً) كثراً خجلوا ويخجلون من ان القوات العراقية التي كانت في

الاردن أدارت ظهرها للمنظمات الفلسطينية خلال ذلك الصراع. وعندما أرسل بعث العراق جيشه إلى سوريا للقتال معها في حرب 73، كان الأسد يخضعه لرقابة غير مسبوقة خوفاً من أي تحرك ضده وسرعان ما أصبح بقاؤه مستحيلاً بعد هدنة حافظ مع إسرائيل برعاية كيسنجر عام 1974. لم يكن انعدام الكيميا بين صدام وحافظ، السبب الوحيد للدم الذي أريق بسببها وبقراراتها وفكرة العروبة وحزب البعث بل ان تأله كل منهما والتفرد المفرط بالسلطة وانعدام المؤسسات في حزب كانت تحكمه المؤسسات قبل السلطة فحكمها بعدها أوحى لكل منهما ان هذا المدار الذي يدوران به، يريد كل منهما أن يدور حوله ويدار به وكل منهما كان يقرأ في نفسه ألوهية، كان يعزز أوهامها كمّ المنافقين وحجم الخائفين.

بعثيو سوريا يحرضون صدام على الأسد

لم تسر الأمور دائماً وفق اشتهاء أي من صدام وحافظ، فقد كانت استفزازات نظام صلاح جديد - الأسد، ثم الأخير وحده بعد انقلاب 1970/11/16 هي الاستدراج الحقيقي لصدام سريع الوقوع في رد الفعل الغاضب.

بعد تسلم حافظ الأسد السلطة اثر انقلابه على جديد (1970/11/16) وطرح شعارات الانفتاح في كل اتجاه تصور بعثيون عرب ان هناك فرصة لإعادة الحوار بين البعثيين في سوريا والعراق.

وافق ميشال عفلق على اغتنام هذه الفرصة وتعهد بإقناع القيادة في العراق (أحمد حسن البكر) بالسير في طريق مصالحة تمهيداً لإعادة تجميع البعثيين في بوتقة حزب واحد.

كلف عفلق كمال ناصر (بعثي من فلسطين - شاعر وأديب قتل في بيروت 1973/4/10) للتوجه إلى دمشق لمحاورة حافظ الأسد، فحصل على موافقة منه عبر وسطاء على ان يبدأ لقاءاته مع الاسد بعد عودة الأخير من جولته على المحافظات السورية التي كانت تهيأت عفوياً لاستقباله بعد تخليص الجماهير السورية من التشدد والانغلاق الذي فرضه حكم الاطباء الثلاثة نورالدين الاتاسي، يوسف زعيّن، ابراهيم ماخوس تحت قيادة صلاح جديد.

شهد حافظ الأسد في هذه الجولة الطويلة في كل محافظات سوريا استقبالات وصفها كثيرون انها كانت أشبه باستقبالات جماهير سوريا لبطل الوحدة المارد الاسمر جمال عبد الناصر حين كان يأتي إلى سوريا خاصة عامي 1958 - 1959.

كبر رأس حافظ الأسد، وأصابه من يومها غرور سيطر عليه إلى ان تعامل مع سوريا كمزرعة يملكها ومن عليها من سوريين.

عاد الأسد من جولته التاريخية، وقد تملكته غريزة حب الذات، والتصرف خارج المؤسسات، فقد تهيأ له ان هذه المبايعة التي جاءت بمعظمها رد فعل على سياسات جديد ومن معه، هي مبايعة دون مقابل، أو هي صك على بياض، ففزع الأسد إلى وضعه، وأدار ظهره لعفلق وقيادته، فهل هو الغرور وحده، أم ان النفس كانت تبيت أمراً احتاج انتفاضة بهذا الحجم معه لتظهر مكنوناتها الحقيقية؟

الجذور الأولى

قاد البعثيون ليل السابع عشر من تموز/يوليو عام 1968 حركة انقلابية ضد القصر الجمهوري الذي أقام فيه "عبد الرحمان عارف" بالتعاون مع "عبد الرزاق النايف" رئيس الاستخبارات العسكرية، آنذاك وابراهيم الداوود الذي تبوأ مركزاً عسكرياً مهماً في تلك الفترة و"سعدون غيدان" آمر الحرس الجمهوري..

لم يرق هذا الانقلاب للبعثيين، بادىء الأمر، بالرغم من تسميته أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية وأخذ المناصب الوزارية الحساسة. غير ان ذلك لم يكف بسبب السمعة السيئة والمشبوهة، للانقلابات العسكرية حسب زعمهم. وسارعوا في 30 تموز/يوليو إلى عزل "النايف" الذي عينوه سفيراً في لندن والداوود الذي أبعد إلى المملكة العربية السعودية.. وقد صدر قرار طرده أثناء تفقده القوات العراقية في الاردن. قوبل هذا الانقلاب في سوريا باستنكار وغضب وإدانة واتهمت القيادة العراقية بالتآمر والتواطؤ مع الاجنبي ووصمت قادته باليمينية.

انتفض البعثيون السوريون الذين عارضوا حركة 23 شباط/فبراير وانضموا إلى القيادة القومية الهاربة إلى بغداد ولجأ معظمهم وكثيرون منهم من العسكريين إلى لبنان.

ولم تمض أيام قليلة حتى دُعي جميع هؤلاء إلى بغداد، حاملين معهم حب الثأر من البعث السوري في السلطة، هادفين بكل عزم على تغيير النظام في سوريا لصالح القيادة القومية وكان في مقدمة هذه المجموعة الفريق أمين الحافظ.. و"شبلي العيثمي" و"زيد حيدر" (لبناني) الذين كانوا قد انتخبوا في المؤتمر القومي التاسع الذي انعقد في عاليه وبيروت في شباط/فبراير عام 1966.

إضافة إلى عدد من المدنيين والعسكريين السوريين الذين انتشروا في بقاع الأرض وعلى سبيل المثال، قائد البحرية السورية في عهد البعث، قبل 23 شباط/فبراير، عبده الديري مسؤول الاستخبارات العسكرية في حلب، أسعد الغوثاني (أبو علاء) والذي وقف ضدها ورفض التعاون، رغم علاقته الطيبة مع قائد سلاح الطيران، آنذاك الفريق حافظ الأسد. سجن ثم أطلقه الأخير وعينه سكرتيراً أول في سفارة سوريا، في المملكة العربية السعودية. وترك منصبه هذا بعد ان تلقى توجيهات القيادة القومية بالالتحاق الفوري برفاقه في بغداد..

كما توجه إلى بغداد أحد مؤسسي الحزب ورئيس وزراء في عهده صلاح الدين البيطار وكان قد أعلن انفصاله عن الحزب وقيادته القومية، بعد 23 شباط/فبراير 1966، وتحديداً بعد تداعيات المحاولة الانقلابية التي خطط لها، منيف الرزاز الأمين العام للقيادة القومية للحزب، بالتعاون مع مجموعة من الضباط العسكريين والأطر المتقدمة من المدنيين، بقيادة "سليم حاطوم" قائد المغاوير الذي ساهم بفعالية يوم 23 شباط/فبراير وتولى المسؤولية المنفردة بالهجوم على منزل الرئيس أمين الحافظ.

انها محاولة الحزب الواحد والمواطنين الذين انتسبوا إلى البلد الواحد.. أتت هذه المجزرة والمغامرة غير المدروسة بعد ان شعر سليم حاطوم، بخطئه وندمه لدوره في انقلاب شباط/فبراير 1966 وأراد التعبير عن ذلك بالتخطيط لهذا العمل غير المدروس..

فقد استغل حاطوم زيارة قام بها رئيس الجمهورية نورالدين الاتاسي وأمين سر القيادة القطرية صلاح جديد إلى السويداء ليحاصرهما هناك في بداية ما اعتبره بسذاجة انقلاباً سيعيده إلى السلطة حاكماً، لكنه نسي أو عجز عن التحرك لعزل أو تقييد وزير الدفاع حافظ الأسد المشرف على الطيران فأرسل الاسد طائرات حامت فوق السويداء ارعاباً وتخويفاً.

خاف حاطوم على معقل الدروز البشري، وهو يدرك ارث الصراع العلوي – الدرزي وفقدان توازن القوى بين القوتين فآثر ترك المحاصرين وهرب إلى الاردن، حيث كان فيها من ينظر بغضب شديد لما يجري في سوريا.

فشلت المؤامرة وفرّ سليم إلى الاردن. وبعد أقل من سنة كان عدوان إسرائيل في 1967/6/5 فأبدى سليم حاطوم وبعض أعوانه وهم من الدروز الاشداء وأصحاب البأس والوطنية، استعدادهم للعودة والقتال مع الجيش العربي السوري ضد العدوان الصهيوني الذي انتهى بإحتلال الجولان (وسيناء والضفة الغربية والقدس وغزة) لقد حذره رفيقه وزميله "بدر جمعة" وهو من الضباط الأكفاء والشجعان من خطورة هذه المبادرة لمعرفته، بالنتائج ومما قال له، سأذهب معك إذا قرّرت ولكنني متمسك برأيي.

دخل حاطوم وجمعة الاراضي السورية مع عدد من المقاتلين عن طريق حوران – جبل العرب، فاعتقلوا جميعهم وعذبوا وعقدت لهم محاكمة سريعة، أعدموا وشوهت جثثهم.

عفلق يرفض انقلاب بعث العراق

ويجدر بالذكر، ان الاستاذ ميشال عفلق الذي حُكم بالاعدام بعد 23 شباط/فبراير في سوريا، هاجر إلى البرازيل وأقام لدى خاله، الدكتور شكري زيدان. عارض هذه المحاولة بشدة ووقف ضدها الكثير من أعضاء القيادة القومية، آنذاك ومنهم الدكتور الياس فرح الذي غادر بيروت إلى بغداد..

أما الاستاذ فبقي في البرازيل، لأنه اعتبر ان ما حصل في بغداد وان قام به رفاق بعثيون، جلّهم من مقدريه وتلامذته، غير ان ذلك مخالف لمقررات المؤتمر القومي التاسع في رفض منطق الانقلابات العسكرية وعدم التفرد بالسلطة، بل التركيز على العمل البعثي والكفاح المسلح والعمل من خلال جبهة قومية.

شكل صلاح البيطار تكتلاً سياسياً وحدوياً مع جمع من البعثيين السابقين الذين غادروا الحزب، تاريخ حله في سوريا 1958 ولم يعودوا إليه تنظيمياً. ولكنهم لم يتخلوا عن العمل الوطني والقومي والسياسي وشكلوا مع البيطار كتلة تلتقي مع الحزب بالاهداف ولكنها ليست مرتبطة به تنظيمياً. من هؤلاء نبيل شويري وهو

حزبـي من حلب خالد الحكيم رئيس الهيئة التنفيذية لجميع نقابـات العمـال في سوريا حمود الشوفي وكان أمين سر القطر لفترة وجيزة عقب 8 آذار/مارس 1963. نسيم سفرجلاني بعثي قديم من دمشق كان من المعترضين والمناوئين للمجموعة التي استولت على السلطة في سوريا بعد 23 شباط/فبراير.

(جديد - الأسد)

ان هؤلاء وكثيرين مثلهم من المنضوين تحت قيادة صلاح الـدين البيطـار، حصلوا على حق الاقامة في بغداد مع بطاقة اللجوء السياسي.

يضاف إلى هؤلاء عدد كبير من الملتزمين بالقيـادة القوميـة وعارضـوا 23 شباط/فبراير بقوة وشجاعة، أبرزهم "ناصر سابا" وأخوه "جمال" وآخرون. هؤلاء اعتقلوا وسجنوا وعذبوا وتركوا إلى لبنان ومنه إلى بغداد، وانسلخوا عـن والـد ووالدة، كبيرين في السن وليس من آخر يمنحهما الرعاية.

أمضت السلطة الجديدة في بغداد، الاشهر المتبقية من السنة التي أعقبـت 30 تموز/يوليو عام 1968، في سباق مع الزمن، لتثبيت حكمها والتصـدي لمناهضـيها بقوة وقساوة، دون أي تساهل أو رحمة.

اندرج في هذا الباب، موضوع العلاقة مع الحزب المنافس واللدود في سوريا. تشكل مكتب، ألحق بالقيادة القومية، أطلق عليه المكتب السوري، تولى المسـؤولية فيه عضو قيادة قطر العراق.. طه ياسين رمضان وكان نائب ضابط في الموصـل، انتدبته القيادة التي هو عضو فيها، قبل التغيير في 17 - 30 تموز/يوليو ليكون أحـد معاوني ومساعدي الرئيس "أحمد حسن البكر" أمين سر الحزب آنذاك.

اعتبر من العناصر المغرقة في الجدية والعناد والبعيدة عن المسـاومة والحـوار وتفهم الرأي الآخر. كانت له مشاغل أخرى عديدة إضافة إلى مسؤوليته في القيادة القطرية: فقد كان قائداً للجيش الشعبـي، وزيراً للصناعة ورئيساً لعدد من اللجان الأمنية التي حققت مع الذين قاوموا الحزب وما تهاونوا، رغم قسوة النظام ودمويته، وشرعوا يتحدونه من خلال التخطيط لقلبه والخلاص منه.. البعثيـون السـوريون المقيمون في بغداد والعناصر الوطنية والقومية، المعادية للبعث السوري والسـلطة في دمشق، اعتبروا ان تعيين طه الجزراوي لحمل هذا الملف، يعني ان القيادة في العراق، غير متعجلة في مسار التغيير للنظام بسوريا، هذا كي لا يقال انها غير مهتمة. وعليه

فإن هذا الضجيج الاعلامي والنشاط الاستخباراتي، ما هو إلا محاولة لإبقاء الأمـر في نطاق عناوين الدعاية.

في إطار الصراع بين البعثين السوري والعراقي توجه أمين الحافظ الـذي كان البعثيون القطريون خلعوه في انقلاب 1966/2/23 إلى العراق بعد انقلاب 17 - 68/7/30 وسبقت وصول الفريق أمين الحافظ إلى بغداد سمعته الجيدة فهو أثناء الصراع الدامي بين القوميين العراقيين وعبد الكريم قاسم والشيوعيين أثناء الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر)، شغل منصـب قائـد المنطقة الشرقية، بالقرب من مدينة دير الزور على الحدود بين سوريا والعراق.. وقدم من خلال منصبه هذا، خدمات جلى للبعثيين الذين لجأوا إلى سوريا مـن عداء النظام المعادي للبعث في بغداد في عهد الرئيس الراحل عبد السلام عارف. أكسب الحافظ سمعة لتصديه الشجاع لحركة 23 شباط/فبراير، أثناء الهجوم على منـزله ومقاومته التي استمرت ساعات وإصابة عائلته وتصريحاته القوية ومـا رافق ذلك من صلابة، أهلته لكي يكون محط احترام، البعثيين في العراق لكـن إلحاحه وتسرعه في طلب التحرك ضد البعث السوري جعلا وضع قيادة العراق الجديدة في موقف محرج وهي التي كانت تراعي في الوقت ذاته الاستاذ ميشال عفلق الذي لم يعترف بقيادة الحزب القومية والبعثيين السوريين المعادين لحركة 23 شباط/فبراير.

اعتبر هؤلاء جميعاً من دعاة التريث والتهدئة ودرس الوضع، كي لا تتكـرر اخفاقات المحاولة الانقلابية السابقة.

تجاوب العراقيون البعثيون مع إلحاح الفريق أمين الحافظ (أبو عبده) وأقـروا مبدأ تشكيل مجموعات من البعثيين السوريين المناهضين للقيادة البعثية في سـوريا وتدريبهم في معسكرات داخل العراق ثم إرسـالهم إلى سـوريا للقيـام بأعمـال التخريب والاعتداء للاستفادة منهم في دعم أية حركة انقلابية في سوريا.

لم تنجح هذه المحاولة ونجم عنها فوضى وتعثر مما أثار أعضاء القيادة القوميـة من غير العراقيين وطرحوا الأمر للنقاش داخل القيادة واتخذوا قراراً بوقـف هـذه الأعمال وكان أبرز هؤلاء شبلي العيثمي، الياس فرح، زيد حيدر، محمد سـليمان الخليفة، نقولا الفرزلي.

أدى ذلك إلى استياء وغضب "أمين الحافظ" فكلف أحد مرافقيه من السوريين اللاجئين إلى بغداد بالاعتداء بالضرب على عضو القيادة القومية في السودان محمد سليمان خليفة مما دفع جميع أعضاء القيادة القومية المقيمين في بغداد إلى مغادرتها احتجاجاً، والمجيء إلى بيروت والاستعانة بالاستاذ عفلق المقيم آنذاك فيها و لم يكن ذهب إلى العراق بعد.

أثيرت ضجة كبيرة وتدخل كل من أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين اللذين اعتذرا إلى محمد سليمان الخليفة وتمت مناقشة الأمر في القيادة مجدداً وتبنت موضوع اقفال المعسكرات والطلب إلى أمين الحافظ الاعتذار من القيادة القومية ومحمد سليمان شخصياً. وهكذا أسدل الستار عن هذا الأمر.

ظل الموقف من النظام البعثي في سوريا، يمر في دروب شائكة وعسيرة، بالنسبة لأقرانه في بغداد. استمر الضجيج الاعلامي وتتابعت فصول العداء بين البعثيين. وزاد مسرح الاحداث تعقيداً بإنفجار قنبلة لم تترك ضحايا بل خلفت أضراراً مادية في ساحة الخلاني القريبة من شارع الرشيد وفي الوسط التجاري المشهور في بغداد. اتهمت بها السلطات السورية وردّ الجانب العراقي باغتيال أحد البعثيين العراقيين المقيمين في دمشق وينضوي في التنظيم البعثي المؤيد لسوريا وشكل قتل أحمد العزاوي ضربة قوية للأمن السوري، لأنه كان من الأطر المميزة حزبياً.

بقي محور التنافس والحملات الاعلامية قائماً، متزايداً مع تقدم السنين. و لم يمر وقت حتى نشبت حرب المياه بين سوريا والعراق، بقطع البعث السوري مياه نهر الفرات عن العراق.. وجاء الرد العراقي عنيفاً وسيئاً للاقتصاد العربي، فقطعت بغداد أنبوب النفط المتدفق عبر سوريا، من خلال الصحراء وبانياس على الساحل السوري وصولاً إلى طرابلس في شمالي لبنان واستعاض العراق عن ذلك بإنشاء خط نفط يربط الحقول في الشمال الكردي بأحد الموانئ البحرية في تركيا.

قوبلت هذه الخطوة باستنكار شديد من قبل الرأي العام العربي باعتبار تركيا جارة وسوريا شقيقة.. و لم يقتصر الأمر على احتجاج الجمهور العربي وإنما تناول عدداً من القيادات البعثية في لبنان المرتبطة بتنظيم العراق من خلال القيادة القومية.. وعلقوا على هذا التصرف سلباً وصنفوه في خانة الممارسات القطرية الممعنة في تجاهل البعد القومي..

توالت الحملات الاعلامية بين القطرين، متخذة صورة النقد اللاذع، المبتعد عن الاصول الاخلاقية متجسداً في الشتائم وتوزيع النعوت. وأثّر ذلك على سلامة البعثيين السوريين المرتبطين بالقيادة القومية الذين يعيشون في بلدهم سوريا ومورست عليهم أشد أنواع التعذيب وقضوا حياتهم بين دخول السجن والملاحقة. وانطبق الحال ذاته على البعثيين العراقيين والمرتبطين بالقيادة في سوريا.

صدام في بيروت سراً

وكانت المفارقة بالغة الدلالة، بين موقفي البعثين من احداث الاردن، بين جيشه والمنظمات الفلسطينية عام 1970 حيث أرسل صلاح جديد دبابات الجيش السوري لنجدة الاخيرة في مواجهة جيش الملك حسين، بينما تمنعت القوات العراقية في الاردن التي بلغ تعدادها 30 ألف عسكري بكامل أسلحتهم عن التحرك لنجدة المنظمات الفلسطينية المهددة بالإبادة.

ترك الموقف العراقي أثراً سلبياً جداً لدى الرأي العام العربي، وصل صداه السيىء إلى صفوف البعثيين العراقيين ومؤيديهم في لبنان، وعلى رأسهم مؤسس الحزب ميشال عفلق الذي كان مقيماً تلك الفترة في لبنان وقد وجه نداء علنياً للبعثيين بضرورة المشاركة في الدفاع عن الثورة الفلسطينية مما دفع الرئيس أحمد حسن البكر إلى إرسال رجل الحزب القوي صدام حسين إلى بيروت في زيارة سرية، للقاء عفلق ليشرح له الاسباب التي منعت الحزب من إعطاء الاوامر للجيش العراقي لدعم المنظمات الفلسطينية، وليقف على رأيه فيما يجب عمله، بعد ان خرجت المنظمات هذه من الاردن، مع الاشارة إلى التطورات التي حصلت في سوريا بين صلاح جديد وحافظ الأسد.

أمضى صدام يومين في بيروت أو لم له الاستاذ ميشال غداء مقتصراً على القياديين البعثيين كما تناول العشاء إلى مائدة نقولا الفرزلي، بحضور عدد ضئيل من البعثيين وقد نزل في دارة السفير العراقي في بيروت آنذاك عبد الفتاح محمد أمين التكريتي.

عرفت السفارات الاجنبية وأجهزة الاستخبارات المتواجدة في بيروت بوجود صدام الذي اصطحب معه زوجه ساجدة وابنه عدي تمويهاً بعد ان شوهد في المطار

وهو يصعد إلى حافلة ركاب شركة طيران الشرق الأوسط، ثم ان سفير العراق كان أبلغ عدداً من أصدقائه بخبر الزيارة فتوجه عدد منهم إلى المطار لاستقباله ولكنه كان قد غادر.

حرب تشرين

جاءت حرب تشرين/اكتوبر 1973 بين الجيشين السوري والمصري ضد إسرائيل فرصة لالتقاط الانفاس، بين القيادتين العراقية والسورية، فارضة تلاقياً غير مباشر بينهما حيث توقفت الحملات الاعلامية المتبادلة وهرع الجانب العراقي ملبياً نداء الاخوة القومية، موجهاً ارتالاً عديدة من الدبابات والجنود والطيران إلى الجبهة السورية.

ونظراً لعامل السرعة وعدم توافر حاملات المدرعات في العراق، سارت هذه طوال الطريق بين بغداد ومشارف الجولان المحتلة وسطرت ملاحم البطولة من قبل البعثين العراقي والسوري وسالت في عرس التفاعل القومي والتلاقي المصيري دماء العراقي والسوري كما المغربي الذي أرسل تجريدة من 5000 مقاتل في الجولان المحتل. لم يكتمل المشوار وانسحب الجيش العراقي من الجبهة السورية فور اعلان وقف إطلاق النار الذي وافقت عليه سوريا وتحفظ عليه العراق.. وأكد عراقيون حياديون للكاتب ان الاستخبارات السورية راحت تضيق على حركة الضباط العراقيين على الجبهة خشية ان يتصلوا ويحرضوا ويسلحوا معادين لحافظ الأسد داخل سوريا ولم يرق هذا الانسحاب لكثيرين من العرب الذين كانوا يؤيدون لا بل يطالبون ببقاء الجيش العراقي. غير ان بغداد بادرت فوراً إلى ترك الساحة، مبررة ذلك بأن الجيش العراقي لا يمكنه البقاء بعد ان رفض العراق وقف إطلاق النار وقبلته دمشق، الأمر الذي يعرض جيشه للخطر لأنه سيصبح وحده مكشوفاً بعد اتفاق الأسد مع إسرائيل، وهذه تغدر وتضرب ولن يصدها جيش الأسد. ولم تطل الحيرة كثيراً، فقد انفجرت الحرب الأهلية في لبنان ولهذه الحرب أسرارها التي لم تكشف بعد إلى ان يكشف من قتل معروف سعد ومن أطلق النار على الحافلة الفلسطينية في عين الرمانة والأسوأ انها انفجرت، ولم تقف اثارها داخل حدود لبنان، بل امتدت لتحيي خلافاً مستعراً توارى لفترة جمراً تحت الرماد بين البعثين الحاكمين في بغداد ودمشق.

كان دخول الجيش السوري إلى لبنان عام 1976، قراراً اتخذه حافظ الأسد، بعد قراره الهدنة بين نظامه والعدو الصهيوني لمصلحة استمرار نظامه وانصراف أنور السادات بمصر نحو قضاياه الداخلية، بعيداً عن قضية فلسطين بعد ان قال ان حرب اكتوبر/ت1 التي خاضها معه هي آخر الحروب، وبدء مرحلة إعمار ضخمة داخل دول الخليج العربي، وجدت قاعدتها في كم الاموال التي وفرتها زيادة أسعار النفط الغزير في أراضيها نتيجة حرب ت1/اكتوبر 1973.

ثم ان مبرر التدخل السوري في لبنان الجار كان موجوداً بحرب أهلية يدور التساؤل كثيراً حول دور استخبارات الأسد في إشعالها، وتحديداً منظمة الصاعقة الفلسطينية التي كان انشأها صلاح جديد لعمل فدائي ضد إسرائيل، واستخدمها حافظ الأسد لمجابهة خصومه في الساحة الفلسطينية وتحديداً ياسر عرفات.

دخل الجيش السوري إلى لبنان، وكانت طائرة رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي يومها الكسي كوسيغين تحط في مطار دمشق، وحافظ الأسد يتلقى توكيداً من هنري كيسنجر ان اسرائيل لن تتدخل في مسار جيشه إلا إذا اخترق الخطوط الحمر.. أي الاقتراب من نهر الليطاني في جنوبي لبنان على بعد 40 كلمتراً من الحدود الدولية مع فلسطين المحتلة.

رأى بعث العراق ان حافظ الأسد لم يكتف ببسط سيطرته على سوريا وبعثها واضطهاد البعثيين العراقيين (أي البعث السوري المؤيد للعراق داخل المدن السورية) بل راح يمد نفوذه إلى المكان الأثير لدى صدام: لبنان، والقضية الأكثر أهمية فلسطين.. فبدا الأمر كأنه استدراج للبعث الآخر للتحرك.. لا بل ان صدام وجد ان الأسد قدم له فرصة مهمة ليثبت للبعثيين السوريين اللاجئين في العراق، انه لن يتهاون في مواجهة حافظ الأسد، بل انه قال في لقاء مع قادة جبهة تحرير سوريا التي يرعاها في بغداد لقد كانت حرب اليمن واستدراج عبد الناصر لها وإرسال جيشه إليها، سبباً أساسياً في هزيمته عام 1967، وسنهزم حافظ الأسد في لبنان بعد ان وقع في المصيدة.

كان عنوان مواجهة صدام للأسد في لبنان، انه بات جزءاً من المواجهة مع إسرائيل التي عقد الأسد هدنة معها، ثم دخل إلى لبنان لتنفيذ مخطط كيسينجر بتقسيم المنطقة وتصفية منظمة التحرير فيها لتمرير الحلول الاستسلامية.

ووجد صدام في لبنان من يلتقي في المصلحة المبدأ معه فمنظمة التحرير الفلسطينية انشأت قيادة مشتركة مع أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية برئاسة كمال جنبلاط، وخاضت معارك ناجحة ضد قوات الجبهة اللبنانية التي تحالفت مع سوريا لمواجهة التمدد الفلسطيني – اليساري في مدنها وقراها، بعد ان قرعت أجراس الكنائس في الجبل المسيحي طلباً للنجدة والحماية.

دخلت سوريا لبنان عسكرياً، ودخله العراق مالياً وتسليحاً واعلامياً بدعم القوى اللبنانية – الفلسطينية التي يقاتلها جيش الأسد.

انشأت بغداد صندوقاً خاصاً لدعم المقاتلين ضد الأسد في لبنان، وحولت مبالغ مالية مباشرة إلى فصائل عديدة لبنانية وفلسطينية تقاتل الجيش السوري المحتل.. وعندما كسر جيش الأسد المقاومة اللبنانية والفلسطينية ضده، وضبط الوضع أمنياً وبالقوة في معركة الجبل الشهيرة في 1976/9/29، وعقد مؤتمرا القمة العربية من أجل وقف الحرب في لبنان، الأول كان مصغراً سداسياً في الرياض ليؤسس للمؤتمر الثاني الموسع في القاهرة في ت1 1976 وأنشأ قوات ردع عربية سرعان ما تحولت إلى قوات سورية دخلت لبنان في ت2/نوفمبر انكفأ العراق نسبياً عن لبنان بعد ان كان طلب من المقاومة ان تستمر ضد جيش الأسد.. وكان هذا مستحيلاً.. خاصة وان زعيم هذه المقاومة كمال جنبلاط اغتيل يوم 1977/3/16.

السادات في إسرائيل

جاء دويّ زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل يوم 1977/11/19 وإلقائه خطابه الشهير في الكنيست الاسرائيلي، ليقلب الاوضاع ويخلق معطيات جديدة في مسار السياسة العربية فتحركت الذكريات ورجحت كفة المشاعر التي دفنها الحكام في دمشق وبغداد وراحوا يراجعون حسابات الربح والخسارة فتوصلت دمشق وبغداد إلى ان من مصلحتيهما الآن اللقاء حتى لا يصهرهما تحول جديد يفاجئهما في المنطقة..

جرت اتصالات بين بغداد ودمشق واتفقت العاصمتان على عقد قمة عربية في بغداد، حدد لها موعد في تشرين الأول/اكتوبر عام 1978، صدر عنه قرار مقاطعة مصر ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس.

وأعقب كل ذلك، تزايد اللقاءات بين العراق وسوريا وانتهى بهما الحال إلى إعلان الميثاق القومي الذي تدرج مسرعاً وصعوداً تمهيداً مزعوماً للوحدة التي لم تأت. وبوشر بداية في توحيد السفارات، وتم الاتفاق على إلغاء السفارات السورية في بعض البلدان التي كانت العلاقات العراقية أقرب منها لتلك البلدان، وعلى سبيل المثال لا الحصر، تسلمت سوريا كل السفارات في أميركا اللاتينية والعراق في جميع الدول الآسيوية.

لم يدم مناخ الصفاء طويلاً كما لم يستمر شهر العسل، فأعلن عن مؤامرة تموز عام 1979، في العراق، اثر استقالة الرئيس أحمد حسن البكر وتسلم صدام منصب رئاسة الحزب والدولة..

ما جرى أعاد العلاقات السورية العراقية إلى نقطة الصفر، عقب إعلان العراق عن تدخل سوري سافر في شؤون العراق وتشجيع مجموعة من البعثيين العراقيين، للانقلاب على صدام حسين وتسليم السلطة، أي الوحدة إلى رئاسة حافظ الأسد.

ونجم عن ذلك تعاظم الخلاف بين القطرين وعودة تبادل الرسائل الدموية من خلال التفجيرات التي تعرض لها القطران. قنبلة في ساحة الامويين، قابلتها عبوة ناسفة في شارع السعدون في بغداد.

صدام وخطة استراتيجية للتخلص من الأسد

شغل تسلم حافظ الأسد السلطة في سوريا بال صدام حسين، وأدرك بحسّه الأمني باكراً ان حافظ سيكون عقبة كأداء في طريق طموحه المشرقي والخليجي. كان صدام مهتماً جداً بحصار النظام الإيراني، الذي جاء به الإمام الخميني إلى السلطة في إيران، بإسقاط الشاه مطلع عام 1979، وكان بدأ يقرأ علاقات الخميني وحافظ الأسد المبكرة.

يقول الرئيس علي ناصر محمد للمؤلف انه التقى الرئيس صدام في بغداد عام 1979 بعد فشل الميثاق القومي بين العراق وسوريا، وقيام نظام إسلامي في إيران.

قال صدام لعلي ناصر نحن نريد إقامة علاقة استراتيجية مع اليمن الجنوبي.. بل وكل اليمن، لنطل على بحر العرب، لأن العراق والبحرية العراقية محاصرة في فم الخليج العربي.

ان من مصلحة العرب – يتابع صدام لعلي ناصر – ان يكون الخليج العربي كله تحت السيطرة العربية، ولن يكتمل هذا إلا إذا سيطرنا على مضيق هرمز، والعراق جاهز لهذا الأمر، ولكننا يجب ان نكون متمكنين وجاهزين عسكرياً واقتصادياً وسياسياً لتحقيق ذلك.

هنا – يقول ناصر محمد – اقترح صدام عليه ان يتم تأجير جزيرة سوقطرة اليمنية في بحر العرب، المحيط الهندي التي تبعد عن عدن 500كلم للعراق لإقامة قاعدة بحرية وقاعدة عسكرية وقاعدة طيران ضخمة، لتتمكن بغداد من السيطرة الكاملة على بحر العرب، ومن هناك ومن داخل العراق يتم محاصرة إيران وصولاً إلى مضيق هرمز.

كان مشروع صدام بعد ذلك هو إخضاع كل دول الخليج العربي لسيطرته، وبعدها يقيم تحالفاً جدياً مع الملك حسين في الاردن تمهيداً لاقتحام سوريا وإسقاط حافظ الأسد، وبعدها يصبح قتال إسرائيل حتمياً.. والاهم من ذلك ان النصر في رأي صدام سيصبح حتمياً على إسرائيل لإزالتها وإقامة دولة فلسطين العربية على كامل أرضها شرط وصوله إلى دمشق.

يتابع علي ناصر محمد ان صدام قال له ان وجودنا في سوقطرة سيكون لمصلحة وحدة اليمن مستقبلاً، وستحول الجزيرة إلى موقع عسكري – أمني وكذلك سياحي فهي في حجم جزيرة قبرص ويطلق عليها اسم جزيرة الفردوس لأنها تشهد أمطاراً استوائية لذا تظل خضراء طيلة العام وسنصرف في اليمن عشرات مليارات الدولارات.

يروي علي ناصر انه قال لصدام ان ما تقترحه وما تفكر فيه غير مسموح به أبداً.

قال صدام: شنو (يعني ماذا)؟

فرد علي ناصر: لأنك بهذا تعرض الممرات الدولية للخطر وكلها ممرات يسيطر عليها الغرب أو له مصالح ضخمة فيها، فقال صدام: وماذا يريد الغرب.. أليس النفط؟

فرد علي ناصر: بل انه النفط والممرات الاستراتيجية والموقع الاستراتيجي.

قال صدام: سنعطيهم النفط وبالناقص دولارين عن كل برميل.

كان احتلال صدام للكويت بعد عام واحد في 1990/8/2 بروفة – تجربة للوصول إلى احتلال كل دول الخليج ومضيق هرمز ثم توحيد اليمن..

بعد 10 سنوات تقريباً 1989 أقام صدام مجلس التعاون العربي مع اليمن (ومصر والاردن) ليطرح الفكرة نفسها مع علي صالح الذي بدا متحمساً جداً لها قائلاً لعلي ناصر أنت رفضت فكرة صدام عام 1979 وأنا سأنفذها عام 1989.. (غير ان هذا حديث آخر).

لم يكن صدام حسين يحلم، ولم يكن الخميني ليخيب آمال صدام في ان العداء بينهما يفتح الطريق أمامه ليحلم.

وإذا كان صدام فشل في تحقيق حلمه حتى استحال كابوساً، فإن الخميني أورث خلفاءه تلامذته خطة واضحة المعالم عملوا بها حتى حققوها.. ودائماً استناداً إلى حكم آل الأسد.

غطى حافظ الأسد فارسية الحرب التي شنها الخميني على العراق.

وغطى بشار الأسد شعوبية المشروع الإيراني التوسعي الكاره للعرب.

في الحرب العراقية – الإيرانية

كانت الحرب العراقية – الإيرانية التي اندلعت يوم 1980/9/20 سبباً في نقل العلاقات السورية – العراقية إلى واقع مأساوي جديد كان لمؤلف الكتاب رأي كتبه عدة مرات بأن إيران هي التي بدأت الحرب ضد العراق وان التأريخ للحرب لا يمكن ان يبدأ يوم 1980/9/20، بل قبل ذلك وتحديداً حين أعلن الإمام الخميني تأسيس جيش القدس الاسلامي للزحف نحو فلسطين.

كان الخميني يدرك ان عقبة وصول هذا الجيش إلى فلسطين جغرافية – سياسية، فهو يستحيل ان يرسل جيشه هذا سراً عبر تركيا لأن اسطنبول كانت وما تزال ضمن القوى العسكرية الأهم في حلف الاطلسي حليف إسرائيل الدائم، كما ان عبوره العراق يستدعي هدم نظامه.. وهذا ما بدأ الخميني فعله في شعاره تصدير الثورة الذي أكمله خلفاؤه.

وليس من قبيل المفارقة أو المصادفة ان يحمل الفيلق الإيراني الذي يحتل العراق الآن مباشرة أو بواسطة الاحزاب الشيعية المسلحة في العراق اسم فيلق القدس، وان

يكون قائده هو قاسم سليماني أحد الذين تعتبرهم طهران من قوى الثورة، وهو الذي بدأ نشاطه المسلح ضمن مكتب حركات التحرير في الحرس الثوري الإيراني، وهو المسؤول المباشر عن أمر عمليات حزب الله في لبنان سواء في مواجهة إسرائيل سابقاً، أو في تحويل لبنان إلى ساحة منازلة إيرانية لمن تريد طهران مساومتها أو مقاولتها.

كثيرون من الحياديين الموضوعيين يرون ان تاريخ الحرب، يعود إلى أشهر سابقة لأيلول 1980، تبدأ منذ نجاح الثورة الاسلامية في إيران ومحاولتها تعميم هذه الثورة على البلدان المجاورة، منذ نهاية آذار عام 1979، عندما بدأت أجهزة الاستخبارات الايرانية، تزرع الرعب في المدن العراقية الذي تجسد في إلقاء القنابل ومحاولة قتل نائب رئيس الوزراء طارق عزيز في جامعة المستنصرية وكان المتهم فيها هو المسؤول العسكري لمنظمة العمل الاسلامي أحمد الكاتب وقد قدمه لمؤلف هذا الكتاب الشيخ محمد منتظري رحمه الله والسيد حسين مصطفى الخميني وذلك في فندق "بارك أوتيل" في طهران في شهر حزيران 1981 وقد قدماه للمؤلف باعتباره بطل عملية محاولة قتل طارق عزيز.

وأحمد الكاتب هو الآن مؤلف كتب ذات قيمة كبيرة بعد ان درس لمدة 20 سنة في النجف خرج بعدها لينسف أهم ركائز الفكر السياسي الشيعي في مجموعة كتب تثير جدلاً كبيراً في الاوساط الشيعية العربية والايرانية.

صدام ورفعت

ولتوسيع حلقة المعادين لغريمه الأسد مد صدام يده لأخيه الغاضب رفعت.

كان رفعت الأسد بموقعه داخل السلطة السورية المنافسة ولشراسته ضد المعارضات الوطنية السورية وخاصة البعثيين العراقيين السوريين، محط كره واستهجان من قبل القيادات العراقية وبصورة خاصة صدام حسين الذي كان نائباً للرئيس.

لكن بعد ان خرج رفعت من سوريا اثر محاولته الانقلابية ضد أخيه المريض عام 1983 من سوريا والسلطة في وقت شكلت فيه داخل العراق الجبهة الوطنية لتحرير سوريا، فبدأت صلات عراقية مع رفعت قادها مسؤولون أمنيون منهم

فاروق حجازي ونوري الويس الذي عمل كسفير للعراق في فرنسا، ولكنها لم تسفر عن نتائج إيجابية لأن الجبهة التي شكلت في بغداد لمقارعة النظام السوري، والمكونة من البعث العراقي في سوريا، وشخصيات مستقلة، والاخوان المسلمين أبرزهم بقيادة عدنان سعدالدين.. رفضت أن تمد يدها لرفعت لأنه كان الأكثر دموية في مواجهة معارضي النظام بعثيين عراقيين واخوان مسلمين.

جعل التحالف السوري – الإيراني، المعركة بين العراق وسوريا، أكثر ضراوة وأشد عنفاً. فتحت أبواب النار واعتلت البغضاء صهوة العلاقات وغابت اعتبارات ذوي القربى وأهملت اعتبارات قرابة الدم. استنفر التاريخ وطغت على سطحه كل رواسب الماضي الأليم. وأخذت إيران على عاتقها أمر الساحة العراقية، ترويعاً وتقتيلاً (محاولة اغتيال طارق عزيز) وتكفلت سوريا من خلال وجود جيشها في لبنان، بساحة هذا البلد الضعيف المهتز التوازن.

ولم يقصر العراق بالمقابل فروّع دمشق والمدن السورية الأخرى بالقنابل والعبوات الناسفة وبالرغم من محدودية النظام في سوريا في نشاطه، داخل العراق نظراً لفعالية، رجال الأمن والاستخبارات العراقيين. غير انه دفع الثمن غالياً في لبنان البلد المكشوف أمنياً واستطاع تعاون الاجهزة السورية – الإيرانية أن يغتال عدداً كبيراً من بعث العراق والمتحالفين معه وأصدقائه لتعويض عجز استخبارات الأسد عن النجاح في داخل العراق فتساقطت رموز البعث وأصدقائه في لبنان ومنهم الشاعر موسى شعيب، الدكتور عدنان سنو، المحامي تحسين الاطرش، د. كامل فقيه قتل بين ولديه اللذين كان ينقلهما بسيارته إلى المدرسة، طلال العتري الذي اغتيل بكل برودة أعصاب، بواسطة كمين محكم استدرج إليه في وضح النهار..

ونال السياسيون ورجال الاعلام الوطنيون المقربون من العراق نصيبهم من الاغتيال. فسقط نقيب الصحافة اللبنانية رياض طه والنائب ناظم القادري كما نسفت مكاتب السفارة العراقية، بالقرب من الجناح واستشهد كثيرون، منهم السفير والسيدة بلقيس العزاوي، عقيلة الشاعر الكبير المرحوم نزار قباني.

أدخلت عداوة النظامين البعثيين اللدودين، ابتكار أساليب لم تكن موجودة سابقاً وغريبة عن علاقات الانظمة في السابق.

تحالف العراق، إمعاناً في عدائه لسوريا مع "الكتائب اللبنانية" من خلال دعم الرئيس الجميل الذي زار بغداد، سراً اثناء ولايته.

أمين الجميل في العراق

جاءت زيارة الرئيس أمين الجميل إلى العراق نتيجة تحالف الرئيس اللبناني مع القيادة العراقية ضد النظام في سوريا، ولم يكن أمين الجميل وحده من الذين نسجوا هذه العلاقة بل شملت أيضاً "القوات اللبنانية" (وميشال عون فيما بعد).

رتبت الاستخبارات العراقية في المنطقة الشرقية في بيروت (أبو عمر) وكذلك مندوبوها وقياديوها الذين كانوا يزورون بيروت بين الوقت والآخر زيارة الرئيس أمين الجميل إلى بغداد حيث التقى صدام حسين والقيادة العراقية وكانت أهدافها التنسيق في العمل ضد النفوذ السوري في لبنان.

ونتج عنها تعاون في مجالات الصمود ضد سيطرة النظام السوري ولم ينتج عنها نتائج عملية أولاً لشمول الهيمنة السورية على لبنان وثانياً لأن أمين الجميل لم يكن قادراً على تنفيذ ما اتفق عليه أولاً لعجزه الموضوعي وثانياً لأنه لم يكن يريد الوصول إلى نقطة اللارجوع في علاقته مع سوريا فقلبه كان في العراق لكن عينه كانت على سوريا.

طلب صدام صراحة التنسيق بين الاجهزة العراقية في لبنان وكل القوى المسيحية اللبنانية للعمل على تفشيل المخططات السورية في لبنان قبل تسلم الرئيس أمين الجميل السلطة في لبنان في 1982/9/23 اثر اغتيال شقيقه قائد "القوات اللبنانية" بشير الجميل الذي ترشح للرئاسة وانتخب بعد اجتياح إسرائيل للبنان صيف ذلك العام، ووقف الجميل مع قواته مع هذا الاجتياح، أقام العراق علاقة استراتيجية مع القوى المسيحية المشتبكة مع القوات السورية (والفلسطينية) ودعمها بالمال والسلاح والسياسة والاعلام وحتى بعد سقوط بشير في 1982/9/14، استمر العراق بدعمه لكل قوة مسيحية واجهت الجيش السوري ومن ضمنهم ميشال عون.

لم يؤيد العراق اتفاق 17 أيار في لبنان ولكنه نزولاً عند رغبة الرئيس أمين الجميل ودعماً له في محاربة سوريا، آنذاك لم يصوت ضده بل اكتفى بالطلب إلى

النائب البعثي عبد المجيد الرافعي التحفظ. هذا الموقف أحرج الكثير من البعثيين الذين عارضوه لكن الرافعي اتخذ هذه الخطوة مسايرة للرئيس صدام حسين الذي كان قد وعد الرئيس الجميل بمساعدته..

وينسحب الموقف نفسه الداعم لأعداء سوريا في لبنان، على ميشال عون الذي أعطاه العراق الكثير من المال والعتاد والسلاح الذي استخدمه في قصف المنطقة الغربية من بيروت، التي هي معقل القومية العربية والحزام الجماهيري الذي استند إليه، البعث في لبنان في حركته فضلاً عن انها المطارح التي تحمل كل ذكريات البعثيين في مغامراتهم ونشاطهم في كسب المؤيدين والانصار والاعضاء.

وقف معظم البعثيين والعروبيين والوطنيين، مذهولين أمام هذا الواقع المؤلم الذين فشلوا في التصدي له، لأن حمّى الصراع بين النظامين البعثيين واستعمال كل الاسلحة ضد بعضهما البعض، لم تكن تسمح إلا باعتماد الغرائز والقفز فوق العقل والمبادىء.

جرت محاولات عديدة من الزعماء العرب ولا سيما الملك الحسين بن طلال الذي جهد في محاولاته لرأب الصدع بين القطرين الشقيقين والجارين ولكن باءت كلها بالفشل.

الملك حسين يجمع الرأسين

جمع العاهل الأردني صدام والأسد على الحدود المشتركة بين الاردن وسوريا والعراق لكنهما فشلا في التوصل إلى أي اتفاق بينهما فقد كان لكل منهما طموح للسيطرة على البعث وكان غياب الكيمياء بين الحاكمين هو أساس الصراع بينهما إلى الأبد.

ثم ان أميركا لم تجد مصلحة في توافق الاثنين لأنهما سيشكلان خطراً حقيقياً على إسرائيل وعلى النظام الأردني نفسه كما نقلت واشنطن همساً إلى الملك حسين.

في اللقاء قال صدام لحافظ: أنا رجل عربي أقاتل دفاعاً عن شرف القبيلة، عندما تتعرض للضيم (القهر) فأجابه حافظ وأنا فلاح أعد خطواتي ولا أخرج من بيتي للفلاحة إلا عندما أستقرىء الطقس.

استمرا على هذا المنوال، أثناء الحرب مع إيران وبعدها وحتى عندما أدمى الحصار الجائر قلوب وعقول العرب، فيما بعد فلم يحرك الجانبان ساكناً وظلا متخاصمين، لتنشط أحياناً المتفجرات المتبادلة بين القطرين.

لبنان دائماً

نشط العراق بين عامي 1987 و1988 من خلال استخباراته وأصدقائه وحلفائه في لبنان، لمنع انتخاب رئيس جمهورية جديد، خلفاً للرئيس الجميل. ومنع بالتالي وصول النائب مخايل الضاهر رئيساً للجمهورية اللبنانية.. وقيل يومها ان المال العراقي ونشاط الاستخبارات العراقية، إضافة إلى بعض السياسيين اللبنانيين من أصدقاء العراق قد ساهموا بفعالية في عدم حصول الانتخابات لرئاسة الجمهورية. أبرزهم المحامي والصحافي والسياسي الراحل الياس الفرزلي المقرب من ميشيل عفلق وصديق القيادة العراقية وبالأخص الرئيس صدام ونائب رئيس الوزراء طارق عزيز.

كانت خطة العراق في لبنان، بغض النظر عن أية اعتبارات قومية ان تعرقل وتفشل خطط النظام السوري ومن أجل هذا الغرض لم تكن تتوانى عن اتخاذ أي خطوة من أجل إزاحة النظام السوري.

ولما كان النظام السوري يسعى إلى ملء الفراغ الذي خلفه انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل بأي ثمن. فإن بغداد جهدت لمنع انتخاب مخايل الضاهر نائب منطقة عكار مهما كلف ذلك من مواقف أو ثمن.

فشكلت آنذاك خلية قوامها الياس الفرزلي ومسؤول دائرة لبنان في الاستخبارات العراقية للتنسيق وتنفيذ هذه الخطة وبالفعل نجح العراق في ذلك ولم تنجح عملية انتخاب مخايل الضاهر. ومن أجل تحقيق هذه الغاية تم التأثير على عدد من النواب الذين تعاونوا سراً مع العراق فكان الاتصال يتم بهم إما بالذهاب إلى بغداد سراً أو للقاء في قبرص أو باريس ومن هؤلاء النواب: ناظم القادري، فيصل الداوود، بطرس حرب، ادمون رزق، أمين الحافظ وآخرين.

لم يتعب النظام في العراق، رغم الحصار الشديد على شعبه، من ملاحقة المعارضين له من العراقيين والعرب الذين نسقوا مع الاستخبارات السورية والايرانية.

ومن بين هؤلاء السياسي العراقي طالب السهيل الذي قتلته الاستخبارات العراقية في بيروت، حيث اعتقل الدبلوماسيون العراقيون المنفذون في لبنان واعترفوا بما فعلوا..

اختيار عفلق دين الاكثرية
يستفز علوية الأسد

ربما أطلنا الكتابة عن عفلق وإسلامه وعن علاقاته مع قيادات البعث، لكن موقفه المبدئي من الاسلام كحضارة وثقافة، يلتقي مع سياسته العملية في التعامل بين جناحي البعث الذي أنشأه في سوريا وصار له في العراق إحدى أقوى الدول لسنوات قبل أن يرتكب رئيسه صدام حسين خطيئة غزو الكويت في 1990/8/2.

اختار عفلق الوقوف مع الاكثرية، فهو كان يرى ان البعث هو حزب الاكثرية الاسلامية، رغم أنه مسيحي الأصل والنشأة ولم يكن ليرتضي تحت أي ظرف ان يكون حزب الاقلية أو الاقليات.

قد لا تكون المواجهة من جهته مع البعث السوري بعد سيطرة اللجنة العسكرية على مقاليد الأمور فيها، قبل أن ينفرد حافظ الأسد بالسلطة ثم يورثها لابنه ليحولها ملكاً عضوضاً، منطلقة من موقف أو موقع مذهبي، لكن عفلق قرأ مسار البعث بعد تفرد الاسد بسلطته من هذه الحالة الكارثية التي عكست نفسها على سوريا والمنطقة (تحديداً لبنان والعراق بعد سقوط صدام) بعد ان استحضر الأسد أباً وابناً ونظاماً وثقافة وعلاقات وممارسات وسلوكيات.. ما تردده كتب التراث التي سعت لتأريخ المواجهات والصراعات على السلطة منذ صراع علي ومعاوية، إلى معركة كربلاء وصراع ولدي الامام والداهية (الحسين ويزيد)، من زاوية ظلم أهل البيت (المحصورة في التسمية الفقهية الشيعية بذرية الإمام علي من زوجه فاطمة ابنة الرسول العربي.. دون كل المولودين من صلب أبي الانبياء ابراهيم الذي نزلت آيات أهل البيت لأجلهم) وهذا ما سمح لحكام طهران بعد استلامهم السلطة عام 1979 ان يعيدوا كتابة التاريخ الاسلامي وفق رؤيتهم التي تعزز إرثها بذرية علي بن الحسين (زين العابدين) ابن السيدة الفارسية ابنة كسرى يزدجرد الأسير في معركة القادسية.. فإذا بالكتابة الفارسية ثأراً كاملاً من العرب ما زال مستمراً حتى اليوم.. ولم يعد نظام الأسد الأب والابن والثقافة إلا ابناً غير

شرعي لهذه الكتابة وقد ترجم رفعت الأسد هذه النظرية التاريخية بمقولة عملية عندما قال لأحد أصدقائه من المسؤولين العرب مرة لقد ركبنا أهل المدن لعقود.. ولن يجري شيء إذا ركبناهم لعدة سنوات.

لم يكن لمفكر أو سياسي كميشال عفلق وهو يؤمن بالإسلام ثقافة وحضارة وروحاً للعروبة، ان ينزلق للرؤية الفارسية التي وجدت ترجمتها الأولى في سيطرة حافظ الأسد على مقاليد الأمور في سوريا منذ العام 1970، قبل أن يقيم الخميني جمهوريته الشيعية في إيران.

و لم يكن لرجل مثل حافظ الأسد أن يغفر لهذا المسيحي أن ينحاز إلى غريمه صدام حسين (العروبي السني في العراق) من المنطلق النظري الذي آمن به واعتمده.. وقد انسجم حافظ مع الخميني في حملة التحريض الشيعي بإسم الاسلام ضد العراق العروبي بسبب وجود النصراني ميشال عفلق في بغداد.

ويخطىء من يظن ان حافظ الأسد كان يود أن يشهر ميشال عفلق إسلامه، فإسلام عفلق يؤكد رؤيته الحضارية للإسلام، ويعزز الموقع السني في إسلامه ويفضح تعصب حافظ الأسد العلوي ويزيد من عزلته.

عفلق يقارن بين البكر وصدام

يطلق البعثيون في العراق على الرئيس أحمد حسن البكر صفة "الأب الجيد" بمعنى انه كان يعامل كل البعثيين بمحبة وأبوة مثل الاب الحنون، وأحبه ميشال عفلق ولكنه كان يراه طائفياً ليس عن خبث ولكن عن طبيعة وفطرة، لأنه لم يكن يملك القدرات العقلية التي تؤهله ان يفهم أبعاد فكر البعث. فالبعث كان بالنسبة للبكر، عشيرة أخرى يدافع عنها ويفخر بانتمائه إليها.

أما صدام فكان الأمل والشباب والفتوة والتعلق البعثي، من هنا كانت نظرة ميشال لصدام نظرة مميزة، معتبراً ان بإمكانه أن يقود تجربة العراق وان يحقق ويفعّل بها مبادىء الحزب.

لا يحتاج المرء من زوار عفلق أن يرى وجهه عندما كان يتكلم عن صدام حيث كان يتحدث عنه كأنه يتحدث عن ابن له، في حين ان صورة البكر لديه كانت دائماً مقرونة بالاحترام.

كان ميشال عفلق يتحين الفرص دائماً ولا سيما في اللحظات التي يكون فيها صدام مرتاحاً ومطمئناً ليعدد فضائل القياديين والمسؤولين ممن يكون الاستاذ قد سمع عن شك صدام بهم، أو انه بصدد سحب ثقته منهم. وكان يتوقف على مزاج صدام ان يقبل بوساطة عفلق لهؤلاء وهو يسترسل بإظهار إيجابياتهم ومع هذا فإن صدام لم يكن ينفذ إلا ما يراه مناسباً.

أما مع حافظ الأسد

فإن كلمة ميشال عفلق الشهيرة "لا هذا الحزب حزبي ولا هذا البعث بعثي" أطلقت في إحدى جلسات المؤتمر القومي الثالث الذي جرى في سوريا حين كانت اللجنة العسكرية الحاكمة التي كان حافظ الأسد أبرز قياداتها مع صلاح جديد ومحمد عمران.. متواطئة مع علي السعدي لإقحام المنطلقات النظرية اليسارية على أفكار الحزب وعفلق لم يكن يرى أي تماثل بين مبادىء البعث والماركسية إلا من خلال اعتبار الماركسية أداة تحليل.

و لم يتراجع أبداً عن قوله هذا. كانت علاقة عفلق مع البعثيين في العراق طبيعية أكثر من علاقته ببعثيي سوريا، بالرغم من انه سوري فالبعث في العراق هو حزب السنّة أي الاكثرية العربية بينما في سوريا هو يمثل الاقلية وحيث ان ميشال عفلق من الاقلية (المسيحية) فإنه كان يشعر تجاه ذلك بحرج وحساسية نفسية وكان يردد انه لا يمكن أن تلتقي أقلية مع أقلية.

لم يحصل لقاء مباشر بين عفلق والأسد وان كانت جرت وساطة بين الاثنين بعد الحركة "التصحيحية" التي قادها حافظ الاسد في 1970/11/16 ضد رفيقه صلاح جديد من خلال "كمال ناصر" الذي قتلته إسرائيل في 1973/4/10 في عدوان قاد إحدى مجموعاته يهود باراك (رئيس وزراء ووزير دفاع ورئيس حزب العمل) لكن وساطة ناصر لم تنجح فالأسد الذي كان وعد باستقبال القائد المؤسس للبعث تراجع بعد استقبال الشمال السوري له بحماسة منقطعة النظير عقب الحركة التصحيحية إياها عام 1970. وهذا الفتور الذي سبق قرار الأسد إعدام عفلق بسبب ما زعمه اتهاماً للاستاذ بأنه يتآمر عليه، منع عفلق من أي محاولة للتوفيق بين صدام والأسد وان كان يتمنى أن يحصل ذلك.

ويمنن حافظ الأسد ميشال عفلق بأنه قد تغاضى عن مكان إقامته السرية بعد التخلص من القيادة القومية في سوريا يوم 23 شباط/فبراير 1966 التي كانت تقف بقوة مع الرئيس السابق أمين الحافظ وصرف النظر عن اعتقاله، وسهل بطريقة غير مباشرة أمر هروبه عبر طرطوس إلى لبنان.. بعد نجاح الانقلاب الذي قاده اللدودان حافظ الأسد وصلاح جديد ضد حكم البعث الأول بقيادة أمين الحافظ، لكن مؤيدي عفلق ينفون ذلك مؤكدين ان الذي ساعد ميشال هو الحظ ولا شيء آخر.

وأمر آخر جعل العلاقة فاترة ثم عدائية بين الأسد وعفلق، وهو ان الاستاذ كان يخشى العسكريين ويرفض الانقلابات العسكرية والبعث العربي الذي تأسس عام 1947 قبل أن يندمج مع العربي الاشتراكي ليصبح حزب البعث العربي الاشتراكي لم يكن يقيم وزناً كبيراً للعمل بين العسكريين. والمفارقة ان الذي فتح أبواب البعث للعسكريين هو أكرم الحوراني بعد اندماج الحزبين خصوصاً عندما ساعد البعثيين ولا سيما من كان منهم من الطبقات الفقيرة على دخول الكلية الحربية في حمص عندما كان وزيراً للدفاع. ومنهم حافظ الأسد نفسه ولكن انقلاب 8 آذار 1963 ومعرفته شخصياً بأعضاء اللجنة العسكرية جعل عفلق يعتبر ان حافظ الأسد هو رجل حكيم، متوازن وهو أقل العسكريين سلبية تجاه العمل المدني لذا كان عفلق يكن احتراماً واضحاً لحافظ الأسد لأنه وجد فيه دماثة وتفهماً ولياقة واحتراماً، وكان قلما يرفع صوته أمام الاستاذ أو ان يتمادى في انتقاداته شأنه شأن الضباط الآخرين، وعندما حصل انقلاب 23 شباط/فبراير 1966 وتم اعتقال قادة الدولة السورية ومؤيدي القيادة القومية للحزب في سوريا لم يقترب أحد من أمين هذه القيادة الأول ميشال عفلق بل جرى تسهيل تهريبه إلى لبنان وقد قيل في هذا الموقف رأيان.

الأول يقول انه لولا الرئيس حافظ الأسد لكان عفلق وضع في السجن فصبيحة الانقلاب 23 شباط/فبراير كان ميشال متواجداً في بيته ومر عليه بعض الحزبيين وشاهدوه كما مر عليه حزبيون آخرون من جماعة الانقلابيين أيضاً.

ومعنى زيارة هؤلاء كما قيل انهم جاؤوا لتشجيعه على الهروب ضمن خطة وضعها حافظ الأسد لقناعة منه بأن جماعة صلاح جديد يريدون سجن الاستاذ.

أما جماعة القيادة القومية المناوئة فتقول ان حافظ الأسد لم يكن يريد أن يعتقل ميشال ولكن لا علاقة له البتة بتهريبه. وأيضاً حتى موضوع موافقة حافظ الأسد على هروب الاستاذ أيضاً لم تكن مثبتة وان الاستاذ قد ساعده الحظ إلى الهروب فعندما وصل إلى طرطوس مقر إقامة أهل زوجه، سهل عليه أن يهرب بالتنسيق مع مجموعة من الحزب في طرابلس حيث جاء إلى منزل أمين سر فرع حزب البعث في لبنان الدكتور عبد المجيد الرافعي وتولت مجموعة تدبير أمر انتقاله من مكان لآخر داخل لبنان إلى ان تدخل رئيس الجمهورية اللبنانية يومها شارل حلو وكلف مدير الأمن العام جوزيف سلامة بتأمين حياته وتسفيره بأسرع وقت ممكن إلى البرازيل.. وهكذا كان.

عفلق أحب أمين الحافظ

أحب عفلق الاستاذ أمين الحافظ لإيمانه القومي العربي أولاً ولشجاعته ورجولته وطيبته واستمر يحمل له الحب والاحترام ولكنه لم يكن يوافقه في طرح بعض سياساته وأفكاره التي كانت استفزازية، ولم يكن عادلاً في أحكامه ضد خصومه من البعثيين، بل تحولت المواجهة بينه وبينهم إلى انتقام مذهبي من كل العلويين لذا لم يكن عفلق يلتقي أبداً مع طرح أمين الحافظ حيال هذا الأمر بل كان يعتبره أحد المسؤولين عن اندفاع العسكريين للقيام بحركة 23 شباط/فبراير 1966 التي أطاحت حكم القيادة القومية في سوريا لمصلحة اللجنة العسكرية اي حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمد عمران بسبب استفزازاته ضدهم.

رغم خصومة عفلق للأسد فإنه كان يراه بعثياً أما تقييمه لصلاح جديد الذي وصفه بأنه حاد الذكاء دقيق التنظيم قادر على استيعاب الناس، شجاع فإنه تخوف من جنوحه نحو الماركسية مبتعداً عن أفكار البعث حتى انه قال أمام أحد الرفاق المقربين: "ان خلافنا مع حافظ الأسد انه بعثي تمادى في الخطأ ولكنه ظل بعثياً أما صلاح جديد فقد اصبح ماركسياً مئة بالمئة".

منذ البداية كان عفلق متوجساً من العسكريين وكان يفضل لو ان الحزب لم يعتمد الانقلابات العسكرية ودفع الحزب في المؤتمر التاسع لرفض الانقلابات العسكرية منطلقاً من إيمانه بأن العمل الشعبي هو البداية والنهاية، ولكنه كان

يضعف أمام البعثيين العسكريين لأنه اعتبر انهم مخلصون وتواقون لتنفيذ مبادئهم ولو بتهور وعدم انضباط أحياناً.

عندما كان ضباط البعث يضعون ساعة الصفر لانقلاب 8 آذار/مارس 1963 (بالمشاركة مع الناصريين والضباط المستقلين) كان ميشال عفلق في المغرب، وجاءه بعض الضباط ليستعجل عودته إلى لبنان لبحث الأمر معه فأظهر تحفظاً على التغيير بالانقلاب العسكري.

لكنهم نفذوا انقلاب 8 آذار، ثم جاء من يصطحب عفلق من بيروت إلى دمشق براً ليفتحوا له الطريق دون أي اعتراض من جهاز الأمن العام اللبناني على الحدود وتوجه فوراً إلى وزارة الدفاع. كان الانقسام حاصلاً بين الضباط البعثيين، خاصة حول طريقة التعامل مع الضباط الناصريين شركاء الانقلاب على الانفصال.

صرخوا جميعاً: استاذ قل لنا ما يجب عمله ونحن ننفذ فوراً..

دعاهم عفلق إلى التعاون معهم.. لكنه لم يدر بخلده انهم يدبرون أمراً بليل ذلك انه ومنذ فشل المباحثات الثلاثية في القاهرة بين وفدي البعث السوري والعراقي مع جمال عبد الناصر.. وقيل انها فشلت لأن القاهرة تبلغت من الناصريين السوريين ان البعث وأجهزته الأمنية تفتك بهم، وتعتقل المئات منهم مما دفع الجماهير السورية للنزول إلى الشوارع تهتف "لا دراسة ولا تدريس إلا بعودة الرئيس (جمال)" دبر البعثيون خطة لاستدراج الضباط السذج من الناصريين بقيادة جاسم علوان العقيد للقيام بإنقلاب عسكري كان موعده يوم 1963/7/18، وكان البعثيون يهيئون العدة للانقضاض عليه وهم يعلمون كل شي عن الخطة المكشوفة.

تدخل عفلق الذي لم يكن يدري ان حزبه استدرج الناصريين إلى مذبحة وحاول انقاذ ما يمكن انقاذه من الضباط واستطاع تخليص 4 منهم أحدهم ضابط فلسطيني ناصري من الاعدام وذهب عفلق إلى أمين الحافظ لتخفيف الحكم عنهم إلى السجن.

قال عفلق لضباطه في اجتماع عقد في وزارة الدفاع: كنتم تشكون من سلوك بعض أجهزة عبد الناصر زمن الوحدة.. وها أنتم تكررون السلوك نفسه مع اخوان لكم في الجيش.

لم يصدق عفلق يوماً مقولة ونداء الضباط حوله "استاذ، انت القائد ونحن نمتثل لأوامرك وجهنا"، ضعف عفلق أمام هذا الالتفاف والنداءات التي طارت كالدخان وكان هناك من ينبهه إلى ان الضباط يملكون مقاليد السلطة ولن ينفذ أحد منهم أوامر أي مدني حتى لو كان الاستاذ نفسه لأنهم متفقون فيما بينهم منذ البداية لذا حمّل كثيرون عفلق مسؤولية إفلات الحزب من يده بسبب التردد والميوعة، مما جعل الأمر في النهاية يفلت من يد المدنيين ليخضع لإرادة العسكر.

بعثيون كثر يرون انه من الصعب جداً أن يحكم الانسان على هذه اللحظات ولعل التاريخ هو الذي يوضح الصورة مستقبلاً وإذا كان الصحيح ان عفلق كان متردداً فإن الأصح ان الجيش ما كان ليتنازل خصوصاً وان الحزب المدني الذي أعادت تشكيله اللجنة المنبثقة عن المؤتمر الخامس للحزب الذي انعقد في حمص كان قليل العدد جداً ولم يشهد الحزب تدفقاً في شرايينه إلا بعد ان تسلم الحزب في العراق التابع للقيادة القومية مقاليد السلطة بواسطة انقلاب 8 شباط/فبراير عام 63 أي قبل شهر واحد من انقلاب 8 آذار/مارس 1963.

يروي العقيد المتقاعد مجاهد السمعان: ان حزب البعث في العراق طلب مساعدة عسكرية من حزب البعث في سوريا بعد نجاح انقلاب 8 آذار/مارس 1963 في دمشق، اثر شهر واحد من نجاح انقلاب 8 شباط/فبراير من العام نفسه في بغداد، وان البعث السوري شكل فرقة عسكرية مدرعة مشاة ميكانيكية معززة بقيادة العقيد فهد الشاعر، وتوجهت إلى العراق لتحمي النظام البعثي الجديد في بغداد، ليتفرغ لمواجهة الاكراد في شمالي العراق.

وان هذه الفرقة سرعان ما عادت إلى سوريا بعد المحاولة الفاشلة التي قادها العقيد الناصري جاسم علوان في 1963/7/18 لتصحيح مسار 8 آذار/مارس وإعادتها إلى القوى الناصرية التي فجرتها.

ويروي السمعان ان بعث سوريا طلب مساعدة مالية عاجلة قبل مشاركته في حركة 8 آذار/مارس، ليتمكن من رشوة قائد اللواء السبعين الذي يحمي العاصمة السورية العقيد خليفة المحسوب على الانفصاليين ليسمح لهم بالمرور إلى دمشق، وان بغداد سلمت هذا المبلغ لميشال عفلق وهو لم يزد عن 150 ألف ليرة لبنانية.

عفلق يقدر صدام

في بداية الثورة قبل أن يذهب ميشال عفلق إلى بغداد ويستقر فيها نهائياً كانت العلاقة مع صدام فاترة، ولكن الاستاذ كمسؤول عن ماضي وحاضر الحزب أدرك منذ المؤتمر السادس في دمشق "ان صدام قوي وشجاع ومخلص ويحمل مشروعاً وطنياً من خلال الحزب وهو من أكثر البعثيين إدراكاً لمبادىء الحزب وان كان أسلوبه غير مستساغ في بلاد الشام ومرت العلاقة بين الرجلين بأزمات خصوصاً عام 1979 حين تحدث صدام عن مؤامرة أعدها عدد من رفاقه في قيادة الحزب اثر توقيع الميثاق القومي بين سوريا والعراق عام 1978، متهماً حافظ الأسد بأنه موّل هذه المؤامرة للتخلص منه، فأعدم عدداً من أبرز قيادات البعث في العراق.

كان قائد الحزب ومؤسسه ميشال عفلق يومها في باريس، وهاله إعدام البعثيين ورفض أن يعود إلى بغداد بادىء الأمر، فغضب منه صدام ولكنه ظل يحترمه وفي السنوات الأخيرة وبصورة خاصة بعد الحرب العراقية الإيرانية أصبحت العلاقة متينة لأن الايرانيين تمادوا في اتهام صدام بالكفر لأنه يؤوي المسيحي ميشال عفلق.

فرد عليهم عفلق آنذاك بمقولته الشهيرة في أحد خطاباته بذكرى تأسيس الحزب (7 نيسان 1947) "ان صدام هو هدية الحزب إلى العراقيين وهدية العراقيين إلى الأمة العربية".

ومع هذا عندما كان بعثيون كثر يجيئون إلى عفلق طالبين منه التوسط لدى صدام في أمور مختلفة، ويلتقي الرئيس ليقترح عليه التعامل بإيجابية مع مطالب الرفاق، فإن صدام كان يوحي انه سينفذ هذه المطالب ويتعامل باحترام وتقدير شديدين لعفلق ولكن صدام عندما كان يريد أن ينفذ أمراً فإنه لم يكن يتهيب إطلاقاً من أي عائق و لم يكن يساير ولا يستمع لأحد. وكان من الذكاء بحيث كان يفعل ما يريد ثم يبعث بأشخاص موثوقين لإبلاغ عفلق بما جرى، وكان عفلق وحفاظاً على الحزب بعد ان خسر كل شيء في سوريا يضطر للقبول مذعناً بأمور لا يقتنع بها.

عفلق بين حافظ وصدام

لا يمكن الحكم موضوعياً على العلاقة بين القائد المؤسس والرئيس المناضل دون المرور على نشأة سلوك كل منهما فالأول ابن بيئة معروفة ميسورة والده تاجر حبوب في حي الميدان في دمشق، مثقف منذ صغره والأول في صفه، درس البكالوريا ونالها بتفوق عاش في باريس وحصل على أعلى الشهادات من السوربون، وعاد قبل ان يؤسس حزبه وكان له اهتمامات أدبية حيث كتب القصة العاطفية والرواية.

أما صدام فكان ابن البؤس والبيئة القاسية، وهو اليتيم الذي فقد والده وهو في بطن امه، وتربى في البداية في كنف عم له كان أقسى من والده وبلا رحمة يدعى ابراهيم الحسن الذي عذبه كثيراً وكان يطلب منه وهو ابن 7 سنوات أن يوصل الحنطة إلى قرية مجاورة على ظهر البغل ليس بين يده سوى العصا وهي حاجة التعبير عن القوة في البيئة الريفية العراقية.

في بداية التغيير اصطدم عفلق مع صدام بشكل غير مباشر في رسائل عبر الآخرين.

عندما حصل التغيير في العراق 17 تموز/يوليو 1968 كان ميشال عفلق في البرازيل فأرسلت إليه قيادة العراق عبر القيادة القومية موفداً عراقياً عضو مجلس قيادة الثورة آنذاك "صلاح عمر العلي" مصطحباً معه عضو قيادة قطر لبنان نعيم فهمي طالبين إليه العودة. سعى صلاح لإقناع ميشال عفلق قائلاً له: "استاذ حزبك هو مفجر الثورة والمسؤولون هناك هم أولادك". فلم يأبه الاستاذ قائلاً: "اتركوني فأنا قلت لكم انني لن أؤيد أي انقلاب عسكري حتى لو كان بعثياً وقلت لكم اننا يجب ألا ننفرد بالسلطة ويجب إقامة جبهة وطنية لتحكم في العراق".

كان كلام الاستاذ حاسماً.. لن أعود إلى العراق وهذا ما جعل صدام يشمئز من عناد عفلق فيقول لأحد الرفاق "ترى بلّغ الاستاذ (عفلق) اننا نحترمه ونجلّه، ولكننا بتنا مشمئزين جداً من تردده في المجيء لأن عدم اعترافه بنا مضعف للثورة ولهيبة الحكم".

وتابع صدام: "ترى أنا لا أحب الدم، لكننا قتلنا حتى الآن لمصلحة الثورة 5000 إنسان!! وأنا لم أقتل هؤلاء ثأراً شخصياً لي ولكن خدمة للثورة وتحقيق مبادىء الحزب!".

شخصية ميشال عفلق

ينطلق مؤسس حزب البعث العربي ميشال عفلق دائماً في تصرفاته مع رفاقه وتلامذته من حالة لا يفصل فيها بين ذاته وبين الحزب فإذا ما اعترض أحدهم على موقف منه فإنه كان يعتبر ان هذا الاعتراض قد يتوسع ليصيب الحزب من هنا نشأت حساسيته المفرطة في معاملة الذين يوجهون إليه الانتقادات، ومع الأسف نظراً لكونه المؤسس والمفكر والفيلسوف كان يعامل الذين يعارضونه بطريقة فجة ومن جهة أخرى فإن المرء يستطيع أن يأخذ من عفلق أموراً وتنازلات عديدة حتى باعتراف منه بالتقصير فيما لو أحسن طريقة معاملته.

في المؤتمر السادس للحزب ظهرت لدى بعض أعضاء المؤتمر رغبة بتوجيه أفكار الحزب نحو الماركسية، حتى لو أدى ذلك إلى إلغاء الحزب.

كان أحمد أبو صالح ينتمي إلى جماعة القيادة القطرية المدعومة من اللجنة العسكرية وأثناء المؤتمر تبرع ابو صالح للدفاع عن اللجنة، ونفي كل ما تفعله حيال تقوية نزعة التكتل داخل الحزب، ومن أبرز المآخذ التي كان يرددها البعثيون داخل المؤتمر المناؤون للجنة العسكرية واستطراداً للقيادة القطرية التدخل في الانتخابات التي سبقت انعقاد المؤتمر ولما رأى عفلق ان أحمد تمادى في دفاعه عن عدم وجود أي شكل من أشكال التكتل سأله "بشرفك الحزبي يا رفيق أحمد هل انت دقيق فيما تذهب إليه". فرد أحمد: "نعم استاذ" عندها استفظع عفلق جسارة أحمد ابو صالح كي لا نقول وقاحته ورتب أوراقه وغادر المكان.

وكان السفر هو طريق الاستاذ عند كل أزمة تواجهه.

فقد اعتقل حسني الزعيم إثر انقلابه عام 1949 الشريكان ميشال عفلق وصلاح البيطار ضمن حملة اعتقالات شملت قيادات البلاد وسياسييها مثل شكري القوتلي، خالد العظم وجميل مردم بك وآخرين..

لم يستطع عفلق تحمل السجن، وتقييد الحرية، والطعام الرديء، وعدم الاستحمام، فكتب رسالة إلى الزعيم يعتذر فيها عن كل نشاط سياسي وحزبي له، متعهداً بأنه سيتخلى عن حزب البعث إذا أطلق سراحه. وبالفعل خرج عفلق والبيطار وتوجها إلى لبنان حيث أمضيا فترة ثم سافرا إلى إيطاليا لعدة سنوات إلى

ان عادا في عهد أديب الشيشكلي (1951 – 1954) في تلك الفترة اختلفا مع أكرم الحوراني، الذي كان دمج حزبه الاشتراكي العربي مع حزب البعث الذي أسسه عفلق والبيطار وحمل اسم حزب البعث العربي الاشتراكي، وخرج الحوراني مؤسساً حزب الاشتراكيين العرب.

وفي أزمة أخرى سافر إلى شقيقه في ألمانيا وبالرغم من كل ذلك فإن عفلق كان شجاعاً بالرغم من هزالة جسمه وبطء مشيته وتمضيته وقتاً طويلاً (بالحمام) ففي أحد المؤتمرات الحزبية التي جرت في بغداد عام 1963 اصطدم الاستاذ ميشال بعلي صالح السعدي قائد الحزب في العراق يومها وحاول علي، الشرس زرب اللسان ان يخلق للاستاذ جواً من الرهبة بغية إخافته ففاجأه الاستاذ بالتصدي له بعنف أكبر، وعندما عاد إلى لبنان وروى لأصدقاء رفاق القصة قيل له بسخرية "يا استاذ كيف كنت ستتصرف أمام هذا الوحش" فأجاب: "شعرت ان بإمكاني أن آكله بأسناني".

كان عفلق ذا حساسية مفرطة مع منتقديه فهو لا يحتمل النقد كان يزعل كثيراً ويستمر ذلك طويلاً ولكنه كان طيب القلب ويسامح ويغفر.

إسلام ميشال عفلق

بالرغم من ان ميشال عفلق ولد من عائلة ارثوذكسية فإنه لم يكن يعتبر نفسه مسيحياً منذ ان كان يافعاً عاشر في حي الميدان الدمشقي الذي تفوح من أجوائه رائحة العروبة وسط أقرانه المسلمين والعروبيين من كل الطوائف والمذاهب، عندما كان في فرنسا طالباً جامعياً مع زميله صلاح البيطار، اطلع على الفكر الغربي وتشبع بشكل خاص من الفكر الماركسي. لكنه ظل مؤمناً بالعروبة وان العروبة هي جسم روحه الاسلام، فالعربي المسيحي كي يكون قومياً عربياً عليه ان يؤمن بالاسلام أولاً ولا يعني ذلك ان يمارس الطقوس الاسلامية بل يكفي انتماءه إلى الاسلام، ثقافة وروحاً وحضارة وإيماناً دون التوغل في طقوس احكام الاسلام العبادية أي الصيام والصلاة.

سنة 1943 قبل أن يؤسس حزبه رسمياً عام 1947 أعلن عفلق في محاضرة في مدرج جامعة دمشق، "ان العروبة لا تصح إلا بالإسلام وان كان محمد موحد العرب برسالته فعلى كل عربي أن يكون محمدياً". على هذا الأساس بنى عفلق

حزبه وسيّر أفكاره لم يكن عفلق يوماً علمانياً أي بمعنى ان يكون معادياً للـدين أو رجال الدين ولكنه كان يؤمن بعدم تدخل رجال الدين بالسياسة وكان ينفر من كلمة العلمانية لأنها غير مفهومة في الشارع العربي المؤمن حسب رأيه. وأثناء نضال الحزب في سوريا لم يكن ميشال عفلق يحتاج إلى تفسير هذه الظاهرة، أما عندما ذهب إلى العراق ونجحت الثورة الايرانية بشعاراتها الاسلامية التي أرادت أسلمة المنطقة وفق الطقس الشيعي ومن ثم اندلاع الحرب العراقية الايرانية التي استغلت فيها طهران اسم ميشال عفلق وصلته بالمسيحية لتبث سمومها بأن نظام البعث في العراق يقوده نصراني. وجد ميشال عفلق نفسه منساقاً إلى ضرورة ترجمة موقفه إلى إشهار اسلامه ولكنه بعد ان تداول في الأمر مع صدام حسين، آثر ان يمتنع عن ذلك في حياته مخافة أن يفسر بأنه انتهازي ينافق المسلمين ويقول صدام حسين انه هو الذي اثنى ومنع عفلق من إشهار إسلامه حتى لا يتهمه خصوم البعث بأنه يساير المسلمين أو ينافقهم. وقد أسرّ صدام لإثنين من المقربين منه هما عزت ابراهيم الدوري وطه ياسين رمضان بأنه ترك وصية كتب فيها ان عفلق أشهر إسلامه وطلب الرئيس العراقي الراحل من نائبيه الدوري ورمضان ألا يكشفا هذه الوصية إلا بعد رحيله. ويقول إياد الابن البكر لميشال عفلق ان والده قد أطلعه على ورقة تشير إلى عزمه على اعتناق الاسلام عندما كان يقوم برحلة بين باريس وبغداد وتعرضت الطائرة للانواء الجوية (مطبات) وانه كتب رسالة قال فيها انه إذا أصابت الطائرة كارثة وتوفي فإنه مات مسلماً.

وعندما توفي عفلق في المستشفى العسكري في باريس خرج الأخ غير الشقيق للرئيس صدام برزان التكريتي يقول ان بغداد أعلنت ان ميشال عفلق مات مسلماً وطلبوا السماح بدفنه على الطريقة الاسلامية وعلى المذهب السني.

وقال سفير العراق في باريس عبد الرزاق الهاشمي في معرض سؤاله من بعثيين كبار عن مدى صحة إسلام ميشال عفلق انه سأل عفلق في إحدى الليالي وكان في زيارته في بغداد 1985 – 1986 عن صحة ما يشاع فقال: "إذا كان الاسلام يعني الطقوس والصوم والصلاة فأنا لم أمارسها في حياتي، أما إذا كان الاسلام إيماناً وروح العروبة وأساس الثقافة والحضارة، فأنا مسلم طبعاً، وركز على عبارة مشهورة له انه لا يمكنني بأن أقود حزباً يمثل الاكثرية العربية وأنا خارج دين

الاكثرية" بمعنى انه مسلم سني لأن أكثرية المسلمين هم سنّة ولا يمكن ان أكون من الاقلية ليس انتقاصاً منها ولكن احتراماً للأكثرية.. فالبعثيون هم مسلمون بالضرورة والايمان والثقافة، ولا يحول عدم ممارستهم الطقوس والعبادات انهم غير مسلمين وتابع عفلق قوله: "يجب ألا يكون هناك تفرقة مذهبية أو طائفية لدى البعثيين ولكن اللبناني المسيحي البعثي قبل أن يكون بعثياً عليه أن يكون مسلماً". ويعتقد الذين حوله بأنه ما كان يقصد هنا ان يتحول المسيحيون إلى أداء الصلاة والفروض بل إلى الشعور بأنهم مسلمون وان لا عداوة بينهم.

الضوء

ظل الظلام الداكن الأسود يلف العلاقات السورية – العراقية إلى ان بدأت تلوح في الأفق تباشير ضوء ضئيل خافت بدأ عملياً، باشتداد هجمة الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية قابلها تزايد ملحوظ ومأسوي في النتائج المدمرة على مستوى الناس لتداعيات الحصار الظالم والبغيض..

وقبل اللقاء المباشر الذي استقبل فيه الرئيس الراحل حافظ الأسد نائب رئيس الوزراء طارق عزيز كانت هناك وفود وشخصيات عربية، تتحرك سراً من أجل إنهاء حالة الجفاء بين سوريا والعراق.

تمحور الطرح حول ضرورة خلق مناخ هدنة بين القطرين العربيين ومن ثم الانتقال إلى زرع بذور الثقة ووقف تبادل التحديات الاعلامية وبعدها العمل على مباشرة التعاون الاستخباراتي.

يقضي الانصاف في هذا المجال ان نذكر الشخصيات العربية التي تعتبر رائدة وسباقة في هذا المجال:

رئيس الحزب العربي الديموقراطي الناصري في مصر ضياء الدين داوود، الرئيس السابق للمؤتمر القومي العربي الرئيس السابق للجزائر أحمد بن بلة ومن قادة الثورة الجزائرية عبد الحميد المهري (كلهم رحلوا) ورئيس مركز دراسات الوحدة العربية د. خيرالدين حسيب.

أثمرت هذه الاتصالات وبدأ تبادل الزيارات بين وفود من القطرين وانفتحت النوافذ أولاً ثم الابواب الكبيرة لاحقاً، أمام المنتجات السورية، ونفذت سياسة

المعاملة الفضلى، بالنسبة للعقود النفطية قال صدام حسين لمسؤوليه الاقتصاديين خذوا كل شيء من سوريا اشتروا كل بضائعهم حتى لو رميتموها.

بقي ذلك فترة في عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد وربما جاوزت الثلاث سنوات.. وثابر بعدها بشار الأسد على النهج الذي رسمه والده لأنه لم يكن معنياً بأحقاد الماضي وترسباته.. دون أن ننسى تخطيط والده له.. ليضمن له الحكم الهانىء.

حافظ يمهد الطريق
أمام بشار

اعتبر حافظ الأسد ان أبرز مقومات توريث ابنه بشار السلطة في سوريا، ان يزيل من دربه كل العقبات التي تعترض طريقه في الداخل وعلى الحدود.

كان هدوء جبهة الصراع مع إسرائيل قد جاوز ربع قرن، بما يطمئن إسرائيل بأن النظام القادم مع سوريا هو ابن الراحل ولن يغير حرفاً من الاتفاق الذي رعاه كيسنجر بين البلدين وكان الاردن في خضم ترتيب البيت الملكي في مرض طويل عاشه الملك حسين، تفرغ خلاله الأسد والحسين لعلاجيهما وتمهيد الطريق لوراثة سلسة من بعدهما لبشار ولعبدالله الثاني هناك.

وكان حافظ الأسد مطمئناً إلى اختيار إميل لحود في لبنان عام 1998 ليتسلم السلطة تحت امرة ابنه بشار، ليظل لبنان ساحة سورية خالصة تمد النظام بأوراق أمنية واقتصادية وسياسية هائلة الاهمية وكان اتفق مع تركيا على عقد اذعان وقعه رجله في جهاز الأمن السياسي عدنان بدر حسن (وكان معه غازي كنعان الذي كان يشرف على معسكرات حزب العمال الثوري الكردستاني بقيادة عبدالله أوج الان في البقاع اللبناني) وبذا ضمن جبهات سوريا كلها من كل الجهات ولم يبق إلا العراق.

أوصى حافظ ولده بشار بالانفتاح على العراق، ليضمن ان تكون علاقته جيدة مع جميع من حوله ليتمكن من التفرغ لإحكام قبضته على الداخل.

تناسى حافظ ان صدام لم يعزّه عندما قتل حلمه باسل فقد تطلع إلى الحي من أولاده بشار ليمكنه من تحقيق حلمه إلى الأبد محتفظاً لنفسه بالأسى من موقف صدام عله يفتح لبشار طريقاً إلى قلب غريمه.

لم يكن ممكناً لحافظ ان يزيل عداءه لصدام لكل الاسباب التي أوردناها سابقاً، لكن ابنه وعائلته وأولاد عمومته واخواله وابناءهم والاقارب والمحسوبين عليهم حصدوا المغانم الاساسية من العلاقات التجارية والاقتصادية مع نظام صدام، وكان ولدا صدام عدي وقصي يسهلان للمقربين من بشار توقيع العقود بالملايين، فاستفاد الاقرباء واستفاد فراس طلاس وأصدقاء بشار في حلب ودمشق أيضاً.

ورد بشار التحية بأحسن منها سياسياً، فتولى الوفد السوري في الأمم المتحدة الدفاع عن العراق ضد اتهامه بما يسمى مشروعات للدمار الشامل.

استقبل بشار في قصره مبعوثي صدام ومن أقرب الرفاق إلى قلبه: عزت ابراهيم الدوري، طارق عزيز، علي حسن المجيد، وهو أرسل عدة وفود إلى بغداد وأحدها حمل سيفاً دمشقياً ليقول لصدام نحن معكم في السراء والضراء، وليؤكد للرئيس العراقي ان روح القبيلة العربية موجودة أيضاً في سوريا واننا قبيلة نتحرك لرفع الضيم عن أشقائنا.

فكيف ترجم بشار كلامه هذا؟

ما ان اغتيل رفيق الحريري في 2005/2/14 حتى انقلبت مقاييس بشار الأسد، فأصبح معياره الوحيد هو كيف يحمي نفسه.. نظامه، مصالحه.. فكّر بشار ووجد ان الحل هو ان يرمي نفسه في الحضن الإيراني بالكامل.

كان حافظ الأسد ناجحاً في إقامة علاقة متوازنة مع نظام ولاية الفقيه في طهران، يأخذ منهم ويعطيهم، أثبت لهم أكثر من مرة انه قادر على خنق حزب الله في لبنان (كما جريمة برج أبي حيدر - شارع المأمون حين قتل 23 حزبياً منهم برصاصات في رؤوسهم وهم مقيدو الايدي ووجوههم إلى الجدران، وترك واحداً منهم جريحاً حياً ليروي ما حصل عبرة وتخويفاً في شهر شباط/فبراير 1986).

وفي مرة سابقة، عندما قرأ في تقرير أمني ان هناك رجال دين إيرانيين يحاولون نشر التشيع في سوريا امر باعتقالهم ثم ابلاغ سفير إيران في سوريا ان يسفرهم خارج البلاد خلال 24 ساعة، مع منع أي محاولة مشابهة في المستقبل.

بشار خسر كل قدرات والده وأفكاره وحسمه في التعامل مع إيـران بعـد مصرع رفيق الحريري، فهل كانت إيران تهدف من وراء قتل الحريري إلى تحقيـق هذا الهدف ضمن الاهداف العديدة التي حققتها بقتل الرجل الأقـوى في لبنـان.. وكثيرون قالوا وفي سوريا أيضاً؟

ونجحت طهران في جعل بشار في عين العاصفة في وجه جورج بوش الـذي كانت قواته قد غزت العراق اعتباراً من 2003/3/20، فحققت طهران أهدافاً عدة في ضربة واحدة:

1- أسقطت أقوى وأصلب نظام في العراق خاض ضـدها حربـاً اسـتمرت 8 سنوات (1980 – 1988) ألزمها المبيت داخل حدودها، وأجهض مؤقتـاً – مشروعها التوسعي من خلال ما يسمى جيش القدس الذي تحول فيلق القدس بعد سقوط بغداد.

2 احتلت طهران العراق واقعياً، من خـلال سـيطرة جماعاتها السياسـية – الحزبية – المسلحة على مقاليد الأمور، ومن خلال فرق الموت الإيرانية الـتي أرسلتها لقتل خيرة أبناء العراق العروبيين (مفكرين، اساتذة جامعات أطبـاء، ضباطاً كباراً، طيارين، قياديين قوميين..) وباتت سياسة دولة الرشيد تدار من دهاليز دولة كسرى في إيران.

3- وضعت بشار في وجه الأميركي البشع، محتلاً العراق مقبلاً على سوريا، ليجد حاكمها بشار نفسه في حضن الإيرانيين طالباً الحماية خوفاً من تكرار تجربـة صدام.. في دمشق.

وسقط بشار في أشرس كمائن طهران وأكثرها غدراً عندما أرسلت له حسن نصرالله (أمين عام حزبها في لبنان) ليقنع بشار ان يمدد لإميل لحود في الحكم لأنـه حاجة أساسية لحماية المقاومة (أي حزب الله) في لبنان!!

كان بشار قد أبلغ العرب والعالم واللبنانيين انه لن يمـدد للحـود، لـثلاث سنوات أخرى تنتهي عام 2007، وأكد الأمر نفسه لرفيق الحريري، ونقل الحريري الأمر بسرعة إلى نصرالله ليتفق معه على الرئيس المقبل، في ظن متعجل منـه بـأن نصرالله سيتوافق معه على بديل لحود الذي كان سام الحريري المر والعذاب خلال ست سنوات عجاف من عهده.

هرول نصرالله بعد سماعه قرار الأسد من الحريري إلى دمشق ليقنـع حـاكم سوريا بإبقاء لحود، ففعل وهو على حد قول خدام مستمع جيد لآخر من يحدثـه، منقلب دائم على أي كلام يقوله ناقض دائم لكل عهد يقطعه.

وحتى لا نستطرد ونحن سنعود إلى موضوع التمديد بتفصيل آخـر، نقـول ان التمديد للحود، استدرج القرار الدولي رقم 1559، وبذا أصبح النظام في دمشق وبجهود إيران تحت الوصاية الدولية، وأصبح على بشار أن يخرج من لبنان.. لتدخله إيران مـن الباب الواسع.. خاصة بعد ان أصبح بشار نفسه أداة إيرانية طيعة كحسن نصرالله.

كيف تعامل مع العراق المحتل؟

كان بشار قد استقبل وزير الخارجية الأميركي كولن بـاول في 2003/5/5، أي بعد 46 يوماً على بدء الغزو الأميركي للعراق و25 يوماً على سقوط بغـداد في 2003/4/9.

كانت واشنطن بعد إسقاط صدام في موقع المملي وكان على بشار أن يستمع لشروط باول وهي:

1- إغلاق الحدود مع العراق لمنع مرور المقاتلين الذين بدأوا عبور الحـدود مـن سوريا للقتال ضد الجيش الأميركي قبل سقوط بغداد وقد التزم بشار بـذلك على مراحل.. وصلت في إحداها حد إرسال شقيقه مـاهر (قائـد الفرقـة الرابعة – الحرس الجمهوري) للإشراف على إقفال الحدود، بعد ان تأكد بأن الفساد في كل إدارات الدولة ومنها الأمنية والعسكرية يمكن أن يفتح الطريق لتهريب كل شيء من أجل المال.

2- طرد المنظمات الفلسطينية من دمشق، وقد وعد بشار بأن يحـول مكاتـب هؤلاء إلى أندية ثقافية، وأن يتوقف اعتماد دمشق منبراً إعلامياً لهذه المنظمات تطلق منها مواقفها.

استدعى بشار فاروق الشرع (نائبه) وطلب منه إبلاغ المنظمات هذه، وقف إصدار البيانات الاعلامية، لكنه فيما بعد أرسلها إلى لبنان لتقيم معسـكرات جديدة، وتوسع معسكرات قديمة لتقتطع مساحات من لبنان على الحدود مع سوريا، وداخل لبنان (الناعمة المشرفة على مطار رفيق الحريري).

3- وقف تزويد حزب الله بالسلاح.. وهنا تبين حجم التورط السوري مع إيران والتبعية لها.. فلم ينفذ حرفاً من هذا البند.

وأكثر من ذلك ان بشار نفسه الذي كان والده أراد توجيهه نحو العراق.. اكتشف انه لم يكن يعرف إيران أبداً وأول مرة زارها جاءت بعد 5 أيام من بدء الغزو الأميركي للعراق.

ذهب بشار ليطلب بسذاجة من الإيرانيين مساعدته على تشكيل مقاومة عراقية ضد الجيش الأميركي المحتل، ضحك منه الإيرانيون ثم ضحكوا عليه، مدحه خامنئي كثيراً كمقاوم ومجاهد ثم عاد ليكتشف بعد وقت طويل ان طهران ساهمت في الاغراء الأميركي لدخول العراق عسكرياً لإسقاط صدام، لتتخلص من أشرس أعدائها وأشدهم صلابة، في العراق، تماماً كما فعلت مع الأميركي الغبي جورج بوش في مساعدته لإسقاط نظام طالبان المقاتل في أفغانستان الذي كان يتحدى ويستفز طهران ويعتقل ويقتل جنودها ولا تجرؤ يوماً على الرد ولو برصاصة واحدة.

كانت المنفعة المالية لبشار وعشقه للمال وراء التحرك السابق نحو صدام قبل الغزو الأميركي.

وكان صدام يدرك ذلك ليشتري بشار، قبل الغزو وبعده، حتى انه أوصى ولديه بعد سقوط بغداد، ان يتوزعا كل في اتجاه وهو في اتجاه ثالث.

صدام طلب من ولديه عدي وقصيّ أن يتوجها إلى دمشق، باكراً هرب ولدا صدام إلى سوريا، جاءا مع متطوعين سوريين وعرب دخلوا العراق للقتال ضد الأميركان خلال الغزو.

بشار يسلم عدي وقصي للقتل

سكن عدي وقصيّ في حماه في مخبىء سري.. علم الأمن السوري بوجودهما ومكانهما من مخبرين لديه ضمن المتطوعين الذين ذهبوا إلى العراق، أبلغ رؤساءه الذين نقلوا الخبر إلى بشار فأوعز لغازي كنعان ان يحملهما إلى الحدود لتسفيرهما.

قال بشار لكنعان.. أبلغهما انهما إذا أرادا المقاومة ضد الأميركان، فليقاوموا من داخل العراق ولن تفيدهم سوريا..

التقى كنعان بعدي وقصي وابلغهما ان عليهما الرحيل، فلم يصدقا، أخرج قصي ورقة من جيبه طالباً من غازي أن يسمح لهما بالاتصال برقمي هاتف موجودين فيها، فتساءل كنعان بمن تريدان الاتصال، فقال قصي نريد الاتصال بمحمد دعبول (أبو سليم) الذي كان السكرتير الخاص لحافظ الأسد، وقد حصلا على هذا الرقم والثاني من جماعات الأسد الذين كانوا يتاجرون مع العراق وكان قصي وعدي يسهلان لهما معاملاتهما التي قدرت بمليارات الدولارات ألم يقل صدام لجماعته اشتروا كل شيء من سوريا حتى لو رميتم بضاعتها؟

قال كنعان: ان دعبول هذا موظف صغير في القصر الجمهوري وهو الآن متقاعد في منزله.

أما الرقم الآخر لذو الهمة شاليش، ابن خالة بشار، فهو اسم لا وجود له، وقيل يومها ان شاليش هو الذي أعطى ولدي صدام أرقامه في القصر وفي المنزل.

رحّل ولدا صدام عدي وقصي من سوريا إلى الحدود، وصودرت منهما محفظة ملأى بالدولارات الأميركية كانت معهما للصرف على أعمال المقاومة.. ليذهبا إلى الموصل حيث قتلا مع نجل قصي مصطفى في معركة مع المحتل الأميركي أثناء تواجدهما في منزل أرشد صاحبه الأميركان إلى مكانهم.

ولم يقتصر الأمر على ولدي صدام، بل ان بشار أخرج زوج صدام ساجدة، وبناتها رغد ورنى من سوريا فتقلبت بهن السبل حتى استقر البعض منهن في عمان في ضيافة الملك عبدالله الثاني وبعضهن في الدوحة في ضيافة الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني.

أما أخ صدام غير الشقيق السبعاوي الذي كان في دمشق لاجئاً فقد سلمته السلطات السورية رسمياً إلى الجيش الأميركي المحتل، ليصدر بحقه حكم إعدام.

السر الأخطر

أما عزت ابراهيم الدوري الذي كان نائب صدام الفعلي، وقائد كتائب المقاومة التي تعمل تحت أسماء مختلفة منها الاسلامية التي كان يرعاها الدوري أثناء وجوده في السلطة ومنها القومية ومنها كتائب بعثية صرفة.. فقد لجأ في فترة من الفترات إلى سوريا لتلقي العلاج من إصابته بسرطان في الدم.

ظل الدوري في سوريا يتعالج، ويرسل تعليماته للمقاومين في العراق ضد الاحتلالين الأميركي والإيراني، ويشرف على حوارات تسعى لها أميركا مع المقاومين لوقف أعمالهم مع وعد بأنها ستنفذ قرارها بالانسحاب من العراق، وستضغط على حكومة المالكي لتحقيق مصالحة حقيقية داخل البلاد تحت عنوان المسامحة والمصالحة.

لم تلتزم واشنطن و لم يتوقف عمل المقاومة، لكن بشار الأسد وجد نفسه في مأزق شديد بعد انطلاق ثورة الشعب السوري ضده بدءاً من 2011/3/15.. وكان همّه الأول ان يطمئن إلى علاقاته مع الولايات المتحدة، وتحديداً إدارة الرئيس باراك أوباما.

الاعتقاد السائد عند الذين يعرفون بشار انه جبان جداً أمام الأميركان، وانه مستعد بسرعة لأي مساومة معهم، لذا عندما خرج رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل من سوريا هرباً من إمكانية المساومة على رأسه بين بشار وإسرائيل لتضمن استمرار نظامه في ظل تصاعد الثورة الشعبية ضده، وعندما سلم قيادات من الاحوازيين الذين يريدون استعادة عروبة بلادهم التي تحتلها إيران منذ العام 1925، أدرك عزت الدوري انه مستهدف وان بشار يمكن أن يسلمه للأميركان لإعدامه وهو مطلوب أساسي لمحاكمته وإعدامه كما حصل مع رفاقه البعثيين بدءاً من رئيس الدولة العراقية صدام حسين.

عزت الدوري في لبنان

غادر عزت الدوري سوريا سراً إلى لبنان حيث يختبيء في أحد الأماكن المحمية جداً من قوى تتعاون معه في المقاومة ضد الاحتلالين الأميركي والإيراني.

وعندما علم بشار بهرب الدوري جن جنونه، وأمر بمعاقبة رجال الأمن السوريين الذين كانوا يحرسونه، قائلاً: هؤلاء تم شراؤهم بالدنانير العراقية، يقصد ان الدوري رشاهم بالمال حتى يهرب.

ملاحق

1 - هتافات السوريين ضد الأسد

2 - قصص من دفتر الظلم

3 - عفوك شعب سوريا العظيم

4 - مجازر حافظ - رفعت

5 - صائب سلام لا يصائب حافظ الأسد

6 - كامل الأسعد الرافض الأول لحافظ الأسد

7 - المعارضة السورية تكشف 128 من مرتكبي الجرائم ومموليها

الهتافات التي قتلت ابراهيم قاشوش
وجعل الأمن يقتلع حنجرته بعد قتله

* يا ماهر يا جبان يا عميل الأميركان الشعب السوري ما بينهان يلا ارحل يا بشار
* ويا بشار طز فيك طز عللي بيحييك والله بخجل طلّع فيك يلا ارحل يا بشار
* يا بشار يا خسيس دم الشهداء مانو رخيص خبيللي غراضك بالكيس ويلا ارحل يا بشار
* يا بشار يا ديوس تضرب مع كل جاسوس وعلى راسك بدنا ندوس وتضرب نجاح العطار ويللا ارحل يا بشار
* جف الدمع في المقل وسال الدم مكان القبل، استأجر القتلة المهل قتلوا القتيل وقالوا من قتل!!
* نغني ونحن في أسرك.. وترجف وانت في قصرك

هتافات على نغم مختلف

* لعيونك يا جرجناز لو قل الخبز والكاز بالآخر إلنا المفاز بإذن الواحد الجبار.. ساقط ساقط يا بشار
* يا بشار نحنا ادلب عنا اجباري بدك تقلب زمن الصحوة لا تستغرب زمن قوة وانتصار.. ساقط ساقط يا بشار
* يا بشار وحوش الغاب لسّه ما صفوا الحساب وحاشيتك كلهن كلاب وانت بيناتهن لحمار.. ساقط ساقط يا بشار
* يا بشار هاي الرستن عنا أوعى لا تتمسكن من الشهادة رح نتمكن بإذن الواحد الجبار.. ساقط ساقط يا بشار
* يا بشار يا ديوس على راسك بدنا ندوس تضرب انت وكل فسفوس وتضرب نجاح العطار.. ساقط ساقط يا بشار
* نحن نحنا المهندسين بدنا نعلمك لفظ السين ايامك صارو خالصين وآخر أيامك يا حمار.. ساقط ساقط يا بشار

* نحنا ما نحتاج لفيتو نحنا نجيبو من نص بيتو يا ريتو بيفهم يا ريتو شـو معنى كلمة ثوار.. ساقط ساقط يا بشار
* يا إيراني كلبك ودع تعا شوف وتعا تسمع هو ساقط بس يتدلع ناسي حالو انو حمار
* قصة عمودية قصيرة حافظ يقول لبشار: يلا تنام يلا تنام لدبحلك طير الحمام.
بشار يقول لحافظ: يلا تنام يلا تنام والله ليحكمونا اعدام
* شعب أعزل وقائد أهبل شعب عظيم وقائد لئيم شعب كله ظرافة حاكمه طول الزرافة
* يا رب والله طلبـي بسيط كتير..
بدي الناس ترجع تنكت على الحماصنة مو تترحم عليهم.. كثير؟؟؟
* برصاصك ارسلت أطفالنا إلى الجنة وبأحذيتنا سنركلك إلى جهنم
* يا أسد قول لمخلوف اللعبة صارت عالمكشوف المهندسين صفوف صفوف بدن ترحل شو ما صار ساقط ساقط يا بشار
* صيني بيقول أجحش واحد فينا بيعمل كومبيوتر. السوري: نحن أجحش واحد فينا بيعمل رئيس!
* بشار ولاك.. ما بدنا ياك
* بلا بشار ولا ماهر وهالعصابة الدموية وسورية حرية
* الفرق بين حافظ وبشار
حافظ كان يقتل القتيل ويمشي بجنازته
بشار يقتل القتيل ويلي بيمشي بجنازته
* الرئيس الأسد يصدر مرسوماً بتوسيع أنابيب المجاري تحسباً لأي طارىء

من هتافات عبد الباسط الساروق (حمص) في البياضة

* جايينك جايينك يلعن روحك جايينك
* يا يما انا طالع اخلع ثوب العار البس ثوب الشهادة والجيش الاحرار
* بشار مثل الطابع كل ما تبصق عليه يلصق أكثر
* يا بشار ويا مندس تضرب انت وحزب البعث
* يا بشار ويا جبان ويا عميل الأميركان الشعب السوري ما بينهان ويلا ارحل يا بشار

* يا حمص حنة معاكي للموت
* ما رح نركع ما رح نركع جيب الدبابة والمدفع
* يا بشار ويا مندس تضرب انت وحزب البعث روح صلح حرف الأس ويللا ارحل يا بشار
* يا بشار تضرب انت وهالخطاب الحرية صارت عالباب يللا ارحل يا بشار
* يا بشار الحرامي ماهر شاليش ورامي سرقوا خوالي وعمـامي يلـلا ارحـل يا بشار

قصص من دفتر الظلم

وهذه صورة من سلوك عصابات الأسد الأب والابن مع الشعب السـوري، كتبها في مقال ميشال كيلو ونشرها في جريدة "الشرق الأوسط" السعودية الاربعاء في 2012/10/24.

ومع ان المقال يكاد يكون ملخصاً لكتاب أو مجلدات عن سلوك آل الأسد في سوريا (ولبنان) فإن من يريد الاطلاع على المزيد من هذا النوع فننصحه - ولا ننصحه بقراءة رواية مصطفى خليفة "القوقعة".

لأن ما فيها من وقائع واحداث وحوارات تقزز وتنفر وأكاد أقول انني بعد ان قرأت 90 صفحة منها أصبت باكتئاب دفعني لرمي الكتاب جانباً، جازماً أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا مثلنا يحملون مشاعر وأحاسيس ودماً..

اقرأوا ميشال كيلو.. ولا تنسوا مصطفى خليفـة و"القوقعـة" إذا كانـت أعصابكم من حديد:

كتب كيلو

كانت السيارة في طريقها من ضاحية الست زينب إلى دمشق، عندما أوقفتها سيارتا أمن ترجل منها عناصر توجهوا نحو ركابها، وطلبوا منهم النـزول منـها لتفتيشها.

كان الركاب ثلاثة رجال وسيدة ثلاثينية على قدر جلي من الجمال. رأى الضابط من شباك سيارة الامن الثانية السيدة، فجاء يبلغ الرجال الثلاثة انهـم

مطلوبون إلى الفرع، وان عناصر الدورية سيأخذونهم إليه، بينما سيتولى هو مرافقة السيدة إلى منزلها بأمان. بإشارة من يد الضابط، سارع الامنيون إلى وضع القيود في أيدي الرجال والعصائب الجلدية على أعينهم. احتج أحد الرجال ودفع ببراءته ومن معه، وطلب من الذي سماه "سيادة الضابط" اعتقاله بعد إيصال زوجه إلى البيت، لكن هذا انهال وعناصر الدورية عليه ضرباً ورفساً وجره إلى سيارة البيجو 505 ستيشن، حيث ألقي في صندوقها الخلفي، بينما انصاع رفيقاه للاعتقال دون اعتراض، وجرا أقدامهما إلى مقعد السيارة الخلفي مع شيء من الدفع والركل، وكثير من الشتائم التي انهالت عليهما كأفراد في عصابة مسلحة، تصطحب عاهرة تغطي بحضورها مهمتها التخريبية، كي لا تلفت الانظار إليها.

دخل الضابط ومرافقوه إلى بستان في القسم الشرقي من ضاحية السيدة زينب، حيث جرد السيدة من ثيابها وبدأ باغتصابها، وحين انتهى منها تركها لهؤلاء، بعد ساعة، عادت السيارة الامنية الثانية وهي محشوة بعناصر من الفرع، انقضوا على السيدة وفعلوا ما سبق لرفاقهم ان فعلوه، رغم ان السيدة كانت قد فقدت وعيها بعد اغتصابها للمرة الرابعة، في اليوم التالي، وجد فلاحون سيدة ميتة والقسم الأسفل من جسدها عارياً ومغطى بالدماء، وقد تم خنقها بشال زهري اللون يرجح انها كانت تضعه حول عنقها، لكن حلقاته ضاقت بأيدي قتلتها حتى أزهق روحها.

وفي الفرع، وبعد استقبال حافل دام قرابة الساعة، تعرض الرجال الثلاثة خلالها لضرب مبرح وإهانات شاملة طالت آباءهم وأجدادهم، جردوا من ثيابهم واحذيتهم وساعاتهم ونقودهم وخواتمهم ونظاراتهم، ووضعوا في زنزانات منفردة، قبل أن يؤخذوا إلى "الديوان" حيث سجلت اسماؤهم واعطوا أرقاماً، ووضعوا في "الدولاب" وضربوا حتى ملأ عويلهم أرجاء المكان، ثم أعيدوا إلى الزنازين وقد تورمت أقدامهم وانتفخت عيونهم وازرقت خدودهم وغارت أعينهم من اللكم والصفع والضرب بمختلف أدوات التعذيب. وعند الظهر أخرج أولهم من زنزانته وإلى التحقيق، حيث نصحه المحقق باحترام نفسه والاقرار بالتهم الموجهة إليه، وأفهمه ان الانكار لا يجدي، لأن كل ما فعله مدون في

دفتر أخرجه من درج طاولة كان يجلس وراءها، ثم فتح صفحة منه وقال: كل ما فعلته موجود هنا، فلا تدعنا نعذبك إلى ان "تفطس" والآن، اعترف بما فعلته أنت وأفراد العصابة ليل البارحة في منطقة السيدة زينب، قال الرجل انه لم يفعل شيئاً، وأطلق صرخة ألم مدوية ارتج الفرع لها، أعقبها بتوسلات ذليلة ترجو الضابط ان يستمع إليه ويفهم وضعه، لكن هذا رد "بجلاقة" وهو يشير إلى العنصر الذي يقف وراءه طالباً إليه أن يصعقه مرة أخرى بالكهرباء: هذا ما أحاول فعله، لكنك لا تتجاوب معي. أنا أريد فهم وضعك، لو اعطيتني الفرصة لذلك، بيد انني لا أقدر أن أتواطأ معك على إخفاء الحقيقة، التي عليك التعاون معي لكشفها وإظهارها حماية للشعب والوطن. رد الرجل متوسطاً: دعني أشرح لك، أنا لست من أي عصابة، اسأل فرع الحزب في السيدة زينب عني، وستعرف انني موال للسيد الرئيس. قاطعه المحقق صارخاً: لا تذكر اسم السيد الرئيس كي لا تدنس قداسته بلسانك النجس، ولا تذكرني بالحزب: ألم يكن المجرم ابراهيم اليوسف ضابط أمن الحزب في كلية المدفعية، والمجرم عدنان عقلة مشرفاً على التنظيم الحزبي هناك؟ الحزب مليء بالخونة والمجرمين، ونحن نطهره اليوم من العصابات الاسلامية والمسلحة، فلا تقل لي انك قريب من الحزب، اللعنة عليك وعلى هكذا حزب.

ابراهيم اليوسف هو ضابط من جماعة ويسندونها الاخوان المسلمين، فتح النار على طلاب كلية المدفعية في حلب ومعظمهم من العلويين فقتل نحو 38 منهم واصاب آخرين.

أما عدنان عقلة فهو أحد قادة الاخوان العسكريين الذي قاد معارك عنيفة ضد نظام حافظ الأسد.

اعترف وإلا أزهقت روحك قال الرجل: كما تريد. كنا البارحة في عملية نفذناها في منطقة السيدة زينب. ضد من؟ سأل المحقق، فقال قبل أن يصعقه التيار الكهربائي مرة أخرى: ضد النظام.

جيء بالرجلين منفردين إلى المحقق، الذي واجههما باعترافات زميلهما الكاملة، وفيها انهم كانوا يتدربون ليل الامس على السلاح في بساتين السيدة زينب، بصحبة إحدى العاهرات. صعقهما عنصر الفرع بالكهرباء قبل أن يجيبا،

وانهالت عليهما السياط والعصي والقبضات، فأقرا بالتهم الموجهة إليهما وبانتسابهما إلى تنظيم مسلح.

بعد أيام، استدعي الرجال الثلاثة من جديد للتحقيق حول دورهم في موت المرأة التي كانت معهم ووجدت ميتة بعد اعتقالهم. لقد طلب إليهم هذه المرة الاقرار بأنهم اتفقوا على قتلها مع معتقل في الفرع. انكر الثلاثة التهمة وقالوا: انهم لم يروا المتهم قبل ذلك، وأصروا على براءتهم، بل ان بعلها اتهم رجال الأمن بقتلها، وذكر للمحقق بأنهم رفضوا السماح له بإيصالها إلى منزلهما قبل أخذه إلى الفرع، وان الشكوك ساورته في نواياهم، وانه سينتقم من قتلتها متى خرج من الفرع؟ يا مسكين، أنت لا تعرف مع من تتعامل. انك لن تخرج حياً من هنا، لأسباب كثيرة بينها تواطؤك على قتل السيدة، التي ادعيت كذباً انها زوجك.

بعد أيام من التعذيب، وقع الثلاثة إقراراً بأنهم كلفوا شخصاً بقتل الزوج، علموا بعد مضي سنوات كثيرة من السجن انه كان عنصراً من الفرع.

خرج الرجال بعد ثمانية عشر عاماً من سجن تدمر العسكري. قبل مغادرة السجن طلب منهم أن يوقعوا برقية شكر ترسل إلى من عفا عنهم وسامحهم: السيد الرئيس، فوقعوها، طلب إليهم السكوت عما جرى لهم فصمتوا.

كان الثلاثة قد اعتادوا العيش في السجن دون كلام، فقد كانوا يستيقظون في السادسة صباحاً، فيلفون بطانيتهم ويسندونها إلى الحائط، ثم يجلسون عليها ويخفضون رؤوسهم حتى السادسة مساء، حين يأتي وقت النوم، دون أن يقولوا كلمة واحدة كي لا يتعرضوا لأفظع أنواع العقاب.

بمرور الزمن، نسي الرجال ألسنتهم، حتى ان واحداً منهم كان يفعل الشيء ذاته في منزله، فهو يستيقظ في السادسة صباحاً، فيضب فراشه ويجلس على كرسي أو مقعد قريب من الحائط ويخفض رأسه ويصمت حتى المساء. مع الوقت، نسي أهله رغبتهم في إخراجه من الصمت، وأقلعوا عن ممازحته وتذكيره بأن الانسان حيوان ناطق. بعد سنوات من الصمت، أفاقوا ذات صباح فوجدوه ميتاً ورأسه علىَ صدره، وعيناه مفتوحتان وموجهتان نحو الأرض، والدهشة تفيض منهما!

المقالة التي قتلت صلاح البيطار

عفوك شعب سوريا العظيم

عفوك شعبنا العظيم،

شعب البطولات والتضحيات، والجهاد والفداء والاستشهاد، شعب الصبر على المكاره والمكائد إلى حين ثم الثورة على البغي والظلم.

شعب الشاهدين، وقلوبهم تدمى، على أبشع اشكال القمع والارهاب وممارسة التعذيب والقتل والسحل على الأب الابن والاخ والزوج، على استباحة المدن وتدمير المساكن بالطائرات والمدافع والدبابات فوق رؤوس سكانها الآمنين على القتل الجماعي والاعدامات الميدانية.

شعب العروبة الخالدة الوثيقة الصلة بالقيم الاسلامية والمنفتحة على القيم الانسانية العالمية، شعب الخصوصية القومية.

شعب سورية العربية المعطاء شعب القلق الدائم على مصير أمتك، ما ضننت على ثورة شعب في وطنك العربي إلا لبيتها بالنفس والنفيس. بالمشاركة الفعلية أو الوجدانية، بالأمس في الجزائر وقبل الأمس في ثورة عبد الكريم في الريف وثورة عمر المختار في طرابلس الغرب، ودائماً في فلسطين وبعفوية وبدون منة، كطبيعة فيك تاريخية وعقيدة عندك وحدوية.

عفوك شعبنا الجريح الذبيح،

إذا ما تطلعت نحو القريب والبعيد، وتلفتت نحو الشمال الانظمة العربية يفرض علينا تنوير الرأي العربي ولا سيما ان احداث سوريا تجري وسط تعتيم اعلامي خارجي وتضليل اعلامي داخلي.

ولكي نعطي صورة واضحة لما يجري في سوريا منذ بدء هذا العام لا بد لنا من ذكر ما جرى في السباق التاريخي وبالتحديد منذ حرب عام 73.

فهذه الحرب المحدودة في الزمان والمكان تكشف عن انهيار معنويات الاسرائيليين وانتعاش المعنويات العربية بعد جراحات خلقتها حرب عام 67.

وكان هذا الانتعاش بفضل روح القتال العالية التي تحلى بها ضباطنا وجنودنا في ميدان المعركة في بداية الهجوم وإذا كان الجيش السوري قد خسر أرضاً بعد

الهجوم الإسرائيلي فمرد ذلك إلى غياب القيادة العسكرية في أعلى مستوى وعدم أهليتها لقيادة المعركة، وإذا ما صار الانتعاش بعد ذلك إلى اضمحلال، فلدخول الشعب في الساحة السياسية. وليس غريباً أن نقول ان حرب 73، ككل حرب في الشرق الأوسط، كانت واقعة في حقل استراتيجية الدولتين الكبريين بنسبة معينة، فهاتان الدولتان توردان السلاح للعرب ولإسرائيل، وجرت المشاورات بينهما لوقف إطلاق النار ولاتخاذ قرار من قبل مجلس الأمن (القرار 338) للبدء بإجراء تسوية للقضية الفلسطينية في مؤتمر ينعقد تحت رعايتهما في جنيف وعلى اساس القرار 242. إلا انه بقدر ما كانت مهمة التسوية سهلة بالنسبة لمصر بقدر ما كانت صعبة بالنسبة لسوريا، ذلك ان سوريا تعتبر تاريخياً القضية قضيتها وتنظر إليها على انها قضية وجود لا قضية حدود، أي قضية عربية مصيرية، والتسوية المطروحة، برعاية الدولتين تتناقض مع مفهوم سوريا لها، ولم يكن صعباً حل هذا التناقض، فهناك سوريا – الرفض الشعبي الكبير لتسوية بالمفهوم الدولي وهناك سوريا – النظام واستعداده لقبول ذلك، وكان حل التناقض بإيقاع العزل السياسي على الشعب وجماهيره، بل بالأحرى احكام هذا العزل، فقد كان قائماً منذ زمن، وكانت هنا نقطة البداية في بلورة النظام الاستبدادي الرهيب الذي تطفلت عليه السياسة الطائفية كدرع تحميه والذي يتكسر اليوم تحت ضربات العنف والعنف المضاد ومناهضة شعبية عامة له.

والسؤال هنا هو: لماذا هذه البداية وما الدافع لها؟ والجواب هو: لسببين، أولهما العامل الذاتي وهو غريزة التحكم الفردي السلطوي عند كل ضابط يقوم بانقلاب عسكري غير مبرر شعبياً، وهذا ينطبق على النظام السوري. وعامل موضوعي يفرضه دخول هذا النظام في اللعبة الدولية التي جاء كيسنجر من أجلها والتي سميت بسياسة الخطوة خطوة، وبطبيعة الحال لم يأت كيسنجر إلى الشرق الأوسط إلا وهو مزود بجميع المعلومات عن الاوضاع والاشخاص في كل من مصر وسوريا وعليم بكيفية التأثير فيها وفيهم بصورة غير مباشرة. فهناك اليوم العقل المتقدم والعقل الالكتروني ووسائل التجسس ومعاهد الدراسات ومراكز البحوث، وكلها تتعاون لإعطاء معلومات وافية عن واقع الاوضاع في البلاد. واليمين خارج الحدود ترقب بصيص أمل في نجدة معنوية وسياسية واعلامية

تأتيك من وراء هذه الحدود لوقف الظالمين ظلمهم، عفوك إذا ارتد طرفك وهو كليل.

عفوك إذا الملوك والامراء والرؤساء هنا وهناك رأيتهم يستقبلون السفاحين الملطخة أيديهم بالدماء، بالأمس القريب في جسر الشغور وحلب وحماة، واليوم اليوم في تدمر.

استقبال الفاتحين لمجرد أنهم اغتصبوا قطراً وأقاموا فيه بالحديد والنار ملكاً، عفواً إذا القدر فرض عليك أن تحمل العبء وحدك.

وعفواً أيضاً، إذا كنا وسط الهرج والمرج والممارسات اللامعقولة، نتكلم لغة العقل، فننادي في وجه نظام يحكم بشريعة الغاب بالدفاع عن حقوق الانسان في ساعة يقضى فيها بكل بساطة على حياة الانسان حتى دون استئذان من قانون الطوارىء، وحتى دون لجوء إلى محاكم ميدانية.. فوالله لا تغفل لنا عين ولا يرتاح لنا بال ولا نقلل من روعة جهادك واستشهادك. ولكننا ونحن نلمح نصرك القريب، نصوغ من المأساة التي لم تعشها سوريا في أي عهد من عهود الظلم، الكلمة المقاتلة لتأخذ مكانها إلى جانب سيفك المقاتل كي يحققا عملاً يسجل على صفحات التاريخ. فنحن نلمح في الأفق، كما تلمح ليس فقط اضمحلال هذا النظام وسيره إلى نهايته، وانما غيابه إلى الأبد، شكلاً وموضوعاً مؤسسات وروحاً، هو وكل نظام يخلق من ضلعه الأيسر، وإنما انبلاج فجر نظام جديد نابع من صلب شعبنا العربي ليأتي التغيير وتستطيع سوريا أن تعيش حياة جديدة سليمة قويمة متحررة من هذا النظام ولكن حرة.

عندما قلنا في مقالات سابقة في العربي ان سوريا مريضة وتعاني مأساة، لم نكن نطلق الكلام على عواهنه ونأتي بذلك من بنات فكرنا، وانما كنا نشخص حالة واقعية فريدة تعيشها سوريا من دون جميع الانظمة العربية نستشفها من تقصي الاخبار الصحيحة ومن مكابدة ذاتية لهذه المأساة.

وعندما قلنا ان هذا النظام، بطابعه المزدوج الاستبدادي والطائفي من جهة، وبعناد ومكابرة القائمين عليه من جهة أخرى، لن يقف في أعماله الوحشية عند حد، بل يجد نفسه مسوقاً، بسبب طبيعته وطابعه، نحو تصعيد عمليات العنف، فلم نكن نرجم بالغيب، وانما كنا نستند إلى تحليل علمي لنظام أقام لأهله وزبانيته ملكاً

ظنوه مخلداً، فخلق لهم أغراضاً ومصالح وثروات ذات أرقام فلكية لم يكونوا و لم يكن أحد يحلم بها، فكيف لا يدافعون عنها، وقد غرقوا فيها، بالحديد والنار، ويستجيرون بأي مستجار؟ وكيف لا يستميتون وهم يميتون المواطنين للإبقاء على هذا النظام وخيراته الوفيرة عليهم.

وهكذا انساق النظام ببساطة ومن دون وازع ضميري أو وطني نحو ارتكاب مجزرة تاريخية كبرى في سجن تدمر وعملية إبادة جماعية كان ضحيتها أكثر من ستمائة شهيد بقصف من طائرات الهيلوكوبتر بالصواريخ والرشاشات والقنابل في أقل من دقائق.

وعن نفسية الرجال الحاكمين وعقليتهم، كل ذلك في سبيل وضع سيناريوهات وحلول للقضية الشائكة والعويصة وفي الوقت ذاته للتأثير غير المباشر على الحاكمين ليدخلوا اللعبة الدولية.

وكان سلاح كيسنجر للنجاح في مهمته الاتصال الشخصي المتتابع والمفاوضات السرية حيث يمكن في السر حل ما كان لا يمكن حله. وهنا بدت عبقرية كيسنجر المشهود لها في العالم، إذ تمكن خلال نصف ساعة إذابة الجليد بينه وبين الرئيس السوري كما ذكر ذلك في مذكراته.

ماذا جرى في السر بين الرجلين فهو ليس بالأمر المهم. الأمر المهم هو انه خرج من مقابلة بهذا الانطباع وهو ان رئيس النظام السوري قادر على اتخاذ القرار بشأن التسوية لوحده لأنه عازم على احكام العزل السياسي على شعب سوريا. وهو شرط لا بد منه لأن أية تسوية في مثل هذه الظروف هي تسوية لمسألة حدود آمنة ومعترف بها كما ينص القرار 242 وتطبيع العلاقات مع إسرائيل كما جرى الأمر بين مصر وإسرائيل.

كان هناك رأي عام عربي ودولي مستوحى من تاريخ سوريا القومي النضالي ان سوريا لا "تؤخذ" وانما ضمير الأمة العربية في سهرها على القضية العربية، وانما بذلك تقف سداً في وجه التسوية التي تنال من الحق العربي ووراءها تأييد الشعب العربي كله. وكان جواب الامبريالية وخطتها: تعطيل دور سوريا القومي. وجاء النظام السوري بفرضه العزل السياسي على الشعب، بالقمع والارهاب من جهة وبالكذب الاعلامي من جهة أخرى لتعطيل هذا الدور،

وكانت السياسة الطائفية ثالثة الاثافي كأداة لتمزيق نسيج المجتمع وقسم الصف الوطني وضرب الوحدة الوطنية وربما افرنقاع سوريا نفسها.

وهنا يمكن للمرء أن يستشف سر التدخل العسكري للنظام السوري في لبنان، وهو تدخل غير مسموح به دولياً إلا من خلال سوريا – النظام في اللعبة الدولية ويفرض إجراء ترتيبات جديدة في المنطقة بدت تبرز شيئاً فشيئاً. فالأمة العربية لا تعدم وسيلة لكي يبقى شعبها حاضراً هنا إذا غاب، بفعل القهر، هناك وقد انتقل الدور العربي إلى لبنان عندما ألغي في سوريا. فخلال انفجار الاوضاع في لبنان ظهرت براعم ثورة عربية أدركها أول ما أدركها المرحوم كمال جنبلاط ولو جاء ذلك متأخراً. ولكن كيف يسمح النظام السوري أن يحمل لبنان لواء الثورة العربية بعد ان طوى لواءها في سوريا، فكان دخول سوريا في اللعبة الدولية وتدخلها في لبنان.

وإلى الذين يتساءلون لم لا ينتهي عدم الاستقرار ويتم الوفاق في لبنان نجيب: فتش عن النظام السوري فغرضه الهيمنة بشكل أو بآخر على التحرك في لبنان أي الهيمنة على الحركة الوطنية اللبنانية وعلى المقاومة الفلسطينية وعلى الجبهة اللبنانية وعلى الزعماء السياسيين لربطهم جميعاً بخيوط يلعب بها وأوراق يستخدمها يوم الفصل أي يوم ترتيب اللجنة الدولية الاوضاع الجديدة في المنطقة.

إلا ان التاريخ لا يمشي دائماً في الخط المستقيم. فهو كثيراً ما يخادع ويناور ويورط ثم يفاجيء من يظنون انهم يصنعونه، وفي أوج الارهاب الذي فرضه النظام السوري وطابعه الطائفي الكريه وفي أوج الرعب الذي سيطر على البلاد بنتيجة أحكام العزل السياسي على الشعب، ظهر العنف الاسلامي الشعبي كرد على العنف "الثوري" ذي الطابع الطائفي. وكانت عمليات الاغتيال السياسي كتعبير وحيد عن سخط الشعب على هذا النظام وعلى كسر حاجز الخوف الذي كان مسيطراً عليه.

وفي بداية هذا العام 1980 بلغت القلوب الحناجر كما جاء في الآية الكريمة. وبدأت الجماهير تتململ وتتحرك لإثبات وجودها في الساحة السياسية وانعكس هذا التململ في النقابات المهنية ولا سيما في نقابات المحامين والمهندسين والاطباء التي تشكل العالم الثقافي في سوريا والتي تتطلع إلى قيام مجتمع مدني حضاري

ديموقراطي. فقد عقدت هذه النقابات مؤتمرات رائعة تجلى فيها نقد النظام وشرح هناته القومية والسياسية واتخذت قرارات حاسمة تطالب فيها بإلغاء حالة الطوارىء والمحاكم الاستثنائية ومنع توقيف أي مواطن إلا بمذكرة توقيف صادرة عن السلطة القضائية، وكانت هذه المؤتمرات مجال بداية انتفاضة شعبية تستهدف كسر القيود التي كان يقيد بها المواطنون في حياتهم الخاصة وفي الحياة العامة.

لقد كان من الممكن أن يلبي النظام هذه المطالب وان يتصرف تصرفات الدولة المدنية التي تتخذ عادة إجراءات دفاعية، وفي الوقت ذاته ان يجري تغييرات تأسيسية في بنية النظام بل ان تهيىء لمرحلة انتقالية يجري خلالها خروج البلاد بطريقة سلمية إلى وضع ديموقراطي يقيم فيه الشعب بكل حرية النظام الذي يقره. إلا ان أهل النظام لم يكونوا بهذا الوارد، بل كانوا قد رسموا خطة استدراج قمعية بالغة الخطورة أريد أن تكون مثلاً لكل من تسول نفسه معارضة هذا النظام.

وفي أول آذار، وبمناسبة اعلان النقابات الاضراب لعدم تلبية الدولة مطالبها، جرد النظام جيشه المؤلف من "سرايا الدفاع" الدفاع عن النظام لا عن الحدود، ومن "الوحدات الخاصة" الخاصة بالقتل الجماعي. وقام بإجراءات هجومية ساحقة فكانت مجزرة جسر الشغور التي ذهب ضحيتها العشرات من زهرة الشباب المثقف بطريقة انتقائية للذين كانوا يعدمون على الفور ثم قامت بعمليات "التمشيط" فحاصرت مدينتي حلب وحماة وعزلتهما عن سائر المدن السورية وأخذت تمشطهما حياً حياً تستبيح المساكن وتأخذ الرهائن وتقتل المواطنين وتعتقل الألوف وبأساليب لم تعهدها سوريا في زمن الانتداب الفرنسي. ثم أعقب ذلك انقلاب العنف في مجزرة تدمر.

ففي يوم 26 حزيران/يونيو جرت محاولة اغتيال لرئيس النظام السوري، أدت إلى جروح بسيطة في رجله، قام بها عدد من ضباط الشرطة العسكرية المكلفين بحراسة قصر الضيافة. وكان ذلك عند مجيء الرئيس إلى قصر الضيافة لوداع رئيس جمهورية النيجر.

وفي ليلة 27 حزيران/يونيو اعطيت الأوامر لعدد من ضباط جيش النظام ان ينتقلوا بطائرات الهيلوكوبتر إلى تدمر ويقوموا بمهمة إجرامية وهناك في سجن تدمر

الحصين أوهموا المعتقلين بالألوف في أحد أركان هذا السجن انهم أحرار وان الأوامر صدرت بالافراج عنهم. وما ان تحرك المعتقلون نحو الباب حتى داهمتهم الطائرات تنزل عليهم الحمم من الرشاشات والقنابل والصواريخ تحصدهم حصداً مما أدى إلى استشهاد أكثر من ستمائة موقوف من نخبة الشباب المثقف الذين كانوا قد أوقفوا دون أية تهمة ودون إجراء أية محاكمة لهم.

واليوم يستمر النظام، وقد جن جنونه من استمرار عمليات العنف المضاد، في إنزال العقاب الجماعي في عمليات إبادة تنصب بصورة خاصة وبروح طائفية على الاخوان المسلمين حتى بلغ به الأمر ان يصدر قانوناً بالحكم بالاعدام على كل من ينتسب للاخوان المسلمين وقراراً بتشكيل محاكم ميدانية وتصريحات يعلن فيها ملاحقة المعارضين للنظام أنى كانوا وقائمة بأسماء معروفة يهيىء النظام زبانيته لاغتيالهم.

ونتوجه الآن بالكلمة الطيبة إلى جميع الذين يقاومون النظام بشتى أشكال المقاومة المشروعة عن المثل والمبادىء ووفق المفاهيم المناقضة لمفاهيم نظام الحكم، صحيح ان النظام هو الذي بدأ بالهجوم الهمجي وهذا مفهوم بالنسبة لطبيعة النظام ولكن موقف المقاومة الشعبية حتى يكون صحيحاً يجب أن ينطلق من مفهوم مناقض. كالخير في وجه الشر، والدفاع في وجه الهجوم. المهم ترسيخ اللاعودة بعد ان تجاوز النظام الخط الأحمر الوطني. فمقاومة نظام الحكم للخلاص منه هو بالفعل موقف دفاع عن شرف الأمة وعن كرامة الفرد وللحفاظ على سلامة الوطن ووحدة نسيج المجتمع، وهو موقف إيجابي بعيد كل البعد عن اية سلبية. وبتعبير آخر المقاومة لا تنشب من منطلق العداء لنظام الحكم لمجرد اننا نريد أن نحل شخصاً مكان شخص وحزباً مكان حزب. المقاومة تستهدف تغيير طبيعة النظام لا تغيير النظام، وتغييره نوعياً أي احلال الحرية مكان الاستبداد والعدل مكان الظلم والخير مكان الشرف وغنى الشعب محل اثراء أهل النظام.

ويدخل في هذا المجال التمييز التام بين أهل النظام وزبانيته وبين عامة الشعب في أكثريته الصامتة. ويدخل في هذا المجال ضرورة التمييز بين أهل النظام الذين أقاموه على اساس التمييز الطائفي – العنصري لخدمة مآربهم الخاصة واهدافهم

العامة وبين عامة الطائفة التي لم يكن لها دور في إقامة هذا النظام والتي تشكل جزءاً من الاكثرية الشعبية الصامتة التي تقاوم جرائم النظام بقلوبها على الأقل والتي لا ترضى عن الجرائم التي يرتكبها أهل النظام. وهنا علينا أن نتمثل بالآية الكريمة: "ولا تزر وازرة وزر أخرى".

هنا من الناحية المبدئية أي من ناحية فلسفة وطبيعة النظام الذي يراد أن يحل محل النظام الفاجر المسيطر اليوم. أما من الناحية العملية فيجب أن يكون هدف المقاومة الشعبية لنظام الحكم، الناطقة منها والصامتة، المعلنة والخفية، هي محاصرته كلما أمعن في القتل وكلما تخلخلت صفوفه احكام العزلة الشعبية ليصبح في عزلة تامة. وهذا اخوف ما يخافه النظام وهو السر في تصعيد أهل النظام أعمال القتل الجماعي من منطلق طائفي أملاً منه في إثارة العصبية الطائفية وبذر بذور خوف الطائفية عند عامة الطائفة والتي يحاول تكتيلها حوله. وعلى المقاومة الشعبية، الصامتة والناطقة لا تغفل عن لعبة النظام هذه وان تحذر من الوقوع في الفخ الذي ينصبه النظام لها.

وتربأ المقاومة الشعبية ان تقوم بأعمال مطبوعة بطابع ردة الفعل بل عليها وهي التي تستهدف قيام مجتمع قومي ديموقراطي شعبي يتساوى فيه المواطنون بصرف النظر عن الاختلاف في الدين والمذهب والعقيدة، عليها أن تمارس في داخلها ووجدانها ووعيها وفي ممارساتها هذا الهدف.

ويفيد هذا الباب كثيراً ان يصدر التمييز بين النظام الطائفي وبين الطائفة التي يحاول النظام توريطها في نظامه بفعل التخويف والتهويل وبفضل التضليل الاعلامي بأن تبين عامة الصامتة والناطقة انها براء من نظام يقوم على التمييز الطائفي.

إذا رأى امرؤ منكم منكراً فليغيره بيده وان عجز فبلسانه وان عجز فبقلبه وهو أضعف الايمان.

د.صلاح الدين البيطار

"الاحياء العربي" العدد 21- 1980/7/25

مجازر حافظ - رفعت الأسد

مجزرة سجن تدمر

مجزرة صيدنايا

المجرمون كلهم من العلويين

مجازر ارتكبها النظام قبل وبعد مجزرة حماة 1982

مجزرة سجن تدمر

في السابع والعشرين من حزيران/يونيو العام 1980 حصدت آلة الحقد الطائفي التابعة لنظام آل الأسد الدموي قرابة ألف ومائة من شباب سوريا في زنازينهم في سجن تدمر الصحراوي. كانت الآلة والأداة المنفذة للمجزرة "سرايا الدفاع" التابعة مباشرة لإمرة رفعت الأسد. انقضت كتيبتان منها على سجن تدمر الصحراوي وقام عناصرهما بحصد أرواح المعتقلين العزل بدم بارد وهم في زنازينهم غافلين وجاهلين عما دبر لهم، وبعد الانتهاء من المجزرة تم دفن الضحايا في مقابر جماعية في وادي عويضة على بعد اثني عشر كيلومتراً شمال شرق تدمر، وتم التكتم تماماً على أسماء الضحايا أو حيثيات المذبحة كما ان أهالي الضحايا ما يزالون يجهلون مصير أحبائهم داخل السجن: أقضوا في المذبحة أم ما زالوا على قيد الحياة.

ليومنا هذا لم تكشف سلطات النظام السوري الأمنية أو الرسمية شيئاً عن هذا الملف الذي تكتنفه الظلمات، فالكثير من أبناء الشعب السوري ينتظرون بفارغ الصبر عودة المفقودين من أب وابن وزوج وأخ وصديق ضاربين عرض الحائط وغير مصدقين لتقارير منظمات حقوق الانسان التي تقول بأنهم قضوا ولن يعودوا.. مما أدى إلى اختلاف الروايات حول عدد ضحاياها، وأشارت بعض المصادر الأجنبية إلى مصرع قرابة 600 شخص، بينما تشير بعض المعلومات إلى ان عدد شهداء المجزرة أكثر من ذلك بكثير، فلقد قدرت منظمة مراقبة حقوق الانسان ان الرقم 1181 ضحية، وتذهب بعض المصادر إلى ان عدد ضحايا المجزرة يقترب من الألفين.

وفي كتاب "تدمر: شاهد ومشهود" لمؤلفه د. رياض معسعس: ص 193 ورد ان اللجنة السورية لحقوق الانسان، تحتفظ بقصة مجند كان يعمل طابعاً للآلة الكاتبة في قيادة الاركان بدمشق وردته قائمة أسماء 813 ضحية ليطبعها، قتلوا في سجن تدمر في اليوم المذكور، ولقد نقل القصة لبعض أصدقائه واستأمن أحدهم على نسخة من الاسماء، لكن يبدو ان الخبر انتشر وعرف انه المصدر، فحكمت عليه محكمة ميدانية بالاعدام ونفذ فيه الحكم فكان الضحية 814 في هذه المجزرة.

واستطاعت اللجنة السورية لحقوق الإنسان أن توثق أسماء أكثر من 450 معتقلاً كانوا محتجزين في سجن تدمر قبيل وقوع المجزرة ثم اختفى كل أثر لهم بعدها مما يؤكد انهم من ضحاياها. فيما تؤكد بعض المصادر، ان عدد الذين ابتلعهم سجن تدمر واختفت آثارهم فيه سبعة عشر ألفاً من الأطباء والمهندسين والعلماء والعمال والفلاحين والمدرسين والطلاب والشعراء والأدباء والشيوخ والقاصرين.

في سجل النظام الطائفي لم تكن هذه المجزرة هي الوحيدة التي نفذت بدم بارد ضد معتقلي الرأي والأبرياء من أبناء الشعب السوري، فهناك العديد من المجازر الدموية التي ارتكبها النظام البربري في حماة، إدلب، جسر الشغور ودير الزور وباقي المدن السورية، حُصدت فيها آلاف الأرواح البشرية في حملات الإبادة الجماعية والاعدامات التي تناسقت مع تصريحات وزير دفاع النظام السابق مصطفى طلاس لمجلة "دير شبيغل" الألمانية، بأنه كان يصادق على إعدام 150 معتقلاً سياسياً اسبوعياً لمدة سنوات طويلة. هذا بالإضافة إلى النزيف اليومي المستمر للأرواح البشرية التي أزهقت تحت التعذيب الشديد حتى الموت.

الشاهد الأول: إفادة أكرم بيشاني

س: ممكن تقدم نفسك؟

ج: أنا أكرم علي جميل بيشاني من محافظة طرطوس/قرية يحمور مواليد سنة 1960/أعزب شهادتي الصف السادس الابتدائي/علوي/اسم والدي علي جميل البيشاني/علوي/اسم أمي حليمة يعقوب/والاثنان حالياً يقيمان في قرية يحمور.

في 1979/3/23 التحقت في صفوف سرايا الدفاع ونقلت إلى معسكر التدريب وهو معسكر القابون في دمشق، وهناك التحقنا في دورتين الأولى هي

دورة اللغة والثانية دورة الصاعقة ومن بعدها نقلت إلى كتيبة مدفعية رقمها 149 تابعة للواء 40 سرايا الدفاع بالضبط هي في شهر 5 سنة 1980 نقلت ضمن مجموعة الحراسة، لمفرزة حراسة بيت الرائد معين ناصيف والمجموعة هذه حوالى 25 عنصراً.

(معين ناصيف قائد اللواء 40 من سرايا الدفاع، علوي، من قضاء اللاذقية، وتزوج ابنة العقيد رفعت الأسد تماضر الأسد).

س: ما هي المهمات التي كلفت للقيام بها أثناء خدمتك في سرايا الدفاع؟

ج: كلفت في مهمتين المهمة الأولى هي مهاجمة سجن تدمر والمهمة الثانية في داخل الأردن.

المهمة الأولى هي مهاجمة سجن تدمر حيث انه بعد محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد في الشهر السادس السنة الماضية أيقظونا في اليوم التالي، حثونا من المهجع حوالى الساعة الثالثة والنصف صباحاً وقالوا لنا اجتماع في قاعة السينما الموجودة في اللواء بما فيه السلاح الميداني الكامل وطلعنا، وكان عدد المجموعة الموجودة من اللواء 40 حوالى 100 عنصر مع ثلاثة ضباط بعد ذلك حضر قائد اللواء اجتمع فينا وألقى كلمة. بعد الكلمة قال ان الاخوان المسلمين قتلوا ضباطاً، قتلوا المشايخ، قتلوا الأطباء، وبالنهاية حاولوا اغتيال الرئيس حافظ الأسد والآن سنكلفكم بأول مهمة قتالية وطلعنا بعدين من اللواء 40 بسيارات أوصلتنا مطار المزة، وكان موجوداً هناك بالمطار مجموعة من اللواء 132 يقدر عددها بحوالى 100 عنصر واللواء 132 قائده المقدم علي ذيب علوي قضاء اللاذقية، وهناك كان موجوداً 9 طائرات عامودية، جمعونا على شكل مجموعات وكل مجموعة تسلمها ضابط، وطلعونا على الطائرات الموجودة هناك وكل طائرة تسع لحوالى 24 عنصراً، وطلعنا من مطار المزة كان قائد العملية هناك علوياً من قضاء اللاذقية بس ما بعرف شو اسمه أقلعنا إلى مطار تدمر في حوالى الساعة الخامسة ووصلنا هناك حوالى الساعة السادسة أو السادسة وعشر دقائق فجمعونا هناك وطلب قائد العملية اجتماعاً للضباط، جمع الضباط وقال لهم اعطوا العناصر استراحة حوالى ثلاثة أرباع الساعة وبعد الاستراحة قسمونا على شكل مجموعات فاللواء 40 كان على شكل ثلاث مجموعات، وكل مجموعة استلمها ضابط وأخذوا ينتقوا العناصر إللي بدها

تدخل إلى سجن تدمر بشكل عشوائي انتقوا حوالى 80 عنصراً كذلك انتقوا حوالى 20 عنصراً لحماية الطائرات والباقي خلوهم على شكل احتياط في المطار، ثم توجهت العناصر التي انتقوها ويقدروا حوالى 80 عنصراً وهم الذين سينفذون العملية داخل السجن، توجهوا على شكل مجموعات بسيارة نقلتهم إلى داخل السجن وبعد ثلاثة أرباع الساعة من دخولهم إلى باب السجن الخارجي بدأنا نسمع صوت إطلاق نار ودوي انفجار قنابل ويقدر عدد القنابل حوالى 7 قنابل تفجرت هناك، ودام إطلاق النار حوالى ثلاثة أرباع الساعة وبعد ان طلعت العناصر مثلما دخلوا، طلعوا على شكل مجموعات.

س: إنت كنت مع أي مجموعة؟

ج: أنا كنت مع مجموعة الاحتياط التي ظلت هناك في المطار، وبعدما طلع العناصر من السجن كان فيه بعض الناس ملطخة ثيابهم بالدماء بعرف أسماء الذين تلطخت ثيابهم بالدماء وهم الملازم الرئيس عبدالله، الملازم منير درويش، الرقيب علي محمد موسى، وطلعنا كل واحد على الطائرة ورجعنا إلى مطار المزة وصلنا حوالى الساعة 12 الظهر، وكان واحد مصاباً معنا وما جعلني أعرف بوجود مصاب معنا واحد هو ان الملازم أول ياسر باكير من اللواء 40 قال موجهاً كلامه إلى كافة العناصر ان قائد اللواء يريد ان يجتمع فينا الآن في السينما إذا سأل من الانسان الذي أصيب قولوا له انها طلقة مرتدة، ضربت في الحائط ورجعت عليه بعدين انصاب قلنا له ماشي الحال وطلعنا بالسيارات واتجهنا تجاه اللواء 40 اجتمعنا في السينما وجاء قائد اللواء وألقى فيهم كلمة شكر.

ثمن القتيل السوري 4 دولارات

س: هل هو الرائد معين ناصيف؟

ج: الرائد معين ناصيف ألقى فيهم كلمة شكر، أذكر منها انه أنتم قمتم الآن بعمل بطولة، بعمل رجولة، مع العلم ان أول مرة بنكلفكوا بهيك مهمة، بعدين طلعنا من قاعة السينما وأخذ يعني كل إنسان يتحدث مع زميله فالتقيت أنا مع أحد الزملاء هناك وهو الرقيب علي محمد موسى من مفرزة حراسة الرائد معين ناصيف وسألته لأنه هو من الجماعة الذين دخلوا على السجن نفسه انه كيف هناك

تمت العملية قال لي انه قسمونا على شكل مجموعات كل مجموعة تسلمها ضابط يعني - حسب ما قال لي - كانوا يفوتوا إلى الغرفة اللي فيها السجناء يفتحوا الباب يطخوهم مباشرة بدون سؤال بدون أي كلام فقلت له طيب هذولاك ما كانوا يستنجدوا قال كانوا يستنجدوا وكانوا يقولوا الله أكبر، وكانوا يقولوا لنا مشان الله، مشان محمد، مشان أمك، مشان أختك، مشان ما تقتلنا، قال لي انه ما كانوا يستمعوا لكلامهم هذا نهائياً وطخوهم بعدين طلعوا قلت له قديش تقدر عدد القتلى قال لي عدد القتلى يطلعوا 500 أو 600 قتيل من السجناء هؤلاء الذين في السجن وفي اليوم التالي وزعوا لكل الناس الذين اشتركوا لكل الزملاء الذين اشتركوا في المهمة كل واحد 200 ليرة سوري (4 دولارات).

س: من تعرف من الذين اشتركوا بهذه العملية؟

ج: بعرف العريف ناصر عبد اللطيف من طرطوس أو اللاذقية ما بعرف بالضبط علوي، بعرف العريف غسان شحادة من قضاء اللاذقية علوي، بعرف الرقيب علي محمد مرسي من قضاء حمص اللاذقية، بعرف العريف طاهر زيادي من قضاء اللاذقية، علوي، والرقيب طلال محيي الدين أحمد من اللاذقية، علوي، والرقيب نزيه بلول علوي من قضاء حمص، والعريف حسين عيسى علوي من قضاء حمص، والرقيب همام أحمد من قضاء اللاذقية علوي.

س: ومن تعرف من الضباط الذين اشتركوا فيها؟

ج: الضباط الذين اشتركوا فيها هم الملازم الرئيس عبدالله من كتيبة المشاة تابعة للواء 40 سرايا الدفاع من قضاء اللاذقية علوي، والملازم منير درويش من كتيبة المشاة تابعة للواء 40 سرايا الدفاع من قضاء اللاذقية علوي، والملازم أول ياسر باكير من اللواء 40 علوي من قضاء حماة.

الشاهد الثاني: إفادة عيسى ابراهيم فياض

س: ممكن تقدم نفسك.

ج: عيسى ابراهيم حامد فياض/بلدتي قويقة تابعة لمحافظة اللاذقية/تاريخ الولادة 1960/أعزب/علوي/والدي ابراهيم حامد فياض/مزارع/والدتي جميلة صقر علي مربية بيت/ثقافتي الحادي عشر درست بالقرية/بقرية قويقة حتى الثالث

الاعدادي والتحقت بقرية عين العروس مدرسة ثانوية تابعة لمحافظة اللاذقية، تركت المدرسة اشتغلت مع أبـي مزارعاً عادياً لمدة سنة والتحقت بسرايا الدفاع في 1979/3/10 وأنا الآن رقيب بسرايا الدفاع رقمي (956982).

س: سيد عيسى وضح لنا خدمتك بشيء من التفصيل.

ج: التحقت بسرايا الدفاع بمعسكر اسمه القابون كدورة أغرار، ظلت دورة الاغرار حوالى 45 يوماً، والتحقت بدورة ثانية في المعسكر نفسه دورة صاعقة استمرت حوالى ثلاثة أشهر وأكثر، وانتقلنا من معسكر القابون إلى معسكر يعقوب الواقع في دمشق كدورة قتال عادي للكتيبة، يعني كتيبة مشاة هناك تدربنا على السلاح على بارودة كلاش رشاش، قاذف قنابل، رمي قنابل، تدريبات عادية ككل التدريبات. أي كتيبة مشاة استمرت هذه الدورة حوالى ثلاثة أشهر، رجعنا لمعسكر القابون هناك عملنا مظلات حوالى 25 إلى 30 يوم بعدين التحقت باللواء 40 اللي قائده اللواء معين ناصيف زوج بنته للعقيد رفعت الأسد (تماضر الأسد) علوي من محافظة اللاذقية واستمريت على هالشي يعني تدريب عادي للكتيبة 302 في هذا اللواء حتى تم التحاقي بحراسة منزل الرائد معين ناصيف اللي هو قائد اللواء. عدد مجموعة الحراسة كان حوالى 25 عنصراً مسؤول عنا الرقيب أول صلاح ابراهيم/علوي وهو وجميع عناصر الحراسة علويين.

س: عيسى ما هي المهمات التي كلفت بها أثناء خدمتك بسرايا الدفاع؟

ج: كلفت بمهمتين.

المهمة الأولى مهمة سجن تدمر 1980/6/26 تعرض الرئيس حافظ الأسد لمحاولة اغتيال فجر اليوم الثاني 1980/6/27 أيقظونا الساعة الثالثة فجراً صباحاً وقالوا لنا اجتماع بلباس الميدان الكامل مع الأسلحة. واجتمعنا في الساحة وأخذونا إلى سينما في اللواء 40 وهناك كان منتظرنا الرائد معين ناصيف قائداللواء، ألقى فينا كلمة قال هؤلاء العرصات الاخوان المسلمين ما عم يفرقوا بين مسلم علوي ومسلم سني ومسيحي وعم يقتلوا في الشعب وامبارح حاولوا اغتيال الرئيس لذلك اليوم راح تقوموا بهجوم على أكبر وكر لهم وهو سجن تدمر، قال مين ما بده يقاتل ما حدا رفع ايده، الأمر العسكري قال لنا اطلعوا بالسيارات طلعنا بالسيارات مجموعة قدرها 82 واحداً تقريباً ووصلنا لمطار المزة القديم وكان بانتظارنا مجموعة

من اللواء 138 أحد ألوية سرايا الدفاع قائده المقدم علي ذيب/علوي من اللاذقية، وكان موجود في انتظارنا عشر طائرات هليوكوبتر. طلعنا بالطائرات بقيادة أركان المقدم سليمان مصطفى، علي من اللاذقية، وكان معنا ضباط الملازم أول ياسر باكير/علوي من حماة، والملازم منير درويش/علوي، والملازم رئيف عبدالله علوي، يعني الثلاثة هؤلاء من اللواء 40، طلعنا بالطائرات تجاه تدمر ووصلنا حوالى الساعة ستة ونصف الصبح في اليوم نفسه وهناك نزلنا من الطائرات وفرقونا مجموعة اقتحام ومجموعة ظلت بالمطار، المجموعة اللي راحت للسجن إجت سيارة دودج تراك ونقلتنا للسجن، بالسجن توزعنا إلى ست مجموعات كانت مجموعتي أنا أحد عشر واحداً يعني المجموع الكلي اللي تحرك للسجن حوالى ستين، مجموعتي كانت بقيادة الملازم منير درويش وفتحوا لنا باب المهجع دخلنا حوالى ستة إلى سبعة قتلنا اللي فيه كان مجموع اللي فيه حوالى ستين واحداً إلى سبعين واحداً، سمعت أنا إنه في قتيل أخذ بارودة من زميل لي من السرايا اسمه اسكندر أحمد رقيب رحت أنا لعنده وشفته إلا واحد يناديني قلت له شو بدك قال لي اعطيني مخزن قلت له ليش قال في واحد لسه ما مات بدنا نموته، قلت له اعطيني بارودتك.بما انه أنا أعطيت بارودتي لزميلي، بارودته كانت خربانة، أخذت بارودته ورشيته يعني كان مجموع اللي رشيتهم حوالى 15 واحداً، مجموع اللي قتلوا بالسجن من العرصات الاخوان المسلمين حوالى 550 واحداً، ومجموع اللي قتلوا من سرايا الدفاع كان واحد واثنين جرحى، طلعنا عاد كل واحد صار يغسل إيديه ورجليه الملطخة بالدماء وكان الملازم رئيف عبدالله، طلعنا سألوه للملازم رئيف عبدالله ليش كنت تفرق المساجين هيك كل واحد لوحده قال امبارح كانوا يقتلوا اخواتنا في حلب بكلية المدفعية.

س: كيف كان يفرق بالمساجين؟

ج: يعني اللي ما مات يموته.

س: يتفقد فيهم؟

ج: آه، قلت في كمان واحد أطلق النار على واحد ما قتل قال له تعال نقضي عليه ما قتلت واحد من عصابة الاخوان المسلمين، فطلعنا بسيارة واحدة ونقلنا للمطار وكان في انتظارنا المجموعة التي ظلت في المطار وطيارات الهليوكوبتر.

س: كم استغرقت المهمة هذه؟

ج: استغرقت حوالى نص ساعة، كان في دوي قنابل وصيحات الله أكبر، وطلعنا بالطائرات واتجهنا باتجاه الشام لمطار المزة القديم، من هناك مجموعة اللواء 138 اللي تابعة لسرايا الدفاع طلعت على لوائها ومجموعة اللواء 40 طلعت على لوائها وكان بانتظارنا الرائد معين ناصيف قائد اللواء شكرنا على جهودنا وعزانا بوفاة زميلنا وقال لنا كل واحد يلتحق بعمله، فالتحقنا بعملنا.

س: إنت بينت لنا شو كان دورك وما بينت لنا أدوار زملائك اللي اشتركوا في العملية هذه؟

ج: مثلاً محمد عمار قتل اللي قتل اسكندر أحمد هذا الرقيب اللي قتل معنا خلصوه البارودة وقتلوه وقال لي انه رش كما في المهجع نفسه محمد عمار بحراسة منزل الرائد معين ناصيف علوي، ابراهيم مؤنس/علوي عريف مجند من منطقة مسياط وكمان قال لي رشيت ما عرف ماذا رش بس قال لي انه رشيت.

س: لم يحدد عدد من قتلهم؟

ج: أبداً ما قال لي في "ابراهيم مكنا" كان مع الملازم رئيف عبدالله و"ابراهيم مكنا" علوي رقيب مجند من منطقة جبلة محافظة اللاذقية كان يفرد مع الملازم رئيف عبدالله المساجين.

س: لما رجعتم من السجن هل جرى أي توجيه أمر لكم؟

ج: الرائد معين قال انه ما لازم تطلع هالعملية خارج منا، يعني لازم تصل مكتومة وسرية.

س: بالنسبة لسجن تدمر كيف كان جو السجن قبل قيامكم بهذه العملية؟

ج: كان هادئاً يلفه الصمت الأمور مرتبة قبل دخولنا يعني ما حدا اعترضنا بالدخول، الشرطة كانت واقفة في جماعة حرس عالباب ورئيس حرس، وفي شرطة بالساحة، أخذوا التفقد قبل العملية، تفقد المساجين.

(العريف أكرم بيشاني مشارك في مجزرة سجن تدمر أرسل إلى الأردن لقتل مضر بدران رئيس الوزراء).

عيسى ابراهيم فياض معترفاً بقتل سجناء بالمشاركة في مجزرة تدمر

جرت محاولة فاشلة لقتل عبدالله.. عبر جماعة من رنكوس، عام 1980، في ثمانينيات القرن العشرين وأجهزة الأمن اعتقلت كل مدينتي إلى هذه العائلة صغاراً وكباراً وقتلوهم ثم اكتشفوا ان هناك امرأة من هذه العائلة متزوجة من رجل في القلمون على بعد 30 كلم فداهموا المنطقة وقتلوا الامرأة واعتقلوا شباباً في العشرينيات كانوا في محيط عمل المرأة وسجنوهم عدة شهر في الاستخبارات تعرضوا خلالها للتعذيب حتى خرجوا غير طبيعيين.

بعض مجرمي مجزرة تدمر من المخططين والمنفذين (وكلهم من الطائفة العلوية)

1- حافظ الأسد (رئيس الجمهورية وقت المجزرة).
2- رفعت الأسد (قائد سرايا الدفاع).
3- المقدم فيصل غانم (مدير سجن تدمر).
4- المقدم علي ديب. قائد اللواء (138) من سرايا الدفاع (من محافظ اللاذقية).
5- الرائد معين ناصيف. قائد اللواء (40 من سرايا الدفاع.
6- المقدم سليمان مصطفى. قائد أركان اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة حماة).
7- الملازم أول ياسر باكير. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (محافظ حماة).
8- الملازم منير درويش. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (محافظ اللاذقية).
9- الملازم رئيف عبدالله. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (محافظة اللاذقية).
10- الرقيب محمد عمار. من حراس منزل معين ناصيف (من محافظة اللاذقية).
11- الرقيب علي موسى. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة حمص).
12- الرقيب همام أحمد. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من جبلة).
13- الرقيب نزيه بلول. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة حمص).
14- الرقيب طلال محيي الدين أحمد. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة اللاذقية).

15- الرقيب عيسى ابراهيم فياض. من حراسة منزل معين ناصيف (من محافظة اللاذقية).

16- الرقيب بدر منصور. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من جبلة).

17- العريف أكرم البيشاني. من حراسة منزل معين ناصيف (من محافظة طرطوس).

18- العريف ابراهيم يونس. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (محافظة حمص).

19- العريف ابراهيم مكنا. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من جبلة).

20- العريف طاهر زياري. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من جبلة).

21- العريف علي صالحة. من اللواء (40) من سرايا الدفاع. منطقة مصياف.

22- العريف عبد الرحمان هدلان. من اللواء (40) من سرايا الدفاع.

23- العريف ناصر عبد اللطيف. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة طرطوس).

24- العريف غسان شحادة. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة اللاذقية).

25- العريف حسين عيسى. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة حمص).

26- العريف بشير قلو. من اللواء (40) من سرايا الدفاع (من محافظة حمص).

هذه اللائحة سربت ومن بعض عناصر الأمن التي عرفت بالمجزرة بعد حل سرايا الدفاع التي ارتكبتها، اثر خلع مؤسسها رفعت الأسد بعد محاولته الانقلاب على شقيقه حافظ.

وثيقة بعض وجهاء الطائفة العلوية إلى رئيس وزراء فرنسا ليون بلو عام 1935. من ضمنهم سليمان الأسد من الموقعين (موجودة في المكتبة الوطنية في باريس. وفي وزارة الخارجية الفرنسية).

واعتمدها رياض معسعس كوثيقة في اطروحته تحت عنوان الاعلام والهرولة في سوريا رسالة دكتوراه في جامعة السوربون 1981.

مجزرة سجن تدمر في ذكراها الخامسة والعشرين

سطور وأرقام ونصوص

والارقام.. (2)

بقلم: محمد السيد

تقع تدمر في بادية الشام..

تبعد عن حمص شرقاً (160)كلم..

تبعد عن دمشق باتجاه الشمال الشرقي (250) كلم..

فيها آثار مملكة تدمر على الطراز الروماني، ملكتها (زنوبيا)..

وهي عاصمة البادية اليوم، يمر منها طريق دمشق - دير الزور..

تشكل قضاء يبلغ تعداد سكانه (60) ألفاً..

يقع سجن تدمر في الناحية الشمالية من مدينة تدمر، فيه (41) مهجعاً، كل مهجع بقياس (5 × 18)م وضعوا في كل واحد منها (100 - 200) سجين..

اشترك في المجزرة (250) من جلاوزة سرايا الدفاع واللواء (138) الذي يرأسه (علي ديب)، نقلتهم (10) طائرات هيلوكوبتر من مطار المزة..

وزعت السلطة مبلغ (200) ل. س على كل مشترك في المجزرة الذين نالوا استحسان الرائد (معين ناصيف) حيث شكرهم على حسن أدائهم وطلب منهم التكتم على العملية..

دفن ما يزيد عن (1000) شهيد في مقبرة جماعية حفرت عند أسوار السجن.

منذ عام 1980 عام المجزرة وحتى عام 1984 كان يعدم من المعتقلين خمسة وعشرون كل أسبوع..

نشرة منظمة العفو الدولية عدد 9/مجلد 10/أيلول 1980 ذكرت المجزرة وأنباءها..

آذار 1981 طرحت المجزرة على لجنة حقوق الانسان في الأمم المتحدة بالوثيقة 1981/4/3CN/E/4/1469 ونوقشت بالجلسة رقم 1632 تاريخ 1981/3/9 لم تتخذ اللجنة قراراً بشأنها..

1181 عدد شهداء المجزرة حسب تقارير الاستخبارات..

مليون مواطن ضحايا فداء لاستمرار ثورة الأسد (رفعت الأسد) مقال في "تشرين" السورية 1980/7/1 أي بعد أربعة أيام من المجزرة..

شباط 1981 كشفت تفاصيل عن المجزرة بعد اعتقال مجرمين من سرايا الدفاع في الأردن جاءوا لاغتيال السيد (مضر بدران) رئيس وزراء الأردن آنذاك.

(350) سم مربع المساحة المتاحة للسجين وسطياً في المهجع..

الساعة 3.30 صباحاً اجتمعت مجموعتان من سرايا الدفاع تنتميان إلى اللواء (40) واللواء (138) بقيادة الرائد (معين ناصيف) صهر رفعت الأسد والمقدم (علي ديب)..

في الساعة 5.00 صباحاً انطلقت بهم الطائرات، وفي الساعة 6.00 صباحاً وصلت إلى سجن تدمر..

الساعة 6.45 صباحاً بدأت المجزرة.. (80) عنصراً سموا بمجموعة الاقتحام هم الذين نفذوا المجزرة..

(20) عنصراً المجموعة الثانية لحراسة الطائرات، الباقون من الـ (250) كانوا في المطار للاحتياط.

استغرقت عملية إبادة المعتقلين ساعة واحدة قتل فيها نزلاء (34) مهجعاً وأجهز على الذين لم يفارقوا الحياة من المرة الأولى..

أرشيف (حقوق الانسان) حتى تاريخ 2005/5/12

أرشيف (حقوق الانسان) حتى تاريخ 2004/5/31

مجزرة سجن صيدنايا

مجزرة سجن صيدنايا: هي مجزرة حدثت بسجن صيدنايا العسكري في سوريا يوم السبت 5 تموز/يوليو 2008 إثر عصيان مسلح قام به معتقلون إسلاميون. راح ضحية هذه المجزرة العشرات من السجناء وحراس السجن.

الرواية الرسمية

بحسب الرواية الرسمية فقد قام بعض نزلاء السجن المحكومين بجرائم متعلقة بالإرهاب في العراق وسوريا. بالاعتداء على زملائهم أثناء جولة تفقدية لمدير

السجن فاستدعت قوات الأمن التي اشتبكت مع السجناء مما أدى إلى سقوط قتلى وجرحى بين الطرفين.

رواية الاسلاميين

بحسب اقوال سجناء إسلاميين. استقدمت السلطات السورية يوم السبت 2008/7/5 كتيبة من الشرطة العسكرية لتفتيش السجن، وبدأ الجنود التفتيش بطريقة مستفزة ووضعوا القرآن على الأرض وقاموا بالدوس عليه، مما استفز مشاعر السجناء الإسلاميين. ثم حصلت مشادة بين السجناء والشرطة العسكرية قتل فيها 9 أشخاص، مما أدى إلى اندلاع أعمال احتجاجية داخل السجن وقام السجناء بأخذ عدة رهائن داخل السجن ومن ضمنهم المدير العام للسجن. وأثناء ذلك استطاع السجناء أن يمسكوا بزمام الأمور ويسيطروا على السجن بأكمله. كما قام السجناء بأخذ عدد من أفراد قوى الأمن كرهائن من أجل حماية أنفسهم ومن أجل استخدامهم كدروع بشرية، إلا ان قوى الأمن أطلقت النار عليهم وقتلت منهم 7 أو 8 أشخاص. وقال: "كما ان قوى الأمن أخذت 100 من السجناء كرهائن".

المنظمات الحقوقية

قال بيان صادر عن المرصد السوري لحقوق الانسان ان 25 شخصاً على الأقل قُتلوا بعد قيام الشرطة العسكرية بإطلاق الرصاص الحي على نزلاء السجن. وفي السياق نفسه قال رئيس المنظمة السورية لحقوق الإنسان مهند الحسني إن شهود عيان أفادوا بوجود دخان متصاعد من بعض الأماكن بالسجن دون معرفة ما إذا كان ناجماً عن حريق أم غازات مسيلة للدموع.

صائب سلام

لا يصائب حافظ الأسد

ربما كان صائب سلام أول رئيس وزراء يقابل رئيس وزراء سوريا الجديد حافظ الأسد بعد ان قام الأخير بإنقلابه يوم 1970/11/16 على رفاقه في حزب البعث (صلاح جديد، نورالدين الاتاسي، يوسف زعيّن).

وكان صائب سلام أول رئيس وزراء في العهد الجديد في لبنان برئاسة سليمان فرنجية (1970 – 1976).

حرص الأسد على إظهار المودة الشديدة لصائب سلام، فأرسل الحرس الجمهوري لاستقباله على الحدود اللبنانية – السورية، وعامله كرئيس دولة، وانتظره عند قصر الضيافة قبل نصف ساعة من وصوله، وعندما انفردا في مباحثات ثنائية أراد التودد أكثر فقال له: صائب بيك نصف بيتك سوري، فرد صائب سلام بما يشبه الحدة.. أبداً أنا بيتي كله لبناني.

ظهر التعجب على ملامح الأسد وهو يقول للزعيم اللبناني: أليست زوجك ابنة مردم بك العائلة الشامية العريقة؟

رد صائب سلام مبتسماً.. منذ ان تزوجت تميمة مردم بك أصبحت تميمة سلام ابنة بيروت ولبنان.

المفارقة الواضحة في سلوك حافظ الأسد السياسي، الاجتماعي، انه استعمل حصان العائلات الكبيرة في دمشق وحلب، وحاجاتها الاقتصادية الحديثة، كبورجوازية صاعدة كي يجابه غريمه الصلب شديد النزاهة والشفافية صلاح جديد بها، فلما تمكن الأسد من السلطة عمد إلى تحطيم كل نفوذ سياسي لهذه العائلات مفضلاً عليهم أبناء الأرياف والفقراء في المدن.

ترك بورجوازيو المدن السلطة لأبناء الريف السنّة والعلويين، وترك الأسد النفوذ الاقتصادي لأبناء دمشق وحلب فسادت معادلة التجار السنّة والضباط العلويين ليحكم آل الأسد سوريا طيلة 40 سنة بها.

وفي لبنان طبق حافظ الأسد نهجه بطريقة معدلة، فقد عمل على تحطيم نفوذ العائلات الكبيرة في المدن السنية الكبيرة، خاصة بيروت وأحلّ أبناء الريف والعائلات الصغيرة مكانها.

لم يغب هذا التفكير عن ذهن خبير نبيه محترف السياسة شديد الدفاع عن كرامته وكرامة وحرية وسيادة وطنه صائب سلام.. فكان الصدام مع الأسد حتمياً.

وفوق هذا غابت الكيمياء بين الرجلين، لفارق الثقافة والتربية والاصول الاجتماعية بين ابن الفلاح الفقير المزواج الذي بالكاد كان قادراً على إطعام أولاده

من أزواجه، واعتمد لهم السلك العسكري كي يضمن لهم أعمالاً توفر لهم العيش وبين ابن عائلة عريقة كان والده علماً من أعلام بيروت إحدى حواضر الدولة العثمانية. كان اقتران ابنه صائب بإبنة إحدى فتيات عائلة دمشقية عريقة صورة عن مكانته الاجتماعية وتربيته وثقافته.

وكان سوء حظ حافظ الأسد ان واجه في لبنان في بداية حكمه رجلاً شديد الاعتزاز بكرامته وعروبته واستقلال وطنه.

وكان سوء حظ صائب سلام ان واجه في مرحلة غياب كبير العرب جمال عبد الناصر صاحب الشعبية الطاغية في بيئة الزعيم البيروتي، رجلاً جموحاً، فتحت له أميركا كل الابواب ليخلصها من الثلاثي المغامر في سوريا (صلاح جديد، نورالدين الأتاسي، يوسف زعيّن ومعهم ابراهيم ماخوس) وهذا ما جعل سلام يردد: لقد أتعبني هذا الرجل، فهو غامض لا يجعلك تعرف ما الذي يريده، وهو يظن ان علينا ان نفهم عليه وأن ننفذ ما نتنبأ نحن به.

وسرعان ما انتقل الود الذي أظهره حافظ الأسد لصائب سلام عندما كان الاثنان رئيسين لوزراء سوريا ولبنان، إلى عداء شديد، عبر عنه عندما منعت السلطات السورية عام 1972 نزول طائرة T.M.A كان سلام يستقلها مع صديقه صاحب الشركة منير أبو حيدر في مطار حلب في رحلة صيد، بحجة عدم حصول الطائرة على إذن مسبق بالنزول!!

عندما دعا صائب سلام حافظ الأسد لزيارة لبنان (والاثنان رئيسا وزراء في لبنان وسوريا) اعتذر الأسد لإنشغاله بترتيبات انتخابات مجلس الشعب الأولى في عهده.. ليتبين ان سبب اعتذار الأسد كان أمنياً بإمتياز فالرجل لم يوطد أركان حكمه في بلده بعد، وهو يرى ان خصومه السوريين ما زالوا أقوياء في لبنان.

كان صائب سلام زعيماً لبنانياً سنياً قوياً وحافظ الأسد لم يكن يحب السياسيين اللبنانيين الأقوياء فكيف إذا كانوا من السنّة؟ فالزعماء السنّة في سوريا وفي لبنان، يؤثرون في الجمهور السوري ذي الاغلبية السنية ويفتحون عيونهم على حقيقة ان هناك ابن فلاح علوي يحكم عاصمة الأمويين.

ومثلما تخلص الأسد من كل أثر لزعيم سني أو غيره في سوريا كذلك حصل في لبنان.. ومن أقوى وأكثر رمزية من صائب سلام وتقي الدين الصلح ومعروف

سعد فصائب سلام الذي ما ارتضى يوماً تشكيل جماعة مسلحة خاصة به، واضطر إليها لحماية مؤسساته ثم أدرك خطأه فيها فحلها وانصرف إلى البناء والتعليم والاشفاء تحت راية عمل سياسي وطني شامل.. كان الأكثر نقداً والأكثر قساوة في نقده للسلوك السوري في لبنان خاصة من جيش الأسد وأجهزة أمنه.

طال سلوك الأسد صائب سلام فإذا بقذائف تطال دارته التاريخية في المصيطبة حيث يقطن مع عائلته، أطلقت عليه من محطة الفيومي التي كانت عائلة أصحابها من العائلات التقليدية في دعم الزعيم البيروتي.

وعندما كان سياسيون واعلاميون يسألون صائب سلام وهو في ذروة تألقه السياسي، هل أنت راغب في تشكيل حكومة جديدة في لبنان، كان جوابه الحاسم: لقد طلقت كرسي الرئاسة الثالثة بالثلاثة.. وحين يجيء إلحاح المقربين مستجدياً ان يشكل أي حكومة يرد بحسم: أنا لا أشكل حكومة روح روح.. تعا تعا.

غادر صائب سلام المناصب بإرادته لكن الادوار الوطنية أبت إلا أن تلاحقه.. وكان هذا أشد ما يزعج حافظ الأسد.

حين زار أنور السادات القدس في 1977/11/19، سمع صائب سلام من عبد الحليم خدام انه سيسحل الأرض بالسادات، فرد سلام ما هكذا تحل خلافات العرب، وعندما عاد صائب سلام إلى بيروت عقد مؤتمراً صحفياً في دارته أبدى فيه تفهماً لزيارة السادات، وكان الانتقام السوري قذيفة على حائط دارة صائب سلام الغربي.

وحين عقدت جلسة انتخاب رئيس جديد للجمهورية بعد اتفاق الطائف 1989، جاء صائب سلام بطائرة رفيق الحريري من جنيف إلى دمشق، ليدخل حمام المطار، وبعدها يركب سيارة من مطار دمشق إلى شتورة حيث عقد في أحد فنادقها (بارك أوتيل) جلسة انتخاب لإلياس الهراوي، ثم يبيت سلام ليلته في الفندق ليغادر في اليوم التالي بالطريقة نفسها.. يتوجه إلى مطار دمشق الدولي وقبل صعوده طائرة الحريري يتوجه إلى الحمام ليقضي حاجته حيث كان يعاني من البروستات ويطير إلى جنيف.

يرفض صائب سلام المبيت في دمشق ولا يطلب موعداً من أي مسؤول سوري، فيستفز ذلك عبد الحليم خدام ليعلق قائلاً صائب سلام لم يرَ في دمشق إلا حماماً يدخله ليقضي حاجته.

تمام صائب سلام

لجمعية المقاصد أعرق وأهم وأوسع جمعيات المسلمين انتشاراً وعطاء على مدى عمر بيروت الاسلامية، ممتداً أثرها ومؤسساتها إلى كل لبنان.

لم يكن تمام أقل وضوحاً وصراحة واستقلالية من والده، فتمام سلام هو الذي قال لحافظ الأسد ألا تصلك أخبار ممارسات جيشك في لبنان المسيئة لكل خلق ودين وضمير؟

والغريب ان حافظ الأسد يجيب بلا خجل..

كلما ساء خلق فرقة استبدلناها بأخرى لنعيد تأهيلها وتعملون انتم على تخريبها.

ومثلما تصدى صائب سلام لحافظ الأسد حين راح هذا الأخير يهدد أمام سلام كمال جنبلاط، وإيجاد بديل عنه هو فريد حمادة ورد صائب سلام متسائلاً سيادة الرئيس من هذا الذي يغشك ويوهمك بإمكانية ان يحل أحد محل كمال جنبلاط.. لا أنت مخطىء في هذا الأمر.

فإن تمام سلام لم يخضع في أي مرحلة وتحت أي ظرف لأي دعوة من استخبارات الأسد الأب ثم الابن في إقامة علاقات مع أشخاص مرتبطين بها، حتى انه كان يرفض مجرد البحث في ضم أي اسم من هؤلاء إلى لوائحه الانتخابية.

قال تمام سلام لغازي كنعان، بعد ان بلغه كيف ضبط الأمن السوري شارع الحمرا في بيروت في مواجهة العصابات المسلحة المنتمية إلى أحزاب وميليشيات لبنانية، كيف يا أبو يعرب تسمح بتحرير المسلحين الذي تعتقلهم وهم يرتكبون التجاوزات، بعد ان تتدخل أحزابهم عندك.

ألا تعلم يا أبا يعرب ان الازعر في شوارع بيروت بالنسبة للبنانيين هو حافظ الأسد..

كاد غازي كنعان وبحضور الفنان عبد الحليم كركلا ان يختنق من طعام كان في فمه وهو يستمع إلى كلام تمام سلام الذي تابعه قائلاً: هذا هو الواقع المؤلم في بيروت.. وعليكم ان تعملوا شيئاً بحجم هذا الواقع إذا أردتم تصحيح صورتكم في لبنان.

ما كان تمام سلام يوماً قريباً من قلوب حكام سوريا ولبنان من أجهزة الامن.. وكنا في مجلة "الشراع" وحين نجري حديثاً مع تمام سلام ينتقد فيه الميليشيات في شوارع بيروت ننتظر ان تصادر السلطات السورية أعداد المجلة وتمنع توزيعها داخل الأراضي السورية، حتى لا يصل نقد تمام سلام للميليشيات إلى القارئ السوري.

شطب السوريون اسم تمام سلام من تركيبة حكومة رفيق الحريري عام 1995، ثم أرسل غازي كنعان إلى تمام يبلغه ان الحريري هو الذي رفض توزيرك وكان هذا كذباً طبعاً.

وعندما كان سليم الحص يوشك على تشكيل حكومته الأولى في عهد إميل لحود عام 1998، كان اسم تمام سلام كوزير فيها محسوماً، وجاء الحص إلى منزل صائب سلام يبشر الزعيم الراحل بالأمر ليمضي سهرة ضاحكة مليئة بالقفشات والذكريات.

ويروي تمام بيك انه عندما توجه في اليوم التالي إلى السرايا أثناء الاستشارات رأى وجوماً في وجه سليم الحص فأدرك ان السوريين طلبوا من الحص عدم توزير تمام سلام.. وهذا ما حصل.

وتمام سلام هو صاحب شعار لم يعجب السوريين أبداً وفيه: ان الصراع في لبنان لم يكن أبداً بين المسلمين والمسيحيين، ولا بين اليسار واليمين ولا بين الاغنياء والفقراء.. بل هو بين الأوادم والزعران، وكان تمام هو قائد حزب الاوادم في لبنان، وتعاملت الاستخبارات السورية معه كخصم لها لأنها كانت تمثل الزعران وتحميهم وتحرضهم على مقاتلة الاوادم.

مرات ومرات كان تمام المتوجه بسيارته التي يقودها بنفسه من منزله في المصيطبة إلى مقر جمعية المقاصد على بعد مئات الامتار، يتعرض لمضايقات من زعران الشوارع يضربون على سيارته بقبضاتهم، ويصطدمون بها بدراجاتهم البخارية والعادية، ويرشقونها بالزبالة أو البندورة.. وكان يدرك انها رسائل سورية وأدوات الاستخبارات السورية.

هاجم زعران دار صائب سلام في المصيطبة، بسبب مواقف تمام الرافضة لتسلط الميليشيات على بيروت فاستدعى بعض آبائهم يذكرهم بأن المقاصد

ساعدتهم حين احتاج أحدهم مستشفى المقاصد للعلاج، وان المقاصد قدمت منحاً لفقرائهم ومقاعد دراسة للعاجزين منهم.. وما هكذا يعامل ابن صائب سلام رئيس المقاصد.. وكان رد الاهالي انهم ابناؤنا المتمردون لا يستمعون إلينا، بل هم عبيد للميليشيات أدوات الاستخبارات السورية.

تمام سلام وانتخابات 1992

حرص تمام سلام على المشاركة بداية في حملة الانتخابات النيابية لعام 1992، وسعى لتفويت أي فرصة انقسام في بيروت، بالاتفاق مع الرئيس السابق سليم الحص، على اقتسام مقاعد العاصمة التسعة عشر، وعقد لهذه الغاية اجتماعات مع الحص مداورة في منزليهما في المصيطبة وعائشة بكار.

اتفق الاثنان على المرشحين للمقاعد.. دون أن يقتنع تمام بوجود نجاح واكيم ضمن اللائحة الائتلافية، لذا أرسل الحص واكيم إلى تمام كي يقنعه بضمه إلى اللائحة فواجهه تمام بصراحته المعهودة قائلاً: نحن أصحاب مواقف ثابتة وأنت تتقلب من جهة إلى أخرى دون تردد، وعلاقتك بالاستخبارات السورية تمنعني من الموافقة على وجودك في لائحة واحدة حتى لو كانت مع صديقنا سليم الحص.

كان وجود أو عدم وجود نجاح واكيم في لائحة تمام - الحص عقبة صغيرة بل قل تافهة، لكن العقبة الأهم كانت في ان المسيحيين في لبنان قاطعوا الانتخابات مقاطعة شاملة رغم خروقات لا قيمة لها حصلت هنا وهناك (نسيب لحود وفارس سعيد قاطعا ثم شاركا بضغط من رفيق الحريري، وبطرس حرب ظل حتى الساعة الحادية عشرة ليل انتهاء مهلة الترشيح ليعلن مقاطعته انتخابات الشمال).

وكان موقف صائب سلام هنا حاسماً حين أعلن من جنيف مقر إقامته القسرية لسنوات: "إن انتخابات في لبنان لا يشارك فيها المسيحيون ليست انتخابات".

لذا كان توجه تمام هو المقاطعة.. وقبل أن يعلنها يتصل به رفيق الحريري ويدعوه للقاء ليطلب منه راجياً ألا يقدم على أي خطوة - وهو يعرف انها المقاطعة - إلا بعد التحدث معه. وكان الحريري أرسل فؤاد السنيورة وكان تلميذاً للحص في الجامعة إلى أستاذه ليطلب منه الأمر نفسه.

زادت الضغوطات على تمام لوقف حملته الانتخابية واعلان مقاطعته، وعقد اجتماعاً مع الحص في منزله يبلغه انه يتعرض لضغوطات جدية للانسحاب والمقاطعة سواء في موقف الوالد أو الشارع السني أو المراجع المسيحية السياسية والدينية والاجتماعية.

رد الحص على تمام بأنه متفهم لموقفه ومستوعب له، وأنا مثلك تماماً لن أطيل الوقت حتى أعلن عدم مشاركتي في الانتخابات، لأننا لا نستطيع أن نجري انتخابات في لبنان دون مشاركة المسيحيين فهذه مسألة لا ميثاقية (نسبة للميثاق الوطني واتفاق الطائف والدستور).

لكن الحص – كعادته – يتردد في إعلان المقاطعة بالاشتراك مع تمام، وكان الأخير أرسل بيان المقاطعة الوطنية إلى إذاعة "صوت الوطن" التي كانت تبث في بيروت ناطقة بإسم جمعية المقاصد الاسلامية، وما ان خرج من منزل الحص حتى طلب بث البيان من الاذاعة.

جن جنون مسؤول الأمن السوري المحتل للبنان وبيروت العقيد رستم غزالة فهرول إلى منزل تمام يطلب منه سحب البيان والتوجه إلى الزبداني للقاء نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام في منزله الصيفي، فرفض تمام متمسكاً ببيانه مسمعاً غزالة كلاماً عنيفاً جداً على ممارسات الأمن السوري في بيروت ولبنان.

في هذا الوقت كان الحص تلقى دعوة للعشاء إلى مائدة خدام في الزبداني فذهب برفقة بشارة مرهج وعبد الرحيم مراد لإقناعه بالاستمرار في الترشح، وحسم خدام الأمر مع الحص أن يشكل اللائحة التي يريد لمنافسة لائحة الرئيس رشيد الصلح الذي كان يرأس حكومة الانتخابات.. وهكذا كان.

تمام وانتخابات 2000

على ان أغرب الممارسات هي تلك التي قام بها غازي كنعان وجميل السيد مع تمام سلام لإقناعه بتشكيل لائحة انتخابية في دائرة بيروت الثانية (المصيطبة – الباشورة – الرميل) في انتخابات عام 2000 لمواجهة لائحة رفيق الحريري في الدائرة نفسها، مثلما شكلا لائحة سليم الحص في الدائرة الثالثة (رأس بيروت – دار المريسة) لمنافسة لائحة الحريري أيضاً.

وعد كنعان – السيد سوية، وكل على حدة في زيارات لم تعرف مثلها كماً ونوعاً دار المصيطبة من أمثال هؤلاء طيلة 25 سنة بأن العهد – أي إميل لحود، والسوريين وجماعاتهم سيؤيدون لائحة سلام بكل من فيها لمواجهة لائحة الحريري.

وعندما كان تمام سلام يقول لهما ولكنكم فرضتم على الحريري في لائحته المنافسة مرشحين محسوبين عليكم هما عدنان عرقجي وباسم يموت، لينافساني أنا ومحمد المشنوق فكيف يمكن أن أثق انكما تدعماني.

كان الرد من الاثنين دائماً: ولا يهمك انها مناورات انتخابية لازمة ونحن سنضمن تأييد حزب الله لك في هذه المعركة، وله في الباشورة والمصيطبة ما لا يقل عن 15 ألف صوت يرجحون كفة من ينتخبونه، وأنت معك ممثل حزب الله محمد البرجاوي.

قبل تمام خوض المعركة الانتخابية بلائحة لهذه الدائرة رغم معرفته بأن السوريين لن يتخلوا عن عرقجي ويموت لأنهما من صنائعهم وكانا معروفين بأنهما وديعتان سوريتان في تركيبة الحريري السياسية.

لكن الذي عزز قناعته بالنصر هي ضمه لمرشح حزب الله وآلاف الاصوات المضمونة للائحته.. إذا صدق الحزب.

ثم كانت الصاعقة نزلت على رأس تمام حين أبلغ من مصادر اعلامية ان رفيق الحريري وبعد ان كان سحب المرشح الشيعي من لائحته غازي يوسف وترك المقعد الشيعي شاغراً عاد وأعطى الأوامر لجماعته بانتخاب مرشح حزب الله محمد البرجاوي على لائحته في الدائرة الثانية لينافس لائحة تمام سلام في أقوى مرشحيه التابع للحزب المذكور.

تبلغ تمام ان مرشح حزب الله على لائحته هو أيضاً مرشح الحريري.. فكيف يعقل هذا؟ وهي سابقة نادرة في تاريخ انتخابات لبنان.

حاول سلام الاتصال بقيادات حزب الله التي كانت تزوره للتنسيق معه (حسين خليل، وفيق صفا، محمد البرجاوي..) فلم يلق جواباً من أحد، فاتصل برستم غزالة الذي وعده بإرسال وفد الحزب المذكور إليه فجاءه هؤلاء ليل السبت عشية الانتخابات النيابية صباح الأحد، ليبرر له هؤلاء ترشح مرشحهم على اللائحتين المتنافستين (سلام، الحريري) بأنهم يخشون من مؤامرة دبرها الحريري

لتمرير نجاح المرشح الشيعي الآخر حسن صبرا وانهم متأكدون وفق احصاءاتهم من نجاح صبرا إذا لم يكن مرشح حزب الله على اللائحتين ليأخذ من أصوات الناخبين المؤيدين للحريري والمؤيدين لسلام.

وقعت الواقعة، وسقطت لائحة سلام كلها، ما عدا مرشح حزب الله الذي نال أصوات ناخبي الحريري وسلام ونكث حزب الله بوعده كالعادة، ولم يعط ناخبوه تمام سلام أصواتهم بل وزعوها بينه وبين مرشحي الاستخبارات السورية عدنان عرقجي وباسم يموت ليفوزوا على ابن صائب سلام زعيم بيروت الأهم في الزمن الجميل.

ولم تمض أسابيع قليلة حتى قدم تمام سلام من جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية التي كانت تأسست قبل 120 سنة وارتبط اسمها في أذهان اللبنانيين والعرب باسمي صائب وتمام سلام، لتعاني المؤسسة أوضاعاً اقتصادية صعبة جداً تتالت مع الأيام حتى اضطرت لإقفال العديد من مدارسها ومؤسساتها.

كان الاعتقاد سابقاً ان المؤسسات التي انشأها رفيق الحريري ستحل محل مؤسسة المقاصد التي جمع البيروتيون مالها قرشاً قرشاً وليرة ليرة لإعمارها من جيوب أبناء بيروت.. لكن المأساة طالت مؤسسات الحريري نفسه بعد رحيله، فتوقف الدعم السعودي عن مؤسسات المقاصد كما عن مؤسسات الحريري وأتيح المجال واسعاً كي يقتحم المال الإيراني مساحات واسعة في الشارع الاسلامي السني.. بعد الشيعي طبعاً.

تمام سلام يدفع ثمن

صراع الاجهزة السورية

يروي تمام سلام للمؤلف في منزله السبت في 2012/9/15 انه بعد طول تفكير لبى دعوة للقاء اللواء محمد ناصيف في مكتبه في دمشق، وكان لقاؤه لطيفاً وودياً، لكن نتائج ذلك دفعها تمام سلام، حين كان متوجهاً للقاء نائب الرئيس عبد الحليم خدام، فإذا به وعند وصوله إلى الطريق العسكري على الحدود اللبنانية – السورية التي كان زوار سوريا الخاصون يمرون عبره دون المرور على الاجهزة الأمنية الرسمية اللبنانية، يتبلغ من عناصر الحاجز الأمني السوري بأنه ممنوع من

الدخول عبر هذا الطريق، فعاد إلى بيروت ليتصل بخدام الذي عتب عليه أولاً لعدم حضوره، فأبلغه تمام بالواقعة فأظهر خدام امتعاضاً منكراً معرفته بالأمر، ثم ليرتب أمر زيارته في وقت لاحق، ليرشح في ذهن تمام ان غازي كنعان استاء كثيراً من لقاء الزعيم البيروتي بمحمد ناصيف فإنتقم من تمام بهذا السلوك الاستخباراتي الوضيع.

كامل الأسعد

الرافض الدائم لمطالب حافظ

نشأت بين الرئيسين حافظ الأسد وكامل الأسعد علاقات سياسية وشخصية جيدة، وقد بدأت هذه العلاقة اثر أول زيارة قام بها الرئيس الأسعد إلى دمشق بعد تسلم الرئيس الأسد مقاليد الأمور في سوريا، كرئيس للجمهورية اثر الحركة التصحيحية التي قادها في سوريا في 1970/11/16.

وكان شقيق الأسد العقيد رفعت الأسد يومها قد أقام علاقات جيدة جداً مع الرئيس كامل الأسعد، وكان أول من يزوره في لبنان حين يأتي إليه اثر دخول القوات السورية إلى لبنان عام 1976. وكثيراً ما كان يصطحبه في زياراته إلى دمشق بعد ان توثقت العلاقة بين الاثنين.. يروي عدنان الأسعد واقعة حصلت بين الرئيسين وكانت أول إشارة إلى التناقض والخلاف بين الرجلين من بدء تعارفهما الشخصي والسياسي.

الأسعد يرفض حكومة اقترحها الأسد

الواقعة حصلت بطلب الرئيس الأسد من الرئيس الأسعد المساعدة على تشكيل حكومة في لبنان تخلف حكومة الشباب التي كان يرأسها الرئيس صائب سلام وكانت أولى حكومات عهد الرئيس سليمان فرنجية، الذي حكم بثالوث سياسي مشكل منه ومن الرئيسين كامل الأسعد وصائب سلام بإسم تكتل الوسط.

لم يرتح الرئيس الأسعد لطلب الرئيس الأسد ولا للائحة الاسماء التي استعرضها أمامه لدخول الوزارة المقترحة ومعظمها من شخصيات حزبية محسوبة على الاحزاب اليسارية والفلسطينية، وصمم الرئيس الأسعد على عدم السير بهذه

الحكومة لأن هؤلاء المرشحين لهم مفاهيم لا علاقة لها بالوطن وبالعلاقات بين قواه الشعبية الطائفية والسياسية.

يتابع عدنان بيك رؤيته فيقول:

وحتى لا يغضب الأسعد الأسد، اتصل بأحد اصدقائه المقربين جداً من سوريا ليعرض له الأمر قائلاً انني لن أختلف مع الرئيس الأسد، ولكنني لن أسير بهذه الحكومة.

وخلال زيارة للرئيس الأسعد للنبطية تبعه في موكبه السيار أحد الاصدقاء المقربين أيضاً من سوريا ليقول له ان الرئيس الأسد مرتاح ولديه الجديد كي يبدأ مرحلة جديدة في لبنان فتهللت أسارير الرئيس الأسعد وتوجه إلى دمشق بعدها ليقابل الأسد للمرة الثانية خلال ثلاثة أيام ويطوي الرئيس الأسد قصة الحكومة اليسارية - الحزبية وتستقيم العلاقة بين الرئيسين.

واقعة انتخاب بشير الجميل

كثيرون يروون ان انتخاب الشيخ بشير الجميل الذي كان قائداً للقوات اللبنانية إحدى فرق الحرب الأهلية الداخلية، كان أحد اسباب الخلاف الجذري بين الرئيسين كامل الأسعد وحافظ الأسد.

يروي عدنان بيك ما يفيد بضرورة مراجعة الموقف السوري من انتخاب بشير الجميل ودور كامل الأسعد في هذا الانتخاب وفي تحول مواقف الجميل الشاب من الشؤون الداخلية والعربية.

قبل جلسة انتخاب بشير النيابية للرئاسة لبى الرئيس كامل الأسعد دعوة ملحة كانت تكررت من الرئيس الأسد لزيارة سوريا، وفي دمشق وعلى مدى ثلاث ساعات التقى الأسد بالأسعد وكان أهم ما في الحوار، حول انتخاب الجميل للرئاسة اللبنانية قول الأسعد للأسد: ان إسرائيل على عكس ما تتصور يا سيادة الرئيس لا تريد انتخاب بشير ولا أي رئيس آخر، لأن إسرائيل تريد فراغاً دستورياً في لبنان ليسهل عليها تقاسم البلد مع الفلسطينيين والسوريين وغيرهم.

وطلب الرئيس الأسعد في هذا اللقاء أن ترشح سوريا من تريد للرئاسة في لبنان ليسير به الأسعد.

الرئيس الأسد قال للأسعد: ليس لدينا مرشح للرئاسة في لبنان، وأنت ترى ان معظمه تحت الاحتلال الصهيوني ونحن نرى ان بشير الجميل يقف دائماً ضدنا ويحرض علينا وعلى العروبة.

قال الرئيس الاسعد للرئيس الأسد: إذا انتخب بشير فأنا أتعهد بأن يسير في الاتجاه العروبي الذي ترتئيه، وانا أقول لك يا سيادة الرئيس انني أنا كتبت آخر خطاب لبشير.

ويروي عدنان بيك هنا ان الرئيس الأسعد كتب خطاباً لبشير طلب فيه أن يضمنه فقرة تتحدث عن علاقات مميزة بين لبنان وسوريا، لكن بشير لم يكن يتقن العربية جيداً تحدث عن علاقات ممتازة مع سوريا فاتصل به الرئيس الأسعد ليقول للشيخ بشير: يا أخي العلاقات الممتازة يمكن أن تنشأ بين لبنان والصين، لكننا نريد علاقات مميزة مع سوريا، وقد أكد الشيخ بشير للرئيس الأسعد انه لغوياً لم ير فرقاً بين الكلمتين وهذا ما أسعفته به لغته العربية!

طلب الأسد زيارة الجميل لدمشق قبل انتخابه رئيساً والأسعد رفض

الرئيس الأسد طلب أن يزور بشير الجميل دمشق قبل انتخابه فرد الأسعد ان هذا الأمر ليس صحياً لأن بشير يزور دمشق بعد ان يصبح رئيساً للجمهورية وليس قبل ذلك - وهنا قال الأسعد - حسب رواية عدنان الأسعد أتعهد بأن يسير بشير في خط سياسي كرئيس للبلاد وليس كرئيس لميليشيا مسلحة.

وكان الرئيس الأسد طلب في خلال اللقاء مع الأسعد تأجيل انتخاب بشير لمدة أسبوع واحد فرد الأسعد قائلاً يا سيادة الرئيس ان هذا يعني أن يكون في لبنان فراغ دستوري ولا يمكن أن تكون سوريا مع إسرائيل في إحداث فراغ دستوري في لبنان لن تستفيد منه إلا إسرائيل.

في آخر كلام قاله الرئيس الأسد للرئيس الأسعد حول هذه المسألة: إذا كان عندك حق يا كامل بيك معنى هذا ان بشير الجميل لن يعيش لأن إسرائيل لن تسمح ببقاء بشير رئيساً في لبنان.

اتفاقية 17 أيار

يروي عدنان بيك ان الرئيس الأسعد ظلم ظلماً شديداً في مسألة اتفاقية 17 أيار/مايو 1983 التي لم توقع بين لبنان وإسرائيل بسبب عدم توقيع الرئيس أمين الجميل يومها لها رغم تأييد أغلبية مجلس نواب لبنان.

فهذه الاتفاقية أدارت مفاوضاتها السلطة التنفيذية أي رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة (الرئيس الراحل شفيق الوزان) وليس السلطة التشريعية، وعندما وقعت وأحيلت إلى المجلس النيابي الذي صوت عليها بأغلبية ساحقة صارت شرعية وعنوان شرعيتها مؤتمن عليها رئيس المجلس كامل الأسعد.

وهذه الاتفاقية كان الرئيس الأسعد حريصاً دائماً على أن يطلع الرئيس الأسد على كافة بنودها، وفي كل مرة كان الرئيس الأسعد يستمع إلى ثناء من الرئيس الأسد قائلاً له: يا كامل بيك ان بلدكم محتل ويجب أن تعملوا على إزالة الاحتلال بكل الطرق.

و لم تتضمن هذه الاتفاقية أي تطبيع بين لبنان والعدو الصهيوني، وليس فيها خرق للهدنة بين لبنان وإسرائيل الموقعة عام 1949.

كما ان هذه الاتفاقية تتضمن استعادة مزارع شبعا وتلال كفرشوبا والقرى السبع وكلها الآن مرتكزات ربط نزاع إقليمي بين كل من سوريا وإيران من جهة وإسرائيل من جهة ثانية وعلى حساب لبنان دائماً.

وعندما وافق مجلس النواب على هذه الاتفاقية أقام خصومها في مدينة صور مهرجاناً حاشداً حضره نحو 20 ألف مواطن هتفوا ضد الرئيس الأسعد.. تحت الحراب الصهيونية التي كانت تحتل كل الجنوب و لم تنسحب من هذه المنطقة إلا عام 1985. وهذه الاتفاقية أثارت اعتراضاً ضخماً داخل الكنيست الصهيوني لأن كثيراً من نواب العدو الصهيوني اعتبروها تنازلاً شديداً أمام لبنان وقال أحد المعترضين من نواب الكنيست إذا كنا منتصرين في لبنان بعد اجتياح 1982 وطردنا المنظمات الفلسطينية ونتنازل بهذا الحجم فكيف يكون الأمر لو كنا منهزمين؟

بعد فرط الاتفاقية من قبل إسرائيل نادى الرئيس الأسعد بألا يفرط لبنان بأهم ما في هذه الاتفاقية وهي اعتراف إسرائيل لأول مرة في تاريخ الصراع العربي –

الصهيوني بترسيم حدودها مع بلد عربي هو الأول الذي ما زال محافظاً على اتفاقية الهدنة معها.

ولأهمية هذه النقطة بالذات يتحدث عدنان الأسعد فيقول: "إن المفاوضات التي أجراها العسكريون بين لبنان وإسرائيل بعد الانسحاب الصهيوني من لبنان في 2000/5/24 استند فيها الوفد اللبناني العسكري إلى المستند الوحيد بين أيدي لبنان وهو اعتراف إسرائيل وفق اتفاقية 17 أيار/مايو بترسيم الحدود التي تجاوزت الخط الأزرق إلى استعادة القرى السبع ومزارع شبعا وتلال كفرشوبا ومناطق المياه الجوفية، ومنطقة منزوعة بعمق 5 كلمترات على طرفي الحدود.. وأثناء مفاوضات 17 أيار/مايو كان الأميركان يؤكدون للرئيس كامل الأسعد ان نهايتها ستحقق للبنان سيادته الكاملة على أراضيه، فلما سأل الأسعد وماذا عن سوريا: رد سفير أميركا في لبنان يومها: "اترك سوريا علينا".

كان الرئيس الأسعد يتلقى تأكيدات الأميركان من خلال السفير الراحل السيد هاني الأمين، الذي كان مقترناً بإبنة خالة الرئيس الأسعد.. وهو كان عنصراً أساسياً في الوفد اللبناني المفاوض برئاسة السفير انطوان الدحداح.

والجدير ذكره ان السفير الأمين قتل في بيروت في حادث سير يرى كثيرون انه كان مدبراً للتخلص منه كرمز مهم قاد مفاوضات بدأت في نظر كل اللبنانيين وطنية ثم انقلب عليها بعض اللبنانيين ليعتبروها نقطة سوداء في تاريخ الرئيس الراحل كامل الأسعد.

لم يعترض في مجلس النواب على اتفاقية 17 أيار/مايو سوى خمسة نواب، أي ان كل الكتل السياسية النيابية أيدت الاتفاقية، وكان آخر من أنزل ورقته في صندوق الاقتراع على هذه الاتفاقية هو الرئيس كامل الأسعد.

ومع هذا فإن الرئيس الأسعد هو الوحيد الذي حمل "خطيئة" هذه الاتفاقية التي ظل الزعيم الوائلي حتى الرمق الأخير يعتبرها خلاص لبنان.

شن الهجوم متتالياً على الأسعد في حين ان كل الذين أيدوها سواء ظلوا على مواقفهم منها أم انقلبوا ضد أنفسهم من مؤيدين إلى معارضين.. لم يقترب منهم أحد.. حتى الآن.

رد الفعل الفلسطيني داخلياً

مع بوادر تحرك القوات السورية إلى البقاع تمهيداً للنزول إلى بقية المواقع يقول عدنان الأسعد: توجه وفد من المنظمات اللبنانية المرتبطة بحركة "فتح" في لبنان إلى مقر إقامة الرئيس الأسعد في فندق "وايت بالاس" لمقابلته، حاملين معهم بياناً تحريضياً ضد سوريا والجيش السوري، طالبين من الرئيس الأسعد توقيعه، فرفض حازماً، وكاد يطرد أعضاء الوفد.

بعد خروجهم توجس الرئيس الأسعد شراً من طلب هؤلاء وآثار رفضه له، فطلب من الحاجة فاطمة عمل استخارة لسؤالها ان كان سيبقى في بيروت أو يغادرها حرصاً على حياته ووالدته، فجاءت الخيرة ان يغادر، وبالفعل توجه إلى الحازمية للإقامة بعيداً عن بيروت.. حينها، فلما دهمت القوات المشتركة الفلسطينية – اللبنانية الفندق في الحمرا كان الأسعد بات خارجه.

يقول عدنان الأسعد:

"إن الرئيس الأسعد وقبل مغادرته استدعى قائد قوة شرطة مجلس النواب ليسأله ومن معه الخيار بين البقاء معه أو الرحيل، فأبلغه قائد القوة بعد مشاورة كل العناصر انهم جميعاً سيبقون مع الزعيم أياً يكن مقر إقامته".

عندما رفض الأسعد

عرضاً من ياسر عرفات وقبل آخر

يتحدث الاستاذ عدنان الأسعد عن واقعة مجيء ياسر عرفات إلى مقر إقامة الأسعد في الحمرا فيقول: كنا في جناح الرئيس الأسعد صباحاً نحتسي القهوة مع الحاجة أم كامل عندما جاء ضابط من حرس المجلس يبلغنا ان الأخ أبو عمار قادم لمقابلة الرئيس الأسعد ودون موعد مسبق، طلبت من الضابط سرعة الاستقبال والترحيب لإبلاغ الرئيس ليكون مستعداً لاستقبال رئيس حركة "فتح" و"منظمة التحرير".

كان الرئيس الأسعد في غرفة أخرى يتناول إفطاره، ووصل عرفات ورحبنا به وجلسنا سوية بعد ان انسحبت الحاجة أم كامل، في انتظار إنهاء الأسعد لترويقته..

في الحوار مع أبي عمار كان الأسعد يخاطب عرفات قائلاً، يا أخ ياسر وكان أبو عمار يناديه دولة الرئيس.

عرض أبو عمار على الأسعد تأمين الطريق للرئيس الأسعد وموكبه من الحمرا إلى قصر منصور في منطقة المتحف لعقد جلسة انتخاب الياس سركيس رئيساً للجمهورية في 1976/5/12، في مقابل ترشح العميد ريمون اده للرئاسة.

لماذا 12 أيار/مايو وليس 23 أيلول/سبتمبر أي يوم نهاية حكم الرئيس سليمان فرنجية الدستورية؟

لأن اتفاقاً داخلياً وعربياً (فلسطينياً – سورياً) تم على أن يتم انتخاب رئيس جديد للجمهورية باكراً على أن يبقى الرئيس فرنجية في السلطة حتى آخر يوم في ولايته الدستورية وهكذا كان.

شكر الأسعد عاطفة الأخ عرفات، ليستمع منه إلى عرض آخر تكرر أكثر من مرة وهو استعداد حركة "فتح" لإنشاء ميليشيا شيعية من أنصار الأسعد للمشاركة في الحرب الداخلية.

كان الرئيس الأسعد يرفض هذا العرض دائماً قائلاً انه لن يوافق على سفك دماء اللبنانيين بأيد لبنانية، وان على الجميع ترك الدولة اللبنانية لتعود إلى قوتها والسماح لها بإعادة بناء مؤسساتها وأهمها الجيش اللبناني الذي كان عقده فرط بعدة جيوش منها جيش لبنان العربي وجيش لبنان وفيما بعد الطلائع..

ولكن وتحت إلحاح عرفات وافق الأسعد على إرسال عناصر من حزبه للتدريب فقط في معسكرات حركة فتح.. ولما انتهى الاجتماع التفت الأسعد إلى عدنان الأسعد قائلاً: شوف يا صديقي.. أنا لا أثق بأن عرفات سيؤمن لنا الطريق.. أما حكاية تدريب جماعتنا.. فقبل انتهاء دورتهم التدريبية سأسحبهم حتى لا يقال ان كامل الأسعد شريك في الحرب الأهلية.

وقد وافقت عرفات على إرسال شبابنا للتدريب كي يفي بوعده بتأمين الطريق، لأن المهم عندي الآن هو تأمين انتخاب رئيس للجمهورية تنفيذاً للاتفاق المحلي والعربي.

الأسعد يرفض العودة إلى رئاسة المجلس

عدنان بيك يفجر في جزء من ذكرياته مفاجأة من العيار الثقيل وهي حكاية رفض كامل الأسعد العودة إلى رئاسة مجلس النواب عام 1987 فيقول:

بعد اغتيال الرئيس رشيد كرامي في 1987/6/1، عقد اجتماع سياسي موسع في طرابلس، حضره نائب الرئيس السوري يومها عبد الحليم خدام الذي وجه كلاماً قاسياً لكل القيادات الإسلامية على ما اعتبره تساهلاً مع الخصوم، مما لم يعجب رئيس مجلس النواب يومها السيد حسين الحسيني الذي كان أدلى بتصريح لم يعجب خدام، كان الجو عاصفاً وكلام خدام قاسياً، وقد ترجمه خدام حين عودته إلى دمشق بالطلب من الرئيس حافظ الأسد إبعاد الرئيس الحسيني عن رئاسة المجلس، فطلب الأسد الاتصال بكامل الأسعد الموجود في باريس والطلب منه العودة إلى لبنان تمهيداً لانتخابه رئيساً لمجلس النواب في تشرين الأول/اكتوبر من العام نفسه أي بعد 4 أشهر.

كان الرئيس الأسعد يومها مستقراً في باريس مفتتحاً مكتباً للمحاماة ليؤمن من عمله نفقات معيشته، فتلقى اتصالاً من دمشق يطلب منه تحضير نفسه للعودة إلى لبنان، فلما سأل المتصل وماذا تريدون مني، قيل له لكي تعود رئيساً للمجلس النيابي فرد بالإيجاب وبدأ التحضير للعودة.

لكن اتصالاً آخر كان هذه المرة من نائب الرئيس خدام يطلب منه قبل التوجه إلى بيروت أن يمر إلى دمشق فسأل الأسعد خدام، ولماذا تريدون أن أتوجه إلى دمشق فرد خدام كي تقابل السيد الرئيس قبل أن تنزل إلى بيروت ليتم انتخابك رئيساً للمجلس.

هنا رفض الأسعد عرض خدام قائلاً له: شوف يا ابو جمال كامل الأسعد بينزل على بيروت، وينتخب رئيساً لمجلس النواب، وبعدها أزور دمشق لأقابل السيد الرئيس.. وغير هيك أنا مش نازل.. وانتهى حديث الرجلين دون اتفاق.

أقفل كامل الأسعد بيده الطريق على نفسه في أن يعود رئيساً للمجلس النيابي، بل لم يكن ليعود نائباً في الجنوب بل لم يكن ليعود مسؤولاً في أي موقع منذ ذلك التاريخ.

وعندما كان يقال للأسعد لقد استبدل السوريون آخرين بك كان يجيب: أبداً أنا الذي اخترت هذا الطريق بإرادتي، ولو شئت لبقيت في موقعي إلى ما شاء الله.. لكن هذا لن يحدث لأنه ضد قناعتي.. ولا يوجد في الدنيا ما يغريني بأن أتخلى عن قناعاتي لأجله.

ويختم عدنان الأسعد حديثه عن الرئيس كامل الأسعد بالقول كان لبنان الحر السيد المستقل في عقل ووجدان كامل الأسعد دائماً، كان الرجل صريحاً واضحاً وأهم ما يريده من محدثه أن يكون صريحاً، لا يكذب، لا ينافق، وهو صاحب عبارة راسخة: كل كاذب ضعيف وأنا لا أحب الضعفاء فكيف أحب الكذابين.

وهذه القيم التي تمسك بها سببت له عداوات عديدة حتى مع مقربين وأحباب وأصدقاء وأنصار.

والذي كان يعرف كامل الأسعد عن قرب كان يعشقه رغم قساوته وعصبيته، فكبرياؤه كان مثار إعجاب وعشق فاهميه.

ويختم عدنان بيك هذا الجزء من ذكرياته على أمل فتح الباب أوسع نحو المزيد منها قائلاً:

يشهد الله عليّ ان كامل الأسعد لم يؤذ أحداً في حياته نعم كان يغضب وينرفز إلى الحد الأقصى.. لكنه كان ينهي نرفزته باعتبار الأمر كله منتهياً دون أن يحقد أو يراكم في نفسه.. كان الصدق عنوان حياته ومسيرته.

وفاة باسل الأسد

توجه الرئيس كامل الأسعد على رأس وفد من الحزب الديموقراطي الاشتراكي إلى القرداحة لتعزية الرئيس حافظ الأسد بوفاة نجله الرائد باسل الأسد في 24 كانون الثاني/يناير 1993.

وصل موكب الرئيس إلى حيث نصبت خيمة ضخمة في البلدة لتقبل التعازي بالراحل الشاب وكان في مقدمة الحضور دائماً الرئيس حافظ الأسد الذي توجه الأسعد نحوه مباشرة لتقديم العزاء مقبلاً وجنتيه، ليأخذ بعدها مكانه في مقدمة الصفوف. وكان إلى يمين الأسد نائبه عبد الحليم خدام وشقيق الرئيس جميل الأسد.

بعد لحظات أسرّ الأسد بكلمات قليلة لنائبه خدام الذي توجه إلى الأسعد طالباً منه الجلوس إلى يسار الأسد فطلب الأسعد من خدام أن يفتح له الطريق سائراً أمامه.

جلس الأسعد مع الأسد يتقبلان التعازي وعند حلول موعد الغداء أمر الحراس الجميع بالانصراف ثم ليطلب الأسد من الأسعد أن يبقى معه لتناول طعام الغداء.. لكن الأسعد اعتذر للأسد قائلاً له: هذا ليس وقتاً مناسباً لهذه الدعوة وان شاء الله أزورك في وقت آخر..

مرافقو الرئيس الأسعد الذين عرفوا بالأمر تمنوا على الأسعد لو انه وافق على البقاء لتناول طعام الغداء مع الرئيس، وهذا أمر يتمناه كل السياسيين اللبنانيين ويمكن لبعضهم أن يظل في ثيابه لأسبوع أو أكثر استعداداً لتلبية دعوة الرئيس الأسد إلى الغداء أو العشاء في منزله.

قال الأسعد للذين تمنوا عليه البقاء مع الأسد: هل يمكن لي في هذه المناسبة أن أبقى وأن أتحدث في السياسة؟ وإذا كانت المسألة مسألة طعام فإنني أتناوله في بيتي وهذا أفضل لي.

المعارضة السورية تكشف 128 من مرتكبي الجرائم ومموليها:

اللائحة التي قدمتها المعارضة الوطنية السورية إلى كل مؤسسات العالم الانسانية والحقوقية وتتضمن أسماء قيادات النظام السوري من سياسيين وعسكريين وأمنيين، وممولي عملياتهم ضد الشعب السوري الثائر منذ 2011/3/15.

المجلس الدولي لحقوق الانسان، أصدر لائحة تضم أسماء 74 من هؤلاء البالغ عددهم 128، وحمّلهم مسؤولية ارتكاب جرائم ضد الانسانية، ومجازر ضد المدنيين.. على أمل اصدار لائحة أخرى في وقت قريب مع استمرار تصعيد النظام مجازره ضد المدنيين السوريين.

أسماء الضباط والافراد المتورطين في سوريا بقتل المتظاهرين وممولي الشبيحة..

وهذه هي قائمة الاسماء التي نشرت:

الفريق بشار الأسد القائد العام للجيش ورئيس الجمهورية، العميد ماهر الأسد قائد لواء.. في الفرقة الرابعة وهو القائد الفعلي للفرقة الرابعة، اللواء محمد ناصيف خير بك معاون نائب رئيس الجمهورية والمستشار الأمني الخاص لبشار الأسد، العماد آصف شوكت نائب رئيس هيئة الاركان للشؤون الامنية، العميد حافظ مخلوف قائد قسم مكافحة الإرهاب وقسم الجسر الأبيض التابع لفرع 251 (الفرع الداخلي) في إدارة أمن الدولة (ابن خال بشار الأسد)، اللواء علي مملوك مدير إدارة أمن الدولة، اللواء عبد الفتاح قدسية رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، اللواء محمد ديب زيتون رئيس شعبة الامن السياسي، اللواء محمد سمور وزير الداخلية السابق، اللواء محمد الشعار وزير الداخلية الحالي (قتل في انفجار مكتب الأمن القومي يوم 2012/7/18)، اللواء جميل حسن مدير إدارة المخابرات الجوية، اللواء زهير الحمد نائب مدير أمن الدولة، اللواء نزيه حسون نائب مدير أمن الدولة مسؤول عن العمليات في المنطقة الساحلية، اللواء جمعة الأحمد قائد القوات الخاصة (الوحدات الخاصة) التي كان يرأسها سابقاً اللواء علي حيدر، اللواء جميل بدر حسن قائد إدارة الدفاع الجوي وهو الذي أشرف على اقتحام المعضمية، اللواء رستم غزالة رئيس فرع دمشق وريف دمشق شعبة الامن العسكري، اللواء علي يونس نائب رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية (نائب اللواء عبد الفتاح قدسية)، اللواء توفيق يونس إدارة أمن الدولة الفرع 251 الفرع الداخلي، العميد عاطف نجيب رئيس فرع الأمن السياسي في محافظة درعا (ابن خالة بشار الذي عذب أطفال درعا فانفجرت الثورة منها تحت عنوان "يا دكتور اجاك الدور"، العميد ثائر العمر رئيس فرع المداهمة والدوريات في إدارة أمن الدولة وهو الذي أشرف على اقتحام مدينة دوما، العميد ناصر العلي رئيس فرع الأمن السياسي في درعا حالياً، العميد اياد محمود قائد لواء في الحرس الجمهوري، العميد علاء سعود الحرس الجمهوري، العميد مناف طلاس قائد اللواء 105 حرس جمهوري شارك في محاصرة ساحة العباسيين وقتل المتظاهرين (ابن مصطفى طلاس انشق عن النظام في شهر تموز 2012)، العميد غسان بلال رئيس مكتب الامن في الفرقة الرابعة أشرف على التعذيب والتحقيق مع الموقوفين من المعتصمين، العميد نبيه ربيع حرس

جمهوري شارك في محاصرة احياء دمشق، العميد ناصر ديب رئيس فرع الامن السياسي في حماه وهو ابن شقيق العماد شفيق فياض ديب، العميد منير جلعود رئيس الفرع الامن العسكري حمص، العميد محمد مخلوف رئيس فرع أمن الدولة حمص، العميد جامع جامع رئيس فرع الامن العسكري في محافظة دير الزور شارك بقتل وقمع المتظاهرين، السيد برهان قدور فرع التحقيق العسكري في شعبة المخابرات العسكرية ورئيس قسم الامن العسكري السابق في دوما وكان متواجداً في دوما أثناء قمع وقتل المتظاهرين، العميد محمد خلوف رئيس فرع فلسطين شارك في قمع المتظاهرين في ريف دمشق، العميد عدنان احمد رئيس فرع الاستخبارات العسكرية، العميد خضر الحسين رئيس فرع أمن الدولة، العميد طه طه رئيس فرع الأمن السياسي، العميد أكرم محمد رئيس فرع أمن الدولة في محافظة حلب، العميد عبد اللطيف فهد رئيس فرع الامن العسكري في حلب، العميد سهيل داود استخبارات جوية أو أمن دولة وهو من قرى دمشق (وهو مسيحي)، العميد ذو الهمة شاليش رئيس أمن الموكب الرئاسي وهو ساهم في تمويل الشبيحة في اللاذقية ودمشق (ابن خالة بشار)، العقيد خليل ملا رئيس فرع الامن السياسي في حلب، العقيد مالك الهادي شعبة الامن السياسي نائب فرع الدوريات في دمشق التابعة لشعبة الامن السياسي موقعه أمام صالة الفيحاء وهو متواجد في اللاذقية حالياً، العقيد تمام ديب من الفوج 53 قوات خاصة متواجد في اللاذقية وأشرف على قتل المتظاهرين في اللاذقية وهو قائد كتيبة وانضم معه الشبيحة في اللاذقية، العقيد علي سليم قائد كتيبة اقتحام من الفوج 53 قوات خاصة أشرف على اقتحام مدينة جبلة وقتل المتظاهرين بمشاركة الشبيحة في منطقة جبلة، العقيد تميم عيسى الاحمد من القوات الخاصة الفوج 53 شارك في قتل المتظاهرين في اللاذقية، العقيد محمد العبدالله رئيس فرع الأمن السياسي في حمص وكان سابقاً الملحق العسكري في فرنسا وقد شارك بقتل المتظاهرين وتعذيب المعتقلين من المشاركين في التظاهرات السلمية في حمص، العقيد قصي ميهوب رئيس فرع الاستخبارات الجوية في حرستا وعناصر الفرع، العقيد مجد العبدالله أمن الدولة فرع اللاذقية، العقيد فراس رئيس فرع التحقيق في إدارة أمن الدولة، المقدم كنان محمد غالية قائد سرية المدفعية في الفوج 53 متواجد في اللاذقية وشارك في قتل المتظاهرين، المقدم أحمد عبد الحميد

أمن الدولة فرع اللاذقية، المقدم علاء دروبي شعبة الامن السياسي، المقدم خالد الخطيب أمن الدولة الفرع 251 الفرع الداخلي، المقدم سامر البريدي رئيس قسم أمن الدولة في منطقة دوما وهو الذي نشر عناصر القناصة، الرائد أمجد عباس رئيس قسم الامن السياسي في بانياس شارك بقتل وإهانة المعتصمين في بانياس والبيضا، العميد هائل الاسد رئيس سرية الشرطة العسكرية والمهام الخاصة، العميد زهير الأسد قائد لواء 90 حماية العاصمة دمشق، العميد عبد السلام رئيس فرع التحقيق في الاستخبارات الجوية (فرع تحقيق مطار المزة) كان سابقاً مدير مكتب اللواء محمد الخولي وهو من قرية الفوعة التابعة لمحافظة ادلب وهو شيعي وهو قريب العميد ثائر العمر لأنه من القرية نفسها، عدنان رياض الشامي إدارة الاستخبارات العامة، أنور وعبد المجيد حسين (شيعي) من الفرع الداخلي وهما مسؤولان عن التحقيق، العميد عدنان عاصي في الاستخبارات العسكرية في دمشق كان سابقاً في فرع الاستخبارات العسكرية.

آخر الكلام.. أو أوّله

كثيراً ما سمعت من أصدقاء سوريين معارضين في الخارج: ان حلم تحرير فلسطين من عصابات الصهاينة، أقرب منالاً من حلم تحرير سورية من حكم آل الأسد.

بل إن شرط تحرير سورية يمر بتحرير فلسطين، فما من قوة تدعم هذه العصابة في بلادنا إلا عصابات الصهاينة.

كان بعضهم يردد تبريراً أو خجلاً أو واقعاً أننا نحن في الخارج هاربون منفيون بإرادتنا لأن الشعار الأشهر والأكثر شمولية بين كثيرين منا: ألف مرة قتيل ولا مرة سجين في أقبية آل الأسد، فالتعذيب يميتك كل دقيقة بل وكل ساعة وكل يوم عشرات المرات وأنت السجين بلا تهمة، بلا محاكمة بلا إسم، بلا أمد معروف.

وعندما ثارت درعا وكتب أطفالها على الجدران «يا دكتور إجاك الدور»، ما تجرأ أحد على وصفها بالثورة وما فكر أحد أن محمد البوعزيزي في تونس يمكن أن يمدّ ظله بل نوره بدل ناره إلى سورية.. لكن النور كالطير، كالأفكار لا حدود لأثارها.. وصلت سورية فقرأ السوريون حمزة الخطيب وإبراهيم قاشوش والجوابرة وحسين هرموش وعشرات الآلاف غيرهم.. هؤلاء جعلوا سورية حرة.. بل مهدوا الطريق كي تكون فلسطين نفسها حرة أيضاً..

لقد استقامت الأمور في ثورة الشعب السوري ضد حكم الأسد: تتحرر فلسطين عندما تتحرر سوريا.



ISBN 978-614-01-0690-1
9 786140 106901

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف



حسن صبرا

- صحافي، رئيس تحرير مجلة «الشراع» اللبنانية، عضو مجلس نقابة الصحافة في لبنان.
- بطل نشر فضيحة إيران-غيت (صفقة الأسلحة الأميركية إلى إيران)، في العدد 242 تاريخ 1986/11/3، التي أدت إلى خسارة إيران حربها مع العراق (1980 – 1988)
- تعرّض لمحاولة اغتيال في 1987/9/14 بسبب نشر هذه الفضيحة.
- اختارته صحيفة Le Monde الفرنسية صحافي العام 1986.
- رشحه كتّاب وصحافيو ومراسلو مجلة تايم الأميركية في الشرق الأوسط صحافي العام ونافسته رئيسة الفيليبين السابقة كورازون اكينو.
- هاجمه الرئيس الأميركي (الراحل) رونالد ريغان عدة مرات، متهماً إياه بإفشال صفقات عدة بين أميركا وإيران لإطلاق الرهائن الأميركيين في لبنان، بسبب نشر أخبار مسبقة.
- منحه الكاتب الصحفي المصري الراحل مصطفى أمين جائزته عام 1986 ورفض صبرا تسلمها لسجن أمين سابقاً في مصر عام 1965 بعد ثبوت عمالته للاستخبارات الأميركية، وتوثيق ذلك رسمياً في إدارة الاستخبارات العامة المصرية، حتى الآن.
- حصل صبرا على جائزة نقيب المحررين اللبنانيين الراحل ملحم كرم.